بسم الله الرحمن الرحيم

الإدارة ونظام الحكم

في عهد الإمام علي مالك الأشتر

ISBN 978-9933-582-36-4

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ببغداد ٣٧٤ لسنة ٢٠١٨

مصدر الفهرسة: IQ – KaPLI ara IQ –KaPLI rda

رقم الاستدعاء: ٢٠١٨ A٤ R٨٣.BP٣٨,٠٢

المؤلف: الربيعي، سجاد عبد الحليم. - مؤلف.

العنوان: الادارة ونظام الحكم في عهد الامام علي (عليه السلام) لمالك الاشتر (رضوان الله عليه): دراسة تحليلية.

بيان المسؤولية: تأليف الشيخ سجاد عبد الحليم الربيعي.

بيانات الطبعة: الطبعة الاولى.

بيانات النشر: كربلاء، العراق: العتبة الحسينية المقدسة، مؤسسة علوم نهج البلاغة، ٢٠١٨/ ١٤٣٩ للهجرة.

الوصف المادي: ٤٢٩ صفحة؛ ٢٤ سم.

سلسلة النشر: سلسلة بحوث في العهد العلوي، الدراسات الإدارية ؛ (١).

تبصرة ببليوغرافية: يتضمن هوامش، لائحة المصادر الصفحات (٤١١-٤٢٩).

موضوع شخصي: الشريف الرضي، محمد بن الحسين، ٣٥٩ - ٤٠٦ للهجرة - نهج البلاغة. - عهد مالك الاشتر - شرح.

موضوع شخصي: علي بن ابي طالب (عليه السلام)، الامام الاول، ٢٣ قبل الهجرة -٤٠ للهجرة – احاديث.

موضوع شخصي: علي بن ابي طالب (عليه السلام)، الامام الاول، ٢٣ قبل الهجرة-٤٠ للهجرة – رسائل.

موضوع شخصي: علي بن ابي طالب (عليه السلام)، الامام الاول، ٢٣ قبل الهجرة-٤٠ للهجرة سياسته وحكومته.

موضوع شخصي: مالك بن الحارث الاشتر النخعي، توفي ٣٩ للهجرة – نقد وتفسير.

مصطلح موضوعي: نظام الحكم في الاسلام.

مصطلح موضوعي: النظام الاداري في الاسلام.

مؤلف اضافي: الحسني، نبيل قدروري، ١٩٦٥، مقدم.

اسم هيئة اضافي: العتبة الحسينية المقدسة. مؤسسة علوم نهج البلاغة – جهة مصدرة

عنوان اضافي: نهج البلاغة.

عنوان اضافي: عهد مالك الاشتر.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية

سلسلة دراسات في عهد
الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر رحمه الله (٣٧)
وحدة دراسات العلوم الإدارية

الإدارة ونظام الحكم

في عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر رضي الله عنه

تأليف
الشيخ سجاد الربيعي

إصدار
مؤسسة علوم نهج البلاغة
في العتبة الحسينية المقدسة

جميع الحقوق محفوظة

العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

العراق - كربلاء المقدسة -مجاور مقام علي الأكبر (عليه السلام)

مؤسسة علوم نهج البلاغة

الموقع الألكتروني: www.inahj.org

الإيميل: Inahj.org@gmail.com

تنويه:

إن الأفكار والآراء المذكورة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر كاتبها، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر العتبة الحسينية المقدسة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤسسة:

الحمد لله على ما أنعم وله الشكر بما ألهم والثناء بما قدم من عموم نعمٍ ابتدأها وسبوغ آلاء أسداها والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين محمد وآله الطاهرين.

أما بعد:

فإن من أبرز الحقائق التي ارتبطت بالعترة النبوية هي حقيقة الملازمة بين النص القرآني والنص النبوي ونصوص الأئمة المعصومين (عليهم السلام أجمعين).

وإنّ خير ما يُرجع إليه في المصاديق لحَديث الثقلين «**كتاب الله وعترتي أهل بيتي**» هو صلاحية النص القرآني لكل الأزمنة متلازماً مع صلاحيّة النصوص الشريفة للعترة النبوية لكل الأزمنة.

وما كتاب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه) لمالك الأشتر (عليه الرحمة والرضوان) إلا أنموذجاً واحداً من بين المئات التي زخرت بها المكتبة الإسلامية والتي اكتنزت في متونها الكثير من الحقول المعرفية مظهرة بذلك احتياج الإنسان إلى نصوص الثقلين في كل الأزمنة.

من هنا:

ارتأت مؤسسة علوم نهج البلاغة أن تخصص حقلاً معرفياً ضمن نتاجها المعرفي التخصصي في حياة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وفكره، متّخذة من عهده الشريف إلى مالك الأشتر (رحمه الله) مادة خصبة للعلوم الإنسانية التي هي أشرف العلوم ومدار بناء الإنسان وإصلاح متعلقاته الحياتية وذلك ضمن سلسلة بحثية علمية والموسومة بـ(سلسلة دراسات في عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رحمه الله)، التي ستصدر بإذن الله تباعاً، حرصاً منها على إثراء المكتبة الإسلامية والمكتبة الإنسانية بتلك الدراسات العلمية والتي تهدف إلى بيان أثر هذه النصوص في بناء الإنسان والمجتمع والدولة متلازمة مع هدف القرآن الكريم في إقامة نظام الحياة الآمنة والمفعمة بالخير والعطاء والعيش بحرية وكرامة.

والبحث الموسوم بـ «الإدارة ونظام الحكم في عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضوان الله عليه)» يقدم فيه الباحث دراسة تحليلية في معالم العهد الشريف وهو يعد نافذة تطل على مفاهيم الإدارة ونظام الحكم، وقد سعى الباحث الى استقاء حلوله لكثير من المشاكل المرتبطة بنظام الحكم وادارة البلاد والمجتمع من فكر الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام).

فجزى الله الباحث خير الجزاء فقد بذل جهده وعلى الله أجره والحمد لله رب العالمين..

السيد نبيل الحسني الكربلائي

رئيس مؤسسة علوم نهج البلاغة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله المصطفى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى اصحابه المنتجبين الميامين.

تؤلف قضايا إدارة نظام الحكم بمختلف أشكالها وأنواعها الحجر الأساس في النظرية الإسلامية بل الحجر الأساس في كل ما جاءت به الملل السماوية والشرائع الإلهية على الإطلاق، فقد اختزل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام جميع القوانين الإلهية والشرائع السماوية في مسيرته وحياته الشريفة التي جسد فيها الأهداف السماوية في جوانبها وحقيقتها من خلال رسالة العهد الناصع للبشرية جمعاء.

وتحتوي وثيقة العهد التي ضمنها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لمالك الاشتر رضوان الله عليه واليه على مصر من الوثائق الإدارية المهمة في النظام الإسلامي وتعد من الأصول المعتمدة والأساسية التي ازدهرت بها كتب التراث الإسلامي حيث احتوت هذه الوثيقة في مضمونها أسساً ومبادئ ونظاماً إدارياً

متكاملاً في جوانبه وقد استندت هذه الوثيقة إلى الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة والسيرة العلوية الشريفة. وقد عكست الصورة الحقيقية للنظام والحكم الإسلامي الحقيقي عبر إنشاء علاقة بين الحاكم والمحكوم أو بين الراعي والرعية وكيفية منح المناصب الإدارية والقيادية وتوزيعها وتقديم المصالح العامة على المصالح الشخصية، وليست هذه الوثيقة تتسم بالطابع الديني فحسب بل تعدت الى النظم العلمية في الإدارة ونظام الحكم.

فجاء الكتاب بعنوانه (**الإدارة ونظام الحكم في عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر رضوان الله عليه**) ليبحث جانباً من الجوانب المهمة في الرسالة السماوية والمنصب الإلهي المتمثل في فكر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في تطبيق آليات النظام الإداري عبر إعطاء البشرية أنموذجاً اسمى في المجتمع الإداري وقيادة الأمة ويهدف الكتاب في مضمونه الى تحديد المعالم الأساسية للنظام الإداري في النظرية الإسلامية من خلال إبراز الفكر الإداري والقيادي للإمام أمير المؤمنين عليه السلام في رسالة العهد التي خطها لواليه على مصر الصحابي الجليل مالك الاشتر رضوان الله عليه.

وجاءت فكرة طرح هذا الموضوع من خلال التتبع للدراسات الواقعية في مضمون رسالة العهد للإمام أمير المؤمنين عليه السلام بأن هناك ضعفاً وخللاً كبيرين في الدراسات الواقعية في مضمون رسالة العهد .

يرى الباحث أنه يمكن عن طريق الدراسات التحليلية لمقاطع العهد من التوصل إلى معالجة المشاكل الإدارية التي تستهدف مؤسسات الدولة أولاً ومواجهة التحديات الإدارية الصعبة وتحويلها إلى فرص عمل في المسارات الصحيحة من خلال إنشاء منظومة إدارية متكاملة.

١ـ أهداف البحث:

الهدف من الدراسة هو تحديد المعالم الأساسية للنظام الإداري في النظرية الإسلامية، من خلال إبراز الفكر الإداري والقيادي للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في رسالة العهد التي خطها لواليه على مصر الصحابي الجليل مالك الأشتر (رضوان الله عليه).

٢ـ مشكلة البحث:

هناك ضعف وخلل كبيرين في الدراسات الواقعة في مضمون رسالة العهد للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، يرى الباحث أنه يمكن عن طريق الدراسات الموضوعية لمقاطع العهد من التوصل إلى معالجة المشاكل الإدارية التي تستهدف مؤسسات الدولة أولا، ومواجهة التحديات الإدارية الصعبة وتحويلها إلى فرص عمل في المسارات الصحيحة، من خلال إنشاء منظومة إدارية متكاملة.

٣ـ مناهج البحث:

هناك طرق وأساليب عديدة يستخدمها الباحثون في دراساتهم للوصول إلى الهدف المنشود من الدراسة، وكذلك في الحصول على أدق النتائج لهذه الدراسة وقد استخدم الباحث المنهج العلمي الوصفي التحليلي، وهو أحد المناهج العلمية النظرية ويستخدم في أغلب الابحاث العلمية ويعتمد الرجوع إلى الكتب والمراجع والمصادر وكل ما يتعلق بموضوع الدراسة، ويستفاد منه في تحديد المفاهيم التي يعتمدها الباحث في دراسته.

٤ مكونات البحث:

بغية الوصول إلى اهداف البحث والتحقق من مشكلة البحث، فقد تمّ تقسيم البحث إلى ثلاثة فصول فضلا عن المقدمة والتمهيد والاستنتاجات والتوصيات والخاتمة.

الفصل الأول: مفهوم الإدارة ومعانيها: وفيه أربعة مباحث:

المبحث الاول: مفهوم الإدارة في اللغة والاصطلاح والقرآن والسنة المطهرة.

المبحث الثاني: مبادئ الإدارة في عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الاشتر (رضوان الله عليه) وفيه عشرون مسألة.

المبحث الثالث: سمات الشخصية الإدارية القيادية.

المبحث الرابع: المعايير الخلقية للشخصية الإدارية القيادية في عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الاشتر (رضوان الله عليه)

الفصل الثاني: مفهوم نظام الحكم ومعانيه، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم نظام الحكم في اللغة والاصطلاح والقرآن الكريم والسنة المطهرة.

المبحث الثاني: ضرورة وجود الحاكم ووظائفه الرئيسية في الدولة.

المبحث الثالث: مفهوم الحكم في عهد الامام علي (عليه السلام) لمالك الاشتر(رضوان الله عليه).

الفصل الثالث: الأهداف العامة للحكم.

وقد فصلنا البحث فيه إلى أربعة مباحث، لنقف عندها من خلال التفصيل الآتي:

المبحث الاول: (السياسة المالية توفير الإيرادات المالية).

قوله عليه السلام: (جِبَايَةَ خَرَاجِهَا).

المبحث الثاني: (السياسة الحربية المتمثلة بالجهاد). (توفير الأمن والدفاع).

قوله عليه السلام: (وَجِهَادَ عَدُوِّهَا).

المبحث الثالث: (التنمية البشرية). الإصلاح الاجتماعي.

قوله عليه السلام: (وَاسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا).

المبحث الرابع: (التنمية الاقتصادية)

قوله عليه السلام: (وَعِمَارَةَ بِلَادِهَا).

تمهيد:

إطلالة على شخصية مالك الاشتر (رضوان الله عليه).

لابد لنا قبل الخوض في تفاصيل العهد من ان نقف عند مالك الاشتر الذي خصه أمير المؤمنين (عليه السلام) بهذا العهد الذي اختزل فيه نظرية إدارة نظام الحكم في مهمة أوفد بها لحكم مصر.

من هو مالك الأشتر؟ خصوصياته؟ كيف جسد الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) هذه النظرية في تطبيقاتها العملية حينما اوفده في هذه المهمة؟

إن الوقوف عند شخصية مالك الاشتر سيشير إلى طبيعة العلاقة في المنظومة القيادية بين القائد والقيادات الوسطية فضلاً عن ان الوقوف عند خصوصيات مالك ورؤيته إزاء علي (عليه السلام) ورؤية علي (عليه السلام) إزاءه، يشير إلى الخصائص والمميزات والمواصفات الذاتية والموضوعية التي يجب ان تتوافر في من يتصدى للمواقع القيادية.

ولد مالك الاشتر (رضوان الله عليه) في اليمن قبل البعثة النبوية الشريفة بمدّة وجيزة من قبيلة (نخع) -حسبما ذكر السيد محسن الأمين في كتابه أعيان الشيعة - وهي من القبائل العربية الاصيلة، ثم انتقل إلى العراق واقام في الكوفة وقد عاصر رسول الله: (صلى الله عليه وآله وسلم) ولكنه لم يره ولم يسمع حديثه ومن ثم لم يصنف من الصحابة، غير أن مالكاً ذُكِر عند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال فيه:

«إنه المؤمن حقاً»[1].

وهذه شهادة كبيرة من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بحق مالك الاشتر حينما وصفه بالمؤمن حقا اي انه يتميز بالمرتبة العليا من الايمان والتقوى والورع.

وهذا يكشف لنا أن مالكاً (رضوان الله عليه) لم يكن شخصاً نكرة ومجهولا في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالرغم من شبابه وفتوته، وكذلك فيما جاء في الرواية من أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لجمعٍ من الصحابة، وكان فيهم أبو ذر الغفاري:

«ليموتن أحدكم بفلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين»

فما كان من أمر أبي ذر (رضوان الله عليه) إلا أن توفي في صحراء الرَّبَذَة، فجاءت قافلة من بين أفرادها مالك الأشتر وحجر بن عدي، فدفنوا جثمانه الطاهر بتكريمٍ بالغ. ويُروى أن مالك الأشتر كفّنَهُ وصلّى عليه ودفنه، يُعينه على ذلك جمع من الناس، وفي مثل تلك الحال من الأسى والحزن اللذين استوليا على مالك، وضع يده على تراب القبر وقال بلوعةٍ:

(١) اعيان الشيعة: محسن الامين: ج٩: ص٤١

(اللهم، فهذا أبو ذر ناصر نبيّك، الذي عَبَدَك عبادة العابدين، وجاهد المشركين في سبيلك، ولم يغيِّر ديناً أو يبدّل سُنَّةً، وقد رأى منكراً فاعترض عليه بقلبه ولسانه، فظُلِمَ ونُفِيَ وازْدُري حتى قضى غريباً في الصحارى. اللهم فاهلِكْ مَن حَرَمَهُ ونَفاه وأبعَدَهُ عن حرم نبيّك ودار هجرته (فرفع الحاضرون جميعاً أيديهم وأمّنوا على دعائه)[1].

خطى مالك الأشتر منذ إسلامه على نهج السنّة النبوية والسيرة العلوية، رغم رحيل النبي محمد المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) وتولّي الأمر ثلاثة من أصحابه، فإنه لم يتخلَّ يوماً عن أهل البيت (عليهم السلام) الورثة الحقيقيين للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فضلاً عن أنه كان من المدافعين عن حريمهم وحقِّهم بضَراوة. وقد أسهم في عزل بعض الولاة المُعيّنين من قِبَل الخلفاء، عبر اعتراضه على سلوكياتهم، وقد هيأ الأرضية المناسبة لإنصاف المظلومين والاستجابة لشكاوى المسلمين. ومن جملة ذلك، اعتراضه على جرائم الوليد بن عقبة، مما أدى إلى تنحيته عن ولاية الكوفة.

وكذلك اشتكى مالك وبعض الصحابة والعظماء الآخرين من ظلم سعيد بن العاص، وهو والٍ آخر للكوفة، لكن عثماناً كان ميّالاً بشدة إلى قومه وعشيرته، ولذلك فقد بادر إلى نفي مالك وعدد من الأجلاء مثل كميل بن زياد وصعصعة ابن صوحان وثابت بن قيس إلى الشام، ثم لمّا لم يستطع معاوية بن أبي سفيان إسكات صوت مالك الصادح بالحقيقة، فقد أُبعِدَ هؤلاء الأكارم بأمر عثمان إلى حمص التي كان يحكمها عبد الرحمن بن خالد وفي نهاية المطاف أثمرت مساعي مالك الشجاعة في خلع سعيد بن العاص أيضاً بالقوة عن ولاية الكوفة[2].

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج١٥، ص٩٩؛ وينظر وسائل الشيعة، ج٢، ص٣٠٦؛ منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، حبيب الله الخوئي، ج٢٠، ص١٦٣.

(٢) ينظر: الأعلام من الصحابة والتابعين: الحاج حسين الشاكري، ج٣ ص١٠٥.

وقد ورد في خصاله في كتب التاريخ أنه (الكريم المغدق)، جاء في مجمع البحرين: الربيع المغدق ذو المطر الكثير والغيداق الرجل الكريم[1] أي أنه ذو كرم وسخاء وكان يعطي بكثرة مما كان يمتلكه للأخرين وهذه من الصفات المهمة التي ينبغي أن تتوافر في القيادة.

(الشجاع الفتّاك) أي انه لم يكن شجاعا فحسب، بل كان فائق الشجاعة وكان (رضوان الله عليه) حينما يبرز في الحروب يصول فيها ويوقع بالعدو أفدح الخسائر، والفتّاك الفاتك الجريء والجمع الفتّاك والفتك أن يأتي الرجل صاحبه وهو غار غافل حتى يشد عليه فيقتله[2].

(الخطيب القدير) والقدير ذو القدرة البالغة[3] أي كان خطيبا مفوها، يهيمن على سامعيه ويبعث فيهم روح الحماسة.

(الشاعر الصوال) المصاولة المواثبة يقال رب قول أشد من صول[4] أي كان شاعرا بليغا ينظم الشعر متى أراد وفي شتى أبواب الشعر.

وهذا التعريف يكشف لنا عن تنوع في شخصية مالك الاشتر (رضوان الله عليه)، ممكن أن يكون الشخص رجل حرب وقائدا عسكريا محترفا ويكون في مجال اخر أديبا وشاعرا ويكون في صورة اخرى رجلاً اجتماعياً وكريم النفس يحسن التواصل مع الناس فشخصية مالك الاشتر شخصية متنوعة لجميع الخصال الحميدة، فهو رجل متميز ومتألق.

(١) مجمع البحرين: الطريحي، ج٤ ص٢١٨.
(٢) الصحاح في اللغة: الجواهري، ج٢ ص٣٣.
(٣) معجم الوسيط: للطبراني، مادة قدير، ج٢ ص٣٥٢.
(٤) لسان العرب: ابن منظور، ج١١، ص٣٨٧.

لقب بالأشتر: لأن احدى عينيه أصيبت في معركة اليرموك التي وقعت بين المسلمين والروم في السنة الثالثة عشرة للهجرة، وهو وسام شرف للتصدي لتحمل المسؤولية وللقتال ببسالة دفاعا عن الاسلام وعن الرسالة الاسلامية.

وكانت له ادوار مهمة في حروب الردة فقد دخلت مجاميع كبيرة في الاسلام بعد فتح مكة ولكن بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وتخلف المهاجرين والانصار عن الامامة وتحول الخلافة النبوية إلى ملك عضوض نشطت حركات أدعياء النبوات الكاذبة التي كانت موجودة منذ حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) واستقطبت مجموعة من القبائل طمعا في السلطة، وأخذوا يشكلون خطراً على الإسلام في ارجاء الجزيرة العربية مما اضطر المسلمين ان يخوضوا معهم حروبا سميت بحروب الردة.

عندما نريد ان نقيّم شخصية مالك الاشتر(رضوان الله عليه) لابد من أن نعرف منزلته عند الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لأنه عارف بمنزلة الإمام عليه السلام في الموقف والنصرة.

فكان مالك (رضوان الله عليه) عارفا بمنزلة أمير المؤمنين (عليه السلام) ومبينا لها للأخرين، وهذه خصوصية مهمة للمنظومة القيادية وهي ربط الناس بإمام زمانهم .

كان مالك من أولئك النفر الذين كانوا يكشفون للناس حقيقة الجرائم وأنواع الخيانة التي كانت تُرتكب من قبل عثمان وولاته، ما أدى إلى أن ينالوا جزاءهم، وبعد مقتل عثمان، راح مالك الأشتر يدعو الناس بخُطَبِ استدلالية وتصريحات منطقية ومقنعة إلى مبايعة مولاه أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) ويهيئَ الأرضية المناسبة لخلافة الإمام. ويُروى أن مالك الأشتر النخعي كان أول مسلم يصافح

يد الإمام عليّ (عليه السلام) في بيعته على الخلافة ويقول: (ايها الناس هذا وصي الاوصياء ووارث علم الانبياء، العظيم البلاء الحسن العناء في ايام الشدة، شهد له كتاب الله بالايمان، ورسوله بجنة الرضوان من كملت فيه الفضائل، ولم يشك في سابقته وعلمه وفضله الاواخر ولا الاوائل)[1].

وفي خطبة أخرى له كان يستعد فيها للقتال ويشحذ همم المقاتلين الذين يقفون ويدافعون عن المشروع الالهي يقول فيها: (معنا ابن عم نبينا، وسيف من سيوف الله علي بن أبي طالب، صلى مع رسول الله، لم يسبقه إلى الصلاة ذكر حتى كان شيخا، لم تكن له صبوة ولا نبوة ولا هفوة ولا سقطة. فقيه في دين الله تعالى، عالم بحدود الله، ذو رأي أصيل، وصبر جميل، وعفاف قديم، فاتقوا الله وعليكم بالحزم والجد واعلموا أنكم على الحق وأن القوم على الباطل، إنما تقاتلون معاوية وأنتم مع البدريين، قريب من مائة بدري، سوى من حولكم من أصحاب محمد، أكثر ما معكم رايات قد كانت مع رسول الله، ومع معاوية رايات قد كانت مع المشركين على رسول الله، فما يشك في قتال هؤلاء إلا ميت القلب، أنتم على إحدى الحسنيين، إما الفتح وإما الشهادة، عصمنا الله وإياكم بما عصم به من أطاعه واتقاه، وألهمنا وإياكم طاعته وتقواه، وأستغفر الله لي ولكم)[2].

وهذه كلها سمات مهمة في القيادة، فالقائد يجب ان يكون عالما باتخاذ الموقف الصحيح وأين يكون الاقدام وأين يكون الاحجام وأين يرفع صوته وأين يخفضه وأين يخفض جناحه لأخرين ويتعامل معهم برفق. فالحزم والجد والوقوف مع القيادة واستنفار الطاقات وشحذ الهمم هي من السمات التي يجب ان تكون في الأمة التي تسير خلف قائد تتوافر فيه المواصفات القيادية المطلوبة.

(١) تاريخ اليعقوبي: ج٢: ص١٧٩، وينظر: معالم المدرستين السيد مرتضى العسكري: ج٢، ص٢١٩.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج٥، ص١٩٠.

هكذا كان مالك الاشتر في تقييمه لعلي (عليه السلام) وفي حث الناس نحوه وفي دعوة الناس إليه وفي ربط الناس به.

كان علي (عليه السلام) يعرف معادن الرجال ويعرف من هو مالك فكان مالك رجل المهام الصعبة في معركة الجمل وفي ظروف حرجة حصل فيها عملية التشكيك والتردد والاختلاف داخل المنظومة القيادية يقاتل ببسالة وشجاعة قلَّ نظيرها، وعندما انتهت المعركة هنا ارسل أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى مالك ليأتي ويتحمل هذه المسؤولية، أرسله الامام (عليه السلام) إلى منطقة (الجزيرة)[1] ليكون واليا عليها.

وحينما كلّفه بهذه المهمة ارسل معه كتابا إلى زياد بن نضير وشريح بن هاني يقول فيه (وقد أمرت عليكما وعلى من في حيزكما مالك بن الحارث الأشتر فاسمعا له وأطيعا، واجعلاه درعا ومجنا، فإنه ممن لا يخاف وهنه ولا سقطته ولا بطؤه عما الاسراع إليه أحزم، ولا إسراعه إلى ما البطي عنه أمثل)[2].

وخاض مالك حرب صفين إلى جانب أمير المؤمنين (عليه السلام) وكان قائدا على ميمنة الجيش وكادت الحرب تنتهي بالنصر لولا الخدعة برفع المصاحف والدعوة إلى التحكيم التي رفضها أمير المؤمنين (عليه السلام) ومجموعة من المخلصين معه.

وبعد انتهاء حرب صفين جاء دور مصر التي كان عليها محمد بن أبي بكر (رضوان الله عليه) كان شابا يافعا وقد اختاره الامام (عليه السلام) لمصر بوصفها لم تكن

(١) مناطق الموصل وسنجار وما يطلق عليها اليوم شمال العراق، منطقة واقعة على حدود الشام. أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، ج٩، ص٤١.

(١) نهج البلاغة: خطب الإمام علي (عليه السلام) ج٣، ص١٤.

محورا للصدام والصراع في تلك المرحلة، فحينما اصبحت ساحة للمواجهة وبدأت الغارات تتوالى عليها، وجه قيادة مالك الاشتر اليها بوصفه رجل المهام الصعبة ليذهب ويقاتل في تلك المعركة الضروس فارسل له الامام (عليه السلام) رسالة ذكر فيها تقييما له حيث قال (سلام الله عليه):

«اما بعد فإني قد وليت النعمان بن عجلان البحرين بلا ذم لك فاقبل غير ظنين واخرج اليه من عمل ما وليت فقد اردت الشخوص إلى ظلمة اهل الشام وبقية الأحزاب فاحببت ان تشهد معي لقاءهم فإنك ممن استظهر به على اقامة الدين ونصر الهدى جعلنا الله واياك من الذين يعملون بالحق وبه يعدلون»[1].

ومن كتبه عليه السلام لمالك انه قال وهو يومئذ بنصيبين:

«أما بعد: فإنك ممن استظهرته على إقامة الدين، وأقمع به نخوة الأثيم، وأشد الثغر المخوف، وكنت وليت محمد بن أبي بكر مصر فخرجت عليه بها خوارج وهو غلام حدث ليس بذي تجربة للحرب ولا بمجرب للأشياء، فأقدم علي لننظر في ذلك فيما ينبغي، واستخلف على عملك أهل الثقة والنصيحة من أصحابك. والسلام»[2].

كان الإمام علي (عليه السلام) يعتبر مالك الأشتر جديراً بحكم مصر، فلذلك فقد دعاه إلى الكوفة وأعطاه عهده المعروف، وبعث به إلى هناك. فما كان من معاوية الذي كان يُدرك أنه لو دخل مالك الأشتر مصر فإنها ستتحول إلى قاعدة قوية وراسخة للخلافة العلوية، فدبّر خطة لاغتياله، وهو ما تحقّق له في نهاية المطاف.

(١) تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص٢٠١.

(٢) الغدير: الشيخ الأميني: ج١١، ص٦٣؛ تاريخ الطبري: محمد بن جرير الطبري، ج٤، ص٧١.

فقد استشهد مالك الأشتر في أرض القلزم بمصر على يد نافع مولى عثمان بن عفان الذي سقاه شراباً مزيجاً من السَّم والعسل)[1].

ذكر بعض المؤرخين أن مالك الأشتر استشهد في رجب عام ٣٧هـ (٦٥٧م)، ولكن يبدو أن الصواب هو الخامس والعشرون من ذي القعدة عام ٣٨ للهجرة. ومن الأدلة المتوافرة يمكن تخمين عمره بأكثر من سبعين عاماً. أما فيما يتعلّق بمحل دفن جثمانه الطاهر، فقد ذهب بعض المؤرخين إلى أنه دُفِنَ في القلزم ذاتها، ولكن كثيرين يعتقدون أيضاً أن جثمانه حُمل من القلزم ودُفِنَ في المدينة المنورة، حيث يوجد قبره المعروف والمشهور الآن، وسبب ذلك هو أن مرافقيه لم يدفنوه في القلزم خشيةً من أن يأمر معاوية لشدّة معاداته له بنبش قبره وإهانة جثمانه الطاهر[2].

أدت وفاته إلى حزن الإمام (عليه السلام) حزناً بالغاً والبكاء عليه كثيراً، ثم ارتقائه المنبر دامع العين، وقوله:

«لله درّ مالك، لو كان من جبل لكان أعظم أركانه، ولو كان من حجر كان صلداً. أما والله ليهدن موتك عالماً، فعلى مثلك فلتبك البواكي»[3].

ثم قال:

«إنّا لله وإنّا إليه راجعون والحمد لله ربّ العالمين، اللهم إني أحتسبه عندك، فإن موته من مصائب الدهر، فرحم الله مالكاً، فقد وفى بعهده وقضى نحبه ولقي

(١) ينظر: تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني: ١٠/ ١٣، معصوم دوم: ٢/ ٢٣٣، وورد في بعض المصادر أن شهادة مالك الأشتر كانت في سنة ٣٩هـ راجع شرح نهج البلاغة: ٦/ ٣١٧

(٢) حياة مالك الأشتر: ١٧٦ ١٧٧. ولكن الذي توصل إليه نجل المؤلف بأن استشهاده كان في سنة ٣٩هـ، ودفن في مصر راجع ما ألفه في مالك الأشتر.

(٣) مستدرك الوسائل: ميرزا حسن النوري الطبرسي: ج٢، ص٤٧؛ الآمالي، الشيخ المفيد، ص٨٣.

ربه، مع أنا قد وطّنا أنفسنا أن نصبر بعد مصابنا لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فإنها من أعظم المصيبة»

ثم نزل (عليه السلام) من المنبر كسير الخاطر محزون القلب وتوجّه إلى بيته. وفي هذه الأثناء، تشرّف مشايخ قبيلة نَخَع (وهم أبناء عمومة مالك) بزيارة بيت الإمام لتعزيته، فوجدوه يتلهف ويتأسف عليه وهو يقول:

«لله درّ مالك، وما مالك لو كان من جبل لكان فنداً، ولو كان من حجر لكان صلداً. أما والله ليهدنّ موتك عالماً وليفرحنّ عالماً، على مثل مالك فلتبك البواكي وهل موجود كمالك»[1].

قال علقمة النخعي: (فما زال علي (عليه السلام) يتلهف ويتأسف حتى ظننّا أنه المصاب به دوننا، وعرف ذلك في وجهه أياماً)[2] قال أمير المؤمنين علي(عليه السلام) في وصف مالك:

«ليت فيكم مثله إثنان، بل ليت فيكم مثله واحد يرى في عدوي مثل رأيه»[3].

وقد علّق المحدِّث القمّي (رحمه الله) على هذه الرواية في الهامش قائلا: (إن عمرو بن الحمق الخزاعي الذي كان من حواريي أمير المؤمنين(عليه السلام) ومشهوراً بالجلالة والفضل، بل قيل في حقه أنه كان من أمير المؤمنين بمنزلة سلمان من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، أن أمير المؤمنين(عليه السلام) قال: ليت أن في جندي مائة مثلك (لكنه قال في الأشتر(رضوان الله عليه): ليت

(١) الغارات: ابراهيم بن محمد الثقفي الكوفي، ج١، ص٢٦٦.

(٢) بحار الأنوار: ج٣٣،ص٥٥٦

(٣) بحار الأنوار: ج٣٣، ص٥٥٦، حديث ٤٥٩، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج٦، ص٧٧؛ الإرشاد، الشيخ المفيد، ج١، ص٢٦٩.

فيكم مثله واحد يرى في عدوكم ما يرى، إذا لخفت على مؤونتكم ورجوت أن يستقيم لي بعض أودكم وقد نهيتكم عما أتيتم فعصيتموني فكنت أنا وأنتم كما قال أخو هوازن:

وهل أنا إلَّا من غزيّةَ إن غوتْ غويتُ وإن ترشدْ غزيةُ أرشدِ)[1]

فتأمل في ذلك ليدلك على مرتبة رفيعة وجلالة .

رثاء مالك الاشتر(رضوان الله عليه):

ورثى جماعة من الشعراء مالكاً كان منهم المثنّى، يقول:

ألا ما لضوء الصبح أسود حالك وما للرواسي زعزعتها الدكادك
وما لهموم النفس شتّى شئونها تظلّ تناجيها النجوم الشوابك
على مالك فليبك ذو الليث معولا إذا ذكرت في الفيلقين المعارك
إذا ابتدر الخطي وانتدب الملا وكان غياث القوم نصر مواشك
إذا ابتدرت يوما قبائل مذحج ونودي بها أين المظفّر مالك
فلهفي عليه حين تختلف القنا ويرعش للموت الرجال الصعالك
ولهفي عليه يوم دبّ له الردى وديف له سمّ من الموت حانك
فلو بارزوه يوم يبغون هلكه لكانوا بإذن الله ميت وهالك
ولو مارسوه مارسوا ليث غابة له كالتي لا ترقد الليل فاتك
فقل لابن هند لو منيت بمالك وفي كفه ماضي الضريبة باتك
لألفيت هندا تشتكي على الردى تنوح وتخبوها النساء العواتك[1]

(١) تحفة الأحباب: ٤٢٧، بحار الأنوار: ٣٣/ ٤٥٤، سفينة البحار: ٤/ ٣٨٥

وما عساني ان اقول في رجل هزمت حياته أهل الشام وهزم موته أهل العراق لأسفهم عليه ولفقدهم إياه فكان ذلك المخلص الذي وقف مع علي (عليه السلام) وجاهد معه في سبيل الله.

السلام عليه يوم ولد ويوم استشهد مظلوما ويوم يبعث حيا.

(١) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، الشيخ المحمودي، ج٢، ص٤٦٤.

الفصل الاول

مفهوم الإدارة والقيادة ومعانيهما

المبحث الاول

مفهوم الإدارة وفيه مسائل

المسألة الأولى: الإدارة لغة.

يقال (إدارة (اسم) إدارة: (مصدر أَدار)

أَدار: (فعل) أدارَ يُدير، أَدِرْ، إدارةً، فهو مُدير، والمفعول مُدار أَدار حول الشيء: دار)[1]

وقيل: (دار الشيء يدور دورا ودورانا، واستدار وأدرته أنا ودورته، وأداره غيره ودوارا دار معه)[2].

والادارة المصدر القياسي من الفعل (أدار فالمديرون يتولى الفض في الشيء ومن يتولى جهة معينة من البلاد)[3] (حيث يسيّر أمور أو إدارة شركة أو مدرسة أو مؤسسة ويشرف على أعمالها)[4].

(١) المعجم الوسيط، ابراهيم مصطفى النجار، ج١، ص٧٢٦، باب الدال

(٢) لسان العرب، ابن منظور، ج٤، ص٥٩٢، مادة دور.

(٣) المنجد في اللغة: لويس معلوف، ص١٨.

(٤) الرائد: جبران، مسعود، ص٦٤.

المسألة الثانية: الإدارة في الاصطلاح.

تعرف الادارة اصطلاحا بتعاريف متعددة أهمها:

بأنها (سياسة الدولة وريادة مجتمعها في المعترك الإنساني بشيء من مناهجه ومناشطه من حيث ممارسة السلطات العامة التي تتولى حكم المجتمع وحمايته وتدبير مواضعه والحفاظ على تقاليده)[١].

أو(انها تنظيم القوى البشرية والمادية لتحقيق الاهداف الحكومية، والإداريون: هم أولئك الذين يختصون بتوجيه وتنسيق ورقابة الاخرين)[٢]

وهي (نسيج متمايز من المهارات والقدرات الشخصية تبلورفي القدرة على تحليل المشاكل وابتكار الحلول لها والتي تتوافر في تنشئة الافراد الموهوبين والمؤهلين طبيعيا لممارسة الاعمال الادارية والنجاح فيها)[٣].

ولخص أحد الباحثين علم الادارة (بأنه علم وفن وأنها علم يستمد من النظريات الفلسفية والفكرية وظيفة في مضمار إدارة المجتمع ومنظماته الانسانية المختلفة ومن يعتمد على صيغ ذلك التعامل مع البشر لأن الإنسان الفرد حصيلة متفاعلة مع المتغيرات الموروثة والتأثير في ذلك الفرد أو الجماعة أو المجتمع)[٤].

ويرى الباحث أن الإدارة هي: نشاط وسلوكيات متبعة من قبل المدراء في توجيه وتخطيط وتنظيم وترشيد ورقابة الاداء والجهد المبذول من قبل الأفراد في المنظومة الإدارية.

(١) لغة الادارة العامة في صدر الاسلام: عبدالسميع الهروي ص٢٦

(٢) مبادئ علم الادارة العامة: سليمان الصحاوي، ص١٥-١٦

(٣) اساسيات الادارة: د. علي السلمي، ص٣.

(٤) الاتجاهات الفكرية عند الامام علي: رحيم محمد سالم، سلسلة اطاريح الدكتوراه، ص٨.

فيتحصل من مفهوم الادارة ما يلي:

١- إن الإدارة مجموعة أوامر ونواهي يوجهها الإداري نفسه بعد ما تناط به مهام القيادة وتوافر الشروط.

٢- أن الإدارة تعني وضع أهداف المؤسسة في ضوء دراسة معمقة لبيئتها الداخلية والخارجية ثم القيام بالوظائف اللولبية للإدارة كالتخطيط والتنظيم والتوجيه والرقابة، التي تؤدي إلى تحقيق تلك الأهداف.

المسألة الثالثة: مفهوم الإدارة في القرآن الكريم.

لقد بيّن القرآن الكريم بوضوح الخصائص المميزة للإدارة العامة في الإسلام من خلال الامور الآتية:

أولاً: الاعمال الصالحة.

ما ورد في سورة العصر قال تعالى:

﴿وَالْعَصْرِ* إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ* إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[1].

تشير الآيات المباركة في سورة العصر إلى مفهوم الإدارة في الاسلام من خلال ممارسة النشاطات المباحة من أجل الوصول إلى الاهداف المرجوة التي تتفق مع روح المصلحة العامة، التي تحكم طبيعة الإنسان في العمل من خلال تحديد مساره نحو الفساد والخسران أو اختيار العمل الصالح الذي يؤدي دوراً مهما في إنقاذ حياة الإنسان، فيرسم لنا الشارع المقدس أنه لا يمكن التهاون مطلقا في هذا الجانب المهم وهما الوسيلة والغاية أي أن يكونا مقبولين شرعا من أجل أن يكون العمل صالحا فلا إيمان بدون العمل الصالح وإبداء النصح والتحلي بالصبر.

(١) سورة العصر.

ثانياً: العبادة والمعرفة.

قوله تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[1].

إشارة إلى ان الإدارة في المنظومة الاسلامية تمثل العبادة المطلقة لله سبحانه وتعالى، ومن مصاديق مفهوم العبادة هوخدمة الناس وتحقيق أهدافهم وتطلعاتهم.

ثالثاً: الامانة والعهد.

ما ورد في قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾[2].

الآية المباركة سلطت الضوء على عنصر مهم من عناصر الإدارة ما يسمى بالإدارة الرقابية، المتمثلة بحسن الشعور الذاتي في تحمل مسؤولية الأمانة والخوف من الله سبحانه وتعالى لأنه هو الرقيب والحسيب.

رابعاً: التدبير:

وهناك آيات اخرى اشارت إلى مفهوم الإدارة بمعنى التدبير في الامور.

منها قوله تعالى:

﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ﴾[3].

(١) الذاريات: ٥٦

(٢) المؤمنون:٨

(٣) يونس:٣

وقوله تعالى:

﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاء إِلَى الأَرْضِ﴾(١).

قال تعالى:

﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾(٢).

خامساً: التقدير:

قال تعالى:

﴿وَالله يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾(٣).

قَدَّرَ الله عَلَيْهِ الْمَصَائِبَ: حَكَمَ بِها عَلَيْهِ، قَدَّرَهُ الله عَلَى قِيَادَةِ أُمَّتِهِ: جَعَلَهُ قَادِراً عَلَى قِيَادَتِهَا.

أَعْمَالُهُ لاَ تُقَدَّرُ بِثَمَنٍ: تَفُوقُ كُلَّ ثَمَنٍ(٤).

فيتحصل: إن الإدارة في الفهم الاسلامي تمثل تدبير وتقدير الأمور والطاعة لله سبحانه وتعالى وتتجسد في أداء الأمانة وتعهد الاعمال الصالحة في خدمة المجتمع وفق منهج الرسالة السماوية وأهل البيت (عليهم السلام) بما يحقق الثواب في الدنيا والفوز بالآخرة.

(١) السجدة: ٥

(٢) نساء:٨٢

(٣) المزمل:٢٠

(٤) تاج العروس: الزبيدي، ص٣٣٧٣.

المسألة الرابعة: مفهوم الإدارة في الروايات والأحاديث الشريفة.

يصطلح مفهوم الإدارة في الروايات الشريفة على أمور:

أولاً: التقنين والتدبير العقلي.

في معاني الاخبار في خبر أبي ذر قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

«لا عقل كالتدبير ولا ورع كالكفِّ ولا حسب كحسن الخلق»[1].

والتدبير هنا بمعنى التفكير في عواقب الأمور وحسن التخطيط والإدارة الصحيحة.

وعن جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) قال:

«لا يصلح المرء إلا على ثلاث خصال؛ التفقه في الدين وحسن التقدير في المعيشة والصبر على النائبة»[2].

وفي آمالي الطوسي عن أيوب بن الحر قال (سمعت رجلاً يقول لأبي عبد الله عليه السلام بلغني أن الاقتصاد والتدبير في المعيشة نصف الكسب فقال أبو عبد الله عليه السلام:

«لا بل هو الكسب كله ومن الدين التدبير في المعيشة»)[3].

فحسن التدبير له تأثير كبير على رقي شخصية الإنسان من خلال ما يمدّه من نفاذ بصيرة في شؤون الحياة، وأكد الامام (عليه السلام) على ان التدبير سبيل للرقي الاقتصادي حيث قال:

(١) تحف العقول عن آل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): للحراني ابن شعبه ص٢٦٣

(٢) تحف العقول: للحراني ص٢٦٣

(٣) الامالي: للطوسي، ج٢، ص٤٥٨؛ مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي، ج٧، ص٥٠٧.

«**حسن التدبير ينمي قليل المال وسوء التدبير يفني كثيره**»[١].

وعنه (عليه السلام) قال:

«**كن سمحا ولا تكن مبذرا وكن مقدرا ولا تكن مقترا**»[٢].

«**فدع الاسراف مقتصدا**»[٣].

«**ألا وإن إعطاء المال في غير حقه تبذير وإسراف**»[٤].

ومن أمور حسن التدبير الاقتصاد في المعيشة، وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

«**ما عال امرؤ في اقتصاد**»[٥].

وقال أيضاً:

«**ما عال من اقتصد**»[٦].

ويؤكد الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) على وجوب إنصاف المؤمنين برؤية مستقبلية تدبيرية:

«**وحفظ ما في يدك أحب إلي من طلب ما في يدي غيرك..**»[٧].

(١) عيون الحكم والمواعظ: للواسطي، ص٢٢٨؛ ميزان الحكمة: الريشهري، ج٢، ص١٣٨٥.
(٢) نهج البلاغة: حكمة ٣٣.
(٣) نهج البلاغة: رسالة ٣١.
(٤) نهج البلاغة:خطبة ١٢٦.
(٥) ميزان الحكمة: ريشهري ج ٣ص٥٥٧.
(٦) نهج البلاغة حكمة ١٤٠.
(٧) نهج البلاغة: رسالة ٣١.

ثانياً: المعرفة والخبرة:

تعد المعرفة والخبرة من موارد التدبير لأن الإنسان صاحب العلم والخبرة يكون مدبراً، ولرسول الله (صلى الله وعليه وآله وسلم) كلام عن التدبير عندما خاطب أبن مسعود قائلا:

«يا بن مسعود إذا عملت عملاً فاعمل بعلم وعقل وإياك أن تعمل عملا بغير تدبير وعلم فإنه جل جلاله يقول: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا ﴾[1]»[2].

ومن موارد المعرفة في المنهج الإداري عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول:

«المؤمنون هم الذين عرفوا ما أمامهم»[3].

ثالثا: التخطيط والتنظيم وحسن الإدارة.

إشارة إلى تنظيم وإيجاد رؤية مستقبلية غير ضيّقة منسجمة وفق الإرادة الإلهية في تقدير أمور الحياة ومعيشة الإنسان، فإنّ ذلك من علامات أهل الإيمان كما ورد في وصية الامام أمير المؤمنين (عليه السلام):

«أوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومَن بلغَهُ كتابي بتقوى الله، ونظم أمركم»[4].

ويمكن أن نستفيد من هذه الوصيّة أموراً منها:

(١) النحل: ٩٢.

(٢) بحار الانوار: للمجلسي ج ٧٤ ص١١٠؛ وينظر مكارم الاخلاق للطبرسي ص٤٥٨؛ الوافي: للفيض الكاشاني، ص٢٢٢.

(٣) بحار الانوار: للمجلسي ج ٧٥، ص٢٥.

(٤) نهج البلاغة: خطب الإمام علي عليه السلام، ج٣، ص٧٦.

١- يؤكد الامام (عليه السلام) بوصيته على التنظيم وضبط الامور وتحقيق الاهداف .

٢- يعدُّ الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) التقوى سوراً حصيناً في المنظومة الإدارية.

٣- يؤكد (عليه السلام) على حسن التدبير وعدم ضياع الجهود .

أقول: تشير هذه الأحاديث إلى حقيقة التدبير في الفهم الإسلامي من خلال ايجاد رؤية معمقة للدين الإسلامي واحكامه والذي يتم عبرها تكوين أيديلوجيا عملية منسجمة مع النظرية الاسلامية في الحفاظ على الاعتدال وعدم الاسراف والتبذير والمحافظة على الحقوق والذي يعتمد على التقوى.

المبحث الثاني

مفهوم القيادة (ومعانيها) وارتباطها بالإدارة

المسألة الأولى: مفهوم القيادة لغةً.

(قِيادَة: من قادَ، قيادة: (اسم) مصدر قَادَ، القيادة: زعامَة، القيادة: قدرة على معاملة الطبيعة البشريّة أو على التَّأثير في السُّلوك البشريّ لتوجيه جماعة من النّاس نحو هدف مشترك بطريقة تضمن بها طاعتهم وثقتهم واحترامهم وتعاونهم)[1].

والقيادة: اسم الفاعل منها قائد ويجمع على قادة والقود نقيض السوق فالقود من الامام والسوق من الخلف والقائد يطلق على أنف الخيل أي مقدمته[2].

ويرى الباحث أن القيادة هي الزعامة لتوجيه الناس نحو الأهداف المعينة.

المسألة الثانية: مفهوم القيادة في الاصطلاح.

عندما نريد ان نتحدث عن مفهوم القيادة لا نعني بذلك الموقع القيادي المتمثل برئيس الدولة بل هناك أدوار للقيادة مترتبة وفق وجود الإنسان في المجتمع على الصعيد الفردي، إذ أن القيادة بمفهومها الواسع عرفت بتعاريف عديدة نكتفي ببعض منها:

---

(١) المعجم الوسيط: ابراهيم محمد النجار، ج٢، ص٤٥٦.

(٢) لسان العرب: ابن منظور: ج٣، ص٣٧٠، مادة قود؛ المصباح المنير، للفيومي، ج٨، ص٦.

القيادة: (تشمل أي جهد لتشكيل سلوك الأفراد أو الجماعات في المؤسسات حيث تحصل المؤسسة من خلالها على مزايا أو تحقيق لأغراضها)[1]

أو أنها (عملية تحريك الناس نحو الهدف)[2].

أوهي قدرة الشخص على التأثير على الآخرين وتوجيه سلوكهم لتحقيق أهداف مشتركة.

فهي إذن مسؤولية إزاء المجموعة المقودة للوصول إلى الأهداف المرسومة.

ومن وجهة نظر الباحث: القيادة في الإسلام هي الزعامة وتولي أمور المسلمين العامة، كقيادة الجيوش والقضاء والسيطرة على الموارد الاقتصادية والبشرية وفق المعايير الصحيحة المنسجمة مع الرؤية الإسلامية والفهم الإسلامي مما يحقق الحياة الطيبة في بناء المجتمع ومؤسساته والالتزام بالقوانين الإلهية.

فيتحصل: من تعريف القيادة هي قدرة الشخص على إدارة الموارد البشرية وفقا للمسارات والتخطيط الصحيح في انجاح المشروع والمهمة المناطة به حتى وإن كانت هذه المهمة على مستوى بسيط والهدف من ذلك هو تحقيق ما يتطلع إليه الآخرون ضمن المنظومة الاجتماعية في معالجة المشاكل وتحقيق الأهداف، قال الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة:

«لاَبُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِير بَرّ أَوْ فَاجِر، يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ، وَيَسْتَمْتِعُ فِيهَا

(١) ٣٠وصية ووصية لتكون قائداً ناجحاً: د. أبوالقاسم أبوبكر طنطاوي ص١٢، نسخة الكترونية، موقع مكتبة صيد الفواد الالكتروني: ٢٦١٣٧٧/kenanaonline./users/Drk٨٢cem/posts .

(٢) صناعة القائد: د. طارق السويدان، احمد بشراحيل، ص٤٠، (الطبعة الثانية) ١٤٤٢هـ - ٢٠٠٣م (كتب التنمية البشرية) .

الْكَافِرُ، وَيُبَلِّغُ اللهُ فِيهَا الأَجَلَ، وَيُجْمَعُ بِهِ الْفَيءُ، وَيُقَاتَلُ بِهِ»[1].

المسألة الثالثة: مفهوم القيادة في القرآن الكريم.

يعدّ مفهوم القيادة في القرآن الكريم من المفاهيم المشتقة التي تعطي الروح العامة للمعنى الذي يتحدث عنه القرآن ويعبر عنه في العديد من الآيات الشريفة في معانٍ مختلفة منها.

أولاً: القدوة والأسوة.

قوله تعالى:

﴿أولئك الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[2].

ومعنى (اقتده) هنا عند المفسرين من الاقتداء واتباع الأثر والأخذ بهديهم.

وأما الأسوة، أولاها ما نسب إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[3].

وورد في ثانيها منوطا بالقدوة والاسوة بالنبي إبراهيم (عليه السلام) وأتباعه:

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾[4].

وهناك تأكيد في مورد ثالث في القرآن الكريم على القدوة والأسوة بشكل عام

(١) نهج البلاغة: باب المختار من خطب أمير المؤمنين، خطبة ٤٠؛ بحار الانوار للعلامة المجلسي، ج٣٣، ص٣٥٨.

(٢) الانعام:٩٠.

(٣) الأحزاب:٢١.

(٤) الممتحنة:٤.

في قولـه تعـالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾(١).

ثانياً: الحكم

ويأتي أيضا استخدام لفظ القيادة بمعنى الحكم، كما في قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾(٢).

ثالثاً: الخلافة

ويشـير القـرآن إلى لفـظ القيادة بمعنـى الخلافـة: القيـادة في تنفيـذ الحكـم، مثـل قولـه تعـالى:

﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾(٣).

رابعاً: الأمة

وقد استعمل القرآن الكريم أيضا مصطلح أمة مرة واحدة بمعنى القيادة:

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لله حَنِيفًا﴾(٤).

خامساً: الطاعة

وتمثل القيادة في جانب آخر معنى الطاعة والاتباع:

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(٥).

(١) الممتحنة:٦.

(٢) الجاثية:١٦

(٣) ص:٢٦

(٤) النحل-١٢٠

(٥) الأنعام: ١٥٥

سادساً: الرحمة والشفقة

وهناك آيات اشارت إلى مفهوم القيادة تدلل على السمات الخلقية التي يمتاز بها القائد:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾(١).

سابعاً: الاصطفاء.

ويدل مصطلح القيادة في القرآن الكريم على معنى الاصطفاء:

﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(٢).

فتحصل من الآيات التي استعرضناها في مفهوم القيادة في الاسلام أنها نقل الناس مما هم عليه إلى ما يجب أن يكونوا عليه، أي توجيه الناس إلى ما فيه مصالحهم وتحقيق طموحاتهم وتطلعاتهم في بناء المجتمع.

المسألة الرابعة: مفهوم القيادة في الروايات الشريفة.

ورد مفهوم القيادة في الأحاديث المروية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام في كثير من المواضع وبطرق مختلفة وبعبارات كلها تشير اليه في صورة صريحة أو ضمنية ومنها:

(١) آل عمران:١٥٩

(٢) آل عمران: ٣٣ـ ٣٤

أولاً: الوالي أو الحاكم.

ما جاء عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): عن علي عن صالح بن السندي عن جعفر بن بشير عن حنان عن أبيه عن أبي جعفر عليه السّلام قال قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم):

«لا تصلح الإمامة إلا لرجل فيه ثلاث خصال - ورع يحجزه عن معاصي الله وحلم يملك به غضبه وحسن الولاية على من يلي - حتى يكون لهم كالوالد)[1] وفي رواية أخرى: حتى يكون للرعية كالأب الرحيم»[2].

ثانياً: العدالة.

وفي رواية اخرى تبيّن أهمية القيادة الصالحة في اوساط الناس ما رواه أيضاً بسند صحيح عن محمد بن مسلم، قال سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول:

«... والله يا محمّد، من أصبح من هذه الأمة لا إمام له من الله - عزَّ وجل ظاهر عادل أصبح ضالا تائهاً. وإن مات على هذه الحالة مات ميتة كفر ونفاق واعلم يا محمد، أن أئمة الجور وأتْباعهم لمعزولون عن دين الله، قد ضلّوا وأضلّوا»[3].

ثالثاً: الشجاعة والحلم والرأفة.

إنّ القيادة تمثل الشجاعة والسياسة والحلم ونحوها، مما له دخل في حسن قيادة الأمّة؛ ما مرّ من نهج البلاغة:

(١) الكافي: الكليني، ج ١، ص٤٠٧، الحديث ٨؛ الوافي: الفيض الكاشاني، ج٣، ص٦٥٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية: الشيخ المنتظري:ج١، ص١٩٥؛ الوافي: الفيض الكاشاني، ج٢، ص١١٩؛ الحدائق الناظرة، المحقق البحراني، ج١٣، ص٢٩٤.

«أيّها الناس، إنّ أحقّ الناس بهذا الأمر أقواهم عليه، وأعلمهم بأمر الله فيه. فإن شغب شاغب استعتب، فإن أبى قوتل»[1].

رابعاً: العلم والمعرفة.

وفي مضمون حسن القيادة ما في الاحتجاج عن أمير المؤمنين (عليه السلام):

«أنا أولى برسول اللهّ...، وأفقهكم في الدين، وأعلمكم بعواقب الأمور، وأذربكم لساناً، وأثبتكم جناناً»[2].

وفي حديث آخر عن الرضا (عليه السلام):

«والإمام عالم لا يجهل، وراع لا ينكل... نامي العلم، كامل الحلم، مضطلع بالإمامة، عالم بالسياسة، مفروض الطاعة، قائم بأمر اللهّ، ناصح لعباد اللهّ، حافظ لدين الله»[3].

ومعنى كلمة (نكول) قال في المنجد: (نكل نكولا عن كذا أو من كذا: نكص وجبن. وفيه أيضاً: ضلُع ضلاعة: كان قوياً شديد الأضلاع... اضطلع بحمله: نهض وقوى عليه)[4].

(١) نهج البلاغة: ١٧٣.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٧٣؛ بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٢٨، ص١٨٥؛ مرآة العقول في شرح أخبار الرسول، العلامة المجلسي، ج٢٦، ص٣٤١؛ الاحتجاج: الطبرسي، ج١، ص٤٦، باب ما جرى بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

(٣) أصول الكافي:ج١، ص ٢٠٢، كتاب الحجة، باب نادر جامع في فضل الإمام وصفاته، ح١؛ الوافي: الفيض الكاشاني، ج٣، ص٤٨٤؛ الامالي: الشيخ الصدوق، ص٧٧٨.

(٤) المنجد في اللغة: علي بن الحسن الهنائي المشهور بكراع النحل، ص٨٣٨،

خامساً: حسن الادارة والسياسة.

وفي الغرر والدرر عن أمير المؤمنين (عليه السلام):

«من حسنت سياسته وجبت طاعته»[1].

وعن علي (عليه السلام):

«ان الله جعلني إماما لخلقه ففرض علي التقدير في نفسي ومطعمي ومشربي وملبسي كضعفاء الناس كي يقتدي الفقير بفقري ولايطغي الغني غناه»[2].

سادساً: الابتعاد عن الدنيا.

وعن الصّادق عليه السّلام:

«اذا رأيتم العالم محبّا للدّنيا فاتّهموه على دينكم، فانّ كلّ محبّ بشيء يحوط ما احبّ. وقال: اوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: لا تجعل بيني وبينك عالما مفتونا بالدّنيا، فيصدّك عن طريق محبّتي. فإنّ أولئك قطّاع طريق عبادي المريدين. انّ ادنى ما انا صانع بهم ان انزع حلاوة مناجاتي من قلوبهم»[3].

من هنا نستطيع القول: ان الحاكم الاسلامي(القائد) له حق على الأمة فتصبح العلاقة بينه وبين الناس ليست مجرد علاقة توكيل وعقد اجتماعي بل هي علاقة طاعة وتسليم لأن وجوده يمثل الخلافة الإلهية والامتداد السماوي في الارض.

(١) غرر والدرر: ج٥، ص٢١١، ح ٨٠٢٥.

(٢) الكافي:ج١ ص٤١٠:ح١؛ حلية الأبرار، السيد هاشم البحراني، الجزء الثاني، ص٢١٥.

(٣) بحار الانوار، ج٧، ص٢٠١، ح٢.

المسألة الخامسة: العلاقة بين الادارة والقيادة

من خلال ما توصلنا اليه من تعريفات سابقة في مفهوم الادارة والقيادة نجد هناك تشابهاً بينهما في بعض الجوانب لكنهما يفترقان في بعض النواحي واشتراكهما في وحدة الاهداف مع العلم أن القيادة والإدارة ليسا مفهومين منفصلين عن بعضهما تماماً وقد حددت النظرية الاسلامية الاطار العام والاسس التي تقوم عليها العلاقة بين الادارة والقيادة في اداء الواجبات والمسؤوليات ويمكن تلخيص الاسس التي تشكل الاطار العام لطبيعة هذه العلاقة بالنقاط الآتية:

١ـ تتركز الادارة عموما على العناصر المادية للمؤسسة من توجيه الافراد كل ضمن مجهوداتهم ومهاراتهم والاعتماد على الأشخاص في المستويات العليا وفق نظام التخطيط والتنظيم والرقابة في تحديد مسارات وسياسات المؤسسة.

٢ـ (وعكس ذلك تماماً في القيادة إذ تركز بشكل كبير على العنصر البشري وتهتم به وبتنمية مهاراته وقدراته وتدريبه؛ لتحفيزه على أداء العمل وإنجاز الأهداف)[١].

٣ـ تعدّ الادارة جزءاً من القيادة، فالقيادة في المنظومة الاسلامية تشكل ادارة بلد بكل مكوناته وطاقاته بينما الادارة تتضمن ادارة جزء معين من هذه المكونات (تركز على المعايير وحل المشكلات وإتقان الأداء، والاهتمام باللوائح والنظم واستعمال السلطة)[٢] وهذا ما يسمى بالعلاقة المتبادلة بين الادارة والقيادة والنسبة بينهما ليست نسبة العام بالخاص بل تظهر هذه النسبة في طبيعة كل منهما..

(١) القيادة أساسيات ونظريات ومفاهيم. ماهر محمد صالح حسن، عمان (الأردن)، ص٨٥

(٢) الإدارة المعاصرة: عادل ثابت، ص ١٨٣.

من هنا يتضح ان العلاقة بين الادارة والقيادة تشكل محورا اساسيا في نظام ادارة الحكم وعليه فإن الامام علياً (عليه السلام) (استطاع تشخيص العناصر القيادية الفاعلة وتحديد ملامحهم وسلوكياتهم ووظائفهم كما كان على قدر كبير من الدقة في تشخيص الشخصيات الادارية وفرزها عن الشخصيات القيادية)[1]

فالدور القيادي يعدّ دورا مستقلاً ينظم علاقة الأمة بالحكم وطبيعتها من خلال اتخاذ القرارات وتشخيص المصالح العليا للبلد.

(١) ملامح القيادة الناجحة في ضوء منهجية الامام علي بن أبي طالب(عليه السلام): محمد عبد الرضا هادي الساعدي:ص٤٦

المبحث الثالث

مبادئ الادارة والقيادة في عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الاشتر (رضي الله عنه)

من خلال هذا المبحث نتعرف على المبادئ الإدارية الأساسية في عهد الإمام (عليه السلام) لمالك الاشتر المتمثلة بالخصائص والعناصر والواجبات والمهام الملقاة على عاتق المدير والتي يجب تحققها في المنظومة الادارية.

تتركز مبادئ الادارة في العهد على المسائل الآتية:

المسألة الأولى: الادارة من موقع العبودية (مبدأ الاعتقاد)

قوله (عليه السلام):

«هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ الله عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَالِكَ بْنَ الْحَارِثِ الْأَشْتَرَ»[1].

تشير هذه العبارة إلى مفردة يتحدث بها الامام (عليه السلام) وهي نظريته في الادارة والقيادة. وماذا تعني العبودية لله سبحانه وتعالى، وما هي مدخلية العبودية لله في موضوع الإدارة.

يريد الإمام (عليه السلام) أن يسلط الضوء على سلوكيات المدراء وانطباعاتهم وتصوراتهم وهم في موقع المسؤولية، هناك انطباعات وسلوكيات تدفع الإنسان نحو التسلط وحب الدنيا وحب الجاه. ماذا تكون خلفية من يحمل هذه السلوكيات والانطباعات فيمن يكون في موقع السلطة لاشك ولاريب أنه حينما يصل إلى موقع المسؤولية سيتخذ مجموعة من الاجراءات القاسية والقرارات الظالمة ويسير نحو الانحراف في تضيع الاهداف وخدمة الناس، ويعتقد بأن من يعمل

(١) نهج البلاغة: رسالة ٥٣.

تحت إمرته هو عبد ويتعامل معه تعامل المولى مع عبده، وليس تعامل مسؤول مع مرؤوسين يستحقون الاهتمام والرعاية كما هو في فكر الإمام (عليه السلام).

وهناك من ينظر إلى موقع المسؤولية على أنها محطة لهداية الناس وخدمتهم ومحطة يؤتمن فيها على مصالح الناس يضمن من خلالها حقوق الآخرين.

فالجانب السلوكي والمعتقد له اثر كبير في مسار أداء المدراء على كافة الأصعدة، ممكن أن يؤدي المدير دورا بارزا وسلوكا مغايرا لمعتقداته لكن على المستوى البعيد لا يستطيع المدير أن يخفي تأثير معتقداته.

الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) يقدم مفتاحا سحريا من مفاتيح النجاح والتفوق في الادارة لمالك الأشتر (رضوان الله عليه) وهو العبودية لله تعالى والاعتقاد بالمبدأ.

وهذه القضية ليست قضية من القضايا الثانوية أو قضية لا صلة لها بموضوع الادارة والقيادة، العبودية لله استحضار العلاقة بين الإنسان وربه لها الاثر العميق في مجمل السلوك الاداري في كافة المراتب، هذا الاستحضار يجعل الإنسان المسؤول والقيادي يمارس علاقة الانسانية وفق النظرية الاسلامية وليست العلاقة السلطوية مع غيره من العاملين تحت إمرته.

ومن الجدير بالذكر أن الدور الإداري والقيادي يجب أن تتوافر فيه حالة الحزم والقوة وهذان الأمران يجب أن لا يتقاطعان مع علاقة الإنسان بربه وعلاقة المسؤول في سلسلة المراتب ومع من يعمل تحت أمرته.

من هنا يشير الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في عهده لمالك الاشتر (رضوان الله عليه) واصفا حالة التعامل والانسجام في النظام الاداري وفق الرؤية الاسلامية.

«فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلِ الَّذِي تُحِبُّ وَتَرْضَى أَنْ يُعْطِيَكَ اللهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ وَاللهُ فَوْقَ مَنْ وَلَّاكَ وَقَدِ اسْتَكْفَاكَ أَمْرَهُمْ وَابْتَلَاكَ بِهِمْ وَلَا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللهِ فَإِنَّهُ لَا يَدَ لَكَ بِنِقْمَتِهِ وَلَا غِنَى بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ..... أَنْصِفِ اللهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوًى مِنْ رَعِيَّتِكَ فَإِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلْ تَظْلِمْ وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللهِ كَانَ اللهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ وَمَنْ خَاصَمَهُ اللهُ أَدْحَضَ حُجَّتَهُ وَكَانَ للهِ حَرْباً حَتَّى يَنْزِعَ أَوْ يَتُوبَ وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةٍ عَلَى ظُلْمٍ فَإِنَّ اللهَ سَمِيعٌ دَعْوَةَ الْمُضْطَهَدِينَ وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ»[1].

فعلاقة الإنسان بربه والعبودية لله سبحانه وتعالى تختلف تماما، فهي ليست علاقة تجميد وإنما هي علاقة انطلاق وتكامل فإن استعمال كلمة (عبدالله) تعني ان الإنسان في ذروة الكمال لا يمتلك سوى الرحمة والقدرة الالهية التي يتصل بها ويتزود منها ويتحرك من خلالها فيبقى الإنسان في هذا الظرف الوجودي والسعة الذاتية والقدرات الشخصية المحدودة، فينبغي للإنسان المتصدي الارتباط بالمبدأ متوكلا عليه سبحانه وتعالى. قال (عليه السلام).

«وَأَنَا أَسْأَلُ اللهَ بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ عَلَى إِعْطَاءِ كُلِّ رَغْبَةٍ أَنْ يُوَفِّقَنِي وَإِيَّاكَ لِمَا فِيهِ رِضَاهُ مِنَ الْإِقَامَةِ عَلَى الْعُذْرِ الْوَاضِحِ إِلَيْهِ وَإِلَى خَلْقِهِ مَعَ حُسْنِ الثَّنَاءِ فِي الْعِبَادِ وَجَمِيلِ الْأَثَرِ فِي الْبِلَادِ وَتَمَامِ النِّعْمَةِ وَتَضْعِيفِ الْكَرَامَةِ وَأَنْ يَخْتِمَ لِي وَلَكَ بِالسَّعَادَةِ وَالشَّهَادَةِ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً وَالسَّلَامُ».

(١) نهج البلاغة: رسالة ٥٣

نلاحظ أن الامام (عليه السلام) في بداية كلامه وختامه كان يذكر الله تعالى ومرضاته والتأكيد على القضايا الخاصة، من خلال وضع الصور الظاهرية في الاطار العام للأهداف المرسومة من خلال الفكر الابداعي للمسؤول صاحب الشعور والادراك العميق للعبودية لله سبحانه وتعالى، من حيث صبره على القضايا الموقتة ولايضيع نفسه من خلال هواه ولايفقد توازنه وإن صار زعيما على الدنيا ومافيها فإنه يقف ليقول كلمة الفصل والارتباط لاحول ولاقوه الاباالله العلي العظيم.

فيتحصل من ذلك: ان الرؤية الاسلامية التي يحملها المسؤول (العبودية لله والايمان بالمبدأ) هما الركنان الاساسيان في تحقيق الاهداف الادارية في مسارات صحيحة.

المسألة الثانية: وحدة الأوامر وسلسلة المراتب.

قوله (عليه السلام):

«وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لَا يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ وَلَا غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ فَمِنْهَا جُنُودُ الله وَمِنْهَا كُتَّابُ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ وَمِنْهَا قُضَاةُ الْعَدْلِ وَمِنْهَا عُمَّالُ الْإِنْصَافِ وَالرِّفْقِ وَمِنْهَا أَهْلُ الْجِزْيَةِ وَالْخَرَاجِ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَمُسْلِمَةِ النَّاسِ وَمِنْهَا التُّجَّارُ وَأَهْلُ الصِّنَاعَاتِ وَمِنْهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوِي الْحَاجَةِ وَالْمَسْكَنَةِ وَكُلٌّ قَدْ سَمَّى الله لَهُ سَهْمَهُ وَوَضَعَ عَلَى حَدِّهِ فَرِيضَةً فِي كِتَابِهِ أَوْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ (صلى الله عليه وآله) عَهْداً مِنْهُ عِنْدَنَا مَحْفُوظاً فَالْجُنُودُ بِإِذْنِ الله حُصُونُ الرَّعِيَّةِ وَزَيْنُ الْوُلَاةِ وَعِزُّ الدِّينِ وَسُبُلُ الْأَمْنِ وَلَيْسَ تَقُومُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِهِمْ ثُمَّ لَا قِوَامَ لِلْجُنُودِ إِلَّا بِمَا يُخْرِجُ الله لَهُمْ مِنَ الْخَرَاجِ الَّذِي يَقْوَوْنَ بِهِ عَلَى جِهَادِ عَدُوِّهِمْ وَيَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ فِيمَا يُصْلِحُهُمْ وَيَكُونُ مِنْ وَرَاءِ حَاجَتِهِمْ ثُمَّ لَا قِوَامَ لِهَذَيْنِ الصِّنْفَيْنِ إِلَّا بِالصِّنْفِ الثَّالِثِ مِنَ الْقُضَاةِ وَالْعُمَّالِ وَالْكُتَّابِ لِمَا يُحْكِمُونَ مِنَ الْمَعَاقِدِ وَيَجْمَعُونَ مِنَ الْمَنَافِعِ وَيُؤْتَمَنُونَ عَلَيْهِ مِنْ خَوَاصِّ الْأُمُورِ وَعَوَامِّهَا

وَلَا قِوَامَ لَهُمْ جَمِيعاً إِلَّا بِالتُّجَّارِ وَذَوِي الصِّنَاعَاتِ فِيمَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَرَافِقِهِمْ وَيُقِيمُونَهُ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ وَيَكْفُونَهُمْ مِنَ التَّرَفُّقِ بِأَيْدِيهِمْ مَا لَا يَبْلُغُهُ رِفْقُ غَيْرِهِمْ ثُمَّ الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ وَالْمَسْكَنَةِ الَّذِينَ يَحِقُّ رِفْدُهُمْ وَمَعُونَتُهُمْ وَفِي اللهِ لِكُلٍّ سَعَةٌ وَلِكُلٍّ عَلَى الْوَالِي حَقٌّ بِقَدْرِ مَا يُصْلِحُهُ وَلَيْسَ يَخْرُجُ الْوَالِي مِنْ حَقِيقَةِ مَا أَلْزَمَهُ اللهَ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا بِالِاهْتِمَامِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللهِ وَتَوْطِينِ نَفْسِهِ عَلَى لُزُومِ الْحَقِّ وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ فِيمَا خَفَّ عَلَيْهِ أَوْ ثَقُلَ»[1].

يستعرض الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذ المقطع من العهد الشريف كل النشاطات والأفعال ذات السياق الواحد التي تخضع لإدارة المدير الذي يكون مشرفا على كل الممارسات المطلوبة من قبل المرؤوسين في مبدأ توحيد الأوامر وسلسة المراتب حتى لا يكون هناك خلل في العملية الاشرافية والرقابية التي يتولى أمرها المدراء في المنظومة الادارية.

ومقصوده (عليه السلام) من قوله «**واعلم أن للرعية طبقات**» ليس اثبات الطبقات بهذا المعنى بل بيان اختلاف الرعية في ما تتصدى له من شؤون الحياة البشرية، حيث أن الإنسان مدني الطبع يحتاج إلى حوائج كثيرة في معاشه من المأكل والملبس والمسكن ولايقدر فرد واحد بل افراد على إدارة كل هذه الامور فلابد وان تنقسم الرعية بحسب مشاغله إلى طبقات وتتصدى كل طبقة لشأنٍ من الشؤون وشغلا من المشاغل ثم يتبادل حاصل أعمالهم بعضهم مع بعض حتى يتم أمر معيشتهم ويكمل حوائج حياتهم[2].

(١) نهج البلاغة: ٥٣

(٢) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: للعلامة المحقق ميرزا حبيب الله الخوئي: ج٢٠: ص١٧٥.

كل واحد من هذه المستويات يمتلك صلاحية لما دونه من سلطة، وهذا يعد تنظيما للحياة البشرية في جميع جوانبها المختلفة على أساس تسلسل المراتب فسلسلة المراتب عند الإمام (عليه السلام) تبدأ من المسؤول وتنتهي عند الأمام ثم الله تعالى فوق الإمام وعلى الجميع.

ثم أن الإمام (عليه السلام) في هذا المقطع يقسم الرعية على سبع طبقات كل طبقة تعمل وفق نظام تسلسل المراتب ومن هذه الطبقات:

١ – الجنود المحافظون على الحدود والثغور المدافعون عند هجوم الاعداء.

٢ـ كتّاب العامة المتصدرون لكتابة العقود.

٣ـ قضاة العدل ورؤساء المحاكم.

٤ـ عمال الامور الحسبية المحافظون على الانصاف والرفق بين الناس.

٥ـ أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس.

٦ـ التجار وأهل الصناعات والحرف الكثيرة التي عليها مدار حياة البشر.

٧ـ الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة، والتعبير عن هذه الطبقة بالسفلى باعتبار أنها لا تقدم عملاً نافعا في المجتمع تتبادل به مع اعمال الطبقات الأخرى.

فسلسلة المراتب هي نوع من بسط النفوذ والرؤية السلطوية، ومن الظواهر التي نشاهدها كل يوم في حياتنا الاجتماعية ينبغي للمدير ضمن الصلاحيات الممنوحة له في التسلسل الوظيفي ان يكون مرنا لكي يستشعر النتائج الإيجابية في التسلسل الرتبي لما دونه، فالرؤية الاسلامية في الادارة لها ابعاد واسعة في العمل ولم تكن نوعا من الطبقية والتميز بين الافراد وإنما هي حالة تنظيمية للعمل وادارة شؤون الناس.

يقول الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام) في رسالة بعثها إلى الأشعث بن قيس عامله على أذربيجان:

((وإن عملك ليس لك بطعمة لكنه أمانة في عنقك والمال مال الله وأنت من خزّاني عليه حتى تسلمه إليّ إن شاء الله، وعلى ألا أكون شرّ ولاتك»

أنت موظف، والوظيفة أمانة في عنقك لله والمسلمين، وليست مزرعة لك ومتجرا.

«**وأنت مسترعى لمن فوقك**».

إن عليك لحسيبا ورقيبا، وهو الخليفة، يحصي عليك جميع أعمالك، ويأخذك بها ان خنت وخالفت.

«**ليس لك أن تفتات في رعية**».

أي تستبد وتستغل الرعية التي أنت لها خادم وأجير)[1].

يعدّ الإمام (عليه السلام) الوظيفة التي انيطت بالشخص ليست هي غنيمة وإنما هي أمانة وأداء الأمانة على أحسن وجه من الأمور الشرعية الواجبة في الشريعة المقدسة، فالمنصب عند أمير المؤمنين (عليه السلام) إنما هو أمانة يؤتمن عليها في أي موقع من مواقع المسؤولية «**وأنت مسترعى لمن فوقك**» ويجب أن يحفظها لمن فوقه حتى يتحقق الهدف المنشود لخدمة الناس من خلال المنظومة الادارية.

لقد أعطى الإمام (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضوان الله عليه) رسالة ينقلها إلى أهل مصر اضافةً إلى العهد وحمّله فيها ادارة مصر وحدد له واجباته الادارية، والطريقة التي ينبغي لأهل مصر التعامل بها مع الوالي الجديد.

(١) في ظلال نهج البلاغة: محمد جواد مغنية ج ٣، ص٣٨٩؛ مستدرك نهج البلاغة: الشيخ هادي كاشف الغطاء، ص١٢٨.

«أمّا بعد، فقد بعثت إليكم عبداً من عباد الله لا ينام أيّام الخوف، ولا ينكل عن الأعداء ساعات الروع. أشدّ على الكفّار من حريق النار. وهو مالك بن الحارث، أخو مذحج، فاسمعوا له وأطيعوا أمره. فيما طابق الحقّ، فإنّه سيف من سيوف اللهّ، لا كليل الظُبَة، ولا نابي الضريبة. فإن أمركم أن تنفروا فانفروا، وإن أمركم أن تقيموا فأقيموا، فإنه لا يُقدم ولا يحجم ولا يؤخر ولا يقدم إلاّ عن أمري، وقد آثرتكم به على نفسي، لنصيحته لكم وشدّة شكيمته على عدوّكم»[1].

أول خطوة قام بها الإمام هو تعريف مالك بأنه (عبد الله) يريد أن يستحضر الإمام في نفوس أهل مصر أنه لم يرسل إليهم شخصا عنيفا متكبرا (دكتاتوري) وسلطاناً يتأمر عليهم، بل هو عبد من عباد الله عز وجل بكل ما تتسع له العبودية من معان.

ثم يبدأ الامام في بيان أوصافه لأهل مصر «**لا ينام أيّام الخوف**» أي لا يتنصل من تحمل المسؤولية أيام الشدة، (ولا ينكل عن الأعداء ساعات الروع) يريد الامام (عليه السلام) أن يقول لأهل مصر ان هذا الرجل لا يجبن ولا يفر من المواجهة (أشدّ على الكفّار من حريق النار) من شدة بأسه وقوة شكيمته.

ثم يقول لهم بأن هذا الرجل لا يتساهل مع الانحرافات والاعوجاج الذي يصيب المجتمع ويأمرهم بطاعته بما كان مطابقا للحق وهذا يدل على ان للطاعة حدوداً معينة ليس هناك أمر مطلق فاذا كان المسؤول في المنظومة الادارية مطابقا

(١) دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية: الشيخ المنتظري ج١، ص٣٢٦؛ وانظر نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، ج٣، ص٦٣، الكتاب ٣٨؛ بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٣٣، ص٥٩٥.

للحق تجب طاعته والا فلا يجب اذا كان منحرفا وغير مطابقا للحق، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

«لا طاعة لمخلوق في معصية الله تعالى»[1].

(قد قيل لحكيم: ما بال انقراض دولة آل ساسان؟ قال: لأنهم استعملوا أصاغر العمال على أعاظم الأعمال فلم يخرجوا من عهدتها، واستعملوا أعاظم العمال على أصاغر الأعمال فلم يعتنوا عليها، فعاد وفاقهم إلى الشتات ونظامهم إلى البتات. وإذا اعتبرت القوّة في العمّال فكيف بنفس الأئمة المفوض إليهم إدارة الأمّة)[2].

فيتحصل: ان سلسلة المراتب هي عملية توزيع الصلاحيات والعمل الجماعي، الذي هو سمة من سمات المنظومة الادارية في الاسلام فإن العمل المشترك الجماعي يمثل القاعدة المثلى للإدارة الصحيحة الناجحة التي تستنفر الطاقات والامكانيات البشرية والمادية في خدمة الادارة الصالحة التي تعتمد على توزيع الصلاحيات من المسؤول الأعلى لمن هو دونه في سلسلة المراتب.

المسألة الثالثة: تزكية النفس وكسر الشهوات.

قوله (عليه السلام):

«وَأَمَرَهُ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ وَيَزَعَهَا عِنْدَ الْجَمَحَاتِ فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ الله... وإياكَ والإعْجَابُ بِنَفْسِكَ, والثِّقَةُ بِما يُعْجِبُكَ مِنْهَا، وَحُبّ الإطْرَاء فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَوْثَقِ فُرَصِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ»[3].

(١) الشرح الكبير: عبد الرحمن بن قدامه، ج٣، ص١٦٩؛ سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج٢، ص٤٧٦.

(٢) دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية: الشيخ المنتظري، ج١، ص٣٢٧.

(٣) نهج البلاغة: ٥٣.

جمح به: وهو جموح قال اذا عزمت على أمرٍ جمحت به كالذي صدّ عنه ثم لم ينسب الجموح من الرجال الذي يركب هواه فلا يمكن رده، قال الشاعر:

خلعت عذاري جامحاً لا يردني عن البيض امثال الدمى زجر زاجرٍ

وجمح إليه: أي اسرع وقوله تعالى:

﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾[1]، أي يسرعون[2].

الجمحات: منازعة النفس إلى الشهوات ومآربها ونزعها بكفها وعدم تمكنها من الاسترسال في الشهوات وأن يكون أميرا عليها ومسيطرا وقامعا لها من التهور والانهماك[3]، والجُماح معناه الحركة السريعة الشديدة التي لا يتأتى لأي شيءٍ أن يصدّها كحركة الخيول المسرعة الجامحة التي لا تطاوع أصحابها، ولذلك سمي الجواد الذي لا يطاوع صاحبه جموحاً او جامحاً[4].

الاطراء: مصدر أطرى، معتلًّا، وهو مجاوزة الحدّ في المدح والمبالغة فيه، يقال: أطرى فلانٌ فلاناً، إذا مدحه بما ليس فيه وفيه قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم):

«لا تُطْرُوني كما أَطْرَتِ النصارَى المسِيحَ فإِنَّما أَنا عَبْدٌ ولكن قولوا عبدُ الله ورَسُولُه ؛ وذلك أَنَّهم مَدَحُوه بما ليس فيه فقالوا: هو ثالثُ ثَلاثةٍ وإنه ابنُ الله وما أَشْبَهَه من شِرْكهم وكُفرِهِم»[5].

(١) معجم المعاني: للسيوطي: مادة جمح

(٢) تهذيب اللغة: للأزهري، ج٤، ص٤١٧؛ لسان العرب: ابن منظور، ج٢، ص٤٢٦؛ معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج١، ص٤٢٣؛ مجمع البحرين، للطريحي، ج١، ص٣٧٤.

(٣) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: ج١٧ ص٢٣

(٤) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ج٦، ٨٧.

(٥) لسان العرب: ابن منظور، ج١٥، ص٦.

والفرق بين الإطراء والمدح: (أنّ الإطراء هو المدح في الوجه، ومنه قولهم: الإطراء يورث الغفلة، يريدون بذلك المدح في الوجه، والمدح يكون مواجهة وغير مواجهة)[1] منه قوله (عليه السلام) في ذم الاطراء:

«الصق بأهل الخير والورع ورضّهم على أن لا يطروك فإن كثرة الاطراء مدن من الغرة، والرضا بذلك يوجب من الله المقت»[2].

أقول: يأمر الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) مالك الاشتر (رضوان الله عليه) أن يكسر نفسه من الشهوات والمغريات والطموحات والميول الشخصية ويطلب الامام عليه السلام منه أن يمسك نفسه عند الجموح والتردد، فالنفس بطبعها أمارة وتبعث نحو السوء تتمرد وتنزع للوصول إلى مآربها وشهواتها وتغري صاحبها وتحمله إلى المهالك الا ما رحم الله.

ويؤيد هذا المعنى ما ورد عن مولانا الامام زين العابدين (عليه السلام) بخصوص النفس الأمارة حيث يرسم الامام زين العابدين (عليه السلام) في المناجاة الثانية من المناجاة الخمسة عشر المعرفة النفس الامارة بكل وضوح ويشكو إلى الله تعالى منها بهذه الكلمات (بوصفه قدوة لعموم الناس ويقول)[3]:

«إلهي إليك أشكو نفسا بالسوء أمارة، وإلى الخطيئة مبادرة، وبمعاصيك مولعة، ولسخطك متعرضة، تسلك بي مسالك المهالك، وتجعلني عندك أهون هالك، كثيرة العلل طويلة الأمل، إن مسها الشر تجزع، وإن مسها الخير تمنع، ميالة إلى اللعب واللهو، مملوءة بالغفلة والسهو، تسرع بي إلى الحوبة وتسوفني بالتوبة»[4].

(١) معجم الفروق اللغوية: العسكري، ج١، ص٥٦.

(٢) عيون الحكم والمواعظ: علي بن محمد الليثي الواسطي ص٨١

(٣) نفحات الولاية شرح نهج البلاغة: ناصر مكارم الشيرازي: ج١٠ ص٢٩٤

(٤) الصحيفة السجادية، للإمام زين العابدين (عليه السلام) مناجاة الشاكين ليوم السبت، ص٤٠٣.

فالنفس الأمارة بالسوء تعتبر في الحقيقة أهم وسائل الشيطان وأدواته في إغواء الانسان، فلو أن الإنسان تخلص من شراكها ومصائدها فإنه يتخلص كذلك من شر الشيطان وتسولاته.[1]

ومن هنا أوصى الاولياء وعلماء الاخلاق أن يراقب الإنسان هذه النفس مراقبة دقيقة لئلا يتورط في شراكها وينخدع بخدعها يقول الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) في كلام ورد في غرر الحكم:

«**إن هذه النفس لأمارة بالسوء، فمن أهملها جمحت به إلى المآثم**»[2].

وعنه (عليه السلام):

«**إن نفسك لخدوع، إن تثق بها يقتادك الشيطان إلى ارتكاب المحارم**»[3].

وعنه (عليه السلام):

«**كن أوثق ما تكون بنفسك، أحذر ما تكون من خداعها**»[4].

هذه العبارات العميقة والمؤثرة تعدّ درسا كبيراً من دروس القيادة والإدارة، عند أهل البيت عليهم السلام والإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا المقطع يشير إلى نقطة مهمة، يقول إن من أخطر المخاطر على الإنسان هو التصدي لإدارة أمور الناس من دون وجود قدرة على التحكم بالنفس.

(١) نفحات الولاية شرح نهج البلاغة: ناصر مكارم الشيرازي: ج١٠ ص٢٩٥

(٢) غرر الحكم: ٢١٠٦، ٣٤٩١، ٣٤٨٩، ٣٤٩٠، ٧١٧٠. وينظر ميزان الحكمة: محمد الري شهري الجزء: ٤ ص٣٣٢٥

(٣) غرر الحكم: ٢١٠٦، ٣٤٩١، ٣٤٨٩، ٣٤٩٠، ٧١٧٠

(٤) غرر الحكم: ٢١٠٦، ٣٤٩١، ٣٤٨٩، ٣٤٩٠، ٧١٧٠

يريد الامام (عليه السلام) ان يقول للناس إن موقع الإدارة والحكم هو مزيد من السلطة والنفوذ والامر والنهي للمسؤول، فضع هذه السلطة في موضعها.

فيمكن للإنسان من خلال السلطة أن يمكن هواه وشهواته وميوله وأن يفقد توازنه ومشاعره متأثرا في سلوكه وعلاقة مع الاخرين فيسعى لتحقيق طموحاته الشخصية متعديا للأطر الشرعية، من توظيف السلطة والنفوذ لقضاياه الخاصة.

الامام (عليه السلام) يعبر عن الموقع الاداري بأنه السلطة والنفوذ ومحطة اساسية لانطلاق الشهوات، فيكون ضعيفا أمام المغريات والملذات والشهوات، وهناك من يستطيع أن يميز بين المحطتين، محطة الانطلاق إلى الخدمة وتقديم المصلحة العامة في تحقيق الاهداف والسعي لقضاء حوائج الناس، ومحطة يعبر عنها حكام الجور(فرصة لإشباع الرغبات والشهوات النفسية والتمتع بالملذات)[1]، يقول الامام (عليه السلام) في أحد حكمه في تأييد مانحن فيه:

«**من ملك استأثر**»[2].

الاستئثار لغة (استأثر فلان بالشيء استبدّ به)[3]، يعني الاستبداد فيقال هذا رجل مستبد برأيه، وهذا مدير مستبد، وهذا رب أسرة مستبد، معناه كل من يصل إلى موقع المسؤولية ولم يكن محكما لنفسه يصاب بالاستئثار فتَحول إلى ملكة راسخة في النفس الانسانية، فاذا استطاع تحكيم النفس والسيطرة عليها فيتحول الاستئثار إلى تواضع ومحبة وخدمة للناس، ونجد الصورة مغايرة فيما لو افلت عنان النفس

(١) اخلاقيات الامام علي أمير المؤمنين (عليه السلام): السيد هادي المدرسي:ص٣٣٤

(٢) نهج البلاغة: حكمة ١٦٠

(٣) مجمع البحرين، الطريحي: ج٣، ص١٤٦، (استأثر).

من يده فيكون انسانا مستبدا، يعطل مصالح العباد والبلاد ويشفي غليله بظلم مرؤوسيه من خلال تركيز الانانية بالنفس واستغلال الموقع الذي هو فيه، يقول (عليه السلام):

«ثُمَّ إِنَّ لِلْوَالِي خَاصَّةً وَبِطَانَةً فِيهِمُ اسْتِئْثَارٌ وَتَطَاوُلٌ وَقِلَّةُ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ فَاحْسِمْ مَادَّةَ أُولَئِكَ بِقَطْعِ أَسْبَابِ تِلْكَ الْأَحْوَالِ»[1].

نلاحظ كيف يشير الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى مخاطر الاستبداد، بقوله «**من استبد برأيه هلك**» و«**من شاور الرجال شاركهم في عقولهم**»[2].

أي من أراد عقلا أكبر فليشاور الرجال لأن في مشورتهم مشاركة في عقولهم ينبغي للإنسان أن يستشير الاخرين ويسمع لهم «**الحكمة ضالة المؤمن يأخذها أينما وجدها**»[3].

وقال صلوات الله عليه: «**انظر الى ما قال ولا تنظر الى من قال**»[4].

يجب علينا أن نسمع الاخرين ونصغي اليهم ولا نعتد بآرائنا مهما كنا نرى الحق في شيء ما، ويشير(عليه السلام) إلى هذا المعنى بقوله: «**من نال استطال**»[5].

أي من بلغ الوصول إلى طموحاته وصار مسؤولا استعلى على الاخرين صار متكبرا يرى نفسه متميزا عن الآخرين.

انظر إلى دعاء الإمام السجاد (عليه السلام) في مكارم الأخلاق:

(١) نهج البلاغة: ٥٣

(٢) نهج البلاغة: خطب الإمام علي عليه السلام، ج٤، ص٤١.

(٣) نهج البلاغة:حكمة ٨٠.

(٤) روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، محمد تقي المجلسي (الأول)، ج١٣، ص١٦٧.

(٥) نهج البلاغة: خطب الإمام علي عليه السلام، ج٤، ص٤٩.

«اللهُـمَّ صَـلِّ عَـلى مُحَمَّـدٍ وَآلِـهِ وَلا تَرْفَعْنـي في النّـاسِ دَرَجَـةً إلا حَطَطْتَنـي عِنْـدَ نَفْـسي مِثْلَهـا...»[1].

المعنى: يا الهي كلما اصبح موقعي امام الناس اكبر ومسؤوليتي اعظم فاجعل شعوري بالتواضع والذل امامك اكبر وهذه التربية الاخلاقية في الرؤية الاسلامية في القيادة والادارة، يعبر عنها بالتهذيب والمجاهدات قال (ذروة الغايات لا ينالها إلا ذو التهذيب والمجاهدات الذين يقاومون أهواءهم كما يقاومون اعداءهم، ويعتبرون جهاد النفس هو الجهاد الاكبر)[2].

قال الامام أمير المؤمنين (عليه السلام):

«من نصب نفسه للناس إماما، فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه»[3].

(فلا بد من اتهام النفس ومخالفتها والإدبار عنها لكي نصلحها)[4]

فيتحصل: أن الإدارة في الرؤية الاسلامية وعهد الامام (عليه السلام) يجب ان لا تكون خاضعة لتأثيرات النفس وجموحاتها، لابد ان يكون هناك تحكيم وسيطرة وتطبيع على ذلك في اداء الواجبات الادارية المتمثلة بالإشراف والتنظيم والرقابة والتخطيط واستثمار الطاقات وتحقيق الاهداف وخدمة الناس من اجل طرح ادارة ناجحة لها تأثيراتها في نمو الفكر البشري .

(١) الصحيفة السجادية للإمام زين العابدين، دعاء مكارم الأخلاق، ص١١٠.

(٢) عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، حكمة ١٣٠.

(٣) شرح نهج البلاغة ١٨: ٢٢٠ وينظر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: مركز الرسالة

(٤) اخلاقيات الإمام علي أمير المؤمنين: السيد هادي المدرسي، ص٣٣٥.

المسألة الرابعة: الراي العام ومبدأ التوقعات.

قوله (عليه السلام):

«ثُمَّ اعْلَمْ يَا مَالِكُ أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلَادٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُوَلٌ قَبْلَكَ مِنْ عَدْلٍ وَجَوْرٍ وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوُلَاةِ قَبْلَكَ وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ وَإِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي اللهُ لَهُمْ عَلَى أَلْسُنِ عِبَادِهِ فَلْيَكُنْ أَحَبَّ الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ»[1].

هذا المقطع من العهد على إيجازه يحمل معانٍ مهمة كثيرة في المنظومة الادارية، من هذه المعاني أن الأمام يستحضر في ذهن الأشتر (رضوان الله عليه) الأبعاد التاريخية لمصر والحكومات التي حكمت بلاد مصر وطبيعة نظام الحكم فيها من الظلم والعدل والجور ونظر الناس إلى الوالي ونظر الوالي اليهم والاجراءات التي يتخذها بعد ما كان ينظر إليها من بعيد وهي تحت سلطة الحكومات العادلة والحكومات الظالمة (لابد من الفحص عن هذه الدول والفحص عن ما هي عادلة أو جائرة[2].

المقصود من هذه الدول هم العمال الاسلاميين بعد فتح مصر وهل يصح التعبير عنها بأنها دول ولو باعتبار شمول السلطة الاسلامية [3]، وهذه هي سنن الحياة وهذه هي القواعد الاجتماعية التي تتحكم بمجرى التاريخ ففي كل أمة وفي كل شعب هناك الخير وهناك الشر وهناك الصلاح وهناك الفساد وهذه المتناقضات تعيشها الشعوب والامم، يا مالك إني أوفدك إلى بلد جرت عليه كل هذه الاحداث الطيبة وغير الطيبة.

(١) نهج البلاغة: ٥٣

(٢) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: للخوئي: ج٢٠، ص١٦٩.

(٣) المصدر نفسه: ص١٦٩.

يريد الإمام (عليه السلام) ان يقول إن ذاكرة التاريخ ذاكرة قوية فالناس لا تنسى ما جرى عليها وعلى الامم الاخرى لأن الناس يعايشون الحكومات وتجاربهم ويحفظون كل ما جرى لأن الذاكرة التاريخية اقوى من الطغاة والظالمين، فلا تنسى الناس ما حرى عليها من ظلم وجور واضطهاد وعدل، كل شيء محفوظ في ذاكرة الناس ويتحدثون به في اوساط المجتمع حتى اصبح بعض الاشخاص فيهم بمثابة تاريخ مكتوب ويرجع اليهم كمصدر أساس عند الحاجة في تدوين الاحداث التاريخية، اذا كل من ينظر إلى الخط العام للتاريخ الانساني اليوم يجد ان الحقائق واضحة وتزهر كالنجوم ومحفوظة في ذاكرة الشعوب والامم، التي هي اكبر من ان تخضع للمحاولات اليائسة في طمسها وتزوير حقيقتها. هذا يدل على ان المواقف والسلوكيات والقرارات لا تضيع وإن كان البعض يستطيع أن يغطي عليها لفترة قصيرة وتنكشف.

فمنهج الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) هو تنشيط الذاكرة فيذكر الناس دائما بما مضى، وهو المنهج المطابق للقرآن الكريم عندما يتحدث عن الامم الماضية وسبب هلاكها، فعلينا دائما ان نتمتع بزخم تاريخي وحضاري وان ننطلق ونبدأ من حيث انتهى الاخرون.

يقول الامام أمير المؤمنين في خطبة له تأييدا لما نحن فيه:

«أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ الَّذِي أَلْبَسَكُمُ الرِّيَاشَ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمُ الْمَعَاشَ فَلَوْ أَنَّ أَحَداً يَجِدُ إِلَى الْبَقَاءِ سُلَّماً أَوْ لِدَفْعِ الْمَوْتِ سَبِيلًا لَكَانَ ذَلِكَ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ عليه السلام الَّذِي سُخِّرَ لَهُ مُلْكُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ مَعَ النُّبُوَّةِ وَعَظِيمِ الزُّلْفَةِ فَلَمَّا اسْتَوْفَى طُعْمَتَهُ وَاسْتَكْمَلَ مُدَّتَهُ رَمَتْهُ قِسِيُّ الْفَنَاءِ بِنِبَالِ الْمَوْتِ وَأَصْبَحَتِ الدِّيَارُ مِنْهُ خَالِيَةً وَالْمَسَاكِنُ مُعَطَّلَةً وَوَرِثَهَا قَوْمٌ آخَرُونَ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْقُرُونِ

السَّالِفَةِ لَعِبْرَةً أَيْنَ الْعَمَالِقَةُ وَأَبْنَاءُ الْعَمَالِقَةِ أَيْنَ الْفَرَاعِنَةُ وَأَبْنَاءُ الْفَرَاعِنَةِ أَيْنَ أَصْحَابُ مَدَائِنِ الرَّسِّ الَّذِينَ قَتَلُوا النَّبِيِّينَ وَأَطْفَئُوا سُنَنَ الْمُرْسَلِينَ وَأَحْيَوْا سُنَنَ الْجَبَّارِينَ أَيْنَ الَّذِينَ سَارُوا بِالْجُيُوشِ وَهَزَمُوا بِالْأُلُوفِ وَعَسْكَرُوا الْعَسَاكِرَ وَمَدَّنُوا الْمَدَائِنَ وَمِنْهَا قَدْ لَبِسَ لِلْحِكْمَةِ جُنَّتَهَا وَأَخَذَهَا بِجَمِيعِ أَدَبِهَا مِنَ الْإِقْبَالِ عَلَيْهَا وَالْمَعْرِفَةِ بِهَا وَالتَّفَرُّغِ لَهَا فَهِيَ عِنْدَ نَفْسِهِ ضَالَّتُهُ الَّتِي يَطْلُبُهَا وَحَاجَتُهُ الَّتِي يَسْأَلُ عَنْهَا فَهُوَ مُغْتَرِبٌ إِذَا اغْتَرَبَ الْإِسْلَامُ وَضَرَبَ بِعَسِيبِ ذَنَبِهِ وَأَلْصَقَ الْأَرْضَ بِجِرَانِهِ بَقِيَّةٌ مِنْ بَقَايَا حُجَّتِهِ خَلِيفَةٌ مِنْ خَلَائِفِ أَنْبِيَائِهِ»[1].

الامام (عليه السلام) يستعرض في هذ المقطع من الخطبة المراحل التاريخية المهمة التي مرت على الامم وعاش الناس احداثها في ظلال حكوماتها.

فالذي يتصدى للحكم والإدارة وفي أي موقع من مواقع المسؤولية عليه أن يستثمرها في خدمة الناس من خلال المحبة والشفقة والمودة والكلمة الرقيقة والموقف الطيب والشيمة والنخوة والعون والنصرة اليهم وتحقيق تطلعاتهم وأن يستحضر سنن من قبله في حساباته وسلوكه وتعامله وان يكون انسانا واقعيا (وان تتوقع للناس ماكنت تتوقع لنفسك ان تقبل من الناس ماكنت تقبله من نفسك حينما لم تكن في موقع المسؤولية) فعلى الإنسان ان يكون حذراً في سلوكياته وانطباعاته في تحقيق العدالة والانصاف.

يقول الإمام (عليه السلام) لابنه الحسن (عليه السلام) في وصية طويلة أوصاه بها:

«أي بني تفهم وصيتي واجعل نفسك ميزانا فيما بينك وبين غيرك، فاحبب لغيرك ما تحب لنفسك، وأكره له ما تكره لنفسك، ولا تَظْلِم كما لا تحب أن تُظْلَم،وأحسِن

(١) نهج البلاغة: خطبة ١٨٢.

كما تحب أن يُحسَن إليك. واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك، وارض من الناس لك ما ترضى به لهم منك، ولا تقل بما لا تعلم، بل لا تقل كلّ ما تعلم، ولا تقل مالا تحب أن يقال لك. واعلم أن الاعجاب ضد الصواب وآفة الألباب، فإذا أنت هديت لقصدك فكن أخشع ما تكون لربك»[1].

تجسد لنا هذه الامور التسعة القواعد الاساسية الإدارة فيمن يتولى شؤون الناس في تحديد العلاقة القائمة بين المسؤول والناس لأن غاية ما تطمع اليه الناس هو تحقيق اهدافها وتطلعاتها.

نحن بحاجة ماسة إلى تعزيز هذه المفاهيم وترسيخها بشكل اكبر ليكون البناء الاجتماعي سليما في مجتمعنا في دائرة المسؤولين واصحاب المناصب، ونستطيع بناء دولة على اسس صحيحة وفق منهج الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) في تنظيم وتكيف القانون نحو السلوك العادل.

خامساً: معايير نجاح المسؤول في المنظومة الإدارية.

ثم ينتقل الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في عهده لمالك الاشتر(رضوان الله عليه) إلى استعراض المعايير الاساسية في نجاح المنظومة الإدارية في تحقيق الاهداف لمن يتصدى لإدارة الامور.

أولاً: الأعمال الصالحة.

يقول (عليه السلام):

«فَلْيَكُنْ أَحَبَّ الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ»[2]

(١) تحف العقول عن آل الرسول (ص): ابن شعبة الحراني، ص ٧٤.

(٢) نهج البلاغة: خطب الإمام علي عليه السلام، ج٣، ص٨٣، رسالة ٥٣.

وقال عز وجلّ:

﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[1].

وقال تعالى:

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[2].

العمل الصالح يرفع الكلام الطيب ويعمل على ترسيخ العقائد السليمة في واقع الإنسان وقلبه، ونقرأ ايضا في قوله تعالى:

﴿وَالْعَصْرِ* إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ* إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[3].

هنا يذكر الإمام (عليه السلام) أن واحدة من هذه المعايير التي يستدل بها على صلاح المسؤول والمتصدي هو تقييم الناس له من خلال الحديث عنه وبيان اعماله الصالحة.

لذا نلاحظ الإمام (عليه السلام) يؤكد في هذا المقطع من العهد الشريف على العمل الصالح الذي يعد من الذخائر النفيسة للإنسان المتصدي وغيره ونتيجة هذا العمل يتحقق الاحترام والتقدير والمحبة في قلوب الناس التي تحظى بتأييد من الله سبحانه وتعالى ومن خلال حسن ظن الناس وتقييمها يكون قادرا على النفوذ إلى قلوب الناس والسيطرة على عواطفهم من دون حاجة إلى اظهار حالات التصنع والتظاهر بأمور معينة، ومن دون الحاجة إلى المكر والخداع أو التخويف

(١) الكهف:١١٠

(٢) فاطر:١٠

(٣) سورة العصر.

والترهيب واستخدام الاساليب المغرية وتضييع اموال بيت المال لأجل استمالة قلوب الأخرين وضمانة السمعة الجيدة. فمعيار الرأي العام في تقييم المسؤول هو العمل الصالح الذي يقوم به المتصدي فالحديث عنه بخير واحترام ونعته بصفاته الواقعية يعد من العطايا الالهية لا يحتاج اليها استخدام الطرق الملتوية، بل يكفي ان يكون هذا المسؤول واضحا مع الناس في أدائِهِ وسلوكياته وانطباعاته يسمع ويتشاور معهم ويحترم أراء هم في الخطأ والصواب، وكل عمل صالح يقدمه للناس ويقربه إلى الله سبحانه وتعالى يندفع اليه بالاتجاه الصحيح.

ثانياً: الشح بالنفس والبخل عليها .

قوله (عليه السلام):

«وَشُحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ الْإِنْصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحَبَّتْ أَوْ كَرِهَتْ»[1].

ثم ينتقل الامام (عليه السلام) في وصيته إلى مالك الاشتر (رضوان الله عليه) إلى كيفية التعامل مع آراء الناس بقوله:

« وَشُحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ الْإِنْصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحَبَّتْ أَوْ كَرِهَتْ»

تتضمن هذه العبارة من العهد الشريف مضامين عالية في الادب القيادي والإداري في المنظومة الاسلامية فهي تخاطب المسؤول الذي يتحمل المسؤولية إزاء الاخرين بأن يسيطر على قواه النفسية وان يكبح جماح نزواته ورغباته ومشاعره أنانية والذي يؤكد عليه الإمام (عليه السلام) هو أن يستطيع الإنسان عند فوران

(١) نهج البلاغة: خطب الإمام علي عليه السلام، ج٣، ص٨٣، رسالة ٥٣.

الشهوة وثورة الغريزة أن يضبطها ويجعلها تحت إرادته وبعكس ذلك إذا سيطر هوى النفس على فكر الإنسان وعقله وقواه وملكاته الأخرى فإنه سيقود صاحبه إلى وادي الهلكة والخسران [1]، ويؤكد هذا المعنى الامام الصادق (عليه السلام) بقوله:

«احذروا أهواءكم كما تحذرون أعداءكم، فليس شيء اعدى للرجال من اتباع اهوائهم وحصائد ألسنتهم»[2].

وفي غرر الحكم عن الامام أمير المؤمنين (عليه السلام):

«أملكوا أنفسكم بدوام جهادها»[3].

الشح: (البخل والحرص، شح يشح، ورجلٌ شحاح بمعنى شحيح)[4].

المعنى ابخل بنفسك عما لا يحل لك فلا تفعله والمراد به المحرمات، ولأجل هذا قال (عليه السلام) فإن الشح بالنفس الانصاف فيها فيما أحبته النفس أو كرهته[5] لا يعني سوى أن يتصرف الإنسان كالبخيل الذي لا يجد في نفسه رغبة في انفاق الدرهم والدينار من أمواله على الاخرين، فمثل هذا الإنسان يقف في مقابل المحرمات كالبخيل فلا يعطي من نفسه شيئا يؤدي به إلى خسرانه دينه وإيمانه ويبعده عن طريق الإنصاف والصلاح سواء في الامور التي يجد في نفسه ميلا إليها

(١) نفحات الولاية شرح نهج البلاغة: ناصر مكارم الشيرازي: ج١٠ ص٣٠٢.

(٢) اصول الكافي، ج ٢، باب اتباع الهوى، حديث ١؛ وينظر الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، الجزء٢١، ص٢٦٧.

(٣) عيون الحكم والمواعظ: علي بن محمد الليثي الواسطي ص٨٩.

(٤) المحيط في اللغة، صاحب بن عباد، ج١، ص١٥٤؛ مجمع البحرين، للطريحي، ج٢، ص٢٧٥.

(٥) مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة: سيد محمد تقي التقوي ج١٥: ص٤٢٠.

أم في الامور التي لا يشتهيها [1]،فليس الحرص على النفس إيفاءها كل ما تحب بل من الحرص عليها أن تحمل على ما تكره إن كان ذلك في الحق ضرب محبوب يعقب هلاكا ومكروه يحمد عاقبة[2].

يريد الامام (عليه السلام) من المسؤول أن يكون بخيلا مع نفسه، وأن يكون شديدا عليها في مالا يحل له في القضايا التي لا يسمح له كمسؤول أن يمارسها او يقوم بها فيتعامل بشح وبخل واقتصاد شديد ومراقبة وحزم كبير مع نفسه وهذا يتحقق بعدم السماح لها بأن تنطلق لتحب كما تريد وتكره كما تريد:

﴿فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[3].

لعل النفس تحب اشياءً تضر بها وهي لا تعلم ولعلها تكره أشياء تنفعها وهي ايضا لا تعلم؛ إذن هذه النفس تميل نحو أمور وتحجم عن أمور وهي من الممكن أن تحجم عن الحق وتميل إلى الباطل فمن حق النفس على صاحبها انصافها.

ثالثاً: التحكم بالنفس والسيطرة عليها.

إن السيطرة على النفس إحدى عوامل نجاح المسؤول في مهمته المناطة به باعتباره ضمن دائرة السلطة والنفوذ والرغبات والامكانيات والامتيازات التي تمنح بعناوين متعددة، هذه يمكن أن توقع الإنسان في المهالك وتحكيم الانا وعدم السيطرة عليه.

يعبر الإمام (عليه السلام) عن ذلك بقوله «**فَامْلِكْ هَوَاكَ**» إشارة إلى اأن

(١) نفحات الولاية شرح نهج البلاغة: ناصر مكارم الشيرازي: ج١٠ ص٣٠٢.

(٢) صفوة شروح نهج البلاغة: اركان التميمي: ص٦٨٩.

(٣) النساء: ١٩.

الإنسان أو المسؤول في أطار مسؤولية لابد ان يكون مسلطا على كل ما يملكه من قوى نفسانية وتحكيم العقل في سلوكياته وانطباعاته، يشير الإمام (عليه السلام) إلى هذا المعنى في رسالة بعثها إلى الاسود بن قطبة[1] الذي كان قائدا للجيش في منطقة حلوان[*] الواقعة غرب ايران التي تسمى اليوم بمدينة سربل زهاب على ما يذكره المؤرخون[2].

«أما بعد فإن الوالي إذا اختلف هواه منعه ذلك كثيرا من العدل فليكن أمر الناس عندك في الحق سواء فإنه ليس في الجور عوض من العدل فاجتنب ما تنكر أمثاله وابتذل نفسك فيما افترض الله عليك راجيا ثوابه ومتخوفا عقابه، واعلم أن الدنيا دار بلية لم يفرغ صاحبها قط فيها ساعة إلا كانت فرغته عليه حسرة يوم القيامة وأنه لن يغنيك عن الحق شيء أبدا، ومن الحق عليك حفظ نفسك والاحتساب على الرعية بجهدك فإن الذي يصل إليك من ذلك أفضل من الذي يصل بك والسلام»[3].

المعنى: ان الوالي إذا اختلف هواه وانساق وراء رغباته ونزواته وميولاته فيكون الحاكم هنا الهوى والشهوات تكون سلوكياته وانطباعاته في مسؤولياته موافقة لحكم الهوى فلا ينتصر عدلا لأحد، فيما لو كان الخصمان عنده سواء بل كان هواه وميله إلى أحدهما أكثر ظلماً وجوراً.

هذا الامر يؤكده عليه الامام (عليه السلام) ويعدّه من ظواهر التمييز بين

(١) الاسود بن زيد بن قطبة الانصاري: يقال انه ممن شهد بدرا. ينظر: اسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الاثير، ص٤٨؛ الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، ج١، ص٢٩.

(*) حلوان وهي خمسة طساسيج، ويقال لها بستان خسروا شاه فيروز.

(٢) معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج٢، ص١٦٧.

(٣) نهج البلاغة: خطب الإمام علي عليه السلام، ج٣، ص١١٦، رسالة ٥٩؛ وينظر: بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٣٣، ص٥١١.

الناس وإضاعة الحقوق ومنشأ لظلم الاخرين، فيطلب الامام (عليه السلام) لكل من يتصدى لإدارة ورعاية الناس أن يصرف وقته ويبذل جهوده في ما فرضه الله سبحانه وتعالى عليه والسير في السياقات والمسارات الصحيحة راجيا بذلك ثوابه والخوف من عقابه، ويؤكد هذ المعنى ايضا كلام الامام (عليه السلام) في معنى الفتن والبدع الذي يعد منشؤهما طغيان الهوى على العقل، يقول عليه السلام:

«إِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ اَلْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ وَ أَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ اَللهِ وَ يَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالاً عَلَى غَيْرِ دِينِ اَللهِ فَلَوْ أَنَّ اَلْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ اَلْحَقِّ لَمْ يَخْفَ عَلَى اَلْمُرْتَادِينَ وَ لَوْ أَنَّ اَلْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ اَلْبَاطِلِ اِنْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ اَلْمُعَانِدِينَ وَ لَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِغْثٌ وَ مِنْ هَذَا ضِغْثٌ فَيُمْزَجَانِ فَهُنَالِكَ يَسْتَوْلِي اَلشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ وَ يَنْجُو اَلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اَللهِ اَلْحُسْنَى»[1].

٦٩

كل ذلك يعرب عن أنّ إطار البدعة المحرّمة، هو الإحداث في الدين وأساس الفتن والبدع أمران:

١ـ اتباع اهواء النفس والاحكام الموضوعة المخالفة لكتاب الله والسنة النبوية الشريفة .

٢ـ تحريف القوانين لصالح الأطماع الشخصية وغياب العدل وتضييع الوظائف والاقبال على البدع[2].

ولا يخفى ان الثاني ايضا يرجع إلى الأول اعني متابعة الهوى، فإن البدعة في الدين منشؤها متابعة الهوى، وعلى أي تقدير لا خلاف عقلا في أن منشأ الانحرافات العقلية والشرعية انما هو متابعة الهوى من حب الدنيا وحب المقام والرئاسة وامثالها مما يرجع بالآخرة إلى حب الدنيا كما قال (صلى الله عليه وآله وسلم):

(١) نهج البلاغة، خطبة ٥٠.

(٢) نفحات الولاية شرح نهج البلاغة: ناصر مكارم الشيرازي: ج٢ ص٣٥٧.

«**حب الدنيا رأس كل خطيئة**»[1].

يقول (عليه السلام) إن المذاهب الباطلة والآراء الفاسدة التي يفتتن الناس بها أصلها اتباع الأهواء وابتداع الأحكام التي يخالف فيها الكتاب وتحمل العصبية والهوى على تولي أقوام قالوا بها على غير وثيقة من الدين، ومستند وقوع هذه الشبهات امتزاج الحق بالباطل من قبل بعض الساسة بالشكل الذي يصعب تميزه على الناس وأدنى ذلك هو خداع الرأي العام ببعض العناوين كحقوق الإنسان والرفق بالحيوان ويوم العامل وأطباء بلا حدود ومنظمة العفو الدولية..الخ، فالحكومات الاستكبارية تتشدق بالديمقراطية وضرورة الرجوع إلى آراء الشعب فاذا تم ذلك وجرت الامور خلافا لمصالحها اللامشروعة عمدت إلى الانقلاب أو إثارة الفتن وإظهار البدع[2].

هكذا يربي الامام(عليه السلام) المسؤول في المنظومة الإدارية والقيادية على الاخلاق الحسنة والحميدة في كيفية التعامل في ظرف مثل هذا، من هذا المنطلق اصبحت مناهج حكومة الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) يحتفل بها في المحافل الدولية والمؤتمرات العلمية بالرغم من قصر مدة خلافتهِ (سلام الله عليه) التي استغرقت اربع سنوات ونيفاً وتبقى كلماته (عليه السلام) تقرع اسماع العالم عندما اوصى ولديه الحسن والحسين (عليهما السلام):

«**والله الله في القرآن لا يسبقنكم إلى العمل به غيركم**».

فيتحصل: ان كل هذه المفاهيم تدل إلى حقيقة عاقبة الإنسان الحسنة والسيئة، فالكل محكوم بزمن معين يسمى الأجل:

(١) الوافي، الفيض الكاشاني، ج٥، ص٨٨٩.

(٢) نفحات الولاية شرح نهج البلاغة: ناصر مكارم الشيرازي: ج٢ ص٣٦٠-٣٦١

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾(١)

﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً إِلاَّ مَا شَاء اللهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاء أَجَلُهُمْ فَلاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾(٢)

فيجب على الإنسان ان يكون حذرا لما بعد الموت عندما يقف للحساب تعطينا هذه المعاني درسا في كيفية إدارة شؤون الناس واحترامهم وتحقيق طموحاتهم، وهذه لا تتحقق الا اذا كان المسؤول يبحث عن الثواب ويخشى العقاب الالهي.

المسألة السادسة: وسائل التحكّم والسيطرة على النفس.

أولاً: التقوى.

قوله (عليه السلام):

«أَمَرَهُ بِتَقْوَى اللهِ وَإِيْثَارِ طَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ مِنْ فَرَائِضِهِ وَسُنَنِهِ الَّتِي لَا يَسْعَدُ أَحَدٌ إِلَّا بِاتِّبَاعِهَا وَلَا يَشْقَى إِلَّا مَعَ جُحُودِهَا وَإِضَاعَتِهَا وَأَنْ يَنْصُرَ اللهَ سُبْحَانَهُ بِقَلْبِهِ وَيَدِهِ وَلِسَانِهِ»(٣)

(وقيت الشيء أقيته إذا صنته وسترته عن الأذى وهذا اللفظ خبر أريد به الأمر أي ليق أحدكم وجهه النار بالطاعة والصدقة ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾، والتقوى جعل النفس في وقاية مما يخاف هذا تحقيقه وصار التقوى في تعاريف الشرع حفظ النفس عما يؤثم وذلك بترك المحظور ويتم ذلك بترك بعض المباحات

(١) الاعراف: ٣٤

(٢) يونس: ٤٩

(٣) نهج البلاغة: ٥٣.

لما روي: الحلال بيّن والحرام بيّن ومن رتع حول الحمى فحقيق أن يقع فيه)[1].

والتقوى اصطلاحا: (عبارة عن الاجتناب عن محارم الله تعالى والقيام بما اوجبه عليهم من التكاليف الشرعية والمتقي هو الذي يتقي بصالح عمله عذاب الله وهو مأخوذ من اتقاء المكروه بما يجعله حاجزا بينه وبينه كما يقال: اتقى السهم بالترس أي جعله حاجزا بينه وبين السهم)[2].

والتقوى بعد الايمان التورع عن محارم الله واتقاء الذنوب التي تحتم السخط الالهي وعذاب النار وهي الشرك بالله وسائر الكبائر الموبقة التي اوعد الله عليها النار، فيكون المراد بالسيئات التي وعد الله سبحانه تكفيرها الصغائر من الذنوب وينطبق على قوله سبحانه:

﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا﴾[3].

﴿... وَمَن يَتَّقِ اللهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾[4].

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُواْ وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[5].

فيظهر من الآيات الشريفة ان التقوى هي الورع عن محارم الله أي المعاصي الكبيرة)[6].

(١) لسان العرب: ابن منظور، ج١٥، ص٤٠١؛ المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص٥٣٠، مادة وقى.

(٢) المخصص: ابن سيده، ج٣، ص١٦٩.

(٣) النساء: ٣١

(٤) الطلاق: ٥

(٥) المائدة: ٦٥

(٦) الميزان في تفسير القران: العلامة الطبطبائي: ج١٩: ص٣١٧

والمحصل من تعاريف (التقوى) لغة واصطلاحا هو انها السور الذي يسوّر الإنسان به نفسه من الوقوع في الحرام والرذيلة والمعصية، أو هي حق الله على العباد، فهو الذي خلقنا ومنحنا كل شيء وتنعم علينا بنعم كبيرة وفي مقابل ذلك أراد منا ان نلتزم ونتقي بتحصين انفسنا والمحافظة على الاطر والموازين الشرعية التي ارادها الله وقدرها للبشر.

ويشير الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى هذا المعنى بقوله:

«أوصيكم عباد الله بتقوى الله فإنها حق الله عليكم، والموجبة على الله حقكم، وأن تستعينوا عليها بالله وتستعينوا بها على الله، فإن التقوى في اليوم الحرز والجنة، وفي غد الطريق إلى الجنة؛ مسلكها واضح، وسالكها رابح، ومستودعها حافظ، لم تبرح عارضة نفسها على الأمم الماضين والغابرين لحاجتهم إليها غدا إذا أعاد الله ما أبدى، وأخذ ما أعطى، وسأل ما أسدى»[1].

والتقوى تؤدي إلى عزة الإنسان لأنه يتصل بالعزيز المطلق، يقول الامام علي (عليه السلام): ((التقوى تجل. والفجور يذل))[2]، فالذلة في الفجور والعزة الانسانية في التقوى، وقال أمير المؤمنين (عليه السلام):

«لا عزة أعز من التقوى»[3].

فمن اراد العزة والكرامة فليتصف بالتقوى، وقد أولى أمير المؤمنين (عليه السلام) اهتماما كبيراً لمسألة التقوى في إحدى خطبه:

(١) نهج البلاغة: خطب الإمام علي (عليه السلام) ج٢، ص١٢٤.

(٢) عيون الحكم والمواعظ: ٣٤.

(٣) نهج البلاغة: الحكمة ٣٧١.

«فإن تقوى الله مفتاح سداد، وذخيرة معاد وعتق من كل ملكة ونجاة من كل هلكة بها ينجح الطالب، وينجو الهارب، وتنال الرغائب»[1].

وعنه (عليه السلام) في الحث عليها:

«فإنّ تقوى الله دواء قلوبكم وبصر عمى أفئدتكم وشفاء مرض أجسادكم، وصلاح فساد صدوركم، وطهور دنس أنفسكم، وجلاء عشى أبصاركم وأمن فزع جأشكم، وضياء سواد ظلمتكم»[2].

ولذلك نجد أن أمير المؤمنين (عليه السلام) حينما يتحدث عن المنظومة القيادية وعن النجاح في الدور القيادي يقف عند خصيصة التقوى ويعتبرها مفتاح التسديد والنجاح وذخيرة يوم الآخر الذي لا ينفع فيه مال ولابنون.

فيتحصل: من معنى الحديثين الشريفين أنه ينبغي وضع الرجل المناسب في المكان المناسب من ذوي الإيمان والتقوى والاختصاص والكفاءات والامكانيات العلمية والتخلي عن الاطر الشخصية والمحسوبية على مستوى جميع مرافق الدولة.

فثقافة اختيار الأصلح والاكفأ لإدارة امور الناس، يجب ان تكون هي الحاكمة على الثقافة الخاطئة التي يسعى الجميع في ظلالها إلى ان يكونوا في الصدارة وهذا معناه تجاوز على الثقافة الاسلامية في ادارة المنظومة الإدارية.

يقول الإمام (عليه السلام) في عهده لمالك الاشتر(رضوان الله عليه) في كيفية وضع الرجل المناسب في المكان المناسب وفق الرؤية الاسلامية:

(١) نهج البلاغة خطبة: ٢٣٠

(٢) نهج البلاغة خطبة: ١٩٨ وينظر تفسير المحيط الأعظم والبحر الخظم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم: السيد حيدر الآملي الجزء: ١ص٢٧٣.

«فَوَلِّ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ لله وَلِرَسُولِهِ وَلِإِمَامِكَ وَأَنْقَاهُمْ جَيْباً وَأَفْضَلَهُمْ حِلْماً مِمَّنْ يُبْطِئُ عَنِ الْغَضَبِ وَيَسْتَرِيحُ إِلَى الْعُذْرِ وَيَرْأَفُ بِالضُّعَفَاءِ وَيَنْبُو عَلَى الْأَقْوِيَاءِ وَمِمَّنْ لَا يُثِيرُهُ الْعُنْفُ وَلَا يَقْعُدُ بِهِ الضَّعْفُ»[1].

(عن محمّد بن قولويه، عن أحمد بن محمّد عن الحسين بن سعيد، عن معمّر ابن خلاد قال: قال أبو الحسن عليه السلام موسى بن جعفر:

«ما ذئبان ضاريان في غنم قد غاب عنها رعاؤها بأضرّ في دين المسلم من حبّ الرئاسة»[2].

وعن الامام الصادق (عليه السلام):

«ملعون من ترأس، ملعون من هَمَّ بها، ملعون من حدث بها نفسه»[3].

بيان: (من ترأس) أي ادعى الرياسة بغير حق، فإن التفعل، غالبا يكون للتكلف. وفيه: عن محمد بن مسلم، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: أتراني لا أعرف خياركم من شراركم؟ بلى، والله وإن شراركم من أحب أن يوطأ عقبه، إنه لا بد من كذاب أو عاجز الرأي.)[4] بيان: قيل: أي من كذاب يطلب الرياسة ومن عاجز الرأي يتبعه.

وعن الرضا (عليه السلام):

«من طلب الرياسة لنفسه هلك، فإن الرياسة لا تصلح إلا لأهلها»[5]

(١) نهج البلاغة: ٥٣.

(٢) رسائل الشهيد الثاني (ط.ج): الشهيد الثاني الجزء: ٢ ص١٠٠٣. ينظر الكافي ج٢ ص٢٩٧ ح١

(٣) الوافي: الفيض الكاشاني الجزء: ٥ ص٨٤٤: ينظر الوسائل باب ٥ من أبواب جهاد النفس ح / ٦

(٤) مستدرك سفينة البحار: الشيخ علي النمازي الشاه رودي الجزء: ص١٢

(٥) فقه الرضا: علي بن بابويه القمي ص٣٨٤ وينظر الكافي ٢: ٢٢٥ / ٢

فيتحصل: ان أولى الخطوات الاساسية واهمها في عمل الإداري هي التقوى ومن يريد ان ينفتح على الله تبارك وتعالى لابد ان يكون من اهل التقوى.

ثانياً: العقل.

من الامور المهمة التي تساعد المسؤول والمتصدي للقيادة والإدارة هو التعقل والتدبير والنظر في الامور وضرورة وضع كل امر موضعه بلا استبطاء أو عجلة وعدم الانجرار وراء الرغبات والاهواء.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) واصفا ثمرات العقل وهو وضع الامور في مواضعها، قوله (عليه السلام):

«وَإِيَّاكَ وَالْعَجَلَةَ بِالْأُمُورِ قَبْلَ أَوَانِهَا أَوِ التَّسَقُّطَ فِيهَا عِنْدَ إِمْكَانِهَا أَوِ اللَّجَاجَةَ فِيهَا إِذَا تَنَكَّرَتْ أَوِ الْوَهْنَ عَنْهَا إِذَا اسْتَوْضَحَتْ فَضَعْ كُلَّ أَمْرٍ مَوْضِعَهُ وَأَوْقِعْ كُلَّ أَمْرٍ مَوْقِعَهُ»[1].

العقل لغة: نقيض الجهل،، يقال عقل يعقل عقلا، إذا عرف ما كان يجهله قبل، أو انزجر عما كان يفعله. وجمعه عقول. ورجل عاقل وقوم عقلاء وعاقلون، ورجل عقول، إذا كان حسن الفهم وافر العقل)[2].

العقل هو السور المانع والحصن، والعقل من العقال أي عقال من الجهل هذه هي فائدة العقل للإنسان الذي يستعمل عقله دائما في اتخاذ قراراته الصائبة ويسور مواقفه واقواله وسلوكياته خشية الوقوع في الجهل، فقد ورد التأكيد عليه

(١) نهج البلاغة، خطب الإمام علي (عليه السلام)، ج٣، ص١٠٩، رسالة ٥٣.

(٢) معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، ج٤،ص٥٦، (عقل).

في الكثير من النصوص الشرعية، منها ما ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله في وصف العقل:

«إن العقل عقال من الجهل، والنفس مثل أخبث الدواب فإن لم تعقل حارت، فالعقل عقال من الجهل، وإن الله خلق العقل فقال له: أقبل، فأقبل وقال له: أدبر فأدبر، فقال الله تبارك وتعالى: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أعظم منك ولا أطوع منك، بك أبدإ وبك أعيد، لك الثواب وعليك العقاب»[1].

فقد شبه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) النفس والهوى (بأخبث الدواب) أي الدابة التي لم تعقل، تهرب وتتيه كذلك النفس اذا لم تعقل فإنها تكون في تيه، وورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام):

«العقل يوجب الحذر»[2] - **«الجهل يوجب الغرر»**[3].

وعنه (عليه السلام) في وصيته لمالك الاشتر (رضوان الله عليه) قال:

«وَلَا تَدْفَعَنَّ صُلْحاً دَعَاكَ إِلَيْهِ عَدُوُّكَ ولله فِيهِ رِضًا فَإِنَّ فِي الصُّلْحِ دَعَةً لِجُنُودِكَ وَرَاحَةً مِنْ هُمُومِكَ وَأَمْناً لِبِلَادِكَ وَلَكِنِ الْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ عَدُوِّكَ بَعْدَ صُلْحِهِ فَإِنَّ الْعَدُوَّ رُبَّمَا قَارَبَ لِيَتَغَفَّلَ فَخُذْ بِالْحَزْمِ وَاتَّهِمْ فِي ذَلِكَ حُسْنَ الظَّنِّ»[4].

فالإنسان حينما يستعمل عقله يكون حذراً في أقواله وأفعاله، وعنه (عليه السلام):

«العقل أقوى أساس»[5].

(١) تحف العقول عن آل الرسول (صلى الله عليه وآله)، ابن شعبة الحراني، ص١٥

(٢) عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، ص٢٤

(٣) المصدر نفسة: ص٢٤.

(٤) نهج البلاغة: ٥٣.

(٥) عيون الحكم والمواعظ: علي بن محمد الليثي الواسطي ص٣٥

أقوى أساس يمكن أن يعتمده الإنسان في تفجير طاقاته وفق الرؤية الاسلامية الصحيحة، فيكون تفكيره منسجماً مع الفطرة والمنطق، وفي رواية أخرى عنه (عليه السلام):

«للحازم من عقله عن كل دنية زاجر»[1].

الحزم: الحزم: (ضبط الإنسان أمره والأخذ فيه بالثقة. حزم، بالضم، يحزم حزما وحزامة وحزومة، وليست الحزومة بثبت. ورجل حازم وحزيم من قوم حزمة وحزماء وحزم وأحزام وحزام: وهو العاقل المميز ذو الحنكة)[2].

الحزم هو تعبير ينبأ عن صدق وشعور الشخص إزاء آرائه واحتياجاته، وينم عن احترام الذات الإيجابي وعن رؤية الذات بصورة أفضل. ويرتبط مفهوم الحزم بخاصيتين هامتين في الإنسان هما: العقل والتفكير، الإرادة والاختيار.

الحزم هو ثمرة العقل فالإنسان الذي يحتاط في قراراته يعمل ضمن اطار العقل في تدبير الأمور وله الارادة في اختيار تنفيذ القرارات المنسجمة وفق العقل والحكمة فيكون محصنا لنفسه ويجد فيها مناعة من الوقوع في الخطأ والانحراف.

وورد عن الامام الحسن المجتبى (عليه السلام) قوله:

«اعلموا أن العقل حرز والحلم زينة»[3].

الحرز: هو الحفظ أي ان العقل يحفظ الانسان، فالمواقف الايجابية والعقلانية

(١) المصدر نفسه ص٤٠٣

(٢) لسان العرب: ابن منظور: ج١٢، ص١٣١. (مادة حزم).

(٣) إرشاد القلوب: الحسن بن محمد الديلمي، ج١، ص١٩٩. وينظر: العقل والجهل في الكتاب والسنة: محمد الري شهري، ص٦٣.

التي تصدر من الإنسان دلالة على ان هذا الإنسان متحفظ ومتحرز بعقله ثم ينسب الامام (عليه السلام) العقل إلى العفاف: يقول:

«إن أصل العقل العفاف، وثمرته البراءة من الآثام»[1].

العفة في اللسان والعين والاذن وفي جميع الجوارح، فأصل العقل هو العفة ومن يتصرف على اساس العقل لا يمكن ان يقع في الحرام والمعصية فيجد نفسه أكبر من أن ينساق وراء المواقف المشبوهة والدنيئة التي لا تحفظ كرامة الإنسان وسموه ورفعته، وعنه (عليه السلام) - في الحكم المنسوبة إليه -:

«لا ترضَينّ قول أحد حتى ترضى فعله، ولا ترض فعله حتى ترضى عقله، ولا ترض عقله حتى ترضى حياءه، فإن الإنسان مطبوع على كرم ولؤم، فإن قوي الحياء عنده قوي الكرم، وإذا ضعف الحياء قوي اللؤم»[2].

وعنه (عليه السلام):

«لا يعد العاقل عاقلا حتى يستكمل ثلاثا: إعطاء الحق من نفسه على حال الرضا والغضب، وأن يرضى للناس ما يرضى لنفسه، واستعمال الحلم عند العثرة»[3].

وعنه (عليه السلام):

«إنما العقل التحذر من الاثم والنظر في العواقب والأخذ بالحزم»[4].

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٧٥، ص٧، وينظر: العقل والجهل في الكتاب والسنة، محمد الريشهري، ص١٠٤.

(٢) العقل والجهل في الكتاب والسنة، محمد الريشهري، ص١٠٤.

(٣) إرشاد القلوب: الحسن بن محمد الديلمي، ج١، ص٧٤.

(٤) عيون الحكم والمواعظ: علي بن محمد الليثي الواسطي ص١٧٨

يريد الإمام (عليه السلام) أن يبين أهمية العقل فالعقل هو التجنب والحذر من الوقوع في الآثام والمعاصي والرذيلة والنظر في عواقب الامور المستقبلية فالإنسان حينما يستخدم عقله تكون نظرته بسيطة إلى الامور والعقل هو الحزم والاحتياط في المواقف والعقل هو مجانبة التبذير وحسن التدبير، فمن العقل ان يحسن الإنسان تدبيره في أموره.

فيتحصل: ان استحضار العقل في السلوك والاداء والمواقف يترك آثارا في مساحات الحياة، فالعاقل يرفض كل ما ينفر منه العقل كظلم الاخرين والعمل بالباطل، فينبغي للمسؤول والمتصدي ان يشح بنفسه ويقمع هواه بعقله ويمنع نفسه من الوقوع في المنزلقات كالشبهات والمواقف السيئة.

ثالثا: عدم مداهنة النفس.

قوله (عليه السلام):

«فَلْيَكُنْ صِغْوُكَ لُهُمْ وَمَيْلُكَ مَعَهُمْ وَلْيَكُنْ أَبْعَدَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ وَأَشْنَأَهُمْ عِنْدَكَ أَطْلَبُهُمْ لِمَعَايِبِ النَّاسِ (وَمَهْمَا كَانَ فِي كُتَّابِكَ مِنْ عَيْبٍ فَتَغَابَيْتَ عَنْهُ أُلْزِمْتَهُ)[1].

إن أخطر شيء على المتصدي للمسؤولية الإدارية هو حينما يعتبر المسؤول نفسه في حالة استثناء عن الآخرين، وهذا ما يسمى بالاستثناءات، أي كل ما هو ممنوع على الرعية جائز على الوالي ويعدّ هذا تجاوزاً على المحظورات والقوانين في إدارة الدولة، حيث يشير الامام (عليه السلام) في هذ المقطع محذرا الولاة وداعيهم إلى الالتزام بالمواثيق المطلوبة وعدم الانجرار مع الاهواء والرغبات النفسية بالمداهنة مع الاخرين، يريد الامام (عليه السلام) ان يقول لا تبرر المواقف والاخطاء لأجل مصلحتك الشخصية فتضيع حقوق الرعية بالظلم والعدوان عليها من أجل مراعاة مشاعر الاخرين يقول عليه السلام»:

(١) نهج البلاغة: خطب الإمام علي (عليه السلام)، ج٣، ص٨٦.

«وَمَهْمَا كَانَ فِي كُتَّابِكَ مِنْ عَيْبٍ فَتَغَابَيْتَ عَنْهُ أُلْزِمْتَهُ».

ألزمته أي حاسبه بحق وعدل من دون تملق وتزلف، المداهنة: مُداهَنة: (اسم) مصدر دَاهَنَ (المُلاَيَنَةُ، المُدَارَاةُ)[1]، والمداهنة هي التغطية على الحقيقة، مداهنة ودهانة، اظهر خلاف ما اضمر، وفلاناً خدعه وغشه وداراه ولاينه، كما في الدهن الذي يستعمله الإنسان فيستر به البشرة ويغطيها[2].

المداهنة: هي ترك الحق من أجل الدنيا، حيث يتوسل بالتملق والتزلف والمصانعة في التأثير على الاخرين، أي يجامل الآخرين على حساب الحق ولا يخبرهم به لحساب مصلحته الشخصية، فهو يرى الانحراف والخطأ والباطل في رعيته أو أصدقائه فيثني على هذا الخطأ ويمتدحه إلى حد التملق: والذي يظهر من معنى الكلام أن المداهنة تقترب كثيرا من النفاق فيما يقول وهو يعلم أنه ليس بصادق في قوله والمرجع المسألة هو الكذب وجماع النفاق هو الكذب، وربما كانت كفرا إذا كانت المداهنة لصاحب الكفر كما في قوله تعالى:

﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾[3].

قال صاحب تفسير الامثل في ذيل هذه الآية إشارة إلى الجهود التي بذلهاالمشركون في إقناع الرّسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بمصالحتهم والإعراض عن آلهتهم وضلالهم فيقول: (ودّوا لو تدهن فيدهنون). إنّ من أمانيهم ورغبتهم أن تلين وتنعطف باتّجاههم، وتغضّ الطرف عن تكليفك الرسالي من أجلهم[4].

(١) تاج العروس، الزبيدي، ج١٨، ص٢١٠.

(٢) المعجم الوسيط، النجار، ج١، ص٦٢٥.

(٣) القلم:٩

(٤) تفسير الامثل: ناصر مكارم الشيرازي في ذيل الاية المباركة: ج ٢٨:ص٢٩٧:

ثم قال إن من جملة الخصائص التي يتميز بها تجار السياسة، والاشخاص والمجاميع غير الرسالية، أنهم يتلونون ويتصرفون بالشكل الذي يتماشى مع مصالحهم، فلا ضوابط ولا ثوابت تحكمهم، بل هم على استعداد دائم للتنازل عن كثير من الشعارات المدّعاة من جانبهم مقابل تحقيق بعض المكاسب أو الحصول على بعض الامتيازات[1].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم محذرا من التملق (ليس من اخلاق المؤمن التملق)[2]، إذ فيه تضييع للمبادئ والمثل من أجل الدنيا.

وقد وقف أمير المؤمنين (عليه السلام) من هذه الظاهرة موقفا متشددا فلقد شجبها ومنع التعامل بها لأنها من الاساليب الملتوية في السلوك وهي تعبر عن عدم استقامة الشخصية وخواء الضمير وهي من الظواهر التي لا تليق بأخلاقية المؤمن بتاتا لكونها تتجه نحو المخلوق وتهجر الخالق.

وفي وصيته (عليه السلام)، لكميل بن زياد (رضوان الله عليه) قال:

«يا كميل لست والله متملقا حتى أطاع ولا ممنيا حتى لا أعصى، ولا مائلا لطعام الاعراب حتى انحل إمرة المؤمنين وادعى بها»[3].

فقد تطرق (عليه السلام) عبر هذه الوصية إلى مجمل عناصر المداهنة وهي: التملق واطلاق الوعود وشراء الذمم من خلال بذل الموائد، منزها نفسه عن ممارستها بغية الحصول على السلطة أو البقاء والمحافظة عليها[4].

(١) المصدر نفسه: ص٢٩٧

(٢) جامع بيان العلم وفضله: ابن عبد البر، الجزء١، ص١٣١: وينظر ملامح القيادة الناجحة في ضوء منهجية الامام علي بن أبي طالب(عليه السلام) مقارنات دراسية في سيكولوجية السلوك التنظيمي المعاصر: محمد عبد الرضا هادي الساعدي: ص٢٢٦

(٣) تحف العقول عن آل الرسول (ص): ابن شعبة الحراني ص١٧٥

(٤) ملامح القيادة الناجحة:محمد عبد الرضا هادي الساعدي: ص٢٢٧: مصدر سابق

ومن وصاياه (عليه السلام) لابنه الحسن (عليه السلام) محذرا اياه من هذه الحالة والخصيصة الذميمة:

«وأكرم نفسك عن كل دنية وإن ساقتك إلى الرغائب فإنك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضا. ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرا وما خيرُ خير لاينال إلا بشرّ، ويسر لا ينال إلا بعسر، وإياك أن توجف أي تسرع بك مطايا الطمع فتوردك مناهل الهلكة وإن استطعت أن لا يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل فإنك مدرك قسمك وآخذ سهمك وأن اليسير من الله سبحانه أكرم وأعظم (أعظم وأكرم) من الكثير من خلقه وإن كان كلٌّ منه»[1].

وقال عليه السلام:

«المنية ولا الدنية. والتقلل ولا التوسل. ومن لم يعط قاعدا لم يعط قائما. والدهر يومان يوم لك ويوم عليك، فإذا كان لك فلا تبطر، وإذا كان عليك فاصبر»[2].

يقول أمير المؤمنين (عليه السلام):

«ولا ترخصوا لأنفسكم فتدهنوا ولا تدهنوا في الحق فتخسروا»[3].

أو قوله (عليه السلام):

«ولا ترخّصوا لأنفسكم فتذهب بكم الرّخص فيها مذاهب الظّلمة، ولا تداهنوا فيهجم بكم الإدهان على المصيبة»[4].

(١) روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه: محمد تقي المجلسي (الأول الجزء: ١٣ ص٨٦

(٢) نهج البلاغة: خطب الإمام علي (ع) الجزء: ٤ ص٩٤

(٣) الحجة في وجوب صلاة الجمعة: محمد مقيم اليزدي ص٦٣

(٤) نهج البلاغة:خطبة٨٣

يطلب الامام (عليه السلام) من الناس ألاّ يتساهلوا مع أنفسهم بطلب الرخصة لعمل الحرام، ويخلقوا لها المعاذير، انجروا للدين ولا تجرجروا به اتباعا لشهواتكم، وان فعلوا ذلك ذهبت بهم الرخص مذاهب الظلمة حتى يظلموا الناس ويكونوا من الظالمين من حيث لا يشعرون فمن لا يكون عادلا فهو ظالم.

إذا في منهج أمير المؤمنين (عليه السلام) في القيادة وألإدارة عدم المداهنة وإظهار خلاف الواقع وخلاف ما يعتقدون، وعلة التحذير من المداهنة هي أنها تفتح الباب أمام الإنسان للهجوم على المعصية، فبمجرد أن يبدأ بالمداهنة حتى ينزلق في طريق المعاصي والابتعاد عن السياقات الصحيحة.

المسألة السابعة: الانصاف والعدل مع الرعية.

قوله (عليه السلام):

«أَنْصِفِ اللهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوًى مِنْ رَعِيَّتِكَ.... وَإِنَّ أَفْضَلَ قُرَّةِ عَيْنِ الْوُلَاةِ اسْتِقَامَةُ الْعَدْلِ فِي الْبِلَادِ وَظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ.... ثُمَّ اعْرِفْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا أَبْلَى وَلَا تَضُمَّنَّ بَلَاءَ امْرِئٍ إِلَى غَيْرِهِ وَلَا تُقَصِّرَنَّ بِهِ دُونَ غَايَةِ بَلَائِهِ وَلَا يَدْعُوَنَّكَ شَرَفُ امْرِئٍ إِلَى أَنْ تُعْظِمَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ صَغِيراً وَلَا ضَعَةُ امْرِئٍ إِلَى أَنْ تَسْتَصْغِرَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ عَظِيما»[1].

هذا المقطع من العهد الشريف يشير إلى مبدأ آخر من مبادئ الإدارة في المنظومة الإسلامية يسمى (الانصاف) حيث يشرف على مجموعة من السلوكيات والأفعال والأقوال العادلة , والذي يؤدي تطبيقه إلى زيادة روح الوفاء والولاء والإيثار والتضحية لدى الأفراد العاملين مما يحفزهم إلى تقديم الافضل.

(١) نهج البلاغة: ٥٣

الانصاف: أن تعطي من نفسك النصف أي تعطي لنفسك ما تستحق من الحق كما تأخذه وانتصفت منه، اخذت حقي كاملاً حتى صرت وهو على النصف سواء [1] يؤكد الإسلام على أن يحب المرء لأخيه ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لها. ولعل أروع تعبير عنه ما رواه صاحب البحار عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال:

«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) (لا يستكمل المرء الإيمان حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[2].

جاء أعرابي إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال يا رسول الله علمني عملا ادخل به الجنة فقال:

«ما أحببت أن يأتيه الناس إليك فأته إليهم وما كرهت ان يأتيه الناس إليك فلا تأته إليهم»[3].

والنكتة المهمة في هذا المقطع من العهد ان الامام (عليه السلام) يشير إلى ان على الإنسان أن ينصف نفسه قبل أن ينصف الاخرين فعندما يسيئ للأخرين وهذا معناه أنه قدم إساءة إلى نفسه قبل الاساءة إلى الاخرين أو حينما يجعل نفسه ميزانا وفق الاطر والاتجاهات الصحيحة تراه ينتصر لنفسه قبل أن ينتصر للأخرين.

(١) العين، الفراهيدي، ج٢، ص٤٠؛ كنز العمال: للمتقى الهندي ج٩ ص ٣٣٥

(٢) بحار الأنوار: ج ٦٩ ص ٢٥٧ ب ١١٤ ضمن ح ٢٠، وينظر فقه العولمة: السيد محمد الحسيني الشيرازي ص١٢٦

(٣) وسائل الشيعة (آل البيت): الحر العاملي الجزء: ١٥ ص٢٨٧

فالملاحظة المهمة التي نستحصلها من هذه النكتة أن الإنسان من خلال النظرية الإسلامية والعهد الشريف لا يستطيع العيش بمعزل عن الآخرين فإحسانه للأخرين هو إحسانه إلى نفسه أولا وبالذات وإساءته إلى الآخرين هو إساءته إلى نفسه قبل أن يكون مسيئا للآخرين ثانيا وبالعرض.

ثم يعد الامام (عليه السلام) الانصاف بمثابة العدل:

«**من كثر إنصافه تشاهدت النفوس بتعديله**»(١).

وعنه (عليه السلام): «**أعدل الناس من أنصف من ظلمه**»(٢).

وقال (عليه السلام)أيضاً:

«**الإنصاف من النفس كالعدل في الإمرة**»(٣).

والإمام الباقر (عليه السلام) يقول:

«**لا عدل كالإنصاف**»(٤).

ويقول الإمام الصادق (عليه السلام):

«**ليس من الإنصاف مطالبة الإخوان بالإنصاف**»(٥).

يقول (عليه السلام) مخاطبا عماله على الخراج في رسالة طويلة.

(١) غرر الحكم: ٨٣٩٤، ٨٤٠٨

(٢) المصدر نفسه: ١٤١٠، ٣١٨٦

(٣) المصدر نفسه: ١٩٥١، ٣٨٠٣.

(٤) بحار الانوار: ٧٨ / ١٦٥ / ١

(٥) المصدر نفسه: ٧٨ / ١٦٥؛ غرر الحكم: **٣٤٤١**؛ نهج البلاغة: الحكمة ٢٣١؛ أمالي الطوسي: ٢٨٠ / ٥٣٧

«مِنْ عَبْدِ اللهِ عَلِيّ أَمِيرِالْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَصْحَابِ الْخَرَاجِ: ... فَأَنْصِفُوا النَّاسَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ، وَاصْبِرُوا لِحَوَائِجِهِمْ، فَإِنَّكُمْ خُزَّانُ الرَّعِيَّةِ، وَوُكَلاَءُ الأُمَّةِ، وَسُفَرَاءُ الأَئِمَّةِ. وَلاَ تُحْسِمُوا أَحَداً عَنْ حَاجَتِهِ، وَلاَتَحْبِسُوهُ عَنْ طَلِبَتِهِ...»(١).

يوصي الامام (عليه السلام) عماله على الخراج برعاية العدل والانصاف والمحبة للناس عند أخذ الخراج منهم، ويشير أيضا هنا إلى ثلاث مناصب لعمال الخراج ويترتب عليها ثلاث مسؤوليات في المنظومة الإدارية.

١ـ أنهم (خُزَّانُ الرَّعِيَّةِ): باعتبار هذه الاموال التي في أيدي الدولة والتي أخذت من الشعب هي أموال الشعب والحاكم والمسؤول هو مؤتمن عليها فيجب ان تصرف بعدل وإنصاف على الشعب نفسه.

٢ـ أنهم (وَكَلاَءُ الأُمَّةِ) يصف الامام(عليه السلام) المسؤولين بأنهم وكلاء لهذه الامة أي انهم ممثلون عن الناس الذين وجب الحق عليهم في أخذ الحقوق منهم بشكل كامل.

٣ـ أنهم (سُفَرَاءُ الأَئِمَّةِ.) أي أنهم يمثلون الحاكم والمسؤول الاول في الدولة، وينبغي لهم أن يتخلقوا بأخلاق أئمتهم ويسلكوا مع الناس مسلك أئمتهم وأي تصرف ينعكس على الامام سواء كان حسنا أو سيئا فانطلاقا من هذه السفارة أن يكونوا حريصين على تحقيق الانصاف في تعاملهم مع الناس .

فيتحصل: إن الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) عندما يطلب من الوالي أن يكون منصفا، هذا معناه أن تقييمهُ من قبل الاخرين مرهون بعدم تعاطيه المطلق مع رغباته النفسية فيما يحب ويكره، هذا هو منهج أمير المؤمنين (عليه السلام)

(١) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، ج٣، ص ١٠٨، رسالة ٥١

وعدالته، فلقد كان منصفا في تعامله مع الناس فيعطينا درسا في كيفية تعامل المسؤول إداريا أن يكون منصفا وعادلا مع الناس لكي يحقق الاهداف المطلوبة في المنظومة الإدارية.

المسألة الثامنة: الانضباط والمساواة.

قوله (عليه السلام): «وَلَا يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَزْهِيداً لِأَهْلِ الْإِحْسَانِ فِي الْإِحْسَانِ وَتَدْرِيباً لِأَهْلِ الْإِسَاءَةِ عَلَى الْإِسَاءَةِ وَأَلْزِمْ كُلًّا مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ....فَمَنْ قَارَفَ حُكْرَةً بَعْدَ نَهْيِكَ إِيَّاهُ فَنَكِّلْ بِهِ وَعَاقِبْهُ فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ»[1].

يوصي الامام (عليه السلام) في هذا المقطع من العهد بعدة وصايا تعد أصلا من الاصول مهمة للإدارة الجيدة المنسجمة مع الرؤية الاسلامية القائمة على اساس العدل، والعدل هو وضع الشيء في موضعه، فيتعامل مع المحسن بما ينسجم مع إحسانه، ويتعامل مع المسيء بما ينسجم مع إساءته وبناء على هذا المبدأ فإن الادارة الصحيحة المنسجمة مع الاسلام هي الإدارة التي تفرق في نظرتها بين العامل الخادم والعامل الخائن، فتكافئ الخادم وتعاقب الخائن أولا، وثانيا أن يكون المعيار في تشجيع الافراد هو ما يقومون به من أعمال وما يترتب عليها من نتائج، فلو غيب عنصر الترغيب والترهيب في النظام وتمتع المحسن بذات الحقوق والامتيازات التي يحظى بها المسيء.

فإن الفرد الأول سيشعر بعد مدة بعدم وجود التقييم الصحيح لأعماله الحسنة من ثمَّ عدم جدوى السعي وبذل الجهد في هذا المجال، الامر الذي يؤدي إلى أن

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج١٧، ص٨٣.

يدب الضعف والوهن في أجهزة الدولة ثم انهيارها وزوالها، ولهذا يوصي الامام (عليه السلام) عامله بضرورة التفريق بين الفئتين [1].

فالمسؤول الناجح هو من يميز بين الأفراد في التعامل بين المحسن والمسيء في مدى الالتزام بالضوابط الإدارية وإطاعة الأوامر وتنفيذها وجعل سلوكهم مطابقاً لها، بما ينسجم مع الإحسان والإساءه، ومن هنا تظهر أهمية العدالة في التعامل مع من هو تحت إدارته وقيادته.

المسألة التاسعة: معايير تقييم العاملين في المنظومة الإدارية.

من هنا ينبغي لنا الإشارة إلى المعايير والأدوات الرئيسية لتقييم وتمييز وفرز العاملين في المنظومة الإدارية في الفهم الاسلامي:

أولاً: المعايير الأخلاقية.

من العوامل والادوات الاخلاقية التي من خلالها يتم تقييم وتمييز العاملين هو عامل التقوى والنزاهة وعامل الحياء والصدق، والورع والإيثار الانتصار لله سبحانه وتعالى الإنسان الذي يمتلك هذه الادوات، يخاف الله ويتقيد بالضوابط الشرعية، وغيره اعني بذلك الإنسان غير الملتزم الذي لا يمتلك من هذه الادوات أي شيء، ينظر إلى العمل على انه فرصة للتلاعب والاستحواذ على المناصب فينبغي للمسؤول ان يميز من خلال تقييمه بين كلا النوعين، لكي يبقي العمل بيد أمينه لا تمتد إلى الحرام.

(١) الدولة الاسلامية شرح لعهد الامام علي (عليه السلام) إلى مالك الاشتر النخعي: محمد الفاضل اللنكراني: ص١٠٢-١٠٣.

يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في عهده لمالك الأشتر (رضوان الله عليه) ضرورة التوخي والعمل بهذه الأدوات في المنظومة الإدارية.

«أَمَرَهُ بِتَقْوَى الله وَإِيْثَارِ طَاعَتِهِ» يسلط الضوء على عامل التقوى والايثار ثم يشدد على حسن اختيار أصحاب الاخلاق والسمعة الحسنة والتجربة والحياء واصحاب معرفة فيما تؤول اليه الامور (فإنهم أكرم أخلاقاً... وَتَوَخَّ مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجْرِبَةِ وَالْحَيَاءِ مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ وَالْقَدَمِ فِي الْإِسْلَامِ الْمُتَقَدِّمَةِ فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلَاقاً وَأَصَحُّ أَعْرَاضاً وَأَقَلُّ فِي الْمَطَامِعِ إِشْرَاقاً وَأَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ..... واصحاب سمعة حسنة في المجتمع (إِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي الله لَهُمْ عَلَى أَلْسُنِ عِبَادِهِ).

ثم يؤكد الامام (عليه السلام) على التمييز بين الاشخاص الذين يمتلكون حالة الورع والصدق والانتصار للحق والصبر عليه وبين من لا يمتلكها

(وَأَنْ يَنْصُرَ الله سُبْحَانَهُ بِقَلْبِهِ وَيَدِهِ وَلِسَانِهِ.... وَالْصَقْ بِأَهْلِ الْوَرَعِ وَالصِّدْقِ.... لُزُومِ الْحَقِّ وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ)

ثم أن الامام (عليه السلام) يطلب من المسؤولين أن تكون لديهم رقابة إدارية تستطيع التمييز بين العاملين وتقييمهم في مورد النزاهة والقدرة وعدم الوشاية والتحلي بالأخلاق الفاضلة (وَأَنْقَاهُمْ جَيْباً وَأَفْضَلَهُمْ حِلْماً مِمَّنْ يُبْطِئُ عَنِ الْغَضَبِ وَيَسْتَرِيحُ إِلَى الْعُذْرِ وَيَرْأَفُ بِالضُّعَفَاءِ وَيَنْبُو عَلَى الْأَقْوِيَاءِ وَمِمَّنْ لَا يُثِيرُهُ الْعُنْفُ وَلَا يَقْعُدُ بِهِ الضَّعْفُ... وان يكون قادرا على الإعانة ومواساة الآخرين. مَنْ وَاسَاهُمْ فِي مَعُونَتِهِ وَأَفْضَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ جِدَتِهِ بِمَا يَسَعُهُمْ وَيَسَعُ مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ خُلُوفِ أَهْلِيهِمْ حَتَّى يَكُونَ هَمُّهُمْ هَمّاً وَاحِداً فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ فَإِنَّ عَطْفَكَ عَلَيْهِمْ يَعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ.... وعدم الوشاية والنميمة.. وَلْيَكُنْ أَبْعَدَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ وَأَشْنَأَهُمْ عِنْدَكَ أَطْلَبُهُمْ لِمَعَايِبِ النَّاسِ)[1].

(١) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، ج٣، ص٩١، رسالة٥٣.

ثانياً: معيار الافضلية.

يؤكد الامام (عليه السلام) على عامل التفضيل بين الافراد في المنظومة الإدارية وفي مساحات العمل اليومي للعاملين، إذ يقول (عليه السلام):

«أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ مِمَّنْ لَا تَضِيقُ بِهِ الْأُمُورُ وَلَا تُمَحِّكُهُ الْخُصُومُ وَلَا يَتَمَادَى فِي الزَّلَّةِ وَلَا يَحْصَرُ مِنَ الْفَيْءِ إِلَى الْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ وَلَا تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ وَلَا يَكْتَفِي بِأَدْنَى فَهْمٍ دُونَ أَقْصَاهُ وَأَوْقَفَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ وَآخَذَهُمْ بِالْحُجَجِ وَأَقَلَّهُمْ تَبَرُّماً بِمُرَاجَعَةِ الْخَصْمِ وَأَصْبَرَهُمْ عَلَى تَكَشُّفِ الْأُمُورِ وَأَصْرَمَهُمْ عِنْدَ اتِّضَاحِ الْحُكْمِ مِمَّنْ لَا يَزْدَهِيهِ إِطْرَاءٌ وَلَا يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءٌ»[1].

ثالثاً: معيار الكفاءة والامانة والعلم والابداع والتواضع وحب الصالحين وبغض الظالمين.

يشير الامام (عليه السلام) إلى أدوات وعوامل آخر ى لتقييم الافراد العاملين في المنظومة الإدارية والتأكيد عليها، يقول (عليه السلام):

«ثُمَّ انْظُرْ فِي حَالِ كُتَّابِكَ فَوَلِّ عَلَى أُمُورِكَ خَيْرَهُمْ وَاخْصُصْ رَسَائِلَكَ الَّتِي تُدْخِلُ فِيهَا مَكَايِدَكَ وَأَسْرَارَكَ بِأَجْمَعِهِمْ لِوُجُوهِ صَالِحِ الْأَخْلَاقِ مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ الْكَرَامَةُ فَيَجْتَرِئَ بِهَا عَلَيْكَ فِي خِلَافٍ لَكَ بِحَضْرَةِ مَلَإٍ وَلَا تَقْصُرُ بِهِ الْغَفْلَةُ عَنْ إِيرَادِ مُكَاتَبَاتِ عُمَّالِكَ عَلَيْكَ وَإِصْدَارِ جَوَابَاتِهَا عَلَى الصَّوَابِ عَنْكَ فِيمَا يَأْخُذُ لَكَ وَيُعْطِي مِنْكَ وَلَا يُضْعِفُ عَقْداً اعْتَقَدَهُ لَكَ وَلَا يَعْجِزُ عَنْ إِطْلَاقِ مَا عُقِدَ عَلَيْكَ وَلَا يَجْهَلُ مَبْلَغَ قَدْرِ نَفْسِهِ فِي الْأُمُورِ فَإِنَّ..... الْجَاهِلَ بِقَدْرِ نَفْسِهِ يَكُونُ بِقَدْرِ غَيْرِهِ أَجْهَلَ ثُمَّ لَا يَكُنِ اخْتِيَارُكَ إِيَّاهُمْ عَلَى فِرَاسَتِكَ وَاسْتِنَامَتِكَ وَحُسْنِ الظَّنِّ..... وَلَكِنِ اخْتَبِرْهُمْ بِمَا وُلُّوا لِلصَّالِحِينَ قَبْلَكَ فَاعْمِدْ، لِأَحْسَنِهِمْ

(١) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، ج٣، ص٩١، رسالة٥٣.

كَانَ فِي الْعَامَّةِ أَثَراً وَأَعْرَفِهِمْ بِالْأَمَانَةِ وَجْهاً فَإِنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى نَصِيحَتِكَ للهِ وَلِمَنْ وُلِّيتَ أَمْرَهُ»[1].

رابعاً: معيار المعرفة والاختيار وتوزيع الأعمال.

يوصي الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام) مالكا (رضوان الله عليه) بعدم الاعتماد على المعرفة الشخصية في أثناء تقييم العاملين في المنظومة الإدارية، واعتمادها كعنصر أساسي في العمل، قوله (عليه السلام):

«ثُمَّ لَا يَكُنِ اخْتِيَارُكَ إِيَّاهُمْ عَلَى فِرَاسَتِكَ وَاسْتِنَامَتِكَ وَحُسْنِ الظَّنِّ مِنْكَ فَإِنَّ الرِّجَالَ يَتَعَرَّضُونَ لِفِرَاسَاتِ الْوُلَاةِ بِتَصَنُّعِهِمْ وَحُسْنِ خِدْمَتِهِمْ وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ النَّصِيحَةِ وَالْأَمَانَةِ شَيْءٌ وَلَكِنِ اخْتَبِرْهُمْ بِمَا وُلُّوا لِلصَّالِحِينَ قَبْلَكَ فَاعْمِدْ لِأَحْسَنِهِمْ كَانَ فِي الْعَامَّةِ أَثَراً وَأَعْرَفِهِمْ بِالْأَمَانَةِ وَجْهاً فَإِنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى نَصِيحَتِكَ للهِ وَلِمَنْ وُلِّيتَ أَمْرَهُ...».

ثم يستعرض (عليه السلام) طريقة تقييم توزيع الاعمال، فيقول:

«وَاجْعَلْ لِرَأْسِ كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِكَ رَأْساً مِنْهُمْ لَا يَقْهَرُهُ كَبِيرُهَا وَلَا يَتَشَتَّتُ عَلَيْهِ كَثِيرُهَا وَمَهْمَا كَانَ فِي كُتَّابِكَ مِنْ عَيْبٍ فَتَغَابَيْتَ عَنْهُ أُلْزِمْتَهُ»[2].

المسألة العاشرة: الرقابة والتحكيم والتقويم.

قوله (عليه السلام): «ثُمَّ تَفَقَّدْ أَعْمَالَهُمْ وَابْعَثِ الْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالْوَفَاءِ عَلَيْهِمْ..... وَتَفَقَّدْ أُمُورَهُمْ بِحَضْرَتِكَ وَفِي حَوَاشِي بِلَادِكَ وَاعْلَمْ مَعَ ذَلِكَ أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ ضِيقاً فَاحِشاً وَشُحّاً قَبِيحاً وَاحْتِكَاراً لِلْمَنَافِعِ وَتَحَكُّماً فِي

(١) المصدر نفسه ص ١٢.

(٢) المصدر السابق نفسهص ١٢.

الْبِيَاعَاتِ وَذَلِكَ بَابُ مَضَرَّةٍ لِلْعَامَّةِ وَعَيْبٌ عَلَى الْوُلَاةِ..... وَتَفَقَّدْ أُمُورَ مَنْ لَا يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ الْعُيُونُ وَتَحْقِرُهُ الرِّجَالُ فَفَرِّغْ لِأُولَئِكَ ثِقَتَكَ مِنْ أَهْلِ الْخَشْيَةِ وَالتَّوَاضُعِ فَلْيَرْفَعْ إِلَيْكَ أُمُورَهُمْ.... ثُمَّ أَكْثِرْ تَعَاهُدَ قَضَائِهِ..... وَتَفَقَّدْ أَمْرَ الْخَرَاجِ بِمَا يُصْلِحُ أَهْلَهُ فَإِنَّ فِي صَلَاحِهِ وَصَلَاحِهِمْ صَلَاحاً لِمَنْ سِوَاهُمْ وَلَا صَلَاحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ إِلَّا بِهِمْ»[1].

توضيح: الرقابة لغة: رقب في أسماء الله تعالى: الرقيب: هو الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء، وفي الحديث: ارقبوا محمدا في أهل بيته، أي احفظوه فيهم، ورقبت الإنسان، رقبه ورقباناً، وهو أن ينظره الرقيب والحارص والحافظ والامين[2].

أما في الاصطلاح فتعني عملية التحقق من مدى انجاز الأهداف المرجوة، والكشف عن الصعوبات في تحقيق هذه الأهداف، والعمل على إزالتها في اقصر وقت ممكن[3].

التقويم: حكم العقل والنظرة العميقة على الاشياء من خلال تقدير وتحكيم نتائج الأمور وتفحصها.

يتناول الامام (عليه السلام) في هذه المقاطع من العهد الشريف عناصر ثلاث أساسية في المنظومة الإدارية، ينبغي توفرها في كل من يتصدى للمسؤولية الإدارية،

(١) المصدر نفسه ص١٢.

(٢) لسان العرب، ابن منظور ج١، ص٤٢٤، المحيط في اللغة، ابن عباد، ج١، ص٤٧٥.

(٣) الرقابة على السلع والأسعار في الفقه الإسلامي: ظاهر فريدة حسين طه رسالة ماجستير (نابلس، جامعة النجاح، ٢٠١١م)، ص٣.

يتم من خلالها اكتشاف مواطن الاختلاف في نتائج العمل، ويجب الاستفادة من هذه النتائج لغرض تحسين أساليب الإدارة بشكل أفضل والاشراف على برامج وخطط العمل وتشخيص موارد الانحراف في أثناء ضهورها والعمل على إيجاد الطرق الكفيلة لإصلاحها.

المسألة الحادية عشر: التحفيز.

قوله (عليه السلام): «وَأَلْزِمِ الْحَقَّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ وَكُنْ فِي ذَلِكَ صَابِراً مُحْتَسِباً وَاقِعاً ذَلِكَ مِنْ قَرَابَتِكَ وَخَاصَّتِكَ حَيْثُ وَقَعَ..... فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ»[1].

يتناول الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا المقطع من العهد الشريف لمالك الاشتر (رضوان الله عليه) عنصرا آخر من عناصر مبادئ الادارة في المنظومة الإدارية، وهو عنصر التحفيز.

والتحفيز لغة: حفزه حفزاً، دفعه من خلفه بالسَوق أو غيره يقال حفزت القوس السهم والليل يحفز النهار ويقال حفزه الى الأمر حثه عليه وحفز عليهم الخيل والركاب ارسلوها وفلاناً بالرمح طعنه وهو حافز وهي حافزة[2].

التحفيز: هو العملية التي تسمح بدفع الأفراد وتحريكهم من خلال دوافع معينة نحو سلوك معين أو بذل مجهودات معينة قصد تحقيق هدف[3].

ويتضح أن التحفيز يدل على تلك العوامل الخارجية التي تدفع الفرد إلى الحركة والقيام بعمل ما.

(١) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، ج٣، ص٩٦. رسالة ٥٣ .

(٢) المعجم الوسيط، النجار، ج١، ص٣٨٤. مادة حفز.

(٣) اسرار القيادة عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام): جميل كمال: ص٦٩ .

ومن الآيات القرآنية التي تستخدم اسلوب التحفيز ما ورد في قوله تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾(١).

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا* يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾(٢).

ومن كلام له (عليه السلام) في التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة واستنهاض النفوس وتذكيرها بما ستؤول إليه.

(أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا الدُّنْيَا دارُ مَجَاز، وَالاْخِرَةُ دَارُ قَرَار، فَخُذُوا مِنْ مَمَرِّكُمْ لِمَقَرِّكُمْ، وَلاَ تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُم، وَأَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ، فَفِيهَا اخْتُبِرْتُمْ، ولِغَيْرِهَا خُلِقْتُمْ. إِنَّ الْمَرْءَ إِذَا هَلَكَ قَالَ النَّاسُ: مَا تَرَكَ؟ وَقَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ: مَا قَدَّمَ؟ لله آبَاؤُكُمْ! فَقَدِّمُوا بَعْضَاً يَكُنْ لَكُمْ قَرْضاً، وَلاَ تُخَلِّفُوا كُلاًّ فَيَكُونَ عَلَيْكُمْ)(٣)

يشير الإمام (عليه السلام) في بداية الخطبة إلى مسألة مهمة بشأن حقيقة الدنيا والآخرة (أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا الدُّنْيَا دارُ مَجَاز، وَالاْخِرَةُ دَارُ قَرَار، فَخُذُوا مِنْ مَمَرِّكُمْ لِمَقَرِّكُمْ)، يعدّ الامام (عليه السلام) مصدر شقاء الإنسان هو الغفلة عن الآخرة والركون إلى الدنيا واعتبارها دار مقر، فينهمك بجمع المال والثروة وينصرف ذهنه عن الآخرة التي هي دار السعادة.

(١) الاعراف: ٩٦ .

(٢) نوح: ١٠-١١-١٢ .

(٣) نهج البلاغة: خطب الإمام علي عليه السلام، ج٢، ص١٨٣، خطبة ٢٠٣: وينظر أمالي الصدوق: مجلس ٢٣.

ويعبر الإمام (عليه السلام) عن هذه الحقيقة بعدة تعابير، منها انه (عليه السلام) يعد الدنيا قنطرة (إنما الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها.)[1] وكذلك (متجر اولياء الله.)[2]

(فإنه من زرع يحصد، ومن لم يزرع فهو محتاج فليتفكر في أمر الآخرة فإن الدنيا مزرعة الآخرة)[3]، وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) في بعض خطبه: ((أيّها الناس! إنّ الدنيا دار فناء والآخرة دار بقاء، فخذوا من ممرّكم لمقرّكم، ولا تهتكوا أستاركم عند من لا يخفى عليه أسراركم، وأخرجوا من الدنيا قلوبكم من قبل تخرج منها أبدانكم)[4].

(تجهزوا رحمكم الله فقد نودي فيكم بالرحيل. وأقلوا العرجة على الدنيا، وانقلبوا بصالح ما بحضرتكم من الزاد فإن أمامكم عقبة كؤودا، ومنازل مخوفة مهولة لا بد من الورود عليها والوقوف عندها)[5].

ويستمر الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في التحفيز والتشويق إلى الآخرة، فقد ورد في الحديث عنه (عليه السلام): في الموثق كالصحيح، عن عبد الله بن مسكان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير - المؤمنين عليه السلام: ما من عبد إلا وعليه أربعون جنة حتى يعمل أربعين كبيرة فإذا عمل أربعين كبيرة انكشفت عنه الجنن فيوحي الله إليهم أن استروا عبدي بأجنحتكم فتستره الملائكة

(١) الخصال: الشيخ الصدوق:ص٦٥

(٢) مفردات نهج البلاغة: السيد علي اكبر القرشي، ج٢، ص١١٢٦، حكمة ١٣١.

(٣) روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه: محمد تقي المجلسي (الأول) ج٣ ص١٢

(٤) موسوعة الإمام العسكري (عليه السلام): مؤسسة ولي العصر (عجل الله تعالى فرجه) للدراسات الإسلامية، ج٤، ص٣٠٣؛ نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، ج٢، ص١٨٤.

(٥) نهج البلاغة: خطب الإمام علي (عليه السلام) ج٢، ص١٨٣.

بأجنحتها قال: فما يدل شيئا من القبيح إلا قارفه حتى يقدح (أو يمتدح) إلى الناس بفعله القبيح فيقول الملائكة: يا رب هذا عبدك ما يدع نهيا إلا ركبه وإنا لنستحيي مما يصنع فيوحي الله عز وجل إليهم أن ارفعوا أجنحتكم عنه، فإذا فعل ذلك أخذ في بغضنا أهل البيت فعند ذلك ينتهك ستره في السماء وستره في الأرض فيقول الملائكة: يا رب هذا عبدك قد بقي مهتوك الستر فيوحي الله عز وجل إليهم لو كانت لله فيه حاجة ما أمركم أن ترفعوا أجنحتكم عنه[1].

إذا على المسؤول الاداري في المنظومة الادارية ان يهتم بعنصر التحفيز من اجل تحقيق الاهداف والارتقاء بالمستوى الروحي للأفراد فيكون عنصرا هادفا ومقتدرا في البناء وتطوير الذات.

المسألة الثانية عشر: تغليب المصالح العامة على المصالح الشخصية (الأرستقراطية).

قوله (عليه السلام) «وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ وَأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَى الْخَاصَّةِ وَإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ.... وَإِيَّاكَ وَالِاسْتِئْثَارَ بِمَا النَّاسُ فِيهِ أُسْوَةٌ وَالتَّغَابِيَ عَمَّا تُعْنَى بِهِ مِمَّا قَدْ وَضَحَ لِلْعُيُونِ فَإِنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنْكَ لِغَيْرِكَ وَعَمَّا قَلِيلٍ تَنْكَشِفُ عَنْكَ أَغْطِيَةُ الْأُمُورِ وَيُنْتَصَفُ مِنْكَ لِلْمَظْلُومِ»[2].

يتحدث الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا المقطع من العهد الشريف، عن محورية العلاقة بين الامة والقائد في المنظومة الادارية.

(١) روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه: محمد تقي المجلسي (الأول) ج٩، ص٢٦٦: وينظر أصول الكافي، باب الكبائر، خبر ٩ من كتاب الايمان والكفر وزاد ورواه ابن فضال عن ابن مسكان، الوافي الفيض الكاشاني، ج٥، ص١١٢.

(٢) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، ج٣، ص٨٦.

يجب ان لا يكون الهدف هو ارضاء السلطة الحاكمة وما يسمى بالطبقة الارستقراطية اصحاب المصالح الخاصة بل ينبغي ان يكون الهدف هو خدمة الناس وما تريده الامة الأرستقراطية طبقة اجتماعية عالية كانت تشمل قادة الحكم في الدولة او الامة يدّعي اعضاؤها انهم أرفع منزلة من غيرهم من الناس في المجتمع بسبب صلاتهم الأسرية ومكانتهم الاجتماعية وثرواتهم وقدراتهم[1].

ينقسم المجتمع وفق النظرية الارستقراطية إلى طبقتين من الناس:

١ـ طبقة الأقلية .

٢ـ طبقة الأكثرية .

الطبقة الأولى (الأقلية) :

هذه الطبقة العالية من الناس والتي تشكل بمفردها قادة الحكم في الامة ممن يدعون المكانة والنبل والقدرة والثراء والمكانة الاجتماعية البارزة في المجتمع، أصحاب البذخ والترف الذين يثقلون كاهل الحاكم كل يوم من خلال الضغوط التي يتعرض لها الوالي أو الحاكم.

الطبقة الثانية (الأكثرية) :

هذه الطبقة التي تشكل العدد الأكبر في المجتمع، أي عامة الناس غالبا ما يتمتعون بالإمكانيات القليلة. ويكتفون بالمقدار المتواضع من المأكل والملبس والمشرب ومن البديهي أن تكون حركة الحاكم على ضوء هذا التقسيم لصالح عامة الناس، مما يحقق ضمان مصالحهم وتحقيق أهدافهم وتطلعاتهم.

(١) الموسوعة العربية العالمية، ج١، ص١.

تحدث الامام (عليه السلام) عن هاتين الطبقتين من الناس في عهده لمالك (رضوان الله عليه) بقوله(وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِي مَئُونَةً فِي الرَّخَاءِ وَأَقَلَّ مَعُونَةً لَهُ فِي الْبَلَاءِ وَأَكْرَهَ لِلْإِنْصَافِ وَأَسْأَلَ بِالْإِلْحَافِ وَأَقَلَّ شُكْراً عِنْدَ الْإِعْطَاءِ وَأَبْطَأَ عُذْراً عِنْدَ الْمَنْعِ وَأَضْعَفَ صَبْراً عِنْدَ مُلِمَّاتِ الدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ[1].

المسألة الثالثة عشر: معايير نجاح المنظومة الادارية.

قال الإمام علي عليه السلام: (وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ، وَأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ، وأَجْمَعُهَا لِرِضَا الرَّعِيَّةِ)[2].

يشير الامام (عليه السلام) من خلال هذا المقطع إلى معايير ثلاث ناجحة في المنظومة الادارية.

أولاً: حالة الاعتدال والوسطية.

ليس المراد من مراعاة الحق والعدل هو قيام المدينة الفاضلة في عالم الاذهان وهذا ما يؤدي بدوره إلى تحجيم القرارات العملية والدفع بالحاكم إلى المثالية، ولذلك يحث الإمام (عليه السلام) الحاكم بقوله (أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ) إلى الأخذ بنظر الاعتبار الواقع والامكانيات المتاحة في المجتمع وعليه فهو يوصي الوالي والحاكم بمراعاة كل ما من شأنه التقرب من الحق، وعدم التهرب من المسؤولية بذريعة تعذر إقامة الحق بكل ما لهذه الكلمة من معنى[3].

(١) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، ج٣، ص٨٦، رسالة ٥٣.

(٢) المصدر نفسه ص ٨٦.

(٣) الدولة الاسلامية شرح لعهد الامام علي (عليه السلام) إلى مالك الاشتر النخعي: محمد الفاضل اللنكراني: ص٨٦

إن المهم هو تحقيق رضا الغالبية الساحقة من الناس لا الأقلية من أصحاب الثروة من الانتهازيين الذين يعيشون في بلاط الحاكم أو السلطان، ويقول الإمام (عليه السلام):

«فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَى الْخَاصَّةِ وَإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ»[1].

يجب مراعاة العدل في تمشية الامور وإن كان يوجب سخط الخاصة من أرباب النفوذ وأصحاب المقامات السامية، لأن غضب عامة الرعية وعدم رضاهم عن وضعهم يوجب الثورة والبلوى، ولايقدر الخاصة مهما كانوا مخلصين للحكومة وجادين في نصرته المقاومة مقابل سيول الثائرين وأهل البلوى، كما حدث في زمان عثمان، حيث إن سوء سياسته وعدم تأديته الحقوق العامة صار سببا لنقمة عامة الجيش الاسلامي، فانحازوا من مصر والكوفة واجتمعوا في المدينة وحصروا عثمان ولم يقدر خاصته كمروان بن الحكم وسائر رجال بني أمية مع كمال نفوذهم ودهائهم أن يصدوا سيل الثائرين والمهاجمين حتى قتل عثمان في داره وألقي بجسده إلى البقيع وتبعه ما تبعه من الحوادث الهامة [2].

إذن ينبغي على المسؤول في المنظومة الإدارية الناجحة أن يتخذ أسلوب الوسطية في مجمل أدائه من خلال تقدير ظروف وقدرات الناس المسؤول عنهم، فعندما يريد أن يصدر أوامره لابد أن تكون هذه الأوامر منسجمة مع الحالة الوسطية وخالية من حالة الإفراط والمبالغة. وهذا هو منهج الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) في ترسيخ أسس الاعتدال والوسطية في قلوب وأذهان الناس.

(١) نفحات الولاية شرح نهج البلاغة: ناصر مكارم الشيرازي: ج١٠: ص٣٢٠

(٢) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ميرزا حبيب الله الخوئي: ج٢٠: ص ١٦٤

ثانياً: العدالة والمساواة.

يطلب الامام (عليه السلام) في وصيته لمالك (رضوان الله عليه) التعامل بالعدل مع الجميع، فلا يكفي أن يكون عادلا مع البعض وغير عادلٍ مع البعض الآخر اي عدم استثناء أحد في خصوص العدالة.

يعدّ العدل من الخصائص الاسلامية والقيم الانسانية العليا في المنظومة الإدارية المتمثلة بالإدارة المثلى للرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمير المؤمنين (عليه السلام) بحكم القرآن الكريم «**وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ**»(١).

وسئل الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) (أيما أفضل العدل أو الجود) فقال عليه السلام:

«**العدل يضع الأمور مواضعها، والجود يخرجها من جهتها. والعدل سائس عام، والجود عارض خاص. فالعدل أشرفهما وأفضلهما**»(٢).

وعنه (عليه السلام):

«**من كمال السعادة السعي في صلاح الجمهور**»(٣).

فاذا أردنا ان نبني مجتمعا صالحا وفق النظرية الاسلامية ومنهج علي (عليه السلام) علينا ان نشعر الجميع بحقوق المواطنة الصالحة ومن هذه الحقوق العدل.

(١) الشورى: ١٥

(٢) نهج البلاغة: خطب الإمام علي (عليه السلام) ج٤ ص١٠٢ حكمة ٤٣٧

(٣) عيون الحكم والمواعظ: علي بن محمد الليثي الواسطي، ص٤٦٩: حكمة ٣٠

ثالثاً: رضا الناس.

يشير الامام (عليه السلام) إلى مسألة أخرى في تغليب المصالح العامة على المصالح الخاصة في المنظومة الإدارية وهو رضا الناس، ولا يتحدث الامام (عليه السلام) عن رضا الناس بأجمعهم، لأن رضاهم غاية لا تدرك، ولا تتيسر لكل احد، فحتى الانبياء والاوصياء لم يستطيعوا أن يحققوا رضا عامة الناس، لكن يعتبر الامام (عليه السلام) إرادة الأمة لها السبق على إرادة الحكومة، مما يدعو لأن تكون المالكية الشرعية للدولة هو الشعب (الأمة) وتكون الحكومة في خدمة الشعب وملبية لمطالبه ومحققه لطموحاته، من خلال معالجة مشاكله وأزماته.

وتأييدا لذلك في خصوص ما نحن فيه ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) في بيان كيفية معالجة آراء الناس وتحقيق رضاهم قال (عليه السلام) في مورد رفضه البيعة:

«دَعُونِي وَالْتَمِسُوا غَيْرِي فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْراً لَهُ وُجُوهٌ وَ أَلْوَانٌ لَا تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ وَ لَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ وَ إِنَّ الْآفَاقَ قَدْ أَغَامَتْ وَالْمَحَجَّةَ قَدْ تَنَكَّرَتْ. وَ اعْلَمُوا أَنِّي إِنْ أَجَبْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ وَ لَمْ أُصْغِ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ وَ عَتْبِ الْعَاتِبِ وَ إِنْ تَرَكْتُمُونِي فَأَنَا كَأَحَدِكُمْ وَ لَعَلِّي أَسْمَعُكُمْ وَأَطْوَعُكُمْ لِمَنْ وَلَّيْتُمُوهُ أَمْرَكُمْ وَ أَنَا لَكُمْ وَزِيراً خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي أَمِيراً»[1].

سلط الامام (عليه السلام) الضوء على حقيقة البيعة وأحقيتها وما جرى من ظلم في اغتصاب الخلافة، يريد الامام (عليه السلام) ان يبين للناس أنهم على دين ملوكهم.

(١) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، ج١، ص١٨١، خطبة٩٢.

فعندما يتحدث (عليه السلام) ويقول «**دَعُونِي وَالْتَمِسُوا غَيْرِي فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْراً لَهُ وُجُوهٌ وَ أَلْوَانٌ لَا تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ وَ لَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ**» فإنه يشير إلى الناس بأنكم التمستم غيري بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقلتم بخلافة أبي بكر، ثم خلافة عمر، ثم خلافة عثمان مع علمكم بأني احق بها فأنا لا ارتضي الخلافة بهذه الشروط وفي حقها قال: دعوني والتمسوا غيري. وأمّا الخلافة الإلهية الّتي وردت من خلال النصوص الشرعية الكثيرة فهي غنية عن البيعة، غير خاضعة لإقبال الناس وإدبارهم. وليست الناس أمامها سواء، بل تختص بمن خصه سبحانه بها، وليس لمن خصَّه، فالخلافة الّتي ينحلها الناس عن طريق البيعة، فالإمام وغيره أمامها سواء، لا تؤدي إلى النجاح في المهمة الشرعية ثم إن الامام (عليه السلام) لم يترك هذا الكلام بدون تعليل وبيان العلل التي دعته إلى الرفض قال (عليه السلام):

«**فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْراً لَهُ وُجُوهٌ وَ أَلْوَانٌ لَا تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ وَ لَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ**».

يقول (عليه السلام) للناس نحن في ميدان ومعترك فيه اختلافات والتباسات وبدع حادثة تخلفت من جراء غصب الخلافة من قبل الخلفاء الماضين، وقد سرتم بسيرتهم وتابعتم طرقهم وسلوكياتهم في الحكم في توزيع الاموال التي كانت خلاف السنة النبوية، فلا تستطيعون بهذه الصورة ان تنسجموا مع الرؤية الحقة.

يريد الامام (عليه السلام) ان يقول للناس إن تحقيق العدالة أمر صعب في حد نفسها واجرائها فمن لم يذق طعمها أصعب وأشكل، فإن قلب المنافق بمعزل عن القيام بالحق وعقله بعيد عن إدراك الحقائق والفضائل الانسانية [1]

ثم يبدأ في بيان الصفات المترتبة على هذه البيعة بهذا الشكل.

(١) مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة: محمد تقي النقوي: ج٨: ص٢٦٠

الصفة الاولى: «وَلَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ».

هنا يتحدث الامام (عليه السلام) عن اختلاف المواقف والمبادئ والثوابت التي يتحرك من خلالها الناس، البعض يتحرك وفق المصالح الشخصية، فتختلف رؤية علي (عليه السلام) مع مصالح الناس.

الصفة الثانية: «لَا تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ»

يشير الإمام (عليه السلام) إلى حقيقة وجوهر القلوب، عندما تكون المعايير معايير حقة، تختلف قلوب الناس في اقبال الحق ورفضه، فلا تنسجم مع النهج الذي يقدمه علي (عليه السلام)، فقالوا: ننشدك الله ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى الاسلام؟ ألا ترى الفتنة ألا تخاف الله؟ فقال: قد أجبتكم واعلموا أني إن أجبتكم أركب بكم ما أعلم فإن تركتموني فإنما أنا كأحدكم إلا أني من أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه. ثم افترقوا على ذلك واتعدوا الغد.[1]

يتوقع الناس إن الامام (عليه السلام) يتحجج كما يتحجج البعض حينما يستغلون المواقف في اثناء غياب البديل، فيرفعون سقف شروطهم لأجل الحصول على المزيد من الامتيازات والحقوق.

فقال لهم (عليه السلام) قد أجبتكم ولم أكن متنصلا عنكم، ولكن الذي أراه فيكم صعب التعامل لأنكم لم تلتزموا بمنهجي فنفترق فيما بيننا واعلموا أني إن أجبتكم أركب بكم ما أعلم فإن تركتموني فإنما أنا كأحدكم إلا أني من أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه. ثم افترقوا على ذلك واتعدوا الغد.

(١) بحار الأنوار: العلامة المجلسي الجزء: ٣٢ ص٨.

فيتحصل: إن الامام (عليه السلام) كان ينتمي إلى مدرسة تملي عليه القيام بالمسؤولية واحياء الدين ومفاهيمه السامية وتعاليمه الحقة وأن يسير في الناس بما يعلم وإن تعارضت أهدافه مع أهداف الناس ولا يأبه بعتب العاتب وإن كلف ذلك حياته، لأن رضا الناس غاية لا تدرك، ورضا الله غاية لا تترك.

المسألة الرابعة عشر: المركزية في القرار.

قوله (عليه السلام) «ثُمَّ أُمُورٌ مِنْ أُمُورِكَ لَا بُدَّ لَكَ مِنْ مُبَاشَرَتِهَا مِنْهَا إِجَابَةُ عُمَّالِكَ بِمَا يَعْيَا عَنْهُ كُتَّابُكَ وَمِنْهَا إِصْدَارُ حَاجَاتِ النَّاسِ يَوْمَ وُرُودِهَا عَلَيْكَ بِمَا تَحْرَجُ بِهِ صُدُورُ أَعْوَانِكَ»[1].

يتحدث الامام (عليه السلام) في هذا المقطع الشريف من العهد حول السلطة التنفيذية المتمثلة بالمسؤولين والعاملين في المنظومة الإدارية الذين تفوض لهم الاعمال ومباشرتها بأنفسهم، يلزم على المسؤول فيما بينه وبين العاملين معه، أن يتصدى بنفسه إجابات العمال، ومن الواضح أن كبار المسؤولين لا يتمكنون من القيام بكافة مهامهم فيضطرون لتفويض بعض مساعديهم ومستشاريهم للقيام بها، ولكي يستطيع المسؤول ممارسة إشرافه على سير مهام مساعديه، فإن عليه أن يفرق بين الاعمال ذات الأولوية عن تلك الثانوية غير الضرورية، فيباشر الأعمال ذات الاولوية على نحو يعين لها أوقاتها بالسرعة والدقة بالاستعانة بمساعديه في سائر الاعمال فلا يؤجل عمل اليوم إلى غدٍ[2].

(١) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، ج٣، ص١٠٣، رسالة ٥٣.

(٢) الدولة الاسلامية شرح لعهد الامام علي (عليه السلام) إلى مالك الاشتر النخعي: محمد الفاضل اللنكراني: ص١٤٦.

المسألة الخامسة عشر: ستر العيوب.

قوله (عليه السلام) «وَلْيَكُنْ أَبْعَدَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ وَأَشْنَأَهُمْ عِنْدَكَ أَطْلَبُهُمْ لِمَعَايِبِ النَّاسِ، فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوباً الْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا فَلَا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ وَاللهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ فَاسْتُرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَطَعْتَ يَسْتُرِ اللهُ مِنْكَ مَا تُحِبُّ سَتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ أَطْلِقْ عَنِ النَّاسِ عُقْدَةَ كُلِّ حِقْدٍ، وَاقْطَعْ عَنْكَ سَبَبَ كُلِّ وِتْرٍ وَتَغَابَ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَضِحُ لَكَ»[1].

يتحدث الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا المقطع من العهد الشريف لمالك الاشتر (رضوان الله عليه) عن سمات الاشخاص الواجب إبعادهم عن المنظومة الادارية، في مجملهم هؤلاء يشكلون خطرا على سمعة القرار الذي يصدر من المسؤول الإداري، ويشير الامام (عليه السلام) إلى صنفين من هؤلاء الناس، الصنف الأول الانتهازيون المتتبعون لعيوب الناس ونقاط الضعف والقصور فيهم وهم من يسمى؛ (النمامين والوشاة)، والصنف الثاني ما يسمى بالسعاة في الناس عند السلاطين، و الامام (عليه السلام) يشير إلى صفة رذيلة من الرذائل الخلقية والتي أعدّها الاسلام من أقبح الرذائل وهو النميمة والوشاية، ما هو المراد من النميمة والوشاية؟

(نميمة: (اسم) الجمع: نَمائمُ) النَّميمَة: وشاية، نقل الحديث على وجه الإفساد والوقيعة بين النَّاس وقيل: تَزْيينُ الكلام بالكذب. من نمَّ يَنِمُّ ويَنُمُّ، فهو نَمومٌ ونَمَّامٌ ومِنَمٌّ، ونَمٌّ، من قَوْمٍ نَمِّينَ وأنِمَّاءَ ونُمٍّ، وهي نَمَّةٌ، ويقال للنَّمَّام القَتَّاتُ، ونَمَّامٌ مُبَالَغَةٌ، والاسمُ النَّمِيمَة، وأصل هذه المادة يدلُّ على إظهار شيء وإبرازه[2].

(١) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، ج٣، ص٨٧، رسالة٥٣.

(٢) القاموس المحيط للفيروز آبادي، ج١، ص١٥٠٣؛ وينظر لسان العرب:ج١٢: ص ٥٩٢، (نم)

النميمة تطلق في الأكثر على أن ينم قول الغير إلى المقول فيه، كأن يقال: فلان تكلم فيك بكذا وكذا، أو فعل فيك كذا وكذا. وعلى هذا تكون نوعا خاصاً من افشاء السر وهتك الستر، وهو الذي يتضمن فساداً أو سعاية. وقد تطلق على مالا يختص بالمقول فيه، بل على كشف ما يكره كشفه، سواء كره المنقول عنه أو المنقول إليه أو كرهه ثالث، وسواء كان الكشف بالقول أو الكتابه أو بالرمز والإيماء، وسواء كان المنقول من الأعمال أو من الأقوال، وسواء كان ذلك عيباً ونقصانا على المنقول عنه أو لم يكن، وعلى هذا يكون مساوياً الإفشاء السر وهتك الستر وحينئذ فكل ما يرى من أحوال الناس ولم يرضوا بإفشائه، فإذاعته نميمة فاللازم على كل مسلم أن يسكت عما يطّلع عليه من أحوال غيره، إلا إذا كان في حكايته نفع لمسلم أو دفع لمعصية. كما إذا رأى أحداً يتناول مال غيره، فعليه أن يشهد به مراعاة لحق المشهود له، وأما إذا رآه يخفي مالا لنفسه، فحكايته نميمة وافشاء للسر[1].

قال رسول الله (صلى عليه وآله وسلم) لأصحابه:

«ألا أنبئكم بشراركم قالوا بلى يا رسول الله قال المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الأحبة الباغون للبراء العيب»[2].

عن ابن مسعود قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

«لا يبلغني أحد منكم عن أصحابي شيئا، فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر»[3].

(١) جامع السعادات: للنراقي: ج٢: ص٢٤٧

(٢) الوافي: الفيض الكاشاني ج٥، ص٩٨

(٣) مكارم الأخلاق: الشيخ الطبرسي ص١٧

وعن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال:

«**محرمة الجنة على القتاتين المشائين بالنميمة - والقتات النمام**»[1].

ثم يبين الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) أولوية المسؤول أو الحاكم في المنظومة الإدارية، ستر عيوب الناس (فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوباً الْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا).

ثم ينهى الامام (عليه السلام) المسؤول من تتبع عثرات الناس وعيوبهم «**فَلَا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا**» أي لا ينبغي البحث عن العيوب الخفية للناس كالتصنت عليهم أو الاطلاع على خفايا حياتهم الشخصية، كما ورد في القرآن الكريم بالنهي عن التجسس «**وَلا تَجَسَّسُوا**»[2].

ثم إن للمسؤول أن يتخذ القرارات الحازمة والصارمة إزاء القضايا التي تنكشف للناس، كظهور حالة النميمة والوشاية في المنظومة الادارية للحد منها وتطهير المجتمع من آثامها،: ولا يأبى إظهار عيوبه للناس، ويتعامل معه بآليات الاصلاح السلمي، ومن خلال الموعظة والنصيحة «**فَاسْتُرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَطَعْتَ**» ولو لم يوافق من هذا الطريق فإنه يستخدم القوة والشدة ويقيم الحدود الإلهية فيما يتعلق بأصحاب هذه الرذيلة فذلك بمثابة العملية الجراحية الضرورية لإدامة حياة المجتمع[3].

يوضح (عليه السلام) العاقبة المحمودة والحسنة والجميلة في ستر العيوب فيقول (عليه السلام): «**يَسْتُرُ اللهُ مِنْكَ مَا تُحِبُّ سَتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ**» ينبغي للمسؤول حينما يرى إنسانا تحت مسؤوليته في المنظومة الإدارية، وارتكب خطأ وكان هذا

(١) روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه: محمد تقي المجلسي (الأول) ج٩، ص٣٤٣

(٢) الحجرات:١٢

(٣) نفحات الولاية شرح نهج البلاغة: ناصر مكارم الشيرازي، ج١٠، ص٣٣٩.

الخطأ مستورا غير متجاهر به، أن يتعامل مع صاحبه كما يحب ان يتعامل الله سبحانه وتعالى مع ذنوبه التي عملها خفية، وليعلم إن الله عز وجل يمهل ولا يهمل وليتقِ الله في خلقه.

فيتحصل:

١ـ رفض الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) سياسة تتبع الاخطاء من قبل المسؤول، إذ لا ينبغي للمسؤول أن يبحث عن المستور من حياة الناس أو يتجسس عليهم ليكشف أسرارهم، لأن المعيار في المنظومة الإدارية الاستقامة والثبات والمودة والمحبة.

وتأييدا لهذا المعنى يقول (عليه السلام) (من تتبع خفيات العيوب حرم مودات القلوب)[١] .

٢ـ ضرورة ستر العيوب من قبل المسؤول، وبحسب موقعه الإداري يستطيع الاطلاع على الكثير من خفايا الاخرين وأسرارهم ويسترها ولكن موقف الاسلام من هذه الامور هو عدم السماح بالاطلاع عليها، والحد من تكرارها.

٣ـ القيام بالعملية الاصلاحية فيما لو ظهرت الاخطاء والعيوب، فيجب تطهير المجتمع من هذه الرذائل الخبيثة، لكي يبقى المجتمع نظيفا وسليما في سلوكه.

٤ ظهور الآثار الوضعية في الكشف عن اخطاء الناس، وحسب القاعدة (كما تدين تدان)[٢] أي: كما تجزي تجزى. ومن أسمائه الدّيان،

كما يدين الفتى يوما يدان به من يزرع الثوم لا يقلعه ريحانا.

(١) عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، ص٤٣٦

(٢) المقتصر من شرح المختصر: ابن فهد الحلي ص٢٠

يقول الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) تأييدا لما نحن فيه:

«لا تتبعن عيوب الناس، فإن لك من عيوبك ان عقلت ما يشغلك من أن تعيب احداً»[1].

وفي حديث آخر عنه (عليه السلام) في وصيته لابنه الحسين (عليه السلام):

«واعلم أي بني أنه من أبصر عيب نفسه شغل عن عيب غيره»[2].

أي من يرى عيوب نفسه لا يستطيع أن يعيب الآخرين، وعن الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول:

«طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، ومهما وجد عيبا فينبغي أن يستحي من أن يترك نفسه ويذم غيره بل ينبغي ان يعلم أن، عجز غيره عن نفسه في التنزه عن ذلك العيب»[3].

٥ ضرورة تحلي المسؤول بصفة سعة الصدر: أي يجب ان يكون حليما ومتسامحا والصفح عن الآخرين، فالنظرة الضيقة عند المسؤول تجعله يعيش حالة الانهيار المنظومة الادارية، يجب ان تكون نظرته واسعة وقلبه رؤوفاً وصدره رحبا، كل هذه الامور تساعده على النجاح وتحقيق الاهداف وخدمة الناس.

(١) غرر الحكم: ٦: ٢٩٢

(٢) تحف العقول عن آل الرسول (ص): ابن شعبة الحراني ص٨٨

(٣) بحار الانوار: للعلامة المجلسي: ج١: ص٢٠٥: ح ٣١: وينظر رسائل الشهيد الثاني (ط.ق): الشهيد الثاني ص٢٩٧

المسألة السادسة عشر: حفظ الأسرار.

قوله (عليه السلام): «ثُمَّ انْظُرْ فِي حَالِ كُتَّابِكَ فَوَلِّ عَلَى أُمُورِكَ خَيْرَهُمْ وَاخْصُصْ رَسَائِلَكَ الَّتِي تُدْخِلُ فِيهَا مَكَايِدَكَ وَأَسْرَارَكَ بِأَجْمَعِهِمْ لِوُجُوهِ صَالِحِ الْأَخْلَاقِ مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ الْكَرَامَةُ فَيَجْتَرِئَ بِهَا عَلَيْكَ فِي خِلَافٍ لَكَ بِحَضْرَةِ مَلا»[1].

يتحدث الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا المقطع من العهد، حول مبدأ آخر من مبادئ الإدارة في الإسلام وهو مبدأ حفظ الأسرار في المنظومة الإدارية، لأن المدير في الإدارة بحاجة إلى جمع المعلومات حول لياقة العاملين معه، وقدراتهم وإمكاناتهم وذكائهم وتجاربهم وسوابقهم الحسنة والسيئة وذلك بهدف اختيار الاصلح من بينهم لتسلم المسؤوليات وفي حال انتشار هذه المعلومات في المؤسسة أو نقلها إلى الاشخاص أنفسهم فقد يؤدي ذلك إلى اثار نفسية وردود فعل غير مناسبة تؤدي إلى انهيار المنظومة الإدارية.

ما يسمى اليوم بالذاتية أي موظفو الدوائر المختصة بالملفات والأوراق السرية أسماه أمير المؤمنين (عليه السلام) بالكتّاب، فأوصى الامام (عليه السلام) مالكاً بأن يكونوا خير الكتّاب «**فَوَلِّ عَلَى أُمُورِكَ خَيْرَهُمْ**»، لأنهم المكلفون بحفظ أسرار الدولة وصيانة خططها والوثائق الخاصة برجال معينين[2]، التي يجب إخفاؤها ممن لا يحتاطون بحفظها، وايداعها لدى الامناء ممن يمتلكون الاخلاق الفاضلة، فحفظ الاسرار في المجال الإداري يؤمن المنظومة الادارية من الوقوع في الاخطار ويحفظ للإنسان كرامتهُ ومكاسبه ويحقق له الاهداف المستقبلية، ويسد الابواب والطرق أمام المنافسين من الاعداء.

(١) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، ج٣، ص٨٦، رسالة٥٣.

(٢) الحكم الاسلامي في مدرسة الامام علي (عليه السلام): محمد تقي المدرسي: ص١٩٧

ثم إن لإفشاء الأسرار آثاراً سلبية على المنظومة الإدارية، من هذه الآثار:

١ـ تعد مسألة إفشاء الاسرار في المنظومة الإدارية موجبة للتفرقة وممكنة للأعداء من تنفيذ خططهم وقد حذر القرآن الكريم من هذه الظاهرة في العديد من الآيات المباركة: منها ما ورد في سورة يوسف (عليه السلام) على لسان يعقوب (عليه السلام): ﴿**قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾[١] من الدروس التي نستلهمها من هذا القسم من الآيات أن نحفظ الاسرار وينبغي ان نطبق هذا الدرس أحيانا حتى أمام الأخوة، فدائما تشتمل حياة الإنسان على أسرار لو أذيعت وفشت بات مستقبله أو مستقبل مجتمعه معرضا للخطر، والموافقة على حفظ الاسرار دليل على سعة الروح وتملك الارادة، فكثير من ضعاف النفوس والشخصية أوقعوا أنفسهم أو مجتمعهم في الخطر بسبب إفشاء الاسرار وكم يرى الإنسان من مساءة وضرر لأنه ترك حفظ الاسرار[٢].

٢ـ تعدّ مسألة حفظ الاسرار أمانة عظيمة في الفهم الاسلامي فيجب مراعاتها والوفاء بها قال تعالى ﴿**أَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا**﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ**﴾[٤].

ورد في الحديث الشريف عن الامام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) أنه قال (لا يكون المؤمن مؤمنا حتى تكون فيه ثلاث خصال: سنة من ربه وسنة من نبيه وسنة من وليه، فأما السنة من ربه فكتمان السر وأما السنة من نبيه فمداراة

(١) سورة يوسف: ٥

(٢) تفسير الامثل: ناصر مكارم الشيرازي: ج٥ في ذيل تفسير سورة يوسف الآية ٥

(٣) الاسراء: ٣٤.

(٤) المؤمنون: ٨.

الناس، وأما السنة من وليه فالصبر على البأساء والضراء)[1]، وعن الامام الصادق (عليه السلام) يقول:

«سرك من دمك فلا يجرين من غير أوداجك»[2].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام:

«سرك من دمك فإذا تكلمت به فقد أرقته»[3].

وفي الحديث عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال:

«استعينوا على قضاء حاجاتكم بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود»[4]

وفي هذا المجال ورد عن الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول:

«سرك أسيرك، فإذت أفشيته صرت أسيره» [5].

المسألة السابعة عشر: تأثير العلاقات القريبة للمدراء واهتمامهم بالعاملين معهم.

قوله (عليه اسلام) «ثُمَّ الْصَقْ بِذَوِي الْمُرُوءَاتِ وَالْأَحْسَابِ وَأَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ وَالسَّوَابِقِ الْحُسَنَةِ ثُمَّ أَهْلِ النَّجْدَةِ وَالشَّجَاعَةِ وَالسَّخَاءِ وَالسَّمَاحَةِ فَإِنَّهُمْ جِمَاعٌ مِنَ الْكَرَمِ وَشُعَبٌ مِنَ الْعُرْفِ»[6].

(١) بحار الانوار: للعلامة المجلسي، ج٧٨، ص٣٣٤

(٢) بحار الأنوار، للعلامة المجلسي، ج٧٢، ص٧١.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج١٨، ص٣٨٤.

(٤) ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج١، ص٦٣٠.

(٥) عيون الحكم والمواعظ، علي الواسيطي، ص٢٨٥

(٦) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، ج٣، ص٩٢، رسالة ٥٣.

يتحدث الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا المقطع من العهد الشريف حول مبدأ آخر من مبادئ الادارة في الاسلام وهو تأثير العلاقات المتبادلة بين المدير والعاملين معه في المنظومة الادارية، التي من خلالها تترتب القضايا المعنوية في تقوية الاطر الادارية وتحفيز العاملين نحو العمل وهو ما يسمى بالاصطلاح العلمي والمنطقي بعلم النفس التحليلي، وعنصر اختيار أفضل الرجال لقيادة الجيش في تولية المهام والوظائف الإدارية.

الإمام (عليه السلام) يشرح لمالك (رضوان الله عليه) كيفية اختيار الموظفين في دوائر الدولة كالجند ورؤساء الامراء وغيرهم، بعد مراعاة العناصر الآتية:

١ـ المروءة والنسب.

المروءة هي كمال الرجولية، مصدر من: مَرُؤَ يَمْرُؤُ مُروءة، فهو مَرِيء، أي: بَيِّن المروءَة، وتَمَرَّأ فلان: تَكَلَّف المروءَة. وقيل: صار ذا مُروءَةٍ، وفلان تَمَرَّأ بالقوم: أي سعى أن يوصف بالمروءَة بإكرامهم، أَو بنقصهم وعَيْبهم[١].

ومن معاني المروءة أنها (آداب نفسانيَّة، تحمل مراعاتها الإنسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق، وجميل العادات من أصحاب الشخصيات المتميزة)[٢].

النسب: هو البعد الاجتماعي الذي يمتلكه الإنسان الذي يتأثر بالعامل الوراثي للأسرة والقبيلة، ما يعبر عنه بالأرحام الطاهرة من الاباء والامهات في سلم النسل، ثم أن الاسلام يؤكد على هذا الجانب الوراثي في مسألة في شرعية الانتخاب للزواج:

(١) المحيط في اللغة، الصاحب بن عباد، ج٢، ص٤٤٣

(٢) مصباح المنير: للفيومي: ج٨: ص٤٤٦؛ مجمع البحرين، للطريحي، ج١، ص٢٨٣.

عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) «تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس»[1].

وقال أيضاً (صلى الله عليه وآله وسلم) (اختاروا لنطفكم فإن الخال احد الضجيعين)[2] إشارة إلى العامل الوراثي.

وحذّر الإمام الصادق (عليه السلام) من تزويج الرجل المريض نفسياً فقال: لا تزّوجوا في الشكاك ولا تزوّجوهم، لأن المرأة تأخذ من أدب زوجها ويقهرها على دينه [3].

وجعل الإسلام التديّن مقياساً في اختيار الزوج، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (اذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوّجوه)[4].

ونهى الإسلام عن تزويج غير المتديّن والمنحرف في سلوكه عن المنهج الاسلامي في الحياة، لتحصين العائلة والاطفال من الانحراف السلوكي والنفسي، فنهى الإمام الصادق عليه السلام عن تزويج الرجل المستعلن بالزنا حيثُ قال عليه السلام:) لا تتزوجوا المرأة المستعلنة بالزنا، ولا تزوجوا الرجل المستعلن بالزنا إلاّ أن تعرفوا منهما التوبة [5].

فيتحصل: من مجموع الروايات والاحاديث الشريفة، إن للعامل الوراثي دوراً أساسياً، ينعكس سلبا وايجابا على نسل الانسان.

(١) المحجة البيضاء، للفيض الكاشاني ج٣: ص٩٣، جامعة المدرسين قم ط ٢.

(٢) الكافي، للكليني ج٥، ص٣٣٢ / ٢ باب اختيار الزوجة دار التعارف ١٤٠١ هـ ط ٣

(٣) الكافي، للكليني، ج٥: ص٣٤٨ / ١ باب مناكحة النصاب والشكاك

(٤) المصدر نفسه، ج٥، ص٣٤٩.

(٥) مكارم الاخلاق: ٣٠٥.

٢ـ البيوتات الصالحة.

إشارة إلى الاسر والعوائل النظيفة والمرموقة في المجتمع[١]، يريد أن يبين الإمام (عليه السلام) لمالك (رضوان الله عليه) الابعاد الاجتماعية للأسر في تاريخها الاجتماعي الناصع، اصحاب المواقف المشرفة في الاسلام ممن لم يتأثروا بالعوامل البيئية والثقافية المخالفة للتعاليم الاسلامية. فيكون عامل الاختيار هو مراعاة هذه البيوتات والأسر في عملية التوظيف.

٣ـ السوابق الحسنة.

إشارة إلى السمعة الجيدة التي تمتلكها هذه البيوتات، التي جعلت عموم الناس تتحدث بسجاياهم الحسنة، بحيث تركوا سمعة حسنة في نفوس الناس.

٤ـ النجدة.

يريد الإمام (عليه السلام) ان يشير إلى نقطة مهمة، وهو لابد من التمييز بين شخصيتين عند الناس، الشخصية الاولى التي تمتلك عنصر الروح العالية في التضحية والمكانة الاجتماعية. وبين الشخصيات الانتهازية أصحاب المطامع الشخصية، الذين لم يكن لهم اهتمام بروح المحبة وخدمة الناس. فيقول الامام (عليه السلام) الصق بأهل النجدة أصحاب الروح والهمة العالية، هؤلاء لم يتكاسلوا في أمر ما.

٥ـ الشَّجَاعَة وَالسَّخَاء وَالسَّمَاحَة.

من يتصف بالشجاعة يتحلى أيضا بالنجدة، وعظم الهمة، والثبات، والصبر، والحلم.

(١) نفحات الولاية شرح نهج البلاغة: ناصر مكارم الشيرازي: ج١٠: ص٣٧١

والسَّخَاءِ: عبارة عن الجود والكرم والسخي هو الجواد الكريم[1].

السَّمَاحَةِ: هي المساهلة والسلاسة واللين في التعامل وسعة الصدر والاتصاف بالحلم، ويقال سمح سماحة إذا صار سمحاً، والسماحة الجود، وسمح لي بالشيء[2].

ولاشك أن الاشخاص الذين يملكون هذه الصفات الثمان يمثلون مركزا مجسدا للفضائل والصفات الانسانية المتميزة، يكونون جديرين بالاعتماد عليهم ويتحركون بفاعلية أكثر في مسألة كسب النصر المظفر[3].

المسألة الثامنة عشر: الإحسان والمرتب والمكافأة.

قوله (عليه السلام): «ثُمَّ تَفَقَّدْ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُ الْوَالِدَانِ مِنْ وَلَدِهِمَا، وَلَا يَتَفَاقَمَنَّ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ قَوَّيْتَهُمْ بِهِ وَلَا تَحْقِرَنَّ لُطْفاً تَعَاهَدْتَهُمْ بِهِ وَإِنْ قَلَّ، وَافْسَحْ لَهُ فِي الْبَذْلِ مَا يُزِيلُ عِلَّتَهُ وَتَقِلُّ مَعَهُ حَاجَتُهُ إِلَى النَّاسِ، ثُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِمُ الْأَرْزَاقَ فَإِنَّ ذَلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِصْلَاحِ أَنْفُسِهِمْ وَغِنًى لَهُمْ عَنْ تَنَاوُلِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ وَحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ أَوْ ثَلَمُوا أَمَانَتَكَ»[4].

يتحدث الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذه المقاطع حول عناصر آخرى في المنظومة الادارية، ويجب على المسؤول الاداري العمل بها، وهما عنصر الإحسان إلى الناس، وتوزيع الحقوق والمكافأة الشهرية.

يقول (عليه السلام) «تَفَقَّدْ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُ الْوَالِدَانِ مِنْ وَلَدِهِمَا» أحد العناصر المهمة في نجاح المنظومة الادارية في المهمة المناطة بها، لابد من

(١) العين، للفراهيدي، ج١، ص٣٢٩.

(٢) جمهرة اللغة، ابن دريد، ج١، ص٢٧٤.

(٣) نفحات الولاية شرح نهج البلاغة، ناصر مكارم الشيرازي، ج١٠، ص٣٧٢.

(٤) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، ج٣، ص٩٦، رسالة٥٣.

توفر عنصر الاحسان للآخرين، الإمام (عليه السلام) يخاطب مالكاً بالعبارات الابوية التي تحتوي في معانيها على الرحمة والعطف، أي اجعل نفسك بالنسبة إليهم كالأب الحنون والشفوق على ولدة ويكون تواصلك معهم من جهة الشفقة والمحبة، وتعاهدهم بالسؤال عنهم وقضاء حوائجهم، حتى تقوى هذه العلاقة بين المسؤول والمرؤوس، ومن ثمرات هذه العلاقة تحقق مبدأ الطاعة في العمل اليومي وثباتهم في مواقع المواجهة.

وقال (عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾: «العدل: الإنصاف والاحسان: التفضل»[1]

ثم ينتقل الامام (عليه السلام) إلى عنصر آخر من مبادئ الادارة في الفهم الاسلامي، وهو مبدأ المكافأة والحقوق الشهرية:

«وَافْسَحْ لَهُ فِي الْبَذْلِ مَا يُزِيلُ عِلَّتَهُ وَتَقِلُّ مَعَهُ حَاجَتُهُ إِلَى النَّاسِ، ثُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِمُ الْأَرْزَاقَ فَإِنَّ ذَلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِصْلَاحِ أَنْفُسِهِمْ وَغِنًى لَهُمْ عَنْ تَنَاوُلِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ وَحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ أَوْ ثَلَمُوا أَمَانَتَكَ».

يقول الامام (عليه السلام) إن نجاح المنظومة الادارية مرهون بالقضاء على عوامل الفساد في السلطات التنفيذية:

السلطة القضائية.

لا يخفى على احد مكانة السلطة القضائية الفعالة والصالحة في محاربة الفساد والتجاوز على حقوق الاخرين ويشير الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا المقطع إلى العاملين في الجهاز القضائي وأهمية القضاة وضرورة وجودهم في المجتمع،

(١) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، ج٤، ص٥١، الحديث٢٣١.

ويؤكد على ان القضاء العادل هوقوام الدولة العادلة وأن يكون قوة مقتدرة بالدفاع عن حقوق المحرومين والمظلومين أمام الناس الانتهازيين والمتجاسرين على حقوق الناس، ويعد الجهاز القضائي في فكر الامام (عليه السلام) الضمان الاجتماعي، وقدرته وكفاءته تعتبر من الاصول المؤثرة في الحد من وقوع الجرائم.

يقول (عليه السلام) تأييدا في بيان أصناف الرعية وضرورة القضاء وأهمية القضاة:

«وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لَا يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ وَلَا غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ فَمِنْهَا جُنُودُ اللهِ وَمِنْهَا كُتَّابُ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ وَمِنْهَا قُضَاةُ الْعَدْلِ، ثُمَّ لَا قِوَامَ لِهَذَيْنِ الصِّنْفَيْنِ إِلَّا بِالصِّنْفِ الثَّالِثِ مِنَ الْقُضَاةِ وَالْعُمَّالِ وَالْكُتَّابِ لِمَا يُحْكِمُونَ مِنَ الْمَعَاقِدِ وَيَجْمَعُونَ مِنَ الْمَنَافِعِ وَيُؤْتَمَنُونَ عَلَيْهِ مِنْ خَوَاصِّ الْأُمُورِ وَعَوَامِّهَا»[1].

ثم ان الإمام (عليه السلام) أوصى مالكاً بأن يشعر القضاة بين الحين والآخر بالمسؤولية المناطة بهم والمكان الذي يجلسون فيه في الحكم بين الناس وأنه مقعد جلس عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) او وصيه أمير المؤمنين (عليه السلام) وأن منصبهم هذا امانة وليس تجارة، وأنهم أفضل الرعية في نفس الوالي. وان ينبههم الى نقاط ضعفهم ويشرف على عملهم وأن يعتني بتأمين حياتهم الكريمة والمرفهة لهم كي لا يضحي هذا الجهاز بالحقيقة من اجل مصلحته ولا يكون فريسة سهلة للرشوة والطمع والتهديد وأن لا يكون رجاله من اهل المداهنة والقسوة، يقول أيضا (عليه السلام) في وصيته لمالك (رضوان الله عليه) ان تكون هناك امتيازات في تعيين القضاة وإحدى هذه الامتيازات أن لا يكون من اصحاب الرشوة والطمع.

(١) نهج البلاغة: ٥٣.

«وَلَا تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ وَلَا يَكْتَفِي بِأَدْنَى فَهْمٍ دُونَ أَقْصَاهُ»[1] **«ثُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِمُ الْأَرْزَاقَ فَإِنَّ ذَلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِصْلَاحِ أَنْفُسِهِمْ وَغِنًى لَهُمْ عَنْ تَنَاوُلِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ وَحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ أَوْ ثَلَمُوا أَمَانَتَكَ»** [2].

فيتحصل: على المسؤول في المنظومة الادارية أن يدرس جميع الشروط المطلوبة في تعيين الوظائف في السلم الاداري، ودفع مرتبات ومكافأة العاملين يكون بشكل يؤدي إلى رضا الموظفين ويزيد من التزامهم بعد مراعاة النظم والقوانين.

المسألة التاسعة عشر: المشورة.

قوله (عليه السلام): «وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلًا يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ وَيَعِدُكَ الْفَقْرَ وَلَا جَبَاناً يُضْعِفُكَ عَنِ الْأُمُورِ وَلَا حَرِيصاً يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَهَ بِالْجَوْرِ فَإِنَّ الْبُخْلَ وَالْجُبْنَ وَالْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللهِ»[3].

يتحدث الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في عهده لمالك الأشتر (رضوان الله عليه) عن محور آخر من محاور العمل في المنظومة الادارية، وهو كيفية تمكين المسؤول من اختيار مستشاريه الاكفاء في شؤون الادارة، ليستطيع من خلال ذلك الاستفادة من أفكارهم وتجاربهم العملية وآرائهم المدروسة والمبنية على الاسس المنطقية.

(١) نهج البلاغة: خطب الإمام علي عليه السلام، ج٣ ص٩٠ رسالة ٥٣.

(٢) المصدر نفسه: ج٣ ص٩٦.

(٣) نهج البلاغة: ٥٣

١ـ معنى المشورة.

المشورة بضم الشين تقول منه شاورته في الأمر واستشرته[١] المشورة: التشاور والمشاورة والمشورة: استخراج الرأي بمراجعة البعض إلى البعض الآخر من قولهم: شرت العسل إذا اتخذته من موضعه واستخرجته منه[٢]، المشورة القول منه شاورته في الامر واستشرته بمعنى فلان خير شيّر أي يصلح للمشاورة وشاوره مشاورة وشواراً واستشارة طلب منه المشورة[٣] وقيل في معنى المشورة: يقال صار هذا الشيء شورى بين القوم إذا تشاوروا فيه،وهو فعلى من المشاورة، وهو المفاوضة، وفي الكلام ليظهر الحق، أي لا ينفردون بأمر حتى يشاوروا غيرهم فيه[٤]، هذا بحسب اللغة.

أما المشورة في الاصطلاح: فالظاهر أن الشورة في كل شيء بحسبه، ففي الامور الخاصة يكفي فيها الاستطلاع بلا إلزام، وأما في الامور العامة خصوصا مسائل الحكم والإدارة فالظاهر أنها ملزمة للتبادر، ومنه يقال: المستشار العليم الذي يؤخذ رأيه في أمر هام علمي أو فني أو سياسي أو قضائي أو اقتصادي ونحوه، نعم قد يقال: أنه قد جرت سيرة العقلاء على الأخذ برأي المستشار وإلا كانت المشورة لغواً[٥].

(١) لسان العرب: بن منظور ج٣ ص٤٣٤ (شور).

(٢) مفردات الفاظ القرآن الكريم: الراغب الاصفهاني ص٤٧٠.

(٣) لسان العرب: ابن منظور، ج٤ ص٤٣٤ (شور).

(٤) مجمع البيان: للطبرسي:ج٩: ص٣٣: ذيل الآية: ٣٩ من سورة الشورى

(٥) فقه الدولة بحث مقارن في الدولة ونظام الحكم على ضوء الكتاب والسنة والانظمة الوضعية: فاضل الصفار: ج٢: ص٢١١

٢ـ أهمية الشورى.

جاء مبدأ الشورى والتشاور في الاسلام كنص من النصوص الظاهرة في الإلزام في القرآن الكريم دون باقي المبادئ السياسية والاجتماعية الاخرى للدلالة على مدى أهميتهِ ودوره الفاعل في الحياة الديمقراطية للشعوب[١]، قوله تعالى مخاطباً الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أعلى سلطة في الناس:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ الله لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾[٢].

وقال سبحانه وتعالى في مجال المنهج السليم في بناء الحياة السعيدة المبتنية على مبدأ التشاور.

﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[٣].

إن مسألة المشورة والاستشارة تعد من أهم المسائل الاجتماعية في الحياة الانسانية، وهناك نصوص عديدة من السنة الشريفة تؤكد على مبدأ التشاور، منها ما ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم):

«من أراد أمرا فشاور فيه وقضى هدي لأرشد الأمور»[٤].

---

(١) الحرية السياسية دراسة مقارنة في المعالم والضمانات: فاضل الصفار: ص٦٤

(٢) آل عمران: ١٥٩

(٣) الشورى: ٣٨

(٤) الدر المنثور: لجلال الدين السيوطي:ج٦: ص١٠

وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم):

«من أراد أمراً فشاور فيه إمرأً مسلما وفقه الله لأرشد أموره»[1].

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: سئل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن العزم فقال:

«مشاورة أهل الرأي ثم اتباعهم»[2].

وعنه (عليه السلام): **«حق على العاقل أن يضيف إلى رأيه رأي العقلاء ويضم إلى علمه علوم الحكماء»**[3].

وعنه (عليه السلام): **«من استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطأ»**[4].

وعنه أيضا (عليه السلام) في وصيته لمحمد بن الحنفية:

«اضمم آراء الرجال بعضها إلى بعض، ثم اختر أقربها من الصواب، وأبعدها من الارتياب»[5].

وعنه (عليه السلام): «شاوروا فالنجح في المشاورة»[6].

---

(١) الجامع الصغير: لجلال الدين عبدالرحمن ابن أبي بكر السيوطي: دار الفكر بيروت ط ١. ١٤٠١:ج٢: ص٥٦٣:

(٢) الدر المنثور للسيوطي: ج٢ ص٩٠؛ الوسائل للحر العاملي: ج٨ ص٤٣٤ باب استحباب مشاورة أهل الرأي.

(٣) غرر الحكم:ح ٤٩٦

(٤) نهج البلاغة خطب الإمام علي عليه السلام: ج٤ ص٤٢ الحكمة ١٧٣

(٥) الوافي: الفيض الكاشاني، ج٢٦ ص٢٣٣، من لا يحضره الفقيه الشيخ الصدوق ج٤ ص٣٨٥.

(٦) عيون الحكم والمواعظ: ص١٩٦

وعنه (عليه السلام): «من استبد برأيه خفت وطأته على أعدائه»[1].

وعنه (عليه السلام): «من استبد برأيه هلك ومن شاور الرجال شاركها في عقولها»[2].

وعن الامام الصادق (عليه السلام): قال لقمان لابنه: (إذا سافرت مع قوم فأكثر استشارتهم في أمرك وأمورهم، وأجهد رأيك لهم إذا استشاروك، ثم لا تعزم حتى تثبت وتنظر ولاتجب في مشورة حتى تقوم فيها وتقعد وتنام وتأكل وتصلي وأنت مستعمل فكرتك وحكمتك في مشورتك، فإن من لم يمحص النصيحة لمن استشاره سلبه الله رأيه، ونزع منه الأمانة)[3].

فيتحصل: من الروايات والآيات إن مبدأ الشورى من المبادئ الاساسية في الاسلام، ويعد من أهم الفرائض والواجبات الاسلامية:

٣ـ من نجتنبه في المشورة.

نرى تأكيد الامام (عليه السلام) في وصيته لمالك الاشتر:(رضوان الله عليه) لكل من يتصدى ويتحمل المسؤولية أن يختار مستشاريه بشكل دقيق، ويحذر الامام (عليه السلام) من ادخال اصناف ثلاثة من الناس في المشورة، ممن يحملون الصفات الاخلاقية المذمومة التي نهى عنها الاسلام، البخل، الجبن، الحرص.

(١) عيون الحكم والمواعظ: ص٤٦٠

(٢) نهج البلاغة: الكلمات القصار الكلمة ١٦١

(٣) الوسائل: للحر العاملي:ج١١ ص٤٤١ ح١٥٢٠٨ وح١٥٢٠٩ باب ٥٢

الصنف الأول (البخيل) (وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلًا).

البخل: البُخْلُ ضِدُّ الكَرَمِ والجُودِ، وقد بَخِلَ بكذا: أي ضنَّ بما عنده ولم يجُدْ، ويقال: هو بخيل وباخل، وجمعه بخلاء، والبَخَّال: الشَّديد: البُخْل[1]

والبخل:ـ هو الامساك حيث ينبغي البذل، كما إن الاسراف هو البذل حيث ينبغي الامساك، وكلاهما مذمومان والمحمود هو الوسط وهو الجود والسخاء[2] منه قوله تعالى:(وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا)[3]، وقال تعالى:(وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا)[4].

البخل من ثمرات حب الدنيا ونتائجه وهو من خبائث الصفات ورذائل الاخلاق ورد في ذمه ما ورد من الآيات والاخبار.[5]

قوله تعالى (الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا)[6].

وقال تعالى في ذم البخل:(وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلله مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)[7].

(١) لسان العرب: ابن منظور ج١١ ص٤٧ (بخل)؛ مختار الصحاح للرازي: ج١ ص٢٣.

(٢) جامع السعادات: للنراقي: ج٢، ص١١٠.

(٣) الاسراء: ٢٩.

(٤) الفرقان: ٦٧.

(٥) جامع السعادات: للنراقي: ج٢، ص١١٠.

(٦) النساء: ٣٧

(٧) آل عمران: ١٨٠

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (إياكم والشح، فإنه أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم)[1].

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (لا يدخل الجنة بخيل ولاخبئ ولا خائن والسيئ الملكة)[2].

وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم) في مانحن فيه:(البخيل بعيد من الناس، بعيد من الجنة، قريب من النار، وجاهل سخي أحب إلى الله من عابد بخيل)[3].

وبعد ما اتضح مفهوم البخل في الروايات والآيات الشريفة، نجد الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصيته لمالك يحذر الحاكم أو المسؤول الإداري ألا يضع في طاقم منظومته الادارية مستشارا بخيلا لأنه يمنع المسؤول من تقديم الاحسان إلى للناس، ويجعل له الاجواء المكفهرة والاثار الوخيمة لكل عمل ايجابي. (وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلًا يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ وَيَعِدُكَ الْفَقْرَ)[4].

الصنف الثاني: الجبناء.

الجبن: جبن: فعل، جبن يجبن جبنا وجبانة، فهو جبان، وجبن الرجل: ضعفت قدراته، خاف، هاب، كان جبانا.[5]

وهو سكون النفس عن الحركة إلى الانتقام أو غيره، مما يؤدي إلى مهانة النفس والذلة وسوء العيش وطمع الناس فيما يملكه وقلة ثباته في الامور والكسل وحب الراحة.[6]

(١) الخصال: للصدوق ص١٧٦ ح٢٣٤

(٢) مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة: محمد تقي النقوي: ج٧ ص٤١٩

(٣) المحجة البيضاء في تهذيب الاحياء: للفيض الكاشاني:ج٦ ص٦٢

(٤) نهج البلاغة: خطب الإمام علي عليه السلام ج٣ ص٨٧ رسالة ٥٣

(٥) لسان العرب: ج١٣، ص٨٤ (جبن).

(٦) جامع السعادات: للنراقي: ج١ ص٢٤١

قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): (لا ينبغي للمؤمن أن يكون بخيلا ولا جبانا)[1].

إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يتعوذ بهن دبر الصلاة: (اللهم إني أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجبن)[2].

ويحذر الامام (عليه السلام) من المستشارين الذين يمتلكون صفة الجبن أن يكونوا ضمن المنظومة الإدارية، لأن هؤلاء يلقون الرعب في نفوس الناس و يشجعون المسؤولين على الرضوخ للذلة والمسكنة مما يؤدي إلى هزيمة وانهيار الدولة.

الصنف الثالث: الحرص والطَّمع.

الحرص: معناه شدّة الرغبة والميل إلى شيء معيّن، ويرى أنّ هذه الكلمة في الأصل تأتي بمعنى الضغط على اللباس عند غسله بالماء بواسطة ضربه بالخشبة وأمثال ذلك[3].

الحرص: يقال حرص يحرص حرصاً وحرص يحرص حرصاً وقد قرئ إن تحرص على هداهم ويقال رجل حريص على الشيء[4].

والطمع: وهو التّوقع من النّاس في أموالهم وهو أيضا من شعب حبّ الدّنيا ومن أنواعه ومن الرّذائل المهلكة.

ويرى علماء الأخلاق أن الحرص الشديد الذي جبل عليه الإنسان ليس حرصا منه على كل شيء خيرا كان أو شرا و نافعا أو ضارا بل حرصا على الخير

(١) كنز العمال: المتقي الهندي الجزء: ٣ ص٤٥٣

(٢) نيل الأوطار: الشوكاني الجزء: ٢ ص٣٤٩

(٣) مفردات القرآن: للراغب الاصفهاني (مادة حرص)

(٤) جمهرة اللغة: ابن دريد، ج١، ص٢٥٩ (حرص).

والنافع ولا حرصا على كل خير أو نافع سواء ارتبط به أو لم يرتبط وكان له أو لغيره بل حرصا منه على ما يراه خيرا لنفسه أو نافعا في سبيل الخير، ولازم هذا الحرص ان يظهر منه الجزع والاضطراب عند مس الشر وهو خلاف الخير وأن يمتنع عن ترك الخير عند مسه ويؤثر نفسه على غيره إلا أن يرى الترك أكثر خيرا وأنفع بحاله فالجزع عند مس الشر والمنع عند مس الخير من لوازم الهلع وشدة الحرص.[1]

وقد ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) تعبير جميل جداً في تعريف الحرص عندما سُئل: ما هو الحرص؟ فقال (هُوَ طَلَبُ الْقَلِيلِ بِاضَاعَةِ الْكَثِير)[2].

حالة الطمع والحرص اذا امتلكها الإنسان يكون في حالة غير متوازنة وغير منضبطة النظر إلى الامور برؤية ضيقة ويسعى صاحبها إلى الوصول إلى المنصب من خلال التسلق على الآخرين، فيصعب تفكيره في المصلحة العامة ويبقى في هواجس شخصيته ونفسه ومن عوارضه؟ يعبر عنه بميت القلب. قال:

وأن هناك صفات تميت القلب، وتدفع بالإنسان أن يصر على الكفر والنفاق والضلال، وتجعله والموتى سواء لا تجدي معه عظة ولا إنذار، ومن أهم هذه الصفات الطمع والحرص على المكاسب والمناصب.. وقد تكرر هذا المعنى بأساليب شتى، منها قوله تعالى:

﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِها ولَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِها ولَهُمْ آذانٌ لا يَسْمَعُونَ بِها أُولئِكَ كَالأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولئِكَ هُمُ الْغافِلُونَ﴾[3].

(١) تفسير الميزان: السيد الطباطبائي، ج٢٠ ص١٣

(٢) مستدرك الوسائل: ميرزا حسين النوري الطبرسي، ج ١٢ ص٦٠

(٣) سورة الاعراف: ١٧٩.

وقوله تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كانُوا لا يَعْقِلُونَ. أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كانُوا لا يُبْصِرُونَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآياتِنا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾[2])[3].

فالطمع في الأموال والمناصب يجعل من المسؤول انساناً قاسيا وخشنا في تعامله مع الآخرين.

ا لروايات في هذا المجال كثيرة جداً نكتفي بهذا المقدار مخافة الاسهاب والاطالة.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «ايّاك والطَّمع فانّه الفقر الحاضر»[4].

وعن مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: «المذلة والمهانة والشقاء في الطمع والحرص»[5].

وعنه (عليه السلام): «أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع»[6].

وعنه (عليه السلام): «دلالة حسن الورع عزوف النفس عن مذلة الطمع»[7].

وعنه (عليه السلام): «من لم ينزه نفسه عن دنائة المطامع فقد أذلّ نفسه وهو في الآخرة أذلّ وأخزى»[8].

(١) سورة يونس: ٤٣.

(٢) سورة النمل: ٨١.

(٣) التفسير الكاشف: محمد جواد مغنية: ج٦، ص٣٩.

(٤) مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة: محمد تقي النقوي القايني الخراساني الجزء: ٧ ص٤١٨

(٥) غرر الحكم: ح ٢٠٩٥.

(٦) غرر الحكم: ح ٣١٧٥

(٧) غرر الحكم: ح ٥١٦١

(٨) غرر الحكم: ح ٨٨٧١

وقال الباقر (عليه السلام): «بئس العبد عبد له طمع يقوده وبئس العبد عبد له رغبة تذلّه»[1].

وقيل للّصادق (عليه السلام): «ما الّذي يثبت الايمان في العبد قال الورع والّذى يخرجه منه الطّمع»[2].

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (لوكان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى الثالث ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب)[3]. وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): يشيب ابن آدم ويشبّ فيه خصلتان، الحرص وطول الامل[4].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أبو جعفر عليه السلام:«مثل الحريص على الدنيا مثل دودة القز كلما ازدادت من القز على نفسها لفا كان أبعد لها من الخروج حتى تموت غما»[5].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «أغنى الغنى من لم يكن للحرص أسيرا»[6].

وأمثال ذلك من الرّوايات المستفيضة في هذا المجال.

فيتحصل: إن الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) يحذر المسؤولين من إدخال الاصناف الثلاثة في المنظومة الإدارية، بهدف الاستحواذ على كل شيء بغير حق.

(١) المصدر نفسه: ص٤١٨

(٢) المصدر نفسه:

(٣) الدر المنثور: للسيوطي: ج٦ ص ٣٧٨

(٤) مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة: محمد تقي النقوي القايني الخراساني ج ٧ ص٤١٨

(٥) روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه: محمد تقي المجلسي (الأول) ج ١٢ ص١١٨

(٦) المصدر نفسه: ص١١٨

ثم يقول (عليه السلام) إن الاصل في هذه الخصال (البخل، الجبن، الحرص والطمع) هو سوء الظن بالله سبحانه وتعالى.

ويؤكد الامام (عليه السلام) أن هناك معايير ومواصفات إيجابية للمستشارين ينبغي للمسؤول النظر والتفحص فيها، وهي على سبيل الحصر (الصدق، العقل، الاخلاص الشجاعة، الدراية، التجربة والاختصاص، تغليب المصالح العامة على المصالح الشخصية)، ويحذر (عليه السلام) فضلا عن إلى الصفات الثلاث التي مر ذكرها من المواصفات السلبية الاخرى للمستشارين، وهي (الكذب، التهور، ضيق الافق، الجهل والجهال...)

وعنه (عليه السلام): (لا تستشر الكذاب فإنه كسراب، يقرب إليك البعيد ويبعد عليك القريب)[١].

ويقول (عليه السلام): لا تشاور أحمقاً. ولا تستعن بكذاب، ولا تثق بمودة ملول، فإن الكذاب يقرب لك البعيد ويبعد لك القريب. والأحمق يجهد لك نفسه ولا يبلغ ما تريد والملول أوثق ما كنت به خذلك وأوصل ما كنت له قطعك)[٢].

وقال (عليه السلام): (لا تشاورن في أمرك من يجهل)[٣].

ثم يؤكد الامام (عليه السلام) إن تحقيق الاهداف والاقتراب من القيم الإسلامية والمفاهيم الصحيحة، منوط باسترشاد العقلاء والاستفادة من خبراتهم وتجاربهم في الحياة الاجتماعية والسياسية.

(١) غرر الحكم:ج٦: ٣١٠

(٢) تحف العقول عن آل الرسول: ابن شعبة الحراني ص ٣١٣؛ بحار الانوار ج٧٥ ص٢٣٠ ح١٣

(٣) عيون الحكم والمواعظ: علي بن محمد الليثي الواسطي ص ٥١٨

قال عليه السّلام: (استرشدوا العاقل، ولا تعصوه فتندموا)[1].

أقول: فالابتعاد عن التعاليم الاسلامية موجب للحسرة والتألم وضياع الحقوق وتفشي الظلم، وربما يكون الندم بعد فترة من الزمن وليس سريعا.

بالنظر لأهمية مفهوم مبادئ الإدارة والقيادة، فقد تم استخلاص عشرين مبدأ من عهد الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام) لمالك الأشتر(رضوان الله عليه) وقدمناها في هذا الفصل، علما إن هناك مبادئ في هذا العهد هي أكثر بكثير من مجموع العدد الذي استعرضناه واكتفينا في بيانه مراعاة للاختصار بعد ما عرّفنا كل مبدأ من خلال الشواهد والايضاحات العهد ونتحدث عن البعض منها في مفهوم الحكم في عهد الامام علي (عليه السلام) لمالك الاشتر.

(١) هداية الأمة إلى أحكام الأئمة: الحر العاملي، ج ٥ ص١٣٧؛ الوسائل ج ٨: ٤٠٩ /

المبحث الرابع

سمات الشخصية الإدارية القيادية

نتناول في هذا البحث بشيء من التفصيل السمات والصفات المطلوبة لمن يتصدى لأي موقع من مواقع الادارة والقيادة، وأهميتها وحجمها الذي يترتب على حجم المسؤولية المناطة بالشخص المتصدي.

المسألة الأولى: الدراية.

الدراية لغة: (دِراية: (اسم) مصدر دَرَى لَهُ دِرَايَةٌ: عِلْمٌ، مَعْرِفَةٌ) و(درَى فلانٌ الشَّيءَ / درَى فلانٌ بالشَّيءِ: علِمَه وخبرَه، دَرَى خَبَايَا الأُمُورِ: تَوَصَّلَ إلَى مَعْرِفَتِهَا، عَلِمَ بِهَا)[1].

والدراية: هي الرؤية وسعة الأفق التي يجب ان يتحلى بها القائد إزاء المهمة المناطة به، قوله (عليه السلام):(فَانْظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ الله فَوْقَكَ وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ فَإِنَّ ذَلِكَ يُطَامِنُ إِلَيْكَ مِنْ طِمَاحِكَ وَيَكُفُّ عَنْكَ مِنْ غَرْبِكَ وَيَفِيءُ إِلَيْكَ بِمَا عَزَبَ عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ.... الالتفات إلى السوابق في التعيين , وقول الحق , وقبول الحق)[2].

ومن سماته في هذا الجانب ان يكون طموحا في تحقيق مستويات عالية من النجاح وما يسمى بالمصطلح الحديث التخطيط الاستراتيجي، فعندما يكون

(١) المعجم الوسيط للنجار. ج١ ص٥٨٦ باب الدال.

(٢) نهج البلاغة: خطب الإمام علي (عليه السلام) ص٨٥، رسالة ٥٣.

الشخص متصديا للقيادة يجب ان تكون له القدرة على ايجاد التصورات ووضع الخطط الملائمة في لإنجاح مشروعه.

فالحديث عن سعة الافق والرؤية الاستراتيجية عند القائد هو الحديث عن شراكة العقل في تحديد المسارات الصحيحة في الاطار العام الذي يتحرك به وهذه الشمولية والسعة نتائج مستقبلية في نجاح عمله والمهمة المناطة به.

ويؤيد هذا المعنى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) (يحتاج الإمام إلى قلب عقول، ولسان فؤول، وجنان على إقامة الحق صؤول)[1]. ويقصد الإمام هنا من يتصدى للمسؤولية والمهمة القيادية في المجتمع، فيجب على القائد ان يكون متعقلا لجميع الامور ومفكرا لما يحدث في الحاضر والمستقبل، فلذا قيل القلب نوعان:

١ـ القلب العاطفي: وهو القلب الذي يتأثر بالمشاعر والأحاسيس كالحب والبغض وتكون له انطباعات سريعة في اتخاذ القرارات، فعن سعيد الجريري قال سمعت غنيم بن قيس يحدث عن أبي موسى الأشعري قال (إنما سمي القلب قلبا لتقلبه وإنما مثل القلب مثل ريشة بفلاة من الأرض)[2].

وهذا النوع من القلوب لا يلين للإيمان ولا يؤثِّرُ فيه زجر وأعرض عن ذكر الله فالقلب سريع التقلب والتحول، ولذا قيل: قد سمّي القلب قلبا من تقلَّبه * فاحذر على القلب من قلب وتحويل، يصفها القرآن الكريم بالقلوب القاسية وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً)[3].

(١) الغرر والدرر ٦ / ٤٧٢، الحديث ١١٠١٠.

(٢) مسند ابن الجعد: علي بن الجعد بن عبيد الجوهري ج:، ط ٢: ١٤١٧ - ١٩٩٦.

(٣) المائدة: ١٣.

٢ـ وهناك قلوب اخرى عقولة ومدبرة وهو القلب الذي لا يتأثر بالمشاعر والعواطف،ويسميه القرآن الكريم بالقلب الحي (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لذكرى لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ)[١].

وقال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: « سمّي القلب قلبا لسرعة تقلبه «، فإذا صار القلب مزكًّى بالصفات الحميدة، وتخلى عن الصفات الرذيلة صار مصداقا لقوله تعالى: إلا من أتى الله بقلب سليم)[٢] ويؤيد كلامنا ما ورد وفي كنز العمّال: (إذا أراد الله بقوم خيراً ولّى عليهم حلماءهم وقضى عليهم علماؤهم، وجعل المال في سمحائهم. وإذا أراد الله بقوم شرّاً ولّى عليهم سفهاءهم، وقضى بينهم جهالهم، وجعل المال في بخلائهم)[٣].

فيعتبر في الوالي مضافاً إلى العقل، الرشد في قبال السفاهة أيضاً. وإن شئت قلت: يعتبر فيه العقل الكامل، فهما شرط واحد. والخلاصة المسألة واضحة لا تحتاج إلى بيان.

إن أي مسؤولية غيبت عنها الدراية والعقل والتخطيط مما لا شك فيه تكون محفوفة بالفشل والتلكؤ في تحقيق الأهداف، ولذلك نجد في كلام الأمام علي(عليه السلام) ما يؤيد لهذا المعنى (نعوذ بالله من سبات العقل، وقبح الزلل، وبه نستعين)[٤] .

(١) ق: ٣٧.

(٢) الشعراء: ٨٩.

(٣) كنز العمّال ٦ / ٧، الباب ١ من كتاب الإمارة، الحديث ١٤٥٩.

(٤) مسائل الشريف المرتضى: الشريف المرتضى ج٣: أورد الخطبة بتمامها الشريف الرضي في نهج البلاغة. تحقيق: تقديم: السيد أحمد الحسيني / إعداد: السيد مهدي الرجائي ص ٣٤٦، الطبعة: الاولى.

اقول: اذا كان العقل قابلاً للنوم ويرقد كما يرقد البدن فالبعض من القادة يبطل عقله ولا يحرك مداركه العقلية في المسؤولية المناطة به فتراه كثير العمل سريع الخطأ فهكذا قليل التدبر والتفكير وهناك من يتدبر ويخطط ويستشرف بالمستقبل ثم يقدم فتكون خطواته اقرب إلى النجاح، فتعبير الامام (عليه السلام) عن حالة سبات العقل وقبح الزلل ويتعوذ بالله منها فحينما يرقد العقل وينام وحينما يعطل التفكير يكون الزلل والخطأ والانحراف والضلال وعدم امكانية تحقيق النتائج الصحيحة. فوقوع القيادة في مسارات خاطئة يؤدي إلى تعريض الامة إلى مشاكل وحملها إلى مدارج التيه الفوضوي المتمثل بالهرج والمرج الذي ينتج منه ظلم الابرياء وتسبيب القتل وتعريض اعراض الناس إلى الهتك والظلم.

المسألة الثانية: البصيرة.

(البصيرة: قوة القلب المدركة ويقال بصر وجمع البصيرة بصائر، قال سيبويه بصر صار مبصراً وابصره اذا اخبر بالذي وقعت عينه عليه)[١].

(إن البصيرة هي تكامل العلم والمعرفة بالشيء ولهذا لا يجوز أن يسمى الباري تعالى بصيرة إذ لا يتكامل علم أحد بعظمته وسلطانه)[٢].والبصيرة: تعني وضوح الرؤية وانشراح الفؤاد فالبصر هو العين الظاهرية، أما البصيرة فهي عين الفؤاد)[٣].

وقيل: هي التي ترسم الطريق في الحياة، اما فقدان البصيرة فذلك يعني العمى وما عليه الكفار وعبيد الدنيا)[٤]، ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى (يَعْلَمُونَ

(١) تاج العروس: الزبيدي، ج١، ٢٥١٩.

(٢) الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري ص١٠٢

(٣) ينظر إلى رسالة الخواص: السيد احمد الخاتمي: ص٢٦

(٤) المصدر نفسه: ص٢٦

ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ)[1] وهي اشارة الى أن الإنسان الذي يفقد البصيرة يكون اعمى، ولا تمثل البصيرة العمى الظاهري بل العمى الباطني الذي هو حقيقة وجوهر الإنسانية.

وقال عليه السلام (فقد البصر أهون من فقد البصيرة)[2]. وقوله عليه السلام(فاقد البصيرة فاسد النظر فليصدق رائد أهله، وليحضر عقله، وليكن من أبناء الآخرة فمنها قدم وإليها ينقلب)[3].

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآلة): ليس الأعمى من يعمى بصره، إنما الأعمى من تعمى بصيرته)[4].

وكان أمير المؤمنين(عليه السلام) يصف فاقدي البصيرة بالحيارى(قوم حيارى عن الحق لا يبصرونه، وموزعين بالجور لا يعدلون به. جفاة عن الكتاب. نكب عن الطريق. ما أنتم بوثيقة يعلق بها، ولا زوافر عز يعتصم إليها. لبئس حشاش نار الحرب أنتم. أف لكم لقد لقيت منكم برحا، يوما أناديكم ويوما أناجيكم، فلا أحرار عند النداء، ولا إخوان ثقة عند النجاء)[5].

ويتحدث القرآن الكريم عن سمات فاقدي البصيرة انه يتحول إلى البهيمية العمياء ويشير القرآن إلى هذا الموضع في سورة الاعراف قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[6].

(١) الروم: ٧

(٢) عيون الحكم والمواعظ: علي بن محمد الليثي الواسطي رقم ١٢٥: ص٣٥٩

(٣) المصدر نفسه: ص ٣٥٩

(٤) ميزان الحكمة: محمد الريشهري ج ١: ص٢٦٦

(٥) نهج البلاغة: خطب الإمام علي ج ٢: ص٦:رقم الخطبة ١٢٥

(٦) الاعراف: ١٧٩

ويصفهم الامام أمير المؤمنين(عليه السلام) (فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همها علفها، أو المرسلة شغلها)[1].

ثم أن الامام (عليه السلام) يشخص اهل البصائر من دونهم ويضع ميزانا في ذلك، وهو ما رواه الصدوق في الأمالي: عن علي بن أحمد الدقاق، عن محمد بن الحسن الطاري، عن محمد بن الحسين الخشاب، عن محمد بن محسن، عن المفضل ابن عمر، عن الصادق، عن أبيه، عن جده، عن أبيه (عليهم السلام)، قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبة له: « ولو شئت لتسربلت بالعبقري المنقوش من ديباجكم، ولأكلت لباب هذا البر بصدور دجاجكم، ولشربت الماء الزلال برقيق زجاجكم، ولكني أصدق الله جلت عظمته حيث يقول: (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون)[2] .

فأهل البصائر هم الذين يشخصون طريق الحق والحياة الطيبة ولم ينخدعوا بالدنيا وملذاتها ولا يتخذون الدنيا ساحة لتنفيذ شهوات النفس ومسرحا تذبح عليه القيم الانسانية بل ينظرون إلى الامور بعين البصيرة حيث انظارهم متعلقة بعاقبة الامور وما تؤول اليه في الحاضر والمستقبل.

وهذا ما اشار إليه الإمام علي(عليه السلام) (ا ن أولياء الله هم الذين نظروا إلى باطن الدنيا إذا نظر الناس إلى ظاهرها، واشتغلوا بآجلها إذا اشتغل الناس بعاجلها، فأماتوا منها ما خشوا أن يميتهم، وتركوا منها ما علموا أنه سيتركهم، ورأوا استكثار غيرهم منها استقلالا، ودركهم لها فوتا. أعداء ما سالم الناس، وسلم ما عادى الناس. بهم علم الكتاب وبه علموا. وبهم قام الكتاب وبه قاموا. لا يرون مرجوا فوق ما يرجون ولا مخوفا فوق ما يخافون)[3].

(١) نهج البلاغة: خطب الإمام علي ج ٣:رقم ٤٥

(٢) مستدرك الوسائل: ميرزا حسين النوري الطبرسي، ج ١٦، ص٣٠١

(٣) نهج البلاغة: خطب الإمام علي (عليه السلام) ج٤ ص١٠١قصار الحكم: ٤٣٢

فيتحصل ما يلي:

إن الشخصية القيادية والمتصدية للمسؤولية في البلد يجب أن تتحلى بالبصيرة، لما ذكرناه في ذم من فقدها وبفقدانها تكون الفوضى وظهور الميولات الشخصية من الأنا وحب الدنيا، فهي كالسراج الذي ينير الدرب في الظلام، وتعد البصيرة من الضروريات لحياة كل مجتمع ببعديه الفردي والاجتماعي ويستطيع صاحب البصيرة ان يفكر ويرسم المستقبل بكل جوانبه وأبعاده.

فالبلد الذي فيه أصحاب البصائر بلد تسوده الطمأنينة والعيش الهنيء ويرتقي في سلم الصعود نحو البناء والازدهار.

والصورة تظهر واضحة فيما لو فقده هؤلاء لغيبت عنه الخطط واصبح في مدارج السقوط وتعصف به بين الحين والآخر أزمات سياسية والاجتماعية، فالقيادة الفاقدة لهذه السمة لا يتأمل منها الا تصدير المشاكل وتفقيس الازمات وتضييع الحقوق وجر البلاد إلى الحروب والويلات.

المسألة الثالثة: المعرفة.

من السمات الاساسية التي يمكن توافرها في المتصدي للقيادة او المسؤولية هي المعرفة والخبرة او ما يعبر عنه: الاصطلاح الحديث بالكفاءة، إذ يجب أن يكون المسؤول كفوءاً خبيرا عالما.

والدراية غير المعرفة، فالدراية عبارة عن التخطيط والرؤية، والكفاءة هي قدرة الاشخاص على تنفيذ الخطة المعدة في تحقيق الرؤية على مرافق الارض.

اذا النجاح لا يتحقق إلا من خلال أن يكون المتصدي للقيادة عارفا بمسؤوليته وبالمهمة المناطة به وإلا يقع في محذورين الافراط أوالتفريط، إما الافراط: الذي هو

تجاوز الحدود العملية من جانب الكمال فيحتمل أن يكون جاهلا فيحمل المهمة والمسؤولية الملقاة على عاتقه إلى العشوائية والتخبط وخلط الاوراق وانحراف المسارات عن الاتجاه الصحيح.

وإما التفريط: الذي هو تجاوز الحد من جانب النقصان والتقصير. في أداريهِ فيكون دائما في حالة التقصير في اداء الواجب ومن الصعب تشخيص الحدود بين الافراط والتفريط فيبقى بينهما ويؤيد هذا المعنى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين(عليه السلام) (ان أحقّ الناس بهذا الأمر أقواهم عليه وأعلمه بأمر الله فيه)[1].

وثمة روايات أخرى فيما يرتبط بالمعرفة بالزمان وأهله لا مجال لتتبعها.

ونقول أيضاً:

ثمة نصوص كثيرة حول كون الأحق بالأمر هو الأعلم، أو فقل: هو ذلك الرجل الذي يكون في المستوى الأعلى من العلم والمعرفة بأحكام الله تعالى أي الاقدر على الاتيان بالضوابط والسياقات والقوانين والسنن سواء كانت هذه الضوابط في الاطار الشرعي او الوضعي فالأعلم هو الاولى بتولي مهام الامور القيادي والتصدي لها.

فضلان عن أن من الطبيعي: أن يكون الأعلم، والأعرف بزمانه، والأقدر هو الأقرب والأجدر بتحقيق الأهداف الإلهية، فيما يرتبط بتطبيق أحكام الإسلام، وتنفيذ تعاليمه على صعيد الحكم)[2].

(١) نهج البلاغة،:، الخطبة ١٧٣.

(٢) موقع ولاية الفقيه في نظرية الحكم والإدارة في الإسلام: السيد جعفر مرتضى العاملي ص ٥٠.

وفي حديث علي (عليه السلام): (لا يرى الجاهل إلَّا مفرطا أو مفرّطا)[1]، بالتخفيف: المسرف في العمل. وبالتشديد المقصر فيه. وفرط في الأمر يفرط فرطا أي قصر فيه وضيّعه حتى فات. وكذلك التفريط)[2].

وقريب منه ما ورد في كتاب الله سبحانه وتعالى(وبلفظ: الجاهل لا يلقى أبدا إلَّا مفرطا أو مفرّطا أي يسيء عمدا، ويحسن غلطا. وهو بالتّخفيف: المسرف في العمل، وبالتّشديد: المقصّر فيه)[3].

ومن قوله تعالى: ﴿أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ﴾[4].

و﴿ما فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ﴾[5]. مع قوله عزّ وجلّ: ﴿ما فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جاهِلُونَ﴾[6].

يعلم أنّ الجاهل في النّار، والتّفريط من صفته، كما يفهم من قوله تعالى: ﴿وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا واتَّبَعَ هَواهُ وكانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾ [7]، أنّه لا ينفكّ من الإفراط والتّفريط الغافل المتّبع للهوى.

فيتحصل: القول إن الجاهل اما متطرف فيزيد على الحد المطلوب او يفرط بتضييع جزء من الواجب والمسؤولية المناطة به.

(١) نهج البلاغة: خطب الامام علي، ج٤، ص١٦، ح٧٠.

(٢) ما وراء الفقه: السيد محمد الصدر، ج ٤.

(٣) أمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة: محمد الغروي.

(٤) النحل: ٦٢.

(٥) يوسف: ٨٠.

(٦) يوسف:٨٩.

(٧) الكهف: ٢٨.

المسألة الرابعة: العدالة.

العدل لغة: (خلاف الجور، وهو القصد في الأمور، وما قام في النفوس أنه مستقيم، مِن عَدَلَ يَعْدِلُ فهو عادل من عُدولٍ وعَدْلٍ، يقال: عَدَلَ عليه في القضية فهو عادِلٌ. وبسط الوالي عَدْلَهُ)[1](والعدالة وصف بالمصدر معناه ذو عدل. وتعديل الشهود: أن تقول أنهم عدول، وعدّل الحكم، أقامه، وعدّل الرجل: زكاه)[2].

ومن التعريفات اعلاه نستنتج إن:

العدل هو: وضع الشيء في موضعه أو إعطاء كل ذي حق حقه.

ومن مصاديقه:

اتخاذ الاجراءات الصحيحة في الوقت المناسب وفي الظروف المناسبة.

وضع الرجل المناسب في الموضع المناسب.

وتوزيع الادوار والمهام الادارية بطريقة سليمة وصحيحة.

والحزم في الامور.

وعدم التميز بين الناس بالابتعاد عن الهوى. هذا هو العدل كما يفهم من روايات اهل البيت(عليهم السلام).

عن مولانا أمير المؤمنين(عليه السلام) في وصيته لمالك الاشتر (رضوان الله عليه) واصفا العدل والاحسان للآخرين وَلَا يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ فَإِنَّ

(١) لسان العرب: ابن منظور:ج١١:ص٤٣٠ وينظر مصباح المنير: للفيومي:ج٢:ص٣٩٦. والصحاح: للجوهري: ج٥: ص١٧٦٠. القاموس المحيط للفيروز ابادي، ص١٠٣٠

(٢) رسائل فقهية: الشيخ مرتضى الأنصاري، مجلد ٢٣، ص٥، ١٤٤

فِي ذَلِكَ تَزْهِيداً لِأَهْلِ الْإِحْسَانِ فِي الْإِحْسَانِ وَتَدْرِيباً لِأَهْلِ الْإِسَاءَةِ عَلَى الْإِسَاءَةِ) [1].

فقد ورد عن مولانا أمير المؤمنين(عليه السلام) في كلمات قالها في طريقه إلى صفين في حربه مع القاسطين، بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله: قال اتقوا الله عباد الله وأطيعوه وأطيعوا إمامكم فإن الرعية الصالحة تنجو بالإمام العادل، ألاوإن الرعية الفاجرة تهلك بالإمام الفاجر)[2].

إن سبب نجاة الامة وتقدمها في تحقيق اهدافها وتطلعاتها لا يكون إلا بوجود الحاكم والمسؤول العادل، اما الرعية غير الصالحة فلا يحقق الحاكم العادل النجاح، لأن غير الصالح لا يتبع الصالح.

فالأمام العادل والمسؤول العادل هو الضمان لنجاح الناس الصالحين، فهناك معادلة يمكن ان يكون القائد قد ادى واجباته إزاء الأمة، والأمة هي السبب في حصول الاخفاقات، كما يحصل في عدم انتخاب الأكفاء في ادارة الحكم؛ وفي الطرف الآخر من المعادلة يبيّن الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام) إن الحاكم والمسؤول حينما يكون فاجرا ويتنصل في مسؤوليته من إقامة العدل يكون سببا في هلاك الإنسان الفاجر لأن الفاجر يتبع الفاجر بينما الإنسان الصالح لا يتبع الحاكم الفاجر، حتى وإن انحرف الحاكم يبقى الإنسان الصالح ملتزما بالأحكام الشرعية والقوانين الوضعية ولا ينحرف معه.

ولكن لو تماشى مع المسؤول الفاجر غير العادل ووضع يده بيده وسمح لنفسه بأخذ الرشوة مثلا سوف ينغمس في متاهات ويضيع في دنيا مظلمة.

(١) نهج البلاغة: خطب الامام علي، ج٣، ص٨٨، رسالة ٥٣.

(٢) مصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة): الميرجهاني، ج١، ص ٢٩٣

ويصف الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) كلا القسمين من الحكام في خطبة له:

١ـ يصف الحاكم العادل: فيقول:

(عباد الله إن من أحب عباد الله إليه عبداً أعانه على نفسه... قد أخلص لله فاستخلصه فهو من معادن دينه وأوتاد أرضه، قد ألزم نفسه العدل، فكان أوّل عدله نفي الهوى عن نفسه، يصف الحق ويعمل به، لا يدع للخير غاية إلا أمّها ولا مظنة إلاّ قصدها قد أمكن الكتاب من زمامه فهو قائده وإمامه، يحل حيث ثقلُه وينزل حيث كان منزله..).

٢ـ يصف الحاكم الفاجر(غير العادل): بقوله:

(وآخر قد تسمى عالماً وليس به فاقتبس جهائل من جهّال وأضاليل من ضلاّل ونصب للناس شَرَكا من حبائل غرور وقول زور، قد حمل الكتاب على آرائه وعطف الحق على أصواته، يؤمن من العظائم ويهوّن كبير الجرائم، يقول أقف عن الشبهة وفيها وقع، ويقول أعتزل البدع وبينها اضطجع، فالصورة صورة انسان والقلب قلب حيوان، لا يعرف باب الهدى فيتّبعه، ولا باب العمى فيصدّ عنه فذلك ميت الأحياء)[1].

يبيّن الإمام (عليه السلام) ان من سمات القائد أو المسؤول ان يكون عادلا.

من مصاديق العدل:

١ـ نفي الهوى عن النفس.

وهذه اشارة وتنبيه لكل من يتصدى لزمام الامور لابد أن يبدأ بإصلاح نفسه حتى يكون قادرا على اصلاح الاخرين.

(١) بحوث في الفقه المعاصر: الشيخ حسن الجواهري،ج ٤، ص٩١.

٢ـ وصف الحق والعمل به.

والصفة الاخرى للحاكم العادل عبارة عن وضع الخصائص والمعايير الصحيحة في كيفية تشخيص الحق ومن خلال ذلك يستطيع التمييز بين الحق والباطل وبين ما هو حق للناس، هذه من الامور المهمة والاساسية التي وضعها الامام في عهده لمالك (رضوان الله عليه).

٣ـ الالتزام بالوقت.

ومن المعايير الأخرى للعدالة هو الالتزام بالوقت فحينما يكون هناك قانون فواجب على الجميع الالتزام به من اعلى رتبة إلى ادنى رتبة.

٤ـ حث الناس على فعل الخيرات.

ومن سمات المسؤول العادل أيضاً حث الناس على فعل الخيرات في المجتمع وهذا ما يسمى بالتكافل الاجتماعي، فالمسؤول العادل اول السبق له ويكون مبدعا ومبتكرا في هذا الجانب ويشجع الاخرين بهمة وعزم لكي يقدم شيئا جديدا في المنظومة القيادية بهدفِ انجاح الاخرين.

٥ـ العمل بالقرآن الكريم.

ومن السمات الاخرى للحاكم العادل العمل بالقرآن الكريم ضمن منظومة قيادته باتخاذ الاجراءات الملائمة للشريعة الاسلامية فيتعامل مع الجميع على هذا الاساس؛ القرآن والقانون في إطار واحد وصحيح.

ويؤيد كلامنا قوله عليه السلام (التقي يلزم نفسه العدل، فيكون أول عدله نفي الهوى عن نفسه قرّة عين الولاة استقامة العدل في البلاد ليس في الجور عوض من العدل)[١].

(١) نهج البلاغة: خطب الإمام علي (عليه السلام)، (تحقيق صبحي صالح) ص٧٥٤.

وأما صفات الحاكم غير العادل:

١ـ التشبه بالصفات.

فيما لو نعت الحاكم نفسه بصفات وليس فيه منها شيء كدعواه بأنه عالم وليس بعالم، او يدعي أن به الكفاءة والقدرة والعدل بالتعامل ولا يتوفر فيه شيء منها.

يصفه الامام (عليه السلام)(وآخر قد تسمّى عالماً وليس به فاقتبس جهائل من جهّال وأضاليل من ضلاّل ونصب للناس شَرَكا من حبائل غرور وقول زور).

فيتضح من قول الامام (عليه السلام) انه من كان جاهلا وضالا يكون مستشاروه والمحيطون به من الجهال وأهل الضلال، فالقائد في المنظومة الاسلامية إما أن يكون ضالا ومضلاً أو مهتدياً وهاديا، فمرة يتحول المسؤول إلى حالة مثالية يتحقق من خلالها الإنجازات الكبيرة في تحقيق الاهداف وطموحات الامة، أو يكون عبئا على الأمة يتحول فيها إلى حالة من التعصب وتمزيق الأمة وتشتيتها والتجاوز عليها.

٢ـ سلب الحقوق والحريات.

من خلال سلب الحقوق والحريات وتضييعها، ترى الأمة في ظل أمثال هؤلاء تعيش الاضطراب والقلق النفسي، وهذه كلها عوارض تطرأ على المجتمع حينما يتصدى للمسؤولية الشخص غير الكفوء، فيقتبس الجهائل والأضاليل وينصب للناس اشراكا من حبائل الغرور وقول الزور من الكلام الباطل والوعود الزائفة.

وهذا ما نراه اليوم في الانظمة الدكتاتورية من انها تقوم بمهام معينة في السلطنة على رقاب الناس واحد هذه المهام جعل القانون بأيديهم (كقول الإمام

الحسين عليه السّلام في كلام له: (الدّين لعق على ألسنتهم، يحوطونه ما درّت معائشهم، فإذا محّصوا بالبلاء قلّ الدّيّانون)[1].

فيبدا بتكييف القانون وفقا لآرائه وأفكاره ويرى لنفسه الحق المطلق في تنفيذ فقرات القانون من بطش وفتك وقتل الناس على قارعة الطريق كل ذلك يراه صواب، ثم يخرج ويتحدث للناس عن الحق وماسواه ليس كذلك وهذا واضحا وجليا في قول من تصدى لدفة الحكم في الاسلام.

فيما روى الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن سعيد بن سويد، قال: صلى بنا معاوية بالنخيلة الجمعة، ثم خطبنا فقال: والله إني ما قاتلتكم لتصلوا، ولا لتصوموا، ولا لتحجوا ولا لتزكوا، إنكم لتفعلون ذلك، وإنما قاتلتكم لأتأمر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون)[2]، فهذه التجربة التعسفية في الحكم دليل واضح لما تعيشه المجتمعات اليوم من سلب حرية الرأي والصعود على اكتاف الاخرين فينبغي للحاكم ان يكون عادلا في قوله وفعله لكي يحقق آمال الأمة وطموحاتها منسجما مع القيم الاسلامية.

واخيرا: يلخص لنا الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) المشهد أو المقطع المتعلق بالحاكم أو المسؤول غير العادل ويوضح صورته للناس يقول (عليه السلام)(اعتزل البدع وبينها اضطجع، فالصورة صورة انسان والقلب قلب حيوان، لا يعرف باب الهدى فيتّبعه، ولا باب العمى فيصدّ عنه فذلك ميت الأحياء) يتحدث عن الصورة الظاهرية والباطنية فيقول صورته انسان وقلبه حيوان ليس لديه معرفه في ابواب الهداية لكي يتبعها فتلتبس عليه الامور، فلا يستطيع تشخيص الامور

(١) حياة الإمام الحسين عليه السّلام: ٣ / ٩٧؛ البحار: ٤٤ / ٣٨٣.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، الجزء: ١٦، ص٤٦

الحق والباطل الخطأ والصواب فتكون قراراته عشوائية غير سليمة فيقول الامام ذلك ميت الاحياء انسان حي يمشي على الأرض ولكن ميت، لأن جوهر الحياة وفلسفتها غائبة عنه.

المسألة الخامسة: القدرة على الأداء

الاداء لغة: (أَدَاءٌ: (اسم) مصدر أدَّى (قَامَ بأداء وَاجِبِهِ: بِإِنْجَازِهِ، بِإِكْمَالِهِ)[1]، وفي مجمع البحرين): أدا): قوله تعالى:)وَ أَداءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسانٍ)، أي إيصال إليه وقضاء، ومنه: (وأدّى دينه)[2].

ولا نقصد بمفهومها القدرة على السيطرة واستخدام القوة مع الناس بل نعني بذلك المفهوم الواسع في المنظومة الادارية والقيادية: مجمل السمات والصفات التي تجعل المسؤول قادرا على انجاز الاهداف بالوسائل المتاحة والصحيحة والطبيعية المألوفة.

ومن خلال هذا المعنى يدعونا الحديث عن سعة الصدر وتحمل الاطراف المنافسة والمخالفة وبالبداهة ان كل من يتصدى للقياده يظهر من حوله المنافسون والمخالفون في دائرة التعامل الاجتماعي والسياسي لأن الناس اصناف مختلفة في تعاملهم ورؤاهم، فينبغي للمسؤول ان تكون له رؤية وانضباط نفسي في كيفية التعامل مع المنافس والمخالف وهذا لا يتم إلامن خلال اتخاذ القرارات القوية والشجاعة لأن مصالح الناس يجب ان تضمن من خلال المواقف المنطقية المحسوبة الشجاعة.

(١) معجم المعاني الجامع: للسيوطي: مادة (اداء)

(٢) مجمع البحرين: للطريحي: ج١، ص٤٧

فالحكمة والقوة في اتخاذ القرارات تعني الاستقامة والثبات وعدم تزلزله بسبب الضغوطات التي يتعرض لها المسؤول من بعض الاطراف الاخرى، فيجب عليه اتخاذ الموقف الصحيح المنسجم مع المصلحة العامة، فلا يجوز له التنازل عن مصالحهم في مراعاة المنصب والمصالح الخاصة.

وينبغي ان تكون للحاكم القدرة في مواجهة التحديات و حفظ حقوق من هو مسؤول عنهم، فرب الاسرة يجب ان يحافظ على اسرته فلا يتركهم جياعا ويشبع بطون اخرين (الأقربون أولى بالمعروف) ويكونون واجبي النفقة عليهم.

فالحاكم مسؤول عن كيفية التعامل مع الرعية وأن يتحلى بالهمة العالية والثقة بالنفس وبث الامل في نفوس الآخرين، وأن يكون متألقاً حتى يحقق الانجازات في أصعب الظروف .

يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) في أحد خطبه (ايّها الناس، إِن أحقّ الناس بهذا الأمر أقواهم عليه وأعلمهم بأمر الله فيه، فإن شغب شاغب استعتب، فإن أبى قوتل)[1].

ومعنى: الشغب: تهييج الفساد. والاستعتاب: الاسترضاء.

اقول: ان الاقوى على اداء المسؤولية هو الأحق بها وليس الأقوى هو من استقوى على الناس الضعفاء واذا كان المسؤول قويا فإنه لا يقع تحت تأثير السلطة واغراءاتها.

واذا وقع الحاكم أو المسؤول تحت تأثير الآخرين فإنه سيصاب بالإخفاقات وتشتت القرارات، والابتعاد عن الرؤية المطلوبة ويشهد لذلك قول الامام علي

(١) نهج البلاغة، خطب الامام علي ج٢، ص٩٦، خطبة ١٧٣.

(عليه السلام): (من قوي على نفسه تناهى في القوة)[1]، وقوله عليه السلام: (أقوى الناس من قوي على غضبه بحلمه)[2].

فيتحصل: ان الحاكم إذا أراد أن يكون قويا فعليه أن يتحصن من خلال مسك مشاعره وغضبه وأحاسيسه ورغباته ومصالحة ومصالح من يلوذ به بقرابة وأن يقدم المصلحة العامة على الخاصة، وأن يتصرف بعلم وحلم وحكمة.

المسألة السادسة: النزاهة.

قبل الدخول في توضيح معنى النزاهة، لابأس بالإشارة إلى المراد من النزاهة لغة. نزه: النُّزْهَةُ: معروفة. والتَّنَزُّه: التباعد، والإسم النُّزْهةُ. وهو يتنَزَّه عن الشيء إذا تباعد عنه. وقد نَزُه نَزاهةً وتَنَزَّه تنَزُّهاً إذا بَعُدَ.

ورجل نَزْه الخُلُقِ ونَزِهُه ونازِه النَّفْس: عفيف مْتكَرِّمٌ يَحُلُّ وحْدَه ولا يخالط البيوت بنفسه ولا ماله، والجمع نُزَهاءُ ونَزِهُونَ ونِزَاه، والإسمُ النَّزْه والنَّزاهةُ.

ونَزَّه نفْسَه عن القبيح: نَحّاها. ونزَّه الرجلَ: باعده عن القبيح.

والنَّزاهةُ: البعد عن السوء[3]، إن فلاناً لنَزِيه كريمٌ إذا كان بعيداً من اللُّؤْمِ، وهو نزِيه الخُلُقِ. وفلان يتَنزَّه عن مَلائمِ الأَخلاق أَي يتَرَفَّعُ عما يُذَمُّ منها.

وقال بعض الحكماء: أصل المحاسن كلها الكرم، وأصل الكرم نزاهة النفس عن الحرام[4].

(١) غرر الحكم: ٢٤٤٩، ٦٨٠٣

(٢) عيون الحكم والمواعظ: علي بن محمد الليثي الواسطي، ص١١٦.

(٣) لسان العرب: ابن منظور ج١٣ ص٥٤٨، الصحاح في اللغة، الجوهري، ج٢ ص٢٠٤.

(٤) سراج الملوك: الطرطوشي ج١ ص٦٧.؛ المستطرف في كل فن مستظرف، عبد المحسن بن محمد

وللنزاهة في الرؤية الاسلامية معنى اوسع بكثير من معاني النزاهة المالية التي تتبادر إلى الذهن فعرفها طائفة من العلماء بتعريفات متعددة نكتفي ببعض منها.

قال المناوي: (النَّزَاهَة: اكتساب المال من غير مَهَانة، ولا ظُلْم، وإنفاقه في المصارف الحميدة..... وقال ايضا (النَّزَاهَة البُعْد عن السُّوء)[1].

وقيل في تعريف النزاهة (ومعنى التَّنَزُّه: التَّباعد من الدَّناءة والأوساخ)[2].

ويفهم من ذلك ان ترقى العبد في درجات القرب، فكلما صار أكمل صفة، وأتم علما وإحاطة بحقائق الأمور، وأثبت قوة في قهر الشيطان وقمع الشهوات، وأظهر نزاهة عن الرذائل، صار أقرب من درجة الكمال، ومنتهى الكمال لله، وقرب كل واحد من الله تعالى بقدر كماله[3].

ان الفرد الذي يرتفع في نزاهة ورجاحة عقله على الأهواء والأخطاء. فلا بد إذن من اعلان المساواة التامة في الحقوق السياسية للمواطنين كافة، لأنهم يتساوون في تحمل نتائج المسألة الاجتماعية والخضوع لمقتضيات السلطات التشريعية والتنفيذية. [4]

أن ولي الأمر – الذي كان مفروضاً فيه أن يمثل مصالح المجتمع وأن يحكم من مكانه الرفيع في نزاهة وحياد وعدل وايثار لمصالح المجتمع – قد سقط إلى درك الرقيق لهذه القوى المالية، وأصبح أداة طيعة لتنفيذ أهوائها وشهواتها)[5].

الصوري،ج١ ص٤٤٣.

(١) التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي: ج١، ص٦٩٥ .

(٢) قوت القلوب: لأبي طالب المكي:ج٢: ص٣٧٦

(٣) إحياء علوم الدين: الغزالي، ج ١٤، ص٣٢٩

(٤) المدرسة الإسلامية: السيد محمد باقر الصدر، ص٣٨:

(٥) بحوث في الفقه المعاصر: الشيخ حسن الجواهري، ج ٥، ص٣٨٦

وقريب منه ما ورد في أصول الكافي[1] فعن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن سنان، عن نصير أبي الحكم الخثعمي، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: المؤمن مؤمنان: فمؤمن صدق بعهد الله ووفى بشرطه، وذلك قول الله عز وجل: (رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه)، فذلك الذي لا تصيبه أهوال الدنيا ولا أهوال الآخرة، وذلك ممن يشفع ولا يشفع له، ومؤمن كخامة الزرع، تعوج أحيانا وتقوم أحيانا، فذلك ممن تصيبه أهوال الدنيا وأهوال الآخرة، وذلك ممن يشفع له ولا يشفع)[2]

ويعبر عن النزاهة بالإخلاص وهو والتخلص من حب الدنيا أهم الموانع عن حصول الخلوص، والإخلاص حب العلائق الفانية الدائرة التي تحيط ببني آدم إحاطة الدنيا بأبنائها، وقد جمع ذلك كلَّه النبيّ الأعظم صلَّى الله عليه وآله في قوله: (حب الدنيا رأس كلّ خطيئة). الإمام عليّ (عليه السلام) في قوله: (سَبَبُ فَسادِ العَقلِ حُبُّ الدُّنيا)[3] فالإخلاص والخلوص مع حب الدنيا متنافيان[4].

ويؤيد كلامنا قول أمير المؤمنين(عليه السلام):

(ليجتمع في قلبك الافتقار إلى الناس والاستغناء عنهم، فيكون افتقارك إليهم في لين كلامك وحسن بشرك، ويكون استغناؤك عنهم في نزاهة عرضك وبقاء عزك).

وقال سيد الساجدين (عليه السلام):

(رأيت الخير كله قد اجتمع في قطع الطمع عما في أيدي الناس، ومن لم يرج الناس في شيء، ورد أمره إلى الله تعالى في جميع أموره[5]).

(١) ج ٣ ص ٣٤٦ـ ٣٤٧ باب أن المؤمن صنفان ح ١ و٢.

(٢) معجم المحاسن والمساوئ: الشيخ أبو طالب التجليل التبريزي، ص١١٦.

(٣) غرر الحكم: ٥٥٤٣، عيون الحكم والمواعظ: ٢٨١ / ٥٠٥٦.

(٤) مهذب الأحكام في بيان الحلال والحرام: السيد عبد الأعلى السبزواري، ج ٦، ص ١٠٣.

(٥) جامع السعادات: ملا محمد مهدي النراقي ج ٢ ص٨٣؛ الوافي: الفيض الكاشاني، ج٤ ص٤١٥.

من مجموع التعريفات التي مرت آنفا نقول: النزاهة تعني الطهارة أي ان يكون الإنسان طاهرا نقيا وتظهر حالة النقاوة المعنوية في مساحات مختلفة وتوجد تغيرات وتحولات كبيرة في سلوك الإنسان المسؤول حينما يتصدى إلى مواقع المسؤولية فالمسؤول يحتاج ان يكون طاهرا ونقيا من الدنيا وحب الدنيا.

وقريب منه (عن أبي مخنف الأزدي قال: أتى أمير المؤمنين (عليه السلام) رهط من الشيعة، فقالوا: يا أمير المؤمنين لو أخرجت هذه الأموال ففرقتها في هؤلاء الرؤساء والأشراف وفضلتهم علينا حتى إذا استوسقت الأمور عدت إلى أفضل ما عودك الله من القسم بالسوية والعدل في الرعية، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (أتأمروني ويحكم أن أطلب النصر بالظلم والجور في من وليت عليه من أهل الإسلام، لا والله لا يكون ذلك ما سمر السمير وما رأيت في السماء نجماً والله لو كانت أموالهم ملكي لساويت بينهم فكيف وإنما هي أموالهم) [1].

(١) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ١٠٦ - ١٠٥ ب ٣٩ ح ٢٠٠٧.

المبحث الخامس

تقاطعات عنصر النزاهة

ومن خلال استعراضنا للأحاديث والروايات الشريفة يتضح لنا ان النزاهة في الشخصية الإدارية القيادية تتقاطع مع الصفات الخلقية الآتية:

المسألة الأولى: حب الأنا والاحتكار والاستحواذ وحالة أم الاعتداد؟ بالرأي:

التي يقع فيها المسؤول هي من حالات الانانية حيث يعتقد ان رأيه هو الصواب ويرفض الاستماع إلى أراء الاخرين (المستشارين) والخبراء، وبعبارة اخرى يريد ان يتكلم ولا يريد ان يسمع للأخرين فكلما كان الإنسان هادفا في حياته إنسانيا في سلوكه، حركيا عمليا يتوسع فكره لأكثر من نفسه، ويتسع صدره لغير (الأنا) و(الذات): كان أكثر تأثيرا في مصير الناس، والصورة تختلف فيما لو توافرت صفة الانا في دائرة حياته.

وهذه المدرسة الأموية تعطينا صورة واضحة في التعامل السيئ مع الآخرين وهو ناتج من استحواذ الأنا على نفوسهم، يقول الدكتور جورج جرادق واصفا حالتهم المزرية بقوله (أمّا أولئك الذين استلموا مقاليد الأمور وسُدَّة الرئاسة في عهود مختلفة، فإنّ كل مَن حكم منهم وأمسك بزمام الأمور، العالي منها والداني، صرف جُلّ اهتمامه ليحتضن في فريق حكومته الشريحةَ الغنية والقوية المقتدرة؛ محاباة لها، مع العلم بأنَّ قسماً كبيراً من الولاة والمسؤولين، لم يكن ذا خبرة وكفاءة تخوّله المشاركة في شؤون البلاد والعباد. ولا يخفى ما في ذلك من إجحاف وطمسٍ للقدرات والكفاءات التي كانت موجودة ومتوافرةً بحوزة المسلمين، والتي كان

لابد من تشغيلها للنهوض بالأُمّة الإسلامية نحو الأفضل والأكمل. وهذا الأمر كان جلياً في الاختراق الأُموي الذي حدث في زمن الخليفة الثالث عثمان ابن عفَّان، حيث استطاع الأُمويون وآخرون من أمثالهم أن يسيطروا على مراكز ومواقع مهمة وحساسة وأخذوا يبطشون بالناس الذين لا يرون رأيهم السياسي او الذين يشكلون المعارضة للنظام)[1].

فحالتا الاستحواذ والاحتكار حينما يضع المسؤول اليد على كل شيء ويريد أن يكون قرار كل المهام بيده وليس بيد الآخرين، إنما يدل ذلك على تحقق الأنا في نفسه وذاته فينتج من ذلك آفة حب الرئاسة والسلطة.

ويؤيد ذلك ماورد عن (صفوان بن يحيى.. روى عن محمّد بن قولويه، عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن معمّر بن خلاد قال: قال أبو الحسن عليه السلام: ما ذئبان ضاريان في غنم قد غاب عنها رعاؤها بأضرّ في دين المسلم من حبّ الرئاسة)[2].

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (ملعون من ترأس، ملعون من همّ بها، ملعون من حدث بها نفسه)[3].

المسألة الثانية: الرغبة في الشهرة والعجب بالنفس.

من المشاكل التي تتقاطع مع النزاهة هي الرغبة في الشهرة والعجب بالنفس وحب المديح والاطراء فاصطفاف الناس حولهم سماطين وعبارات التفخيم

(١) علي صوت العدالة: جورج جرداق، ص١١٧

(٢) الرواشح السماوية: المحقق الداماد ص١١٣؛ اخلاق اهل البيت، السيد مهدي الصدر، ص١٣١.

(٣) اصول الكافي: ج٢، ص٢٩٨.

والاطراء يجعلهم يعيشون في حالة خاصة مع أنفسهم تاركين الرعية، فبدلا من ان ينشغل القائد في ايجاد الحلول لمشاكل الناس ووضع الخطط المناسبة لها ينشغل في هذه الاجواء والاهازيج فتحمله إلى الرغبة في الشهرة فيفكر عند ذلك في كيفية استثمار هذه الفرص واستغلالها لمزيد من النفوذ والتأثير ففي هذه الحالة قد ترك المهمة المناطة به.

وبالإضافة إلى ذلك مما يساعد هؤلاء الاشخاص في حب الشهرة هم الجهلاء من الناس حيث يظهرون لهم التملق ويعظمون شأنهم ويمنحونهم مميزات لا توجد فيهم فهذا هو سبب علو واستحواذ هؤلاء على السلطة. ويؤيد كلامنا ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام):

(واعْلَمْ أَنَّ الإِعْجَابَ ضِدُّ الصَّوَابِ، وآفَةُ الأَلْبَابِ)[١].

وعنه (عليه السلام) في كتابه للأشتر النخعي قال:(وإِيَّاكَ والإِعْجَابَ بِنَفْسِكَ، والثِّقَةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا، وحُبَّ الإِطْرَاءِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَوْثَقِ فُرَصِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ لِيَمْحَقَ مَا يَكُونُ مِنْ إِحْسَانِ الْمُحْسِنِينَ)[٢].

وقال (عليه السلام)(وأَوْحَشَ الْوَحْشَةِ الْعُجْبُ)[٣].

وقَالَ عليه السلام: (الإِعْجَابُ يَمْنَعُ الإِزْدِيَادَ)[٤].

وقَالَ عليه السلام: (عُجْبُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ أَحَدُ حُسَّادِ عَقْلِهِ)[٥].

(١) نهج البلاغة: خطب الإمام علي (تحقيق صبحي صالح) ص٢٩٧

(٢) نهج البلاغة: الحكمة ٢١٢، الكتاب ٥٣

(٣) نهج البلاغة: خطب الإمام علي، ج٤ ص١١

(٤) وسائل الشيعة: الحر العاملي، ج١، ص١٠٥

(٥) نهج البلاغة: خطب الامام علي، ج٤، ص٤٩.

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): من أعجب بنفسه هلك، ومن أعجب برأيه هلك، وإن عيسى ابن مريم (عليه السلام) قال: داويت المرضى فشفيتهم بإذن الله، وأبرأت الأكمه والأبرص بإذن الله، وعالجت الموتى فأحييتهم بإذن الله، وعالجت الأحمق فلم أقدر على إصلاحه! فقيل: يا روح الله! وما الأحمق؟ قال: المعجب برأيه ونفسه، الذي يرى الفضل كله له لا عليه، ويوجب الحق كله لنفسه ولا يوجب عليها حقا، فذاك الأحمق الذي لا حيلة في مداواته)[1].

ولذا لا ينبغي للحاكم أن يُشعر الناس بأنه يحب هذه الامور فإن ظن انهم يظنون ذلك فعليه ان يبين لهم حقيقة شعوره من حب الثناء كما فعل علي (عليه السلام) ذلك حينما شعر من الناس انهم يظنون ذلك فيه فأنكر أن يوجد فيه وحمد الله تعالى على ذلك الذي هو احق بالعظمة والكبرياء، وإن الناس بطبيعتهم يحبون ان يحمدوا على ما يقومون به من أعمال.

لكن علي بن أبي طالب (عليه السلام) وهو في موقع الخلافة والمسؤولية لا يريد منكم هذا الثناء وانه يعاقب نفسه على حقوق يشعر انه مهما قدم فهو مقصر في ادائها ويشعر أن هناك واجبات كثيرة لم يؤدها حتى الآن.

وهذا علي بن أبي طالب (عليه السلام) الذي قدم الغالي والنفيس وبذل كل ما في وسعه من أجل الله ومن أجل الناس يقول إني أرى نفسي مقصرا في أداء كل الحقوق.

المسألة الثالثة: ضيق الافق والتحجر.

من التقاطعات المهمة مع النزاهة ضيق الافق والتحجر اللذان يصاب بهما المسؤول او القائد خلال عمله وتصديه للمسؤولية، فيكون ضيق الافق في ظواهر التعامل مع الناس فيجب على القائد أن يستوعب الاخرين وأن يكون عنده بعد

(١) الاختصاص: الشيخ المفيد:ص٢٢١؛ مستدرك الوسائل، ميرزا حسين النوري، ج١، ص١٣٩.

نظر فان ضيق الافق وعدم تحمل الآخر وعدم قبوله يجعل القائد أو المسؤول غير قادر على اتخاذ القرارات الموضوعية فعليه ان يراعي التوازن المطلوب بين الاطراف لكي يحقق الاهداف المطلوبة، وفي جامع الأخبار: قال النبي صلى الله عليه وآله: أفضلكم إيمانا أفضلكم معرفة [1].

المسألة الرابعة: الغدر وعدم الوفاء.

من الحالات والسمات القيادية التي تتعارض مع النزاهة هو الغدر وعدم الوفاء بالمواثيق والعهود (المؤمنون عند شروطهم) فعندما يكون خلاف ذلك فتشيع حالة من الشك بين أطراف الأمة فيفقد المسؤول مصداقيته بين الناس، ويفقد الناس ثقتهم بكلامه.

إذا الالتزام بالعهود والمواثيق من أساسيات مبدأ النزاهة، قال تعالى: (وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلى سَواءٍ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْخائِنِينَ)[2]، وقال عز وجل:(وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً)[3].

وقال: (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً)[4].

قال علي (عليه السلام): (الوفاء لأهل الغدر غدر عند الله، والغدر بأهل الغدر وفاء عند الله)[5].

(١) بحار الأنوار: العلامة المجلسي: ج٣: ص١٤٠.

(٢) الانفال: ٥٨.

(٣) الاحزاب: ٧.

(٤) الاسراء: ٣٤.

(٥) نهج البلاغة: خطب الإمام علي، ج٤ ص٥٨.

عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (أربع من كن فيه فهو منافق - إلى أن قال - وإذا عاهد غدر)[1]. وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (أسرع الأشياء عقوبة، رجل عاهدته على أمر، وكان من نيتك الوفاء به، ومن نيته الغدر بك)[2].

فكان الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام) يؤكد على ضرورة الالتزام بالعهد وتحريم الغدر، فعنه (ع) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (ما رفع الناس أبصارهم إلى شيء إلاّ وضعه الله تعالى، ولو بغى جبل على جبل لجعل الله تعالى الباغي منهما دكاً)[3].

وقال (عليه السلام): وهو يخطب على المنبر بالكوفة -: أيها الناس! لولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس، ألا إن لكل غدرة فجرة، ولكل فجرة كفرة، ألا وإن الغدر والفجور والخيانة في النار)[4].

وقال أبو عبد الله عليه السّلام: (لا ينبغي للمسلمين أن يغدروا ولا يأمروا بالغدر، ولا يقاتلوا مع الذين غدروا، ولكنّهم يقاتلون المشركين حيث وجدوهم ولا يجوز عليهم ما عاهد عليه الكفار)[5].

وقال (عليه السلام) - من كتابه للأشتر لما ولاه مصر - : (فلا تغدرن بذمتك، ولا تخيسن *[6](تحبسن) بعهدك، ولا تختلن عدوك... فإن صبرك على ضيق أمر ترجو انفراجه وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته) [7].

(١) مستدرك الوسائل: ميرزا حسين النوري الطبرسي ج١١ ص٤٨

(٢) المصدر نفسه: ص٤٨

(٣) المصدر نفسه، (باب تحريم البغي)- ج ١٢ ص ٨٥ رقم الحديث ١٣٥٨٥

(٤) الوافي: الفيض الكاشاني ج٥: ص٩٢٣

(٥) الوسائل باب: ٢١ من أبواب جهاد العدوّ، حديث: ١ و٣

(٦) * ولا تخيسن بما عاهدتهم عليه: أي لا يغدر، يقال: خاس به يخيس ويخوس أي غدر به، وخاس فلان بالعهد إذا نكث.

(٧) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: قطب الدين الراوندي، الجزء: ٣ ص١٩٧

إذايعد الغدر وعدم الوفاء من الكبائر في الفهم الاسلامي فينبغي للوالي التحلي والانضباط في التعامل مع الناس والانصاف من نفسه في تذليل المعوقات فيما بينه وبين الأمة.

المسألة الخامسة: الأخلاق السيئة.

ومن التقاطعات الأخرى مع نزاهة القائد والمسؤول هو سوء الخلق والتعامل السيئ مع الناس بطريقة جافة والنظر اليهم بطريقة حادة والجلوس امامهم بحالة التغطرس ديدنه السب والشتم للآخرين ظناً منه ان الطريقة المثلى في ضبط الرعية هو الاساءة اليهم.

وفي القوي كالصحيح، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: إن جبرئيل الروح الأمين نزل على (محمد) من عند رب العالمين فقال: يا محمد عليك بحسن الخلق، فإن سوء الخلق يذهب بخير الدنيا والآخرة، ألا وإن أشبهكم بي أحسنكم خلقا[١].

وقال أبو عبد الله عليه السّلام:(أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه؛ الخلق السيئ يفسد العمل كما يفسد الخل العسل)[٢].

وعن أبي عبد الله عليه السّلام قال (من ساء خلقه عذب نفسه)[٣].

وقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله: (عليكم بحسن الخلق فإنّ حسن الخلق في الجنة لا محالة، وإيّاكم وسوء الخلق فإنّ سوء الخلق في النار لا محالة).

اذا فالأخلاق السيئة تتعارض مع الاخلاق الاسلامية، إذ ينبغي للقائد والوالي أن يتخلى عنها ويتحلى بالأخلاق الحسنة.

(١) روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه: محمد تقي المجلسي الأول (الجزء: ١٣، ص٢٢٨

(٢) الوافي: الفيض الكاشاني، ج٥، ص٨٨٨

(٣) المصدر نفسه: ص٨٨٨

ومن كلام لأمير المؤمنين (عليه السلام) في عهده لمالك الاشتر (رضوان الله عليه) يؤكد على الاخلاق الحسنة وينبغي للقائد ان يتحلى بها: (فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب وترضى ان يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنك فوقهم ووالي الأمر عليك فوقك والله فوق من ولاك، وقد استكفاك أمرهم وابتلاك بهم فلا تنصبن نفسك لحرب له، فإنه لا يدمى لك بنقمته ولا غنى بك عن عفوه ورحمته ولا تندمن على عفو، ولا تبجحن بعقوبة، ولا تسرعن إلى بادرة وجدت عنها مندوحة، ولا تقولن إني مؤمر آمر فأطاع فإن ذلك إدغال في القلب ومنهكة للدين، وتقرب من الغير)[1].

المسألة السادسة: الحقد .

الحِقْدُ لغة: الضِغْن، وهو إمساك العداوة في القلب، والتربص لفرصتها، والجمع أَحْقادٌ وحُقود وحقائد. وتقول: حَقَدَ عليه يَحْقِد حِقْدًا، وحَقِد عليه بالكسر حَقَدًا لغةً. وأَحْقَدَهُ غيره صيره حاقدًا. ورجل حَقود[2].

الحقد: هو إضمار العداوة في القلب، وهو من ثمرة الغضب، لأن الغضب إذا لزم كظمه لعجز عن التشفي في الحال، رجع إلى الباطن واحتقن فيه فصار حقدا، وهو من المهلكات العظيمة. وقد قال رسول الله (ص): المؤمن ليس بحقود[3].

الحقد هو (سوء الظنِّ في القلب على الخلائق لأجل العداوة)[4].

(١) نهج البلاغة: رسالة الامام لمالك الاشتر

(٢) لسان العرب:ابن منظور: ج٣ ص١٥٤ وينظر قاموس المحيط: للفيروز ابادي:ص٣٥٤، العين للخليل الفراهيدي، ج٣، ص٤٠.

(٣) جامع السعادات: للنراقي، ج١، ص٢٧٥.

(٤) التعريفات: للجرجاني: ٩١

يتحصل من التعريفات أن الحقد هو النار التي تشتعل في صدر الحاقد وظهار حالة الانتقام لخصمائه ولشعبه.

وورد اصطلاح الحقد في القرآن الكريم بمعنى الغل:

منها قوله تعالى:

(وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُواْ الْحَمْدُ لله الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا الله لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُواْ أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)[1].

وقال تعالى (وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ)[2].

وهناك روايات كثير في هذا المورد منها عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم (حسن البشر يذهب بالسخيمة).

(السخيمة الحقد في النفس)[3]

قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ما كان جبرئيل يأتيني إلا قال: يا محمد! اتق شحناء الرجال وعداوتهم.[4]

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم: ما عهد إلي جبرئيل قط في شيء ما عهد إلي في معاداة الرجال، وقول الصادق (عليه السلام): من زرع العداوة حصد ما بذر[5].

(١) سورة الاعراف: ٤٣

(٢) الحشر: ٩

(٣) الوافي: الفيض الكاشاني ج٤ ص٤٢٨

(٤) روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه المؤلف: محمد تقي المجلسي (الأول)، ج١٢، ص٨٩.

(٥) الوافي: الفيض الكاشاني ج٥، ص٩٤٢

كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أحاديث كثيرة، منها قوله: (الحِقْد ألأَمُ العيوب)[1].

فيتحصل: لا يستطيع القائد أن يكون نزيها ومتوازنا إذا توافرت فيه صفة الحقد، ومثل هذا القائد لا يمكن ان يكون واليا او حاكما على الأمة لأنه يتصف بصفات المكر والخديعة والخيانة، وهذه جميعها لا تنسجم مع مفهوم النزاهة في المنظومة الاسلامية.

المسألة السابعة: الغلظة والشدة في التعامل.

من التقاطعات لمفهوم النزاهة التعامل الغليظ مع الرعية.

وفي اللغة غَلْظة بكسر الغين وضمها وفتحها وغِلاظة أيضا بالكسر أي فظاظة واغلظ له بالقول[2]: عَداوة غَلْظة: قساوة وشِدّة، وهذا معناه أن المسؤول يستخدم السقوف العالية من الصلاحيات الممنوحة له في العقوبات فينتج من هذا التعامل النفرة من قبل الناس وعدم المحبة له فتجعل الآخرين يفكرون في كيفية الخلاص منه والإطاحة به.

فالتسامح وإيجاد العلاقة المحبة والمودة بين افراد الامة من سمات القائد الناجح الذي يمتلك الارادة في تحقيق الأهداف بالشكل السليم وفق الرؤية الإسلامية الحقة وهذا ما نجده واضحاً في كتاب الله الكريم وروايات أهل البيت عليهم السلام حيث ورد اصطلاح الغلظة في القرآن الكريم في معانٍ متعددة، منها:

(١) غرر الحكم: ح ٩٦٦.

(٢) مختار الصحاح: الرازي ج١ ص٣٣٨

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ الله مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾(١).

﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾(٢).

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ الله وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلا مِّنَ الله وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ الله الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾(٣)، فيتضح أن القرآن يوجه القيادة الاسلامية في أن تهيأ أجواء الأمان والطمأنينة للعدو ليكسب العقول والنفوس من خلال آلية خطابية تعتمد الذكاء والمرونة، والانفتاح، رافضاً الانفعالية، وهذا معناه انه يفتح الطريق أمام خصومه ليطرحوا الافكار والمباني التي تزخر بها عقائدهم. فلا ينفعل أو تسري إلى نفسه روح الانهزامية الفكرية، مادام يعتمد في اسلوبه ومنهجه على القدرة الالهية المطلقة التي تزوده بكل أدوات المعرفة واليقين للخط الذي سار عليه، ولهذا يدعوه القرآن إلى الصبر وعدم ابداء الضيق، قال تعالى:

﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ * فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى الله إِنَّ الله يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾(٤).

(١) التوبة: ١٢٣

(٢) التوبة:٧٣

(٣) الفتح: ٢٩

(٤) آل عمران: ١٥٩

ويتضح من الغلظة هنا ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ قيل: أي لو كنت جافي اللسان سيئ الكلام، قاسي القلب، صعبا غير لين تفرقوا عنك، وخلوك وحدك)[1].

المسألة الثامنة: أزمة الثقة.

من الأمور التي تتقاطع مع النزاهة هو وجود أزمة الثقة، والمراد من ازمة الثقة هنا هي التساؤلات التي يعتمدها القائد في صحة كل ما يسمعه من دون تحقيق في الأمور فينشغل بتبرير المواقف ويحصل منها ظلم للآخرين من خلال توجيه العقوبات.

وهكذا النفوس عندما تسيطر عليها الأحقاد، وتقوى فيها رذيلة الحسد، تفقد تقديرها الصحيح للأمور، وتحاول التخلص ممن يزاحمها بالقضاء عليه، وتصور الصغائر في صورة الكبائر، والكبائر في صورة الصغائر.

فكيف تتحقق الثقة المتبادلة بين الحاكم والرعية؟

يذكر الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام) في هذا الصدد ثلاث طرق لتعزيز الثقة بين المسؤول وبين من هو مسؤول عنهم، وهو فحوى المسألة اللاحقة.

المسألة التاسعة: طرق تعزيز الثقة.

١ـ الاحسان والشفقة واللين.

يقول الإمام في رسالة لمالك الاشتر(رضوان الله عليه): (واعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعَى إِلَى حُسْنِ ظَنِّ رَاعٍ بِرَعِيَّتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ الَيْهِمْ[2]).

(١) زبدة البيان في أحكام القرآن: المحقق الأر دبيلي، الجزء: ص٣٣٣.

(٢) نهج البلاغة: خطب الامام علي، ج٣، ص٨٩، رسالة ٥٣.

هناك انواع كثيرة من الاحسان للآخرين لابد للمسؤول ان يقوم به منها تسهل مهمة اللقاءات بالمسؤول ورفع الحواجز عنه ومنها تقديم الخدمة إلى الناس ومنها اظهار المحبة والبشاشة والتعاطي في التعامل مع الآخرين، قوله (عليه السلام):

(الاحسان بمحبة)[1]. وقوله (عليه السلام):

(احق الناس بالإحسان من احسن الله اليه وبسط بالقدرة يديه)[2].

وفي رواية اخرى عن أمير المؤمنين(عليه السلام) (من كثر إحسانه كثر خدمه وأعوانه)[3].

وعن أمير المؤمنين(عليه السلام) أيضاً (الاحسان ذخر)[4].

أي أن الاحسان هو رأسمال الإنسان وبقدر ما يحسن للآخرين يكبر رأسماله ويصغر.

وقال عليه السلام: (إن احسانك إلى من كادك من الاضداد والحساد لأغيظ عليهم من مواقع إساءتك منهم وهو داع لصلاحهم)[5].

أشارة إلى أن احسانك إلى من يتهجم عليك ويسبك ويشتمك سوف يغيظه اكثر فإن كان مخطئا غافلا فسوف ينتبه ويرجع يعتذر منك، ثم ينتقل الإمام إلى مسالة يجعل فيها الاحسان إصلاحاً للآخرين فيما لوكان المسيء مغرضا وجاهلا

(١) غرر الحكم: ج٣٨:١.

(٢) عيون الحكم والمواعظ ١٢٧.

(٣) المصدر السابق: ٤٦٠.

(٤) المصدر السابق: ٤٥.

(٥) المصدر السابق:١٥٦ .

ويريد الإساءة بالسب والشتم فهو إما أن يكون حقودا أو مصاباً بمرض خلقي، فالإحسان في هذه الصورة يتحول إلى ظاهرة الألم بنفسه ويكون مملوكا لك وهو قول الإمام عليه السلام:(احسن إلى المسيء تملكه)[1].

٢ـ تخفيف المؤن والأعباء .

قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): (علامة رضا الله عز وجل في خلقه عدل سلطانهم ورخص أسعارهم وعلامة غضب الله تبارك وتعالى على خلقه جور سلطانهم وغلاء أسعارهم)[2].

وعن علي (عليه السلام) في وصية لمالك الأشتر: (أَكْثَرَ حَاجَاتِ النَّاسِ إِلَيْكَ مِمَّا لَا مؤونة فِيهِ عَلَيْكَ)[3].

اشارة إلى أن وجود الحاكم العادل في أوساط الناس علامة رضا الله عليهم وتنعكس القضية فيما لو كان الحاكم جائر بين الناس فتكون علامة غضب عليهم ومدلول الرضا والغضب في الرواية (رخص الأسعار وغلاء الأسعار).

٣ـ التحميل بما لا يطاق .

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في عدم اكراههم على مالا يتحملون من المهام الصعبة (وقد أحببتم البقاء، وليس لي أن أحملكم على ما تكرهون)[4].

وقوله عليه السلام (وليس أرى أن اجبر أحدا على عمل يكرهه)(٥) .

(١) المصدر نفسه: ٨٣

(٢) الوافي: الفيض الكاشاني، ج ١٧، ص٢٩٥

(٣) نهج البلاغة خطب الإمام علي، ج٣ ص١٠٤، رسالة ٥٣.

(٤) نهج البلاغة خطب الامام علي، ج٢، ص٧٨١، خ٨٠٢.

(٥) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب في الكتاب والسنة والتاريخ: محمد الريشهري، ج١٢، ص٢٥٠

المسألة العاشرة: اللجاج في الرأي.

اللجاج واللجاجة: الخصومة، ألججت بالكسرة تلج ولججت تلج وهو لجوج ولجوجة واللجلجة والتلجلج التردد في الكلام[1]، عرفت اللجاجة في الرأي: بأنها الإلحاح والعناد والإصرار بالقول والفعل.

وهذا معناه ان القائد في تصوراته يعرف كل شيء عن كل شيء ولا يعرف الآخرون ذلك، فيتقاطع مع رؤية مستشاريه وخبرائهِ من ذوي الاختصاص والخبرة.

وهناك أحاديث توضح لنا الآثار السلبية للجاجة في الرأي، منها:

(عمل الرجل بما يعلم إنه خطأ هوى، والهوى آفة العفاف، وترك العمل بما يعلم إنه صواب تهاون، والتهاون آفة الدين، وإقدامه على ما لا يدري أصواب هو أم خطأ لجاج واللجاج آفة العقل)[2].

لَجّ الرجل لَجاجاً: تَمادى في العِناد إلى الفعل المزجور عنه (اللجاج بذر الشر)[3].

وعنه (عليه السلام): اللجاج مَثَارُ الحروب[4].

وعنه (عليه السلام): اللجوج لا رأي له[5].

عن أمير المؤمنين (عليه السلام) انّه قال: من استطاع أن يمنع نفسه من أربعة أشياء فهو خليق بأن لا ينزل به مكروه أبداً، قيل: وما هنّ؟ قال: العجلة واللجاجة والعجب والتواني[6].

(١) القاموس المحيط، الفيروز ابادي، ج١ ص١٩٤.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج ٢٠، ص٣٩٥

(٣) عيون الحكم والمواعظ: علي بن محمد الليثي الواسطي، ص٣١٠

(٤) غرر الحكم: ح ٣٥٨

(٥) غرر الحكم: ح ٣٥٨ و٤٠٥ و٨٨٦ و١٥٤٢ و١٧١٠ و٢١٧٣ و٤٧٩٥ و٤٩٧٥ و٧٤٧٨

(٦) بحار الأنوار: ج٧٥ ص٤٣ ح ٣٤

المبحث السادس

المعايير الخلقية للشخصية الادارية القيادية في عهد الإمام (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضي الله عنه)

توطئة:

إن احد الامور التي ينبغي ملاحظتها هنا هي المعايير الخلقية التي تتصف بها الشخصية القيادية في المنظومة الاسلامية، ويتفرع منها ادارة الحكم وفق الرؤية الاسلامية التي تؤمن للفرد الانساني متطلباته واحتياجاته من خلال مسيرته في الحياة الاجتماعية، وهذا الامر يظهر للوهلة الاولى أنه مغفول عنه بالنسبة للكثير من الناس في المجتمع باعتباراتهم لا يجدون تلازما بين المفاهيم الاخلاقية السلوكية التي يتحلى بها الحاكم(القائد) على المستوى الفردي وبين الاساليب الواجب اتباعها في التعامل الاجتماعي والسياسي والاقتصادي.

ولبيان هذه المعايير واتضاح الصورة اكثر لابد من الرجوع إلى فهم الاضاءات المعنوية التي ضمّنها الأمام أمير المؤمنين(عليه السلام) في عهده لمالك الأشتر (رضوان الله عليه).

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في عهده لمالك الأشتر: ... أَمَرَهُ بِتَقْوَى الله، وَإِيثَارِ طَاعَتِهِ، وَاتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ: مِنْ فَرَائِضِهِ وَسُنَنِهِ، الَّتِي لاَ يَسْعَدُ أَحَدٌ إِلاَّ بِاتِّبَاعِهَا، وَلاَ يَشْقَى إِلاَّ مَعَ جُحُودِهَا وَإِضَاعَتِهَا، وَأَنْ يَنْصُرَ اللهَ سُبْحَانَهُ بِيَدِهِ وَقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ[1].

(١) نهج البلاغة: خطب الامام علي، ج٣، ص٨٣، رسالة ٥٣.

يشير الإمام في هذا المقطع إلى موضوع أساس بعدّ المدخل الرئيس للمنظومة القيادية وهو بيان المعايير الخلقية للشخصية القيادية، التي هي الركيزة الأساسية لبناء علاقة الإنسان مع ربه وإذا حصلت حالة التقوى تحصل حالة الاستقرار والطمأنينة والثبات والاصرار على الموقف والشعور بالقوة والعزة والمنعة

من هنا نشرع في بيان المعايير الخلقية التي ينبغي للقائد الاداري ان يتصف بها.

ومن هذه المعايير:

المسألة الأولى: التقوى.

أن يجعل الله سبحانه وتعالى نصب عينيه في كل شيء (أَمَرَهُ بِتَقْوَى الله)[١].

ومنها قوله (عليه السلام):(أوصيكم عباد الله بتقوى الله فإنها حق الله عليكم، والموجبة على الله حقكم)[٢]، وقد أشرنا اليها بالتفصيل في: مبادئ الادارة في عهد الإمام (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضوان الله عليه) تحت عنوان وسائل التحكم والسيطرة على النفس.

المسألة الثانية: علاقة الإنسان مع خالقه

من المعايير الخلقية التي ينبغي أن تتسم بها الشخصية الادارية القيادية هي علاقة العبد مع ربه. فتعد هذه العلاقة المفتاح والمدخل والسر للنجاح وركيزة للتوفيق وبداية للانطلاق وبلوغ الغايات والأهداف.

فكلما ازداد العبد ارتباطا بخالقه ازداد قوة وتماسكا وثباتا وصلابة في مواجهة الأخطار والتحديات.

(١) نهج البلاغة: خطب الامام علي، ج٣، ص٨٣، رسالة ٥٣

(٢) نهج البلاغة: خطب الإمام علي، ج٢، ص١٣٤

يقول سيد الموحدين علي بن أبي طالب (عليه السلام): (مَنْ أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ أَصْلَحَ اللهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، وَمَنْ أَصْلَحَ أَمْرَ آخِرَتِهِ أَصْلَحَ اللهُ لَهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ)[1].

بيان: إن علاقة الإنسان بالمجتمع متوقفة على حسن العلاقة ما بين العبد وخالقه فمن اراد أن يكون محبوبا ومرضيا عند الناس فليكن أداؤه مميزا وليصلح سريرته مع الله سبحانه وتعالى.

قال الصّادق عليه السّلام: فساد الظَّاهر من فساد الباطن، ومن اصلح سريرته اصلح الله علانيته، ومن خان الله في السّر هتك الله علانيته، وأعظم الفساد أن يرضى العبد بالغفلة عن الله تعالى، هذا الفساد يتولَّد من طول الامل والحرص والكبر، كما أخبر الله تعالى في قصّة قارون في قوله: ﴿وَلا تَبْغِ الْفَسادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[2].

وهنالك الكثير من الآيات والروايات التي دلت على هذا المعنى.

إن على الإنسان القائد وفي كل المستويات أن يصلح سريرته وعلاقته مع الله سبحانه وتعالى، فالعلاقة المرتبكة تذهب بالسكينة والاطمئنان من القلب ويكون تحقيقها بالذكر الذي يجلي القلوب من الادران ويجعلها نقية طاهرة، قال تعالى(الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)[3].

(١) نهج البلاغة: الحكمة ٨٩؛ الوسائل، الحر العاملي ج١١ ص١٨٣ ح٨.

(٢) مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة المنسوب للإمام الصادق ص١٠٧؛ مستدرك سفينة البحار: الشيخ علي الشهرودي، ج٨، ص١٩٥.

(٣) الرعد، ٢٨:

المسألة الثالثة: طرق توثيق العلاقة مع الله.

ولبيان هذه الطرق ولتعزيز وتوثيق العلاقة بين الإنسان وربه يقول الامام أمير المؤمنين(عليه السلام) (وَأَنْ يَنْصُرَ الله سُبْحَانَهُ بِقَلْبِهِ وَيَدِهِ وَلِسَانِهِ فَإِنَّهُ جَلَّ اسْمُهُ قَدْ تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ وَإِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ)[1].

فهذه أوجه ثلاثة يذكرها الامام (عليه السلام) لتعزيز الصلاح بين الإنسان وربه وهي ان يقول الحق ويدافع عن الحق وينطق بالحق.

١ـ نصرة الله سبحانه وتعالى.

النصرة: معنى النصرة في اللغة:ـ (النُّصرة: النَّصْر والعون، وهي اسم من نَصَرَه على عَدوِّه يَنْصُره نَصْرًا، أي: أعانَه وقَوَّاه، والنَّصيرُ والنَّاصِر واحد)[2].

وعرفت بأنها (تلك الغَيْرة الإيمانيَّة، التي تدفع المسلم لرفع الظُّلم عن أخيه المسلم المستَضْعف)[3].

والمحصل من بين التعريفين هو أن النصرة: المطابقة والانسجام بين حركة القلب وسلوك اليد واللسان والمشيئة الإلهية.

والله تعالى يريد من الإنسان السير على الصراط المستقيم، والمشيئة الالهية هي الاساس والطريقة التي يمكن للإنسان اقتفاؤها والسير عليها من خلال مطابقة افكارنا وعقيدتنا وادائنا واقوالنا مع المشيئة الالهية.

(١) نهج البلاغة: رسالة ٥٣

(٢) لسان العرب: ابن منظور، ج٤، ص٥٦١.

(٣) هذه اخلاقنا: محمود محمد الخرندار: ص٥٧

فيتضح ان نصرة الله هي حالة انسجام الإرادة الإنسانية مع الإرادة الإلهية، فما يريده الله نحن نريده.

فإصلاح النفوس وتزكيتها لابد ان يكون وفق الإرادة الإلهية، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا الله يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[1].

٢ـ انسجام الإرادة الإنسانية مع الإرادة الإلهية.

يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): «من أطاع الله علا أمره»[2]؛ وقال أيضاً (عليه السلام): «من عمل بطاعة الله ملك»[3].

ويقول أمير المؤمنين (عليه السلام): «من أراد عزا بلا عشيرة وغنى بلا مال وهيبة بلا سلطان فلينقل من ذل معصية الله إلى عز طاعته»[4].

من أراد عزا بلا عشيرة فإن الله تعالى يعطيه ذلك بشرط أن يخرج من ذل المعاصي إلى عز الطاعة، ومن أراد أن يكون مهابا عند الناس من غير أن يكون له سلطان فإن الناس تهاب صاحب السلطة عادة، فإن الله يمنحه هذه الهيبة بشرط أن يخرج من ذل المعصية إلى عز الطاعة.

فالإنسان الذي يعيش في ظل المعاصي يكون ذليلا ومرتبكا وخائفا وغافلا عن الله تعالى فيكون مهزوما وضعيفا من الداخل، فكيف له أن يحقق الاستقرار وأن يعطي القوة للآخرين.

(١) محمد:٧

(٢) عيون الحكم والمواعظ: علي بن محمد الليثي الواسطي الجزء:ص ٤٤٨

(٣) غرر الحكم: ج٢ ١٨٧

(٤) الخصال: الشيخ الصدوق الجزء: ص١٦٩

في حين أن الشخصية القيادية هي التي تمنح القوة للآخرين في المساحة التي يتحرك فيها، فإذا فقدها لا يستطيع أن يمنحها للآخرين، وفق القاعدة المعروفة (فاقد الشيء لا يعطيه)؟.

إذا لابد للقائد أن يستثمر هذه العلاقة من خلال حسن النية مع الله ومع الناس فيترتب من خلالها العلاقة الدنيوية المنضبطة وفق الرؤية الإسلامية الصحيحة فيكون ناجحا موفقا في المهمة المناطة به.

٣ـ إيثار الطاعة والتخلص من الشرك:

الخصيصة الأخرى التي ينبغي أن تتوافر في كل من يتصدى لمواقع الإدارة والقيادة هو الإيثار.. الإيثار:(إيثار.. اسم والمصدر آثر بمعنى تفضيل المرء غيره على نفسه)[١]، والإيثَار أن يقدِّم غيره على نفسه في النَّفع له، والدَّفع عنه، وهو النِّهاية في الأخوة)[٢].

من المعنيين اللغوي والاصطلاحي نستنتج أن قضية تقديم طاعة الله تعالى على ما سواه يحتاج اليها المتصدي لقيادة الأمة فمن يتصدى للخدمة عليه ان يستذكر هذه الحالة وتكون لديه قناعة في نفسه بها.

عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « قال الله تعالى: وعزتي وجلالي، وعظمتي وقدرتي، وعلائي وارتفاع مكاني، لا يؤثر عبد هواي على هواه، إلا جعلت غناه في نفسه، وكفيته همه، وكففت عليه ضيعته، وضمنت السماوات والأرض رزقه»[٣].

(١) المعجم الوسيط: النجار ج١، ص١١.

(٢) التعريفات: للجرجاني: ج١، ص٧٨.

(٣) المحاسن: أحمد بن محمد بن خالد البرقي الجزء: ١، ص٢٨

إن إيثار الطاعة اي تقديم طاعة الله على طاعة الآخرين لا يقصد منها تقديم الطاعة في موارد الوجوب المنصوص عليه كالصلاة والصوم، فالمسألة ليست محصورة بهذه الدائرة وهذا الإطار وإنما هي في إطار أوسع.

ولقد كان أمير المؤمنين (عليه السلام):يقول ان كل حركة وسكنة وقول وفعل وأداء وموقف وسلوك يريد أن يأتي به الإنسان يجب أن يخضع للموازين والأطر الشرعية وأن يستحضر رضا الله سبحانه وتعالى في كل شيء، وفي مثل هذه الحالة يكون الإنسان إلهيا ورساليا يعيش الأمل والثقة ويستشعر القوة لارتباطه بالقوة المطلقة.

نجد هذه الصورة واضحة في كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) لمحمد بن أبي بكر عندما ولاه مصر (واعلم يا محمد بن أبي بكر أني قد وليتك أعظم أجنادي في نفسي أهل مصر).

المراد بالأجناد هنا الأقاليم والأطراف، وهذه شهادة منه (عليه السلام) بحق المصريين ويدل كلام الإمام أنه كان يحب أهل مصر، ولعل السبب لهذا الحب ثورة المصريين على عاملهم الطاغية عبد الله بن أبي السّرح الذي أفسد بين المصريين والخليفة الثالث عثمان (فأنت محقوق أن تخالف على نفسك). المراد بالنفس هنا الهوى، والمعنى انك مطالب أو جدير بك أن تقمع هواك، أو لا تستجيب لدعوته على الأقل. وبكلام أعم أن في كل واحد منّا عدوا لا يراه يوسوس ويلبّس، وعلينا أن نزجره ولا نستمع إليه وإلا سيطر وتحكم.

(وأن تنافح عن دينك) أي أن تحرص وتحمي دينك ولا تدع لشياطين الإنس والجن عليك سبيلا (ولو لم يكن إلا ساعة من الدهر) بحيث لا تبقى بعدها ثانية، فاغتنم هذه الساعة في إصلاح دينك ونفسك.

(ولا تسخط الله برضا أحد من خلقه إلخ).. لأنه لا شيء يغني عن مرضاته تعالى، وهل يبيع المؤمن بالله دينه للشيطان بثمن؟ أجل، لقد فعلها علانية الكثير من المنتسبين إلى الأديان والمذاهب في هذا الزمان، ثم قال عليه السلام: (وليس من الله خلف في غيره) أي أن الله إذا غضب عليك لم يكن هناك شيء يعوض غضبه فغضب الناس يعوض برضا الله ولكن غضب الله لا يعوض برضا الناس: إذ لا فائدة برضا الناس عنك والله سبحانه غاضب عليك)[1].

٤ـ أقسام الشرك.

وينقسم الشرك على قسمين:

١ـ الشرك الجلي.

٢ـ الشرك الخفي.

يعرف الشرك الجلي: بانه اتخاذ آلهه غير الله تعالى، فمن يعبد آلهة غير الله أو آلهة مع الله يكون مشركا بالله سبحانه وتعالى.

قال تعالى ﴿إِنَّ الله لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِالله فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا﴾[2] ﴿إِنَّ الله لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِالله فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً﴾[3].

والشرك الخفي: هو عملية إدخال قضايا لا يراد منها القربة لله تعالى بل يراد منها السمعة والشهرة (الرياء).

(١) في ظلال نهج البلاغة: محمد جواد مغنية، ج٣، ص٤٦١.

(٢) النساء: ١١٦.

(٣) النساء: ٤٨.

عن أبي عبد الله عليه السلام: كلّ رياء شرك، إنّه من عمل للنّاس كان ثوابه على النّاس، ومن عمل لله، كان ثوابه على الله[1].

وقال (عليه السلام): الرياء مع المنافق في داره عبادة، ومع المؤمن شرك)[2].

وعن الإمام الباقر عليه السلام: كان فيما وعظ به لقمان ابنه أنْ قال: يا بُنيّ، لا تُرِ الناس أنّك تخشى الله وقلبك فاجر)[3].

إذا الشرك الخفي يتقاطع مع المراتب العالية لإيثار الطاعة وتقديم طاعة الله تبارك وتعالى على طاعة الآخرين.

لذا نقرأ هذا المقطع في دعاء كميل بن زياد (رضوان الله عليه) (أَسْأَلُكَ بِحَقِّكَ وَقُدْسِكَ وَأَعْظَمِ صِفَاتِكَ وَأَسْمَائِكَ، أَنْ تَجْعَلَ أَوْقَاتِي فِي (مِنَ) اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِذِكْرِكَ مَعْمُورَةً، وَبِخِدْمَتِكَ مَوْصُولَةً)[4].

يجب ان يكون ذكر الله حاضرا في كل آن، والسؤال كيف يمكن للانسان أن يوجد هذه الحالة في نفسه؟

ثم يواصل الإمام الدعاء: وَأَعْمَالِي عِنْدَكَ مَقْبُولَةً، حَتَّى تَكُونَ أَعْمَالِ وَأَوْرَادِي (وَإِرَادَتِي) كُلُّهَا وِرْداً وَاحِداً، وَحَالِي فِي خِدْمَتِكَ سَرْمَدا.

فيتحصل من عبارات هذين المقطعين من الدعاء: هو حينما تكون الخلفية خلفية واحدة وحينما يكون ذكر الله ومرضاته هما الاساس يكون ذكر الله حاضراً في القب.

(١) اصول الكافي:ج٢ كتاب الايمان والكفر، باب الرياء: ص٢٩٣.

(٢) الهداية: الشيخ الصدوق، ص٥٣.

(٣) بحار الانوار: ج١٣:ص٤١٨، ح١١.

(٤) مصباح المتهجد: الشيخ الطوسي، ص٨٤٩.

وهذا في الحقيقة هو جوهر ما يشير اليه الامام أمير المؤمنين(عليه السلام) في إصلاح علاقة الإنسان مع ربه (مَنْ أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الله أَصْلَحَ اللهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، وَمَنْ أَصْلَحَ أَمْرَ آخِرَتِهِ أَصْلَحَ اللهُ لَهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَاعِظٌ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الله حَافِظٌ)[1].

إذا على القادة والحكام مسؤوليات خطيرة في ادارة نظام الحكم وتوجيه الأمة وتحقيق اهدافها، التي منها ايثار طاعة الله على كل شيء، والحكم بالحق والعدل بين الناس، إلى غير ذلك من المسؤوليات الجسام.

٥ـ إتباع الأوامر الالهية.

المعيار الأخلاقي الآخر الذي لابد أن يتسم به القائد والذي يعد من مستلزمات إصلاح العلاقة بين الإنسان وربه هو ما أشار اليه أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله (وَاتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ مِنْ فَرَائِضِهِ وَسُنَنِهِ)[2]، اي الرجوع إلى القرآن الكريم الذي هو المرجع في تحديد الاطار الصحيح في العلاقات الانسانية، وهو الذي يحدد طبيعة العلاقة ونظمها في الاطار العام للمنظومة القيادية.

واذا ما تجاوزنا الأطر التي يشير اليها القرآن الكريم وتساهلنا وتغافلنا عن السياقات التي يحددها القرآن الكريم، فحينئذ سنبتعد ونشذ عن الطريق فالقرآن هو الذي يحدد الواجبات في هذه العلاقة ويحدد الآداب وأخلاقية العلاقة في المنظومة القيادية وعلينا ان نتمسك بهذه الواجبات والآداب والاخلاق.﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[3]، فالطريق الاقوم والسليم هو التمسك بالقران الكريم والعترة الطاهرة،

(١) نهج البلاغة: خطب الإمام علي، ج ٤، ص ٣٠.

(٢) نهج البلاغة: خطب الامام علي، ج٣، ص٣٨، رسالة ٥٣.

(٣) الاسراء: ٩.

وهذا ما نص عليه حديث الثقلين:

(إني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي)[1].

وعنه (عليه السلام): لا يسعد أحد إلا بإقامة حدود الله، ولا يشقى أحد إلا بإضاعتها)[2].

إذا السعادة القلبية الحقيقية التي يروم الإنسان أن يحصل عليها هي مختزلة في ذكر الله ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ الله أَلاَ بِذِكْرِ الله تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[3].

المسألة الرابعة: الانتفاع من سنن الماضين

من الأمور الأخلاقية التي يجب توافرها بالشخصية الإدارية القيادية هي الانتفاع من سنن الماضين، كما أشار إليها الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، والمجتمع اليوم بأمس الحاجة لاستحضارها في المنظومة الإدارية القيادية لكل المتصدين لإدارة الحكم.

والإمام (عليه السلام) يذكّر بوثيقته التاريخية لمالك الأشتر (رضوان الله عليه) لابد من الرجوع إلى السنن الإلهية والى القواعد التي تتحكم بمجرى التاريخ، (فإنه جل اسمه قد تكفل بنصر من نصره وإعزاز من أعزه)[4].

(١) بدائع الكلام في تفسير آيات الأحكام: محمد باقر الملكي ص١٠٤.

(٢) غرر الحكم: ٣٦٤.

(٣) الرعد ٢٨.

(٤) نهج البلاغة خطب الامام علي، ج٣، ص٨٣، رسالة ٥٣

يريد (عليه السلام) أن يقول بأن هذا العالم يسير وفق نظام الأسباب والمسببات أي لا توجد مواقف انفعالية أو عشوائية من الله تعالى، فالعالم محكوم بنظام دقيق ومنتظم يجري وفق الحكمة الإلهية.

هناك قواعد وسنن إلهية تنظم مجرى الحياة ولكن هذه السنن والقواعد ثابتة لا تتغير بتغير الأزمنة وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم ﴿.. فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَحْوِيلًا﴾[1].

والإمام (عليه السلام) يريد أن يضع لنا دستورا مهما لا يمكن تجاوزه وهو أن الإنسان إذا أراد أن يكون ناجحا في المنظومة القيادية عليه أن يدخل من خلال الأسباب الطبيعية وعليه أن يلتزم بالقواعد والسنن التي تتحكم بمجرى الحياة.

ويعبر عن النجاح في الروايات والنصوص بالتوفيق يقول عليه السلام (التوفيق والخذلان يتجاذبان النفس)[2] التوفيق والخذلان عاملان اساسيان في حياة الانسان، فايهما غلب كانت النفس في حيزة فاذا غلب النجاح والالتزام بالضوابط والمعايير الخلقية انحازت النفس إلى التوفيق فيكون الإنسان موفقا واذا انحازت إلى الخذلان يكون عدم التوفيق وهو الفشل.

يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) «**ومن التوفيق حفظ التجربة**»[3]، أي أن الإنسان يحفظ التجارب ويعيها ويستوعب الماضي والتاريخ، ليكون قادرا على تحقيق التوفيق لنفسه ومنظومته القيادية وجماعته، فالتوفيق يحتاج إلى استذكار التجارب.

(١) فاطر، ٤٣

(٢) غرر الحكم:٢٦، ميزان الحكمة: الريشهري، ج٤، ص٣٦٠٦.

(٣) نهج البلاغة: خطب الامام علي، ج٤، ص٤٨، الحكمة ٢١١.

وعن علي (عليه السلام): أنه كتب إلى رفاعة قاضيه على الأهواز:

«اعلم يا رفاعة، إنّ هذه الإمارة أمانة، فمن جعلها خيانة فعليه لعنة الله إلى يوم القيامة، ومن استعمل خائناً فإنّ محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) بريء منه في الدنيا والآخرة»[1].

يتضح من هذا الحديث ان الامام (عليه السلام) كان شديدا بحق من لا يلتزم بالضوابط(ومن استعمل خائنا) أي عدم وضع الرجل الكفوء في المكان المناسب فهي خيانة بحق الامة فيتبرء منه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن تبرأ منه النبي تبرأ منه الله عز وجل.

يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في المواصفات المطلوبة لوضع الرجل المناسب في المكان المناسب وفقا للنظرية الاسلامية في القيادة والادارة. (ايها الناس من استنصح الله وفق، ومن اتخذ قوله دليلا هدي للتي هي اقوم)[2]

من اراد التوفيق والنجاح فليطلب النصيحة من الله سبحانه وتعالى ويعمل بالضوابط والمعايير التي وضعها الله تعالى. ويقول: (عليه السلام) (من استنصح الله حاز التوفيق وقد تكفل بنصر من نصره).

أي من طلب النصح من الله سبحانه وتعالى والتزم بما أمره فإنه سبحانه وتعالى يمنحه التوفيق وهذا من الدروس العظيمة التي نأخذها من علي (عليه السلام) في المنظومة القيادية وهو الالتزام بالسنن والقواعد والضوابط في معالجة الامور.

---

(١) دعائم الإسلام ٢ / ٥٣١، كتاب آداب القضاة، الحديث ١٨٩٠. وينظر: دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامي: الشيخ المنتظري، ج٢، ص١٢٣.

(٢) نهج البلاغة: خطب الامام علي، ج٢، ص٣٢، الخطبة ١٢٧.

فيتحصل: إن إصلاح العلاقة بين الإنسان وربه تستوجب هذه المسائل الخمسة: تقوى الله وتقديم طاعته على الآخرين، والرجوع إلى كتاب الله عز وجل واتباع ما ورد فيه من تعليمات تنظم العلاقة بين الناس والانتفاع بسنن الماضين.

الفصل الثاني

مفهوم نظام الحكم ومعانيه

إن مسالة الحكم من المسائل والقضايا المركزية ومن اولويات كل رسالة ودعوة تريد اقامة مجتمع صالح لأنه من الواضح لا يمكن اقامة هذا المجتمع مع عدم وجود نظام والدولة التي تديره ومن هنا يصبح الحكم ذا اهمية خاصة في مفهوم كل رسالة وهو يمثل البعد الاساسي في النظرية الاسلامية، فيكون الاسلام ديناً ودولة منظما للعلاقات الاجتماعية الانسانية ويمثل المضمون الكامل للحكم (الخلافة الانسانية في الارض) كما نشير اليه لاحقا ان شاء الله تعالى ومن هنا نتعرف أولا على مفهوم النظام والحكم في اللغة والاصطلاح.

المبحث الاول

مفهوم نظام الحكم

المسألة الأولى: مفهوم نظام الحكم في اللغة والاصطلاح.

١ـ مفهوم الحكم لغة.

الحَكم بفتح الحاء: الله تعالى، ومن أسماء الله: الحكم والحكيم، وهما بمعنى الحاكم، فهو فعيل بمعنى فاعل أو هو الذي يحكم الاشياء بأفضل العلوم، ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها حكيم، والمختار في معنى هذا الاصطلاح قوله سبحانه وتعالى: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[١])[٢]

وقريباً من هذا المعنى (والحكم بالشيء أن تقضي بأنه كذا، أو ليس بكذا، سواء ألزمت ذلك غيرك أو لم تلزمه،.. ويقال حاكم لمن يحكم بين الناس، ويقال الحَكَمُ للواحد والجمع وتحاكمنا إلى الحاكم)[٣].

أنشد الجوهري وغيره لجرير:

أبني حنيفة أحكموا سفهاكم إني أخاف عليكم أن أغضبا

وسمي القاضي حاكما، لمنعه الخصوم من التظالم)[٤]

---

(١) هود:١

(٢) مجمع البحرين للطريحي: ج٦ ص٣٤، لسان العرب بن منظور ج١٢ ص١٤٠.

(٣) المفردات في غريب القرآن، للراغب الاصفهاني، ص١٢٧

(٤) الصحاح: للجوهري: ج٥ ص١٩٠٢؛ الفروق اللغوية أبو هلال العسكري، ص٤٣١.

وعُرف الحكم بأنه الامتناع وحكمت الشيء أي منعته فصلت بينه وبين الاخر بالحكمة وكقوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ حُكْمُ اللهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[1]

٢ـ مفهوم الحكم في الاصطلاح.

الحكم في الاصطلاح له معانٍ عديدة ومنها:

تولي ممارسة السلطة السياسية والقضاء في الخصومات ويكون الحاكم منفذا الحكم)[2](ومن معانيه العلم والفقه بالعدل)[3].

(والحكم في النظام السياسي الإسلامي يقوم على منظومة متكاملة من المبادئ والأصول التي جاءت بها الرسالة، كما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، التي تضمنت علاقة الراعي بالرعية للتوصل إلى إدارة شؤون الأمة على الوجه الأكمل)[4].

والحكم عبارة (عن نتاج طبيعي تكويني للحالة الإنسانية باتجاه تحقيق المثل والقيم الإلهية في إطار الشريعة الإسلامية وان يمارسه الإنسان الصالح)[5]

أقول: من هذه التعريفات نستنتج ان الحكم يكون حلقة وصل وأداة ارتباط بين الأرض والسماء وبين الإنسان والله سبحانه وتعالى. وهي:

(١) الممتحنة: ١٠.

(٢) مناهج الانظمة الاسلامية من رحاب اهل البيت نظام الحكم والادارة دراسة مقارنة:باقر شريف القرشي، ص١٦٦.

(٣) المصدر نفسه، ص١٦٦.

(٤) منهاج الاسلام في الحكم: أسد محمد، ص١١٧.

(٥) الحكم الاسلامي بين النظرية والتطبيق: محمد باقر الحكيم:ص١٥٢.

(ظاهرة إلهية تمثل الخلافة لله على الأرض وأراد الله لها أن تقوم بدورها الخاص في حياة الإنسان في تحقيق العدل وهداية الإنسان إلى الكمالات الإلهية وان احد الأسباب والأهداف الأساسية لبعثة الأنبياء والرسل هو إقامة الحكم بين الناس.

وأشار القرآن الكريم إلى ذلك في قضية داود (عليه السلام) ﴿**يا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ**﴾[1]

فيتحصل: ان الطاعة للحاكم الاسلامي من اولويات القضية الايمانية في السلوك الانساني. ومنه نفهم قول الامام علي (عليه السلام): «**إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الطَّاعَةَ غَنِيمَةَ الْأَكْيَاسِ عِنْدَ تَفْرِيطِ الْعَجَزَةِ**»[2].

٣ـ مفهوم النظام في اللغة:

النِّظام بالكسر: هو الترتيب والاتِّساق والتَّأليف، وأصله: الخيط الذي يُنظَم فيه اللؤلؤ؛ ونظَمتُ الأمر فانتَظَم؛ أي: أقمتُه فاستَقام، وهو على نظامٍ واحد؛ أي: نهج غير مُختلَف فيه، وجمع النِّظام: نُظُم وأنظِمة وأناظيم[3].

وفيه: نظام الأمر: قوامه وعماده[4].

ويقال (في النظم) نظمت الخرز منبأ بضرب: جمعته فيسلكوه والنظام ومنها تأسس الشيء ونظامه ونظمت الأمر فانتظما أقمته فاستقام. وهو على نظام واحد[5]

(١) سورة ص: ٢٦.

(٢) نهج البلاغة: خطب الامام علي، ج٤ ص٨٧ ح١٣٣.

(٣) لسان العرب: لابن منظور،، ج٣ ص٦٦٧، مادة (نظم)؛ مصباح المنير في غريب شرح الكبير، ج٩ ص٣٦٣.

(٤) المعجم الوسيط، ج٢ ص٧٨٦.

(٥) مجمع البحرين: فخر الدين الطريحي: ج٧ ص٣١٩.

وقيل: الأصل اللّغويّ لكلِمة (نظام): معناه: نَظَمَ الشيءَ ينظِمُه ونظَّمه يُنَظِّمُه نِظاماً ونظما: إي أَلَّفَه وجَمَعَه في سِلْكٍ واحِدٍ فانْتَظَمَ وتَنَظَّمَ) انتهى أقول: والجامع بين الاقوال أن النظام لغة (هو التنظيم والاستقامة ضمن حدود الشيء واجزاءه المحيطة به).

٤ـ مفهوم النظام في الاصطلاح.

من معاني النظام هو (مجموعة الأحكام التي اصطَلَحَ شعبٌ ما على أنها واجبةُ الاحترام وواجبةُ التنفيذ؛ لتنظيم الحياة المُشتَرَكة في هذا الشعب)[1].

ومنها انه (مجموعة الأحكام والقواعد والقوانين المتناسقة التي اصطلح عليها شعب ما لتنفيذها لتنظيم حياتهم)[2].

إذا في كلا التعريفين هناك دلالة على ان النظام هو تنظيم الحياة الإنسانية وفق سياقات العقل والمنطق.

المسألة الثانية: مفهوم نظام الحكم في القرآن الكريم والروايات الشريفة.

أولاً: مفهوم نظام الحكم في القرآن الكريم.

قد وردت الكثير من الآيات التي تصرح بوجود نظام الحكم في المجتمعات البشرية، وفق العوامل الآتية:

(١) نظام الحكم في الإسلام: محمد عبد الله العربي: ص٢١.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٢.

١ـ عامل الجهاد :

ما ورد في سورة البقرة قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ الله قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُواْ قَالُواْ وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ الله وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَالله عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾(١).

هذه الآية تشير إلى مسألة الجهاد ووجود الحاكم وكيفية تطهير الأرض من دنس المعتدي وتحرير الأسرى، والقرآن يبين معنى الحكومة والحكم من خلال التعبير (بالملك) والتي تعني الحاكم على جميع الشؤون وان كانت اجواء الآية تشير إلى وجود ساحة قتال مع عدو خارجي ألا أن الملك في ذلك الوقت كان تمليك صلاحية قيادة المجتمع.

ومن هذه الآيات قوله تعالى: **﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ الله وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ الله الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاء وَلَوْلاَ دَفْعُ الله النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ الله ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾**(٢).

هذا المقطع من الآية يشير إلى خبر اندحار جيش جالوت في مقابل بني اسرائيل الا انه لولا وجود الحكم والهيمنة بوجه الطغاة والخارجين على القانون لامتلأت الأرض بالفساد وعلى هذا فإن نظام الحكم العادل هبة من الله للحد من الفساد الديني والاجتماعي والسياسي(٣).

(١) البقرة: ٢٤٦.

(٢) البقرة: ٢٥١.

(٣) نفحات القران: ناصر مكارم الشيرازي، ج١٠، ص١٢.

٢ـ عامل إقامة الفرائض:

﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾[١].

إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر في المعنى العام لا يتحقق إلا عن طريق اقامة نظام الحكم، وهذه اشارة تصف فيها المؤمنين الحقيقيين اذا تمكنوا وامتلكوا القدرة للوصول إلى الحكم فإنهم يقيمون الفرائض الالهية الكبيرة.

٣ـ عامل السلطنة ومواجهة الصعاب:

قوله تعالى: **﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ *وكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاء نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاء وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾**[٢].

تبين الآيات كيفية إجراء الاعمال الضرورية لمواجهة تلك السنين الصعبة وطرق تحضير وخزن المواد الغذائية وطريقة الاستهلاك، من خلال إدارة يوسف عليه السلام جنبا إلى جنب مع ملك مصر.

(١) الحج: ٤١

(٢) يوسف: ٤٣ـ ٥٦

٤ ـ عامل العزة الإلهية :

«قُلِ اللهـمَّ مَالِـكَ الْمُلْـكِ تُـؤْتِي الْمُلْـكَ مَـن تَشَـاء وَتَنـزِعُ الْمُلْـكَ مِمَّـن تَشَـاء وَتُعِـزُّ مَـن تَشَـاء وَتُـذِلُّ مَـن تَشَـاء بِيَـدِكَ الْخَيْرُ إِنَّـكَ عَـلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيـرٌ»[١].

إن الله تعالى ينفرد بالملك (الحكم) لنفسه .

فتحصـل: إن كل الآيـات التـي ذكرناهـا لهـا دلالـة واضحـة عـلى ضرورة وجـود الحكـم والنظـام في المجتمـع الإنسـاني.

٥ ـ عامل هداية الناس

﴿وَجَعَلْنَاهُـمْ أَئِمَّـةً يَهْـدُونَ بِأَمْرِنَـا وَأَوْحَيْنَـا إِلَيْهِـمْ فِعْـلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَـامَ الصَّـلاةِ وَإِيتَـاء الـزَّكَاةِ وَكَانُـوا لَنَـا عَابِدِينَ﴾[٢] **﴿وَجَعَلْنَـا مِنْهُـمْ أَئِمَّـةً يَهْـدُونَ بِأَمْرِنَـا لَمَّـا صَـبَرُوا وَكَانُـوا بِآيَاتِنَـا يُوقِنُونَ﴾**[٣] **﴿وَجَعَلْنَاهُـمْ أَئِمَّـةً يَدْعُـونَ إِلَىَ النَّـارِ وَيَـوْمَ الْقِيَامَـةِ لا يُنـصَرُونَ﴾**[٤].

يشـير القـرآن الكريـم إلى دور الحكـم في هدايـة النـاس وإصلاحهـم، أو دور الحكـم في الضلالـة والانحـراف والفسـاد وبعبـارة أخـرى إن هنـاك أئمـة هـدى متمثلـين بالأنبيـاء والأئمـة عليهـم السـلام والصالحـين عـلى مـدى التاريـخ يعملـون عـلى تحقيـق العـدل والخـير للبشريـة وفي قبـال هـؤلاء هنـاك مجرمـين مسـتكبرين طغـاة وشـياطين يمثلـون أئمـة الفسـاد والانحـراف والضلالـة.

(١) سورة آل عمران:٢٦.

(٢) سورة الانبياء: ٧٣ .

(٣) سورة السجدة:٢٤.

(٤) القصص: ٤١.

٦ـ عامل الخلافة الالهية :

﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ الله إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ الله لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾(١).

﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ الله وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ الله إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ الله أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾(٢).

ان عامل القيام بالحكم لابد أن يجسد منطق الخلافة الالهية من العدل والرحمة والتكامل الروحي والاجتماعي.

ثانياً: مفهوم نظام الحكم في الأحاديث والروايات الشريفة.

تعد مسألة الحكم ذات أهمية كبيرة في الروايات الاسلامية وتبين هذه الروايات أنه لا يمكن للناس العيش دون وجود (حكم) وإن كان ظالما غير عادل أفضل من الفوضى في غياب الحكم. وإن تأسيس (الحكم) أمر لازم بحسب ضرورة العقل والأحكام الإسلامية ونهج الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمير المؤمنين (عليه السلام) للأمور الآتية:

١ـ العدل بين الناس.

وبحسب مفاد كثير من الروايات. وكنموذج على ذلك أذكر هذه الرواية المنقولة عن الإمام الرضا (عليه السلام):

(١) سورة البقرة:٢١٣.

(٢) سورة المائدة: ٤٩.

روى عبد الواحد بن محمد بن عبد ويس النيسابوري العطار، قال: حدثني أبو الحسن علي بن محمد بن قُتَيْبَة النيسابوري باب ما كتبه الرضا (عليه السلام) للمأمون في محض الإسلام وشرائع الدين قال: قال أبو محمد الفضل بن شاذان النيسابوري: أن سأل سائل فقال: أخبرني هل يجوز ان يكلَّف الحكيم... فإن قال قائل: ولم جعل أولى الأمر وأمر بطاعتهم؟ قيل: لعلل كثيرة.

منها: أن الخلق لما وُقِفَوا على حد محدود، وأمروا أن لا يتعدوا تلك الحدود لما فيه من فسادهم لم يكن يثبت ذلك ولا يقوم إلا بأن يجعل عليهم فيها أميناً يأخذهم بالوقف عندما أُبيح لهم، ويمنعهم من التعدي على ما حَظَرَ عليهم، لأنه لو لم يكن ذلك لكان أحدٌ لا يترك لذته ومنفعته لفساد غيره. فَجُعِلَ عليهم قيِّمٌ يمنعهم من الفساد، ويقيم فيهم الحدود والأحكام.

ومنها: أننا لا نجد فرقة من الفرق ولا ملة من الملل بَقوا وعاشوا إلا بقيِّم ورئيس لما لابد لهم منه في أمر الدين والدنيا. فلم يَجُزْ في حكمة الحكيم أن يترك الخلق مما يعلم انه لابد لهم منه، ولا قوام لهم إلا به، فيقاتلون به عدوهم، ويقسمون به فيئهم، ويقيمون به جمعهم، وجماعتهم، ويُمْنَعْ ظالمهم من مظلومهم.

ومنها: أنه لو لم يجعل لهم إماماً قيِّماً اميناً حافظاً مستودعاً لدرست الملة، وذهب الدين وغُيِّرت السنن والأحكام، ولزاد فيه المبتدعون، ونقص منه الملحدون، وشبَّهوا ذلك على المسلمين. إذ قد وجدنا الخلق منقوصين محتاجين غير كاملين مع اختلافهم واختلاف أهوائهم وتشتت حالاتهم، فلو لم يجعل قيِّماً حافظاً لما جاء به الرسول الأول، لفسدوا على نحوا ما بيَّناه وغُيِّرت الشرائع والسنن والأحكام والأيمان، وكان في ذلك فساد الخلق أجمعين).[1]

(١) عيون أخبار الرضا: للصدوق، ج٢، ص١٥٧.

٢ـ تنظيم أمور الناس والمساواة بينهما .

ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام جوابا على ادعاء الخوارج حين قالوا: (لا حكم إلا لله قال(عليه السلام):«**كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ! نَعَمْ إِنَّهُ لا حُكْمَ إِلاَّ لله، ولكِنَّ هؤُلاَءِ يَقُولُونَ: (لاَ إِمْرَةَ، فَإِنَّهُ لاَبُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِير بَرّ أَوْ فَاجِر، يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ، وَيَسْتَمْتِعُ فِيهَا الْكَافِرُ، وَيُبَلِّغُ اللهُ فِيهَا الاْجَلَ، وَيُجْمَعُ بِهِ الْفَيءُ، وَيُقَاتَلُ بِهِ الْعَدُوُّ، وَتَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ، وَيُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ، حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ، وَيُسْتَرَاحَ مِنْ فَاجِر**».

وفي رواية أُخرى أنّه (عليه السلام) لّما سمع تحكيمهم قال: «**حُكْمَ الله أَنْتَظِرُ فِيكُمْ. وقال: أَمَّا الاْمْرَةُ الْبَرَّةُ فَيَعْمَلُ فيها التَّقِيُّ، وَأَمَّا الاْمْرَةُ الْفَاجِرَةُ فَيَتَمَتَّعُ فِيهَا الشَّقِيُّ، إلى أَنْ تَنْقَطِعَ مُدَّتُهُ، وَتُدْرِكَهُ مَنِيَّتُهُ**».(١)

يتضح من كلام الامام (عليه السلام) إن هناك أسباباً وعللاً عديدة تستدعي لزوم تشكيل الحكم وتولي ولي الأمر.

٣ـ إقامة الحدود المعطلة

وما ورد عن مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) يبيّن سبب طلبه الحكم ويصف الامام الحقّ «**اللهمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً فِي سُلْطَان، وَلاَ الْتِمَاسَ شِيء مِنْ فُضُولِ الْحُطَام، وَلكِنْ لِنَرِدَ الْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ، وَنُظْهِرَ الإِصْلاَحَ فِي بِلاَدِكَ، فَيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ، وَتُقَامَ الْمُعَطَّلَةُ مِنْ حُدُودِكَ**»(٢).

(١) نهج البلاغة خطب الامام علي، ج١، ص١٠٠.

(٢) نهج البلاغة خطب الامام علي، ج١، ص١٠٩، خ١٢٩.

٤ـ رد الأموال العامة المغصوبة المتعلقة بالمجتمع إلى أهلها.

فيما رد (عليه السلام) من قطائع عثمان قال: «**وَاللهِ لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تُزُوِّجَ بِهِ النِّسَاءُ، وَمُلِكَ بِهِ الْإِمَاءُ، لَرَدَدْتُهُ؛ فَإِنَّ فِي العَدْلِ سَعَةً، وَمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ العَدْلُ، فَالجَوْرُ عَلَيْهِ أَضيَقُ**»[١].

٥ـ التوجيه وتعليم الأمة.

عن علي (عليه السلام) قال(فإن الرعية الصالحة تنجو بالإمام العادل، ألا وإن الرعية الفاجرة تهلك بالإمام الفاجر)[٢] وعن الإمام الصادق (عليه السلام) (لا يصلح الناس إلا بالإمام ولا تصلح الأرض إلا بذاك)[٣] وعن أبي جعفر الباقر(عليه السلام) قال (بني الاسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ولم ينادي بشيء كما نودي بالولاية)[٤].

عن الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: «**سلطان ظلوم وسلطان ظلوم خير من فتنة تدوم**»[٥].

يتحصل: من جميع الروايات الشريفة ضرورة تحقيق وإيجاد الحكم وفي حالة عدم القدرة على إيجاد الحكم العادل فلا أقل من اقامة حكم وان كان ظالماً وجائراً وذلك في سبيل الاستقراء والامن للبلد وحدوده ومنع العدوان عليه وفي غير ذلك تسود حالة من التدهور حيث ستراق دماء الكثير من الابرياء دون أي وازع مما يوفر للأعداء النفوذ إلى داخل البلد والهيمنة عليه.

(١) نهج البلاغة خطب الامام علي ج١ ص٤٦.
(٢) بحار الأنوار: ج٨، ص٤٧٢.
(٣) بحار الانوار:ج٢٣، ص٢٢.
(٤) وسائل الشيعة: الحر العاملي: ج١، ص١٠، حديث ١٠.
(٥) غرر الحكم ودرر الكلم، ج١، ص٤٣٧.

المبحث الثاني

ضرورة وجود الحاكم ووظائفه الرئيسية في الدولة

المسألة الأولى: ضرورة الحكم ووجود الحاكم.

تعد الحاجة الإنسانية الثابتة العامل الأساسي لضرورة وجود قانون وحكومة، وهذه الحاجة تنشأ بملاحظة طبيعة الإنسان التي تدعوه ليعيش مع أخيه الإنسان فيفيده ويستفيد منه.

ولكن الإنسان ونتيجة ميوله وغرائزه من حب الذات والمال الجاه والحرية المطلقة لجميع ما يهواه سوف يقع في الاختلاف والتعارض بين ما يريده هو وما يريده الآخرون، ولا بد لأجل حل هذا التعارض والاختلاف من وجود مرجعية يتم الاحتكام إليها والخضوع لها وليست هذه المرجعية سوى (القانون) وأهم ما ينبغي أن يحمله هذا القانون هو العدالة لجميع الناس عبر إعطاء كل ذي حق حقه ورعاية العدل الاجتماعي.

وهناك العديد من الروايات التي تتحدث عن ضرورة وجود الحاكم.

ففي رواية نهج البلاغة أن علياً عليه السلام لما سمع مقولة الخوارج: لا حكم إلا للهَّ قال: كلمة حق يراد الباطل، نعم إنه لا حكم إلا للهَّ ولكن هؤلاء يقولون لا إمرة إلا للهَّ وأنه لا بد للناس من أمير بر أو فاجر، يعمل في إمرته المؤمن ويستمتع فيها الكافر ويبلغ الله فيها الأجل ويجمع به الفيء، ويقاتل به العدو وتأمن به السبل ويؤخذ به للضعيف من القوي حتى يستريح بر ويستراح من فاجر[1].

(١) نهج البلاغة خطب الامام علي، ج١، ص١٢٥، خ٤٠.

وفي رواية الفضل بن شاذان التي مر ذكرها آنفا عن الإمام الرضا عليه السلام لما سأله: فلم جعل أولي الأمر وأمر بطاعتهم؟ قال (عليه السلام) إن الخلق لما وقفوا على حد محدود وأمر أن لا يتعدوا ذلك الحد لما فيه من فسادهم لم يكن يثبت ذلك ولا يقوم إلا بأن يجعل عليهم فيه أميناً يمنعهم من التعدي والدخول فيما حظر عليهم، لأنه لو لم يكن ذلك كذلك لكان أحد لا يترك لذته ومنفعته لفساد غيره)[1].

ومن كلام له (عليه السلام) في ضرورة وجود الحاكم ووظيفة في الدولة كتاب (عليه السلام) كتبه للأشتر النخعي لما ولاه على مصر وأعمالها حين اضطرب أمر أميرها محمد بن أبي بكر (رضوان الله عليه) «**هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللهِ عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَالِكَ بْنَ الْحَارِثِ الْأَشْتَرَ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ حِينَ وَلَّاهُ مِصْرَ جِبَايَةَ خَرَاجِهَا وَجِهَادَ عَدُوِّهَا وَاسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا وَعِمَارَةَ بِلَادِهَا....**»[2]

ومن كلام له (عليه السلام) موضحا فيه مسؤوليات الحاكم «**أنه ليس على الامام إلا ماحمل من أمر ربه الابلاغ في الموعظة والاجتهاد في النعيمة والاحياء للسنة وإقامة الحدود على مستحقيها وإصدار السهمان على أهلها**»[3].

ومن جملة الأمور والمهام التي من شأنها الحفاظ على الوحدة الاسلامية، والإنسانية أشار الإمام إلى أن من واجبات الحاكم ان يجمع امرهم، والقيام بالمهمات العسكرية والامنية، اذ قال (عليه السلام): «**يقاتل به العدو وتأمن به السبل ويؤخذ للضعيف من القوي**». ويفسر (عليه السلام) بأن سبب عدم استجابته لدعوات الخروج في المعارك الصغيرة ضد جيش الشام بعد التحكيم (لا ينبغي لي

(١) عيون اخبار الرضا: للصدوق: ج١ ١٠٧

(٢) نهج البلاغة، خطب الامام علي ج٣ ص٣٨ رسالة ٥٣

(٣) نهج البلاغة، خطب الامام علي ج١ خطبة ١٠٥

ان ادع الجند والمصر وبيت المال وجباية الأرض والقضاء بين المسلمين والنظر في حقوق المطالبين)[1].

وهذا ما أشار إليه الإمام (عليه السلام) بقوله في بيان ضمان الحقوق للعباد.

«صوابُ الرأي بالدول: يُقبلُ بإقبالها، ويذهب بذهابها. (...و) إزالةُ الجبال أسهل من إزالةِ دولةٍ أقبلت، فاستعينوا بالله يورثها من يشاء. (...لكن) أشرفُ الملوك مَن لم يُخالطه البَطَر، ولم يحُل عن الحق. (...و) أصحاب السلطانِ في المَثَل كقَوم رَقُوا جبلاً ثمَّ سقَطوا منه، فأقربُهُم إلى الهَلَكةً والتَّلفِ أبعدُهُم كان في المُرتَقَى»[2].

المسألة الثانية: العلاقة بين الحاكم والأمة.

لابد من تحقق أمرين في المنظومة القيادية:

١ـ العلاقة القلبية بين الحاكم والرعية: وهو ان يستشعر المسؤول الرحمة والشفقة إزاء الرعية.

٢ـ الحقوق المتبادلة والالتزام بالضوابط من قبل الطرفين.

فضلاً عن أن هناك ضوابط لا بد للرعية من الالتزام بها كذلك يوجب للمسؤول أن يحقق هذا الالتزام على نفسه أولا.

فاذا تم إصلاح العلاقة القلبية ونظمت الحقوق المتبادلة ضمن الأطر والسياقات الصحيحة واستطاع المسؤول بقدراته أن يؤدي واجباته بحفظ المصلحة العامة بشكل سليم، فحينذاك ستشعر أن هناك علاقة رصينة بين الحاكم والرعية قائمة على المحبة والرحمة.

(١) نهج البلاغة، خطبة ١١٩.

(٢) نهج البلاغة، خطبة ٣٣٩.

إذا المبدأ الاساسي الذي بنى عليه الامام أمير المؤمنين عليه السلام حكمة هو مبدأ الترابط بين الحق والواجب، فالحاكم ليس سيداً على الناس لأن سيدهم هو الله تعالى فحسب والله وحده هو الاحد الصمد الذي (لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ*ولَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) فأي حق للحاكم يقابله واجب عليه يساويه في الاهمية إذ ليس الحكم منحة من أحد بل هو موقع يحتله أكفأ الناس لكي يؤدي حقوق الناس بأفضل مما يمكن أن يؤديه غيره)[1].

(أذ تشكل دراسة العلاقة بين الحاكم والامة تصورا أصيلا للعلاقة من وجهة نظر إسلامية وتصورا لمفتاح وسر النجاح والتوفيق في جميع مجالات الحياة للمجتمع لأن الكيان الاسلامي يعتمد في وجوده وقوته وتطوره بعد شخصية الحاكم ووعي الأمة ووحدتها على طبيعة العلاقة بين الحاكم والامة فإنهما عندما يكونان في موقع واحد وفي حركة متجانسة واحدة يمكن أن يتحقق للجميع هذا التطور والقوة بحيث إذا فقد أحدهما أو أصيبت حالة الانسجام أو التناسق بينهما بالخلل أو الضعف يفقد المجتمع الاسلامي وجوده وقوته أو قدرته على التطور ولا يتحقق ذلك إلا من خلال تشخيص العلاقة)[2].

وقد اشار الامام علي (عليه السلام) إلى أهمية هذه العلاقة بقوله «**أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ جَعَلَ اللهُ لِي عَلَيْكُمْ حَقّاً بِوِلاَيَةِ أَمْرِكُمْ، وَلَكُمْ عَلَيَّ مِنَ الْحَقِّ مِثْلُ الَّذِي لِي عَلَيْكُمْ، فَالْحَقُّ أَوْسَعُ الأَشْيَاءِ فِي التَّوَاصُفِ، وَأَضْيَقُهَا فِي التَّنَاصُفِ، لاَ يَجْرِي لِاَحَد إِلاَّ جَرَى عَلَيْهِ، وَلاَ يَجْرِي عَلَيْهِ إِلاَّ جَرَى لَهُ، وَلَوْ كَانَ لِاَحَد أَنْ يَجْرِيَ لَهُ وَلاَ يَجْرِيَ عَلَيْهِ، لَكَانَ ذلِكَ خَالِصاً لله سُبْحَانَهُ دُونَ خَلْقِهِ، لِقُدْرَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَلِعَدْلِهِ فِي كُلِّ مَا جَرَتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ قَضَائِهِ، وَلكِنَّهُ جَعَلَ حَقَّهُ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يُطِيعُوهُ، وَجَعَلَ**

(١) أخلاقيات الامام علي أمير المؤمنين: السيد هادي المدرسي، ص٢٣٠-٢٣١.

(٢) الامام علي دراسة لجوانب من الشخصية والمنهج، السيد محمد باقر الحكيم، ص٢٢٥.

جَزَاءَهُمْ عَلَيْهِ مُضَاعَفَةَ الثَّوَابِ تَفَضُّلاً مِنْهُ، وَتَوَسُّعاً بِمَا هُوَ مِنَ الْمَزِيدِ أَهْلُهُ ثُمَّ جَعَلَ سُبْحَانَهُ مِنْ حُقُوقِهِ حُقُوقاً افْتَرَضَهَا لِبَعْضِ النَّاسِ عَلَى بَعْضٍ، فَجَعَلَهَا تَتَكَافَأُ فِي وُجُوهِهَا، وَيُوجِبُ بَعْضُهَا بَعْضاً، وَلاَ يُسْتَوْجَبُ بَعْضُهَا إِلاَّ بِبَعْضٍ.

وَأَعْظَمُ مَا افْتَرَضَ سُبْحَانَهُ مِنْ تِلْكَ الْحُقُوقِ حَقُّ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ، وَحَقُّ الرَّعِيَّةِ، عَلَى الْوَالِي، فَرِيضَةً فَرَضَهَا اللهُ سُبْحَانَهُ لِكُلّ عَلَى كُلّ، فَجَعَلَهَا نِظَاماً لِالْفَتِهِمْ، وَعِزّاً لِدِينِهِمْ، فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلاَّ بِصَلاَحِ الْوُلاَةِ، وَلاَ تَصْلُحُ الْوُلاَةُ إِلاَّ بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ.

فَإِذا أَدَّتِ الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَالِي حَقَّهُ، وَأَدَّى الْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا، عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ، وَقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ، وَاعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ، وَجَرَتْ عَلَى أَذْلاَلِهَا السُّنَنُ، فَصَلَحَ بِذلِكَ الزَّمَانُ، وَطُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ، وَيَئِسَتْ مَطَامِعُ الأَعْدَاءِ.

وَإِذَا غَلَبَتِ الرَّعِيَّةُ وَالِيَهَا، أَوْ أَجْحَفَ الْوَالِي بِرَعِيَّتِهِ، اخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ الْكَلِمَةُ، وَظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجَوْرِ، وَكَثُرَ الإِدْغَالُ فِي الدِّينِ، وَتُرِكَتْ مَحَاجُّ السُّنَنِ، فَعُمِلَ بِالْهَوَى، وَعُطِّلَتِ الأَحْكَامُ، وَكَثُرَتْ عِلَلُ النُّفُوسِ، فَلاَ يُسْتَوْحَشُ لِعَظِيمِ حَقٍّ عُطِّلَ، وَلاَ لِعَظِيمِ بَاطِلٍ فُعِلَ! فَهُنَالِكَ تَذِلُّ الأَبْرَارُ، وَتَعِزُّ الأَشْرَارُ، وَتَعْظُمُ تَبِعَاتُ اللهِ عِنْدَ الْعِبَادِ.

فَعَلَيْكُمْ بِالتَّنَاصُحِ فِي ذلِكَ، وَحُسْنِ التَّعَاوُنِ عَلَيْهِ، فَلَيْسَ أَحَدٌ وَإِنِ اشْتَدَّ عَلَى رِضَى اللهِ حِرْصُهُ، وَطَالَ فِي الْعَمَلِ اجْتِهَادُهُ بِبَالِغٍ حَقِيقَةَ مَا اللهُ سُبْحَانَهُ أَهْلُهُ مِنَ الطَّاعَةِ لَهُ، وَلكِنْ مِنْ وَاجِبِ حُقُوقِ اللهِ عَلى العِبَادِ النَّصِيحَةُ بِمَبْلَغِ جُهْدِهِمْ، وَالتَّعَاوُنُ عَلَى إِقَامَةِ الْحَقِّ بَيْنَهُمْ. وَلَيْسَ امْرُؤٌ وَإِنْ عَظُمَتْ فِي الْحَقِّ مَنْزِلَتُهُ، وَتَقَدَّمَتْ فِي الدِّينِ فَضِيلَتُهُ بِفَوْقِ أَنْ يُعَانَ عَلَى مَا حَمَّلَهُ اللهُ مِنْ حَقِّهِ. وَلاَ امْرُؤٌ وَإِنْ صَغَّرَتْهُ النُّفُوسُ، وَاقْتَحَمَتْهُ الْعُيُونُ بِدُونِ أَنْ يُعِينَ عَلى ذلِكَ أَوْ يُعَانَ عَلَيْهِ»[1].

(١) نهج البلاغة: خطبة ٣٤

وقوله عليه السلام في ضمان الحقوق «**أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقّاً، وَلَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ:**

فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ: فَالنَّصِيحَةُ لَكُمْ، وَتَوْفِيرُ فَيْئِكُمْ عَلَيْكُمْ، وَتَعْلِيمُكُمْ كَيْلا تَجْهَلُوا، وَتَأْدِيبُكُمْ كَيْما تَعْلَمُوا.

وَأَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ: فَالوَفَاءُ بِالبَيْعَةِ، وَالنَّصِيحَةُ فِي الْمَشْهَدِ وَالْمَغِيبِ، وَالاْجَابَةُ حِينَ أَدْعُوكُمْ، وَالطَّاعَةُ حِينَ آمُرُكُمْ»[1].

المسألة الثالثة: واجبات الحاكم إزاء الأمة.

أن واجبات الحاكم اتجاه الأمة يمكن تصويرها من خلال الرؤية القرآنية (الآيات المباركة):

ما ورد في سورة الجمعة ان الله سبحانه وتعالى يوضح واجبات ثلاثة للحاكم إزاء الأمة ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾[2].

١ـ اقامة الحجة على الأمة وتلاوة آيات الله عليها وابلاغها الرسالة الإلهية والمسؤولية الملقاة على عاتقها أمام الله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ**﴾

٢ـ تزكية الأمة وترتيبها والأشراف على مسيرتها والعمل على جعلها متطابقة مع الشريعة واقامة العدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتحريرها من الاغلال والقيود والعبودية لغير الله تعالى: ﴿**وَيُزَكِّيهِمْ**﴾.

(١) نهج البلاغة خطبة ٣٤

(٢) سورة الجمعة:٢

٣ـ تعليم الأمة الشريعة الاسلامية وهدايتها إلى العقائد والسنن التاريخية وبيان مواضع الاعتبار والانذار في مسيرتها: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.

٤ـ وهناك واجب رابع تعبئة طاقات الأمة وتوضيفها في الدفاع عن الاسلام والجهاد في سبيل الله عند تعرض بلاد المسلمين إلى العدوان ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[1].

وقوله تعالى في سورة التوبة: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. ٢٠٧

وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[2].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[3].

تبين هذه الآيات الثلاثة طبيعة العلاقات بين المؤمنين في المجتمع الاسلامي. وورد في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾.

(١) سورة التحريم:٩. وكذلك ورد الخطاب القرآني نفسه في سورة التوبة، الآية الثالثة والسبعين.

(٢) سورة التوبة ٧١ـ ٧٢

(٣) سورة التحريم ٨.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾(١)

ومن الآيات ما ورد في سورة الاعراف ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الخبائث وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(٢)

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلا آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللهَّ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾(٣)

وهناك آيات كثيرة تتحدث عن واجبات الحاكم الاسلامي نعزب عن ذكرها مخافة الاطالة، ومن النصوص الواردة في نهج البلاغة التي تبين بوضوح الواجبات الرئيسية للحاكم والتي كان الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) يسير عليها في السيرة العملية فضلا عن الرؤية النظرية ومن هذه النصوص.

(١) الفرقان: ٥٠-٥٢.

(٢) الأعراف: ١٥٧.

(٣) النحل: ٣٥- ٣٦

قوله عليه السلام: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقّاً وَلَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ فَالنَّصِيحَةُ لَكُمْ وَتَوْفِيرُ فَيْئِكُمْ عَلَيْكُمْ وَتَعْلِيمُكُمْ كَيْلَا تَجْهَلُوا وَتَأْدِيبُكُمْ كَيْمَا تَعْلَمُوا وَأَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ فَالْوَفَاءُ بِالْبَيْعَةِ وَالنَّصِيحَةُ فِي الْمَشْهَدِ وَالْمَغِيبِ وَالْإِجَابَةُ حِينَ أَدْعُوكُمْ وَالطَّاعَةُ حِينَ آمُرُكُمْ»(١).

«وَإِنَّهُ لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ وَيَسْتَمْتِعُ فِيهَا الْكَافِرُ وَيُبَلِّغُ اللهُ فِيهَا الْأَجَلَ وَيُجْمَعُ بِهِ الفيء وَيُقَاتَلُ بِهِ الْعَدُوُّ وَتَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ وَيُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ»(٢).

«إِنَّهُ لَيْسَ عَلَى الْإِمَامِ إِلَّا مَا حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ: الْإِبْلَاغُ فِي الْمَوْعِظَةِ، وَالِاجْتِهَادُ فِي النَّصِيحَةِ، وَالْإِحْيَاءُ لِلسُّنَّةِ، وَإِقَامَةُ الْحُدُودِ عَلَى مُسْتَحِقِّيهَا، وَإِصْدَارُ السُّهْمَانِ عَلَى أَهْلِهَا، فَبَادِرُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِ تَصْوِيحِ نَبْتِهِ، وَمِنْ قَبْلِ أَنْ تُشْغَلُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنْ مُسْتَثَارِ الْعِلْمِ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَنَاهَوْا عَنْهُ، فَإِنَّمَا أُمِرْتُمْ بِالنَّهْيِ بَعْدَ التَّنَاهِي»(٣)

«وَلَكُمْ عَلَيْنَا الْعَمَلُ بِكِتَابِ اللهِ تَعَالَى وَسِيرَةِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وَالْقِيَامُ بِحَقِّهِ وَالنَّعْشُ لِسُنَّتِهِ»(٤).

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي قَدْ وَلَّيْتُ النُّعْمَانَ بْنَ عَجْلَانَ الزُّرَقِيَّ عَلَى الْبَحْرَيْنِ، وَنَزَعْتُ يَدَكَ، بِلاَ ذَمٍّ لَكَ، وَلاَ تَثْرِيب عَلَيْكَ، فَلَقَدْ أَحْسَنْتَ الْوِلاَيَةَ، وَأَدَّيْتَ الأَمَانَةَ، فَأَقْبِلْ غَيْرَ ظَنِينٍ، وَلاَ مَلُومٍ، وَلاَ مُتَّهَمٍ، وَلاَ مَأْثُومٍ، فَقَدْ أَرَدْتُ الْمَسِيرَ إِلَى ظَلَمَةِ أَهْلِ الشَّامِ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ تَشْهَدَ مَعِي، فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَى جِهَادِ الْعَدُوِّ، وَإِقَامَةِ عَمُودِ الدِّينِ، إِنْ شَاءَ اللهُ»(٥).

(١) نهج البلاغة ٣٤.

(٢) نهج البلاغة ٤٠.

(٣) نهج البلاغة ١٠٥.

(٤) نهج البلاغة ١٦٩.

(٥) نهج البلاغة رسالة ٤٢.

المبحث الثالث

مبادئ العلاقة في إدارة الواجبات

تعد المبادئ التي اعتمدها الإمام علي عليه السلام في حكمه الحجر الاساس في تقويم العلاقة بين الحاكم والأمة وبين الأمة والحاكم، في اداء المسؤوليات والمهام الملقاة على عاتق الحاكم والأمة والتي تشكل الاطار العام لطبيعة هذه العلاقة.

المسألة الأولى: الحقوق المتبادلة.

كثيرا ما يختلف المصلحون الاجتماعيون - في تشخيص موطن الخلل القائم في مجتمع ما - بين اتهام الحاكم بالطغيان، او اتهام الرعية بالطاعة العمياء، ففريق منهم تجده يردد (كما تكونوا يولى عليكم)، ويلقي باللائمة على الرعية، على اساس أن الرعية لو ارتقت الى المستوى المطلوب، وعرفت قدراتها وامكاناتها، لما انفرد الحاكم بقرارات غير رشيدة. وفريق آخر تجده يردد (الناس على دين ملوكهم)، فيلقي باللائمة على الحاكم، على اساس ان الحاكم لو لم يطغ، وكان رشيدا في سلوكه، لاقتدت به الرعية، ولما آل أمرها الى الانحطاط.

اين موطن الخلل اذن؟ هل في القمة ام في القاعدة؟ هل هو في السلطة الحاكمة ام في الرعية المحكومة؟

امير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) يرى أن اصلاح الخلل لا يكون الا بمراعاة كل طرف حقوق الطرف الآخر، فطالما ان الحاكم لا يؤدي حق رعيته، او الرعية لا تؤدي حق حاكمها، فلا يمكن ان نظفر بمجتمع سليم، مدركٍ للعدالة

السياسية وإن كان مفهوما اعتباريا، إلا أن الالتزام بحقوق الطرف الآخر - او عدم الالتزام - تترتب عليه آثار واقعية بالغة الاهمية والخطورة.

في هذا المجال نجده يؤكد في خطبة له بصفين على أن الحقوق متقابلة، فيقول: (أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ جَعَلَ الله سُبْحَانَهُ لِي عَلَيْكُمْ حَقّاً بِوِلَايَةِ أَمْرِكُمْ وَلَكُمْ عَلَيَّ مِنَ الْحَقِّ مِثْلُ الَّذِي لِي عَلَيْكُمْ فَالْحَقُّ أَوْسَعُ الْأَشْيَاءِ فِي التَّوَاصُفِ وَأَضْيَقُهَا فِي التَّنَاصُفِ لَا يَجْرِي لِأَحَدٍ إِلَّا جَرَى عَلَيْهِ وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ إِلَّا جَرَى لَهُ وَلَوْ كَانَ لِأَحَدٍ أَنْ يَجْرِيَ لَهُ وَلَا يَجْرِيَ عَلَيْهِ لَكَانَ ذَلِكَ خَالِصاً لله سُبْحَانَهُ دُونَ خَلْقِهِ لِقُدْرَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ وَلِعَدْلِهِ فِي كُلِّ مَا جَرَتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ قَضَائِهِ وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَ حَقَّهُ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يُطِيعُوهُ وَجَعَلَ جَزَاءَهُمْ عَلَيْهِ مُضَاعَفَةَ الثَّوَابِ تَفَضُّلًا مِنْهُ وَتَوَسُّعاً بِمَا هُوَ مِنَ الْمَزِيدِ أَهْلُهُ)[1].

ويؤكد اهمية مراعاة الحق من الجانبين، من جانب الحاكم، ومن جانب الرعية، على اساس أن أحد ركني المعادلة لو اختل، فلن تتحقق العدالة السياسية، فيستطرد ويقول: (وَأَعْظَمُ مَا افْتَرَضَ سُبْحَانَهُ مِنْ تِلْكَ الْحُقُوقِ حَقُّ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ وَحَقُّ الرَّعِيَّةِ عَلَى الْوَالِي فَرِيضَةٌ فَرَضَهَا الله سُبْحَانَهُ لِكُلٍّ عَلَى كُلٍّ فَجَعَلَهَا نِظَاماً لِأُلْفَتِهِمْ وَعِزّاً لِدِينِهِمْ فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِصَلَاحِ الْوُلَاةِ وَلَا تَصْلُحُ الْوُلَاةُ إِلَّا بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ فَإِذَا أَدَّتْ الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَالِي حَقَّهُ وَأَدَّى الْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ وَقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ وَاعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ وَجَرَتْ عَلَى أَذْلَالِهَا السُّنَنُ فَصَلَحَ بِذَلِكَ الزَّمَانُ وَطُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ وَيَئِسَتْ مَطَامِعُ الْأَعْدَاءِ)[2].

(١) نهج البلاغة خطب الامام علي، ج٢، ص١٩٨، خ ٢١٦

(٢) المصدر نفسه.

ثم يبين العواقب الخطيرة لعدم مراعاة احد الجانبين حق الآخر، فيقول: (وَإِذَا غَلَبَتِ الرَّعِيَّةُ وَالِيَهَا أَوْ أَجْحَفَ الْوَالِي بِرَعِيَّتِهِ اخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ الْكَلِمَةُ وَظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجَوْرِ وَكَثُرَ الْإِدْغَالُ فِي الدِّينِ وَتُرِكَتْ مَحَاجُّ السُّنَنِ فَعُمِلَ بِالْهَوَى وَعُطِّلَتِ الْأَحْكَامُ وَكَثُرَتْ عِلَلُ النُّفُوسِ فَلَا يُسْتَوْحَشُ لِعَظِيمِ حَقٍّ عُطِّلَ وَلَا لِعَظِيمِ بَاطِلٍ فُعِلَ فَهُنَالِكَ تَذِلُّ الْأَبْرَارُ وَتَعِزُّ الْأَشْرَارُ وَتَعْظُمُ تَبِعَاتُ الله سُبْحَانَهُ عِنْدَ الْعِبَادِ)[1].

إذا معالجة هذا الخلل لا تتم الا بالتناصح، والتعاون، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر على الدوام. وهذا الواجب لا يقتصر على الوجهاء والاغنياء والاقوياء، وإنما هو واجب كل عضو في المجتمع - سواء كان اعلي القمة او اسفل القاعدة - ولا يقلل من اهمية القيام بهذا الواجب عظمة الحاكم، مهما علا في المنزلة والقوة، وكما يقلل من اهمية القيام بهذا الواجب بساطة المحكوم، مهما تواضع في المنزلة والضعف. يقول (عليه السلام) (فَعَلَيْكُمْ بِالتَّنَاصُحِ فِي ذَلِكَ وَحُسْنِ التَّعَاوُنِ عَلَيْهِ فَلَيْسَ أَحَدٌ وَإِنِ اشْتَدَّ عَلَى رِضَا الله حِرْصُهُ وَطَالَ فِي الْعَمَلِ اجْتِهَادُهُ بِبَالِغٍ حَقِيقَةَ مَا الله سُبْحَانَهُ أَهْلُهُ مِنَ الطَّاعَةِ لَهُ وَلَكِنْ مِنْ وَاجِبِ حُقُوقِ الله عَلَى عِبَادِهِ النَّصِيحَةُ بِمَبْلَغِ جُهْدِهِمْ وَالتَّعَاوُنُ عَلَى إِقَامَةِ الْحَقِّ بَيْنَهُمْ وَلَيْسَ امْرُؤٌ وَإِنْ عَظُمَتْ فِي الْحَقِّ مَنْزِلَتُهُ وَتَقَدَّمَتْ فِي الدِّينِ فَضِيلَتُهُ بِفَوْقِ أَنْ يُعَانَ عَلَى مَا حَمَّلَهُ الله مِنْ حَقِّهِ وَلَا امْرُؤٌ وَإِنْ صَغَّرَتْهُ النُّفُوسُ وَاقْتَحَمَتْهُ الْعُيُونُ بِدُونِ أَنْ يُعِينَ عَلَى ذَلِكَ أَوْ يُعَانَ عَلَيْهِ)[2].

(١) نهج البلاغة خطب الامام علي، ج٢، ص١٩٩، خ ٢١٦

(٢) نهج البلاغة خطب الامام علي، ج٢، ص١٩٩، خ ٢١٦

المسألة الثانية: التسامح واللين.

ان تكون الروح التي تستند اليها العلاقة في اداء هذه الواجبات والمسؤوليات هي روح الرأفة والتسامح واللين والاحسان وحسن الظن من قبل الحاكم إزاء الأمة، قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ الله لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى الله إِنَّ الله يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[1]، ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2]، ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ الله وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ﴾[3]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي الله بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ الله وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ الله يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَالله وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[4].

واما النصوص الواردة عن مولانا أمير المؤمنين كثيرة وقد اشرنا إلى البعض منها آنفا في المبحث الثاني وأهمها(وأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، والْمَحَبَّةَ لَهُمْ، واللُّطْفَ بِهِمْ. ولا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً، تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ)[5].

وهناك نص آخر يقول فيه (عليه السلام) (وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعَى إِلَى حُسْنِ ظَنِّ رَاعٍ بِرَعِيَّتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ وَتَخْفِيفِهِ الْمُئُونَاتِ عَلَيْهِمْ وَتَرْكِ اسْتِكْرَاهِهِ

(١) آل عمران ١٥٩.

(٢) التوبة ١٢٨.

(٣) الفتح ٢٩.

(٤) المائدة ٥٤

(٥) نهج البلاغة خطب الإمام علي، ج٣، ص٤٨، رسالة ٣٥.

إِيَّاهُمْ عَلَى مَا لَيْسَ لَهُ قِبَلَهُمْ فَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذَلِكَ أَمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ بِرَعِيَّتِكَ فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْكَ نَصَباً طَوِيلًا)[1].

المسألة الثالثة: المساواة بين الناس في الحقوق.

ان ابناء الأمة وإن كانوا يختلفون في الكثير من الخصائص والامتيازات مثل التقوى، العلم والجهاد والاحسان فالتميز بينهم يقوم على اساس العدل.

وهذا متفق عليه بين جميع الشرائع الإلهية فضلا عن القوانين الوضعية ولكن الحديث عن مسألة المساواة بين الناس في هذه الحقوق لا يكون لها تميز بين افراد الامة فيكون لكل سلطة في الدولة رأيها في مسالة معينه، القضاء مثلا له موقف إزاء عدد من اصناف الناس ويكون هذا الموقف موحدا يكون موقفه على حد سواء بين الشريف والوضيع والعالم والجاهل.

وقد اشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة وأكد عليها الإمام (عليه السلام) بقوله(أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْوَالِيَ إِذَا اخْتَلَفَ هَوَاهُ مَنَعَهُ ذَلِكَ كَثِيراً مِنَ الْعَدْلِ، فَلْيَكُنْ أَمْرُ النَّاسِ عِنْدَكَ فِي الْحَقِّ سَوَاءً، فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي الْجَوْرِ عِوَضٌ مِنَ الْعَدْلِ، فَاجْتَنِبْ مَا تُنْكِرُ أَمْثَالَهُ، وَابْتَذِلْ نَفْسَكَ فِيمَا افْتَرَضَ اللهُ عَلَيْكَ، رَاجِياً ثَوَابَهُ، وَمُتَخَوِّفاً عِقَابَهُ[2].

وَاعْلَمْ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ بَلِيَّةٍ لَمْ يَفْرُغْ صَاحِبُهَا قَطُّ فِيهَا سَاعَةً إِلاَّ كَانَتْ فَرْغَتُهُ عَلَيْهِ حَسْرَةً يَوْمَ القيامة أنه لَنْ يُغْنِيَكَ عَنِ الْحَقِّ شَيْءٌ أَبَداً، وَمِنَ الْحَقِّ عَلَيْكَ حِفْظُ نَفْسِكَ، وَالاْحْتِسَابُ عَلَى الرَّعِيَّةِ بِجُهْدِكَ، فَإِنَّ الَّذِي يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْ ذلِكَ أَفْضَلُ مِنَ الَّذِي يَصِلُ بِكَ، وَالسَّلاَمُ)[3].

(١) المصدر نفسه، ج٣، ص٨٨، رسالة ٥٣.

(٢) المصدر نفسه، ج٣، ص١١٦.

(٣) المصدر نفسه، ج٣، ص١١٦، رسالة ٥٣.

نستنتج من قول الامام عليه السلام ما يلي:

١ـ الإنصاف من النفس في التعامل مع الرعية.

(أَنْصِفِ اللهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوًى مِنْ رَعِيَّتِكَ فَإِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلْ تَظْلِمْ وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللهِ كَانَ اللهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ)[1].

٢ـ ان يكون أساس الاختيار للمواصفات الموضوعة ذا علاقة بكمال الشخصية والكفاءة .

(وَلْيَكُنْ أَبْعَدَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ وَأَشْنَأَهُمْ عِنْدَكَ أَطْلَبُهُمْ لِمَعَايِبِ النَّاسِ فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوباً الْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا فَلَا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ وَاللهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ فَاسْتُرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَطَعْتَ يَسْتُرِ اللهُ مِنْكَ مَا تُحِبُّ سَتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ أَطْلِقْ عَنِ النَّاسِ عُقْدَةَ كُلِّ حِقْدٍ وَاقْطَعْ عَنْكَ سَبَبَ كُلِّ وِتْرٍ وَتَغَابَ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَضِحُ لَكَ وَلَا تَعْجَلَنَّ إِلَى تَصْدِيقِ سَاعٍ فَإِنَّ السَّاعِيَ غَاشٌّ وَإِنْ تَشَبَّهَ بِالنَّاصِحِينَ وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلًا يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ وَيَعِدُكَ الْفَقْرَ وَلَا جَبَاناً يُضْعِفُكَ عَنِ الْأُمُورِ وَلَا حَرِيصاً يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَهَ بِالْجَوْرِ فَإِنَّ الْبُخْلَ وَالْجُبْنَ وَالْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللهِ إِنَّ شَرَّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ لِلْأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيراً وَمَنْ شَرِكَهُمْ فِي الْآثَامِ فَلَا يَكُونَنَّ لَكَ بِطَانَةً فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الْأَثَمَةِ وَإِخْوَانُ الظَّلَمَةِ وَأَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الْخَلَفِ مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَنَفَاذِهِمْ وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ آصَارِهِمْ وَأَوْزَارِهِمْ وَآثَامِهِمْ مِمَّنْ لَمْ يُعَاوِنْ ظَالِماً عَلَى ظُلْمِهِ وَلَا آثِماً عَلَى إِثْمِهِ أُولَئِكَ أَخَفُّ عَلَيْكَ مَئُونَةً وَأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةً وَأَحْنَى عَلَيْكَ عَطْفاً وَأَقَلُّ لِغَيْرِكَ إِلْفاً فَاتَّخِذْ أُولَئِكَ خَاصَّةً لِخَلَوَاتِكَ وَحَفَلَاتِكَ ثُمَّ لْيَكُنْ آثَرُهُمْ عِنْدَكَ أَقْوَلَهُمْ بِمُرِّ الْحَقِّ لَكَ وَأَقَلَّهُمْ مُسَاعَدَةً فِيمَا

(١) المصدر نفسه، ج٣، ص٨٥، رسالة ٥٣.

يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ اللهُ لِأَوْلِيَائِهِ وَاقِعاً ذَلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ وَالْصَقْ بِأَهْلِ الْوَرَعِ وَالصِّدْقِ ثُمَّ رُضْهُمْ عَلَى أَلَّا يُطْرُوكَ وَلَا يَبْجَحُوكَ بِبَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ فَإِنَّ كَثْرَةَ الْإِطْرَاءِ تُحْدِثُ الزَّهْوَ وَتُدْنِي مِنَ الْعِزَّةِ وَلَا يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَزْهِيداً لِأَهْلِ الْإِحْسَانِ فِي الْإِحْسَانِ وَتَدْرِيباً لِأَهْلِ الْإِسَاءَةِ عَلَى الْإِسَاءَةِ وَأَلْزِمْ كُلًّا مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعَى إِلَى حُسْنِ ظَنِّ رَاعٍ بِرَعِيَّتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ وَتَخْفِيفِهِ الْمُئُونَاتِ عَلَيْهِمْ وَتَرْكِ اسْتِكْرَاهِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى مَا لَيْسَ لَهُ قِبَلَهُمْ فَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذَلِكَ أَمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ بِرَعِيَّتِكَ فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْكَ نَصَباً طَوِيلًا وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ حَسُنَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ حَسُنَ بَلَاؤُكَ عِنْدَهُ وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ سَاءَ بَلَاؤُكَ عِنْدَهُ وَلَا تَنْقُضْ سُنَّةً صَالِحَةً عَمِلَ بِهَا صُدُورُ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَاجْتَمَعَتْ بِهَا الْأُلْفَةُ وَصَلَحَتْ عَلَيْهَا الرَّعِيَّةُ وَلَا تُحْدِثَنَّ سُنَّةً تَضُرُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاضِي تِلْكَ السُّنَنِ فَيَكُونَ الْأَجْرُ لِمَنْ سَنَّهَا وَالْوِزْرُ عَلَيْكَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْهَا وَأَكْثِرْ مُدَارَسَةَ الْعُلَمَاءِ وَمُنَاقَشَةَ الْحُكَمَاءِ فِي تَثْبِيتِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ بِلَادِكَ)[1].

٣. تقديم المصالح العامة على الخاصة في اجتماعهما(وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ وَأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَى الْخَاصَّةِ وَإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِي مَئُونَةً فِي الرَّخَاءِ وَأَقَلَّ مَعُونَةً لَهُ فِي الْبَلَاءِ وَأَكْرَهَ لِلْإِنْصَافِ وَأَسْأَلَ بِالْإِلْحَافِ وَأَقَلَّ شُكْراً عِنْدَ الْإِعْطَاءِ وَأَبْطَأَ عُذْراً عِنْدَ الْمَنْعِ وَأَضْعَفَ صَبْراً عِنْدَ مُلِمَّاتِ الدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ وَإِنَّمَا عِمَادُ الدِّينِ وَجِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ وَالْعُدَّةُ لِلْأَعْدَاءِ الْعَامَّةُ مِنَ الْأُمَّةِ فَلْيَكُنْ صِغْوُكَ لَهُمْ وَمَيْلُكَ مَعَهُمْ)[2].

(١) المصدر نفسه، ج٣، ص٨٥، رسالة ٥٣.

(٢) المصدر نفسه، ج٣، ص٨٦، رسالة ٥٣.

٤ـ التأكيد والاهتمام على السنن الصالحة التي تربت عليها الأمة والتي تعد جزءا من تراثها وقاعدة للارتباط في افقها الاجتماعي (وَلَا تَنْقُضْ سُنَّةً صَالِحَةً عَمِلَ بِهَا صُدُورُ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَاجْتَمَعَتْ بِهَا الْأُلْفَةُ وَصَلَحَتْ عَلَيْهَا الرَّعِيَّةُ وَلَا تُحْدِثَنَّ سُنَّةً تَضُرُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاضِي تِلْكَ السُّنَنِ فَيَكُونَ الْأَجْرُ لِمَنْ سَنَّهَا وَالْوِزْرُ عَلَيْكَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْهَا)[1].

(١) المصدر نفسه: ص٨٩.

المبحث الرابع

مفهوم الحكم في عهد الامام (عليه السلام) إلى مالك (رضي الله عنه)

المسألة الأولى: عدم تشبه الحاكم بالله في جبروته لأن الحكم أمانة وتكليف إلهي .

قوله (عليه السلام): (إِيَّاكَ وَمُسَامَاةَ الله فِي عَظَمَتِهِ وَالتَّشَبُّهَ بِهِ فِي جَبَرُوتِهِ فَإِنَّ الله يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ وَيُهِينُ كُلَّ مُخْتَالٍ)[1].

يحذر الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) مالكا (رضوان الله عليه) من منافسة الحاكم لله سبحانه وتعالى في جبروته وعظمته، لأن الحاكم قد يعيش حلاوة الدنيا وزهوها ويغفل عن رؤية كونه مخلوقا لله سبحانه وتعالى، فينزل كل ما لديه من قدرة في طول قدرته سبحانه وتعالى، فيصبح مضاهيا للقدرة الالهية المطلقة وهذا ما يسميه الامام (عليه السلام) بالمساماة والتشبّه.

المساماة: هي المباراة في السمو والعلو.

جاء في المنجد: سامى مساماة الرجل، ماضره وباراه والمعنى إحذر عن مفاخرة الله ومباراته في عظمته والتشبه به تعالى في جبروته بأن تقول مثلا لي كذا وكذا من الملك، كما قال فرعون (أليس لي ملك مصر)[2] وذلك لأن الله تعالى يذل ويحقر كل جبار ويهين ويضعف كل مختال متكبر فخور. حيث يشير القرآن الكريم

(١) نهج البلاغة: خطب الإمام علي،ج٣، ص٨٥، رسالة ٥٣.

(٢) مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة: محمد تقي النقوي: ج١٥ ص٤٢٣

والروايات المباركة إلى مصاديق وشواهد للمتكبرين والمغرورين تؤكد هذا المعنى بشكل واضح.

منها قوله تعالى ﴿وَاسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾[1].

وقال تعالى على لسان موسى (عليه السلام) ﴿... إِن تُرِيدُ إِلاَّ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾[2].

وقال تعالى في مورد بيان ذم التفاخر ومصير الجبارين والمتكبرين في الدنيا والاخرة ﴿إِنَّ الله لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا﴾[3] المختال: هو المعجب بنفسه[4]، فقد أخذ الله سبحانه وتعالى على نفسه أن تكون نهاية كل من يتظاهر بالجبروت الذل والهوان.

وقد وردت في هذا المضمون احاديث شريفة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والائمة الاطهار (عليهم السلام).

فعن أبي عبد الله الصادق (عليه السّلام): قال (أدنى الإلحاد قال إن الكبر أدناه)[5].

وقال (عليه السّلام): إيّاكم والعظمة والكبر، فإنّ الكبر رداء الله، فمن نازع الله رداءه، قصمه الله وأذلّه يوم القيامة[6].

(١) ابراهيم: ١٥.

(٢) القصص: ١٩.

(٣) النساء: ٣٦.

(٤) ينظر لسان العرب ١٠ ص٤٣٦.

(٥) الوافي: الفيض الكاشاني، ج٥، ص٨٧٠

(٦) هداية الأمة إلى أحكام الأئمة: الحر العاملي، ج٥، ص٥٥٣

وعن الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم): قال (الكبر أن تترك الحق وتتجاوزه إلى غيره، وتنظر إلى الناس فلا ترى إن أحدا عرضه كعرضك ولا دمه كدمك)[1].

وقال عليّ عليه السلام: احذروا على دينكم ثلاثة: منهم رجل آتاه الله سلطانا فزعم أنّ طاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله وكذب، لأنّه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، إنّما أمر الله بطاعة الرسول وأولي الأمر، لأنّهم لا يأمرون بمعصيته[2].

ونرى هذا المعنى واضحا في كلام الإمام عليه السلام إلى الاشعث بن قيس عامل اذربيجان قال (لمّا بويع عليّ(عليه السلام) وكتب إلى العمال، كتب إلى الأشعث بن قيس مع زياد بن مرحب الهمداني، وكان الأشعث على آذربيجان عاملاً لعثمان وقد كان عمرو بن عثمان تزوج ابنة الأشعث بن قيس قبل ذلك

فكتب إليه عليّ(عليه السلام): (أمّا بعد فلولا هنّات كنّ فيك كنت المقدم في هذا الأمر قبل الناس ولعل أمرك يحمل بعضه بعضاً إن اتقيت الله، ثمّ إنّه كان من بيعة الناس إياي ما قد بلغك وكان طلحة والزبير ممن بايعاني ثمّ نقضا بيعتي على غير حدث وأخرجا أُم المؤمنين وصارا إلى البصرة فسرت إليهما فالتقينا فدعوتهم إلى أن يرجعوا فيما خرجوا منه فأبوا فأبلغت في الدعاء وأحسنت في البقية، وإنّ عملك ليس لك بطعمة ولكنه أمانة وفي يديك مال من مال الله وأنت من خزّان الله عليه حتى تسلمه إليَّ، ولعلي أن لا أكون شر ولاتك لك إن استقمت ولا قوّة إلاّ بالله.

(١) الوافي: الفيض الكاشاني الجزء: ٢٦، ص١٩٩

(٢) الوسائل: الحر العاملي ج١٨: ٩٠/ ٤: وينظر هداية الأمة إلى أحكام الأئمة: الحر العاملي ج٨ ص٣٨٢.

فلما قرأ الكتاب قال الأشعث: أيها الناس إنّ أمير المؤمنين عثمان ولاني أذربيجان فهلك وهي في يدي وقد بايع الناس عليّاً وطاعتنا له كطاعة من كان قبله وقد كان من أمره وأمر طلحة والزبير ما قد بلغكم، وعليّ المأمون على ما قد غاب عنا وعنكم من ذلك الأمر.

قال: فلما أتى منزله دعا أصحابه وقال: إن كتاب عليّ قد أوحشني وهو آخذ بمال أذربيجان وأنا لاحق بمعاوية!

فقال القوم: الموت خير لك من ذلك أتدع مصرك وجماعة قومك وتكون ذنباً لأهل الشام؟ فاستحيا الأشعث فسار حتى قدم على عليّ (عليه السلام)[1].

فيتحصل: نفهم من منطوق الآيات والروايات المطهرة أموراً:

١-يجب على الحاكم تشخيص العوارض السلبية والامراض الاخلاقية المترتبة من خلال المنصب وكرسي الحكم .

٢- يجب على الحاكم أو الوالي بحكم مسؤوليته أن يهتم بتدبير الأمور وتوجيه الناس في مسارات العمل الصحيحة ونحو الاهداف السليمة.

المسألة الثانية: موقع الرحمة في الحكم.

قوله (عليه السلام) (وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ، وَلاَ تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ)[2].

يتحدث الإمام (عليه السلام) في هذا المقطع من العهد عن العلاقة بين الحاكم والمحكوم، أو بين الحاكم والرعية في المنظومة القيادية في الفهم الاسلامي وهو

(١) نهج البلاغة خطبة ١٣١؛ بحار الأنوار العلامة المجلسي ج٣٢ ص٣٦١.

(٢) نهج البلاغة خطب الإمام علي، ج٣، ص٨٦.

الشعور الباطني المتمثل بالرحمة والشفقة واللين وزرع الثقة بين الحاكم المتصدي والأمه التي تكون تحت رعايته ومسؤوليته.

فالإمام (عليه السلام) يوصي مالكا يوصفه واليا على مصر أن ينظر إلى العدل والمساواة بين الناس من دون ان يميز بين طبقات المجتمع، أي اجعل شعارك في الحكم عنوانه المحبة وللطف والشفقة للرعية.

ثم ينتقل الإمام (عليه السلام) إلى عنصر آخر وهو التشديد على إبقاء مبدأ الرحمة والمحبة والتودد إلى الناس، والتحذير من القسوة والغلظة والاعتداء على الناس.

قوله (عليه السلام) محذرا الوالي من القسوة وسلب حقوق الاخرين (وَلاَ تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ)، يمثل الإمام (عليه السلام) الحاكم بهذا العنوان كالحيوان المفترس الذي يبطش ويفتك بفريسته.

وفي حديث آخر واصفا الناس اذا سلبت منهم الرحمة والمحبة يصبحون كالبهائم (إن البهائم همها بطونها، وإن السباع همها العدوان على غيرها)[1].

فيتحصل: ان نجاح الحاكم العادل والمقتدر الذي تمتد سيطرته على الناس يستطيع استمالة قلوبهم وعواطفهم، ناتج من حسن التعامل مع الرعية بلغة الرحمة والمحبة واللطف، ثم يشير الإمام (عليه السلام) إلى عامل الفشل والانهيار الذي يصيب المنظومة القيادية للحاكم، فيعلل ذلك الفشل والسقوط بسبب التعامل السيئ القائم على البطش والقوة، فيكون الحاكم فيها كالحيوان المفترس، يأكل حقوق الناس ويسلب حرياتهم بحجج واهية يحسبها غنيمة .

(١) نهج البلاغة خطب الإمام علي، ص ٢١٤ - ٢١٥، خطبة ١٥٣.

المسألة الثالثة: الرؤية الفكرية في تقييم الاخرين.

قوله (عليه السلام): (فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ)[1].

يتحدث الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا المقطع من العهد الشريف عن تقييم الناس في المجتمع على ضوء الرؤية الفكرية التي يحملها الإنسان إزاء الآخر.

وهذه الرؤية تنعكس تماما على السلوك والتعامل في المجتمع فالرؤية التي يحملها الحاكم تدفعه للتعامل مع الناس بأن ينظر اليهم على أساس أنهم أناس مثله وهم (فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ) فَإِنَّهُمْ: الفاء هنا للتفريع ومدلولها تعليل لما سبق وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ.

ومثله كما صرح به القرآن الكريم في سورة الكهف على لسان النبي صلى الله عليه وآله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾[2]، إشارة إلى عدم الأفضلية، بل إنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أعلى الكمالات ولكنه مثل الناس يأكل ويشرب ويمارس حياته كما تمارس الناس حياتها، فالبعد الانساني تجسد في كلمة (مِّثْلُكُمْ) وأما مورد الكمالات فهي محل تنافس بين الناس ودعوة مفتوحة بين بني البشر، فكل من أراد ان يكون في سلم تصاعدي فعليه أن يجلب مقدماته، حتى يكون ضمن المتنافسين، كما أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة في سورة المطففين (وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ).

(١) نهج البلاغة خطب الإمام علي، ص٦٨، رسالة ٥٣.

(٢) الكهف ١١٠

إذا الإمام (عليه السلام) يقسم ويصنف الناس بتقسيمات مختلفة.

قال: بما حاصله أن الرعية على قسمين، مسلم وكافر، أما الاول أعني المسلم فهو أخ لك في الدين ولا ينبغي الظلم على الاخ بل ينبغي الشفقة والرحمة به وإلا فلا يكون أخا له [١].

في الصحيح، عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: المؤمن أخو المؤمن كالجسد الواحد إن اشتكى شيء منه وجد ألم ذلك في سائر جسده، وأرواحهما من روح واحدة، وإن روح المؤمن لأشد اتصالا بروح الله من اتصال شعاع الشمس بها[٢].

وفي الصحيح والموثق كالصحيح، عن علي بن عقبة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن المؤمن أخو المؤمن، عينه ودليله، لا يخونه ولا يظلمه ولا يغشه ولا يعده عدة فيخلفه [٣].

وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): فإن المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه[٤]

وعن الامام أبي جعفر الباقر(عليه السلام): والمسلم حرام على المسلم أن يظلمه أو يخذله أو يدفعه دفعة تعنته [٥].

(١) مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة: محمد تقي النقوي: ج١٥ ص٤٢٠.
(٢) روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه: محمد تقي المجلسي (الأول)، ج٩، ص٢٩٣
(٣) الكافي: الكليني، ج٢، ص١٦٦
(٤) روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه: محمد تقي المجلسي (الأول)، ج٥، ص٥٢٦
(٥) الوافي: الفيض الكاشاني، ج٤، ص١٦١

قوله عليه السّلام: المسلم أخو المسلم لا يخذله ولا يغتابه[1].

فالمراد من الإسلام هنا الإسلام الموافق للاعتقاد، مع أن الغيبة من ذمائم الصفات البشرية فهي مذمومة، ولا يجوز مطلقا إلا ما نص الشرع على جوازها، وقد فُسِر الأخ في الروايات بالأخ الإسلامي فلا وجه لحمله على الأخ الإيماني الإثني عشري. مع أن الولاية للمعصومين من أهل البيت (عليهم السلام) على قسمين:

الأول: المحبة.

الثاني: الولاية بالمعنى الأخص.

والأول: موجود في جميع المسلمين إلا الناصبيين والخوارج والظالمين لآل البيت (عليهم السلام) والغلاة وكل من حكم بكفره.

والثاني: منحصر بالشيعة الاثني عشرية.

وبالجملة: من أقر بالشهادتين على أقسام.

الأول: من يحب النبي صلَّى الله عليه وآله المعصومين ويتبع المعصومين عليهم السّلام من آله.

الثاني: من يحبهم في الجملة ولا يتبع أقوالهم بل يتبع أقوال غيرهم.

الثالث: من ثبت كفره.[2]

ولقد أكد الاسلام على علاقة محبة وشفقة وتودد بين اصناف الناس، لأن فيها حلولاً للمشاكل وتنظيما للحياة في جميع جوانبها.

(١) الوسائل باب: ١٥٢ من أبواب أحكام العشرة، حديث: ٥

(٢) مهذب الأحكام في بيان الحلال والحرام: السيد عبد الأعلى السبزواري، ج١٦، ص١٢٥

وهناك تقسيم آخر للناس أشار اليه الإمام (عليه السلام) في نهجه يعتمد على أساس العلم، فقال مُخاطبا كميل بن زياد:(الناس ثلاثة: فعالم رباني او متعلم على سبيل نجاة وهمج رعاعٌ أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق عليه ولا ة عنيف به .

فيتحصل: إن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصيته لمالك الاشتر(رضوان الله عليه) يشير إلى معيار التقسيم ومنهجية في الفهم الاسلامي، وهو فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ: يعني إما أخ للمسؤول في الدين أو نظير له في الخلق.

فالمعيار هنا هو المواطنة وحقوقها، فلا يفضل أحد على أحد في منظومة الحكم، ولا يميز أحداً على أحد على اساس الاختلافات الحاصلة بين الحاكم والرعية.

حيث جعل الله سبحانه حقوق عباده مقدمة على حقوقه، فمن قام بحقوق عباد الله كان ذلك مؤديا إلى القيام بحقوق الله.(١)

اقول: ان المنهج الذي يتحدث به أمير المؤمنين (عليه السلام) هو المنهج الانساني القائم على اساس العدل والمساواة واحترام حقوق الآخرين.

المسألة الرابعة: مبدأ العفو والصفح في التعامل مع الناس.

قوله (عليه السلام): (يَفْرُطُ مِنْهُمُ الزَّلَلُ وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ وَيُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطَإِ، فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلِ الَّذِي تُحِبُّ وَتَرْضَى أَنْ يُعْطِيَكَ الله مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ)(٢).

(١) نهج البلاغة: غرر الحكم: ٣، ٧، ١٠.

(٢) نهج البلاغة خطب الإمام علي، ج٣، ص٨٤، رسالة ٥٣.

يشير الإمام (عليه السلام) إلى أساس أخر من أساسيات الحكم، وهو مبدأ العفو والتسامح والصفح عن الآخرين.

قال الراغب رحمه الله: العفو والصفح صورتا الحلم، ومخرجاه إلى الوجود، فالعفو ترك المؤاخذة بالذنب، والصفح ترك التثريب، واشتقاقه من تجاوز الصفحة التي أثبت فيها ذنوبه والإعراض بصفحة الوجه عن التلفت إلى ما كان فيه وهو محمود إذا كان على الوجه الذي يحب والعفو إنما يستحب إذا كانت الإساءة مخصوصة بالعافي كمن أخذ ماله أو شتم عرضه فإن عادت بالضرر على الشرع أو الناس فله ترك العفو[1].

قال: الصفح عن خطاياهم والعفو عن ذنوبهم لنقصان التربية، ونبهه على أن نسبتهم إليه كنسبته إلى الوالي الامر عليه وفوقه أيضا هو الله، فينبغي الصفح عنهم، كما أنه يرجو الصفح عنه من الوالي الامر وفوقه من الله القادر، وبيّن أن تعذيب عباد الله بمنزلة الحرب مع الله الذي لا قدرة للإنسان أمام عقوبته، ولا غنى عن عفوه ورحمته[2].

يريد الإمام (عليه السلام) أن يشعر الحاكم أو الوالي بأن العفو والصفح من الصفات الالهية، وبنو البشر بحاجة اليها لاحتياج الجزء إلى الكل، فكما أن الوالي إذا أخطأ، يرجع بأخطائهِ إلى الله سبحانه وتعالى متوسلا ان يعفو ويصفح عنه، كذلك الله يطلب من الإنسان أن يكون متسامحا مع الآخرين.

ونجد قضية طلب العفو والصفح واضحة في منهج الائمة الاطهار(عليهم السلام).

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير: المناوي، ج٢، ص٣٠٣.

(٢) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: حبيب الله الخوئي: ج٢٠، ص١٦٤

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة فدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد من تحت العرش: تتاركوا المظالم بينكم فعلي ثوابكم.[1]

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة وكّلنا الله بحساب شيعتنا، فما كان لله سئلنا الله أن يهبه لنا فهو لهم، وما كان لنا فهو لهم، ثم قرأ أبو عبد الله عليه السلام: إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم[2].

ثم إن المراد هو العفو والصفح عن من يستحقون العفو، لا الأعداء المجرمون الذين يحملهم العفو والصفح على مزيد من الإجرام، وينتهي بهم إلى الجرأة أكثر.[3]

فلذا (عليه السلام) يطلب من مالك أن يتعامل مع الناس على اساس مبدأ العفو والصفح عن الزلل والخطأ في الموارد الميسورة والممكنة من صرف النظر عن العقاب في الموارد التي يمكن للحاكم ان يغض النظر فيها وإزالة العقوبة على الخطأ من ذهن الحاكم وجعلها في طي النسيان مع مراعاة حقوق العامة المغصوبة، إذ لابد للوالي من ارجاعها إلى أهلها، ولا ينبغي للحاكم التعامل مع هذا المبدأ الذي يكون فيه إخلال بالقوانين ونظم الدولة في تضييع حقوق الناس، كالعفو عن المجرمين المتلبسين بقتل الابرياء المظلومين.

(١) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٧، ص٢٦٤

(٢) المصدر نفسه: ص٢٦٤

(٣) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ص٦٩٩

المسألة الخامسة: عوامل نجاح الحاكم في المنظومة القيادية.

١ـ سعة الصدر ومداراة الناس.

الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) يريد أن يبين أن نجاح الحاكم وسر موفقيته يكمن في حلمه وسعة صدره، فلذا يعد هذا العامل من العوامل المهمة في القيادة، ومفتاحا سحريا في النجاح والتفوق، ومن علاماته الايمان الخالص والرفق واللين والرحمة والابتسامة العفوية، والمحبة الصادقة الخالية من التصنع. فبسعة الصدر تأسر القلوب وتلجم حياءً ويكون لها شعور بالندم. وقريب منه ما أشار اليه القرآن الكريم في سورة يوسف (عليه السلام)) في بيان سعة الصدر وحلم النبي يعقوب (عليه وعلى نبينا الآف التحية والسلام) قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)[١].

منه قول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): آلة الرياسة سعة الصدر[٢].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله أمرني ربي بمداراة الناس كما أمرني بأداء الفرائض)[٣].

وأمر الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) بالصلاة والصيام، وكذلك أمره بمداراة الناس والاحسان اليهم.

وقد وصف النبي – صلى الله عليه وآله وسلم المؤمن بأنه: المؤمن يألف ويؤلف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف، وخير الناس أنفعهم للناس [٤].

(١) يوسف: ٩٢

(٢) نهج البلاغة: خطب الإمام علي ج٤ ص٤٢.

(٣) الكافي:ج٢ ١١٧

(٤) كنز العمال: المتقي الهندي ج١ ص١٤٢.

عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في وصف أفضل الأخلاق؟ قال: الصبر والسماحة[1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: الرفق رأس الحكمة، اللهم من ولي شيئا من أمور أمتي فرفق بهم فارفق به، ومن شق عليهم، فاشقق عليه[2].

وعن الإمام علي (عليه السلام) عليك بالرفق فمن رفق في أفعاله تم أمره [3].

وعنه (عليه السلام): (عليك بالرفق فإنه مفتاح الصواب وسجية أولي الألباب)[4].

عن أمير المؤمنين (عليه السلام) انّه قال: نعم السياسة الرفق[5].

وقال (عليه السلام): رأس السياسة استعمال الرفق [6].

وعنه (عليه السلام): الرفق يسيّر الصعاب، ويسهّل شديد الأسباب[7].

وعن أبي عبد الله عليه السّلام يقول: من كان رفيقا في أمره نال ما يريد من الناس[8].

وفي نهج البلاغة من عهد له (عليه السلام) إلى محمد بن أبي بكر حين قلّده مصر: (فاخفض لهم جناحك وألن لهم جانبك، وابسط لهم وجهك، وآس بينهم

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٦٣ ص٨٥٣.
(٢) المصدر نفسه: ج٧٢ ص٣٥٢.
(٣) عيون الحكم والمواعظ: علي بن محمد الليثي الواسطي ص٣٣٣.
(٤) المصدر نفسه:ص٣٣٤
(٥) غرر الحكم: ح ٩٩٤٧.
(٦) المصدر نفسه: ح٦ ١٦٧
(٧) المصدر نفسه:ح٢: ٤٥
(٨) الكافي، ٢ ص ١٢٠ ج ١٦ ص ١

في اللحظة والنظرة، حتّى لا يطمع العظماء في حيفك لهم، ولا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم، فإنّ الله - تعالى - يُسائلكم معشر عباده عن الصغيرة من أعمالكم والكبيرة، والظاهرة والمستورة فإن يعذّب فأنتم أظلم، وإن يعف فهو أكرم)[1].

ومن عهده (عليه السلام) إلى مالك الاشتر:(وَاجْعَلْ لِذَوِي الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْماً تُفَرِّغُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ وَتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِساً عَامّاً فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ لله الَّذِي خَلَقَكَ وَتُقْعِدُ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَأَعْوَانَكَ مِنْ أَحْرَاسِكَ وَشُرَطِكَ حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله [صلى الله عليه وآله] يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لَا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ ثُمَّ احْتَمِلِ الْخُرْقَ مِنْهُمْ وَالْعِيَّ وَنَحِّ عَنْهُمُ الضِّيقَ وَالْأَنَفَ يَبْسُطِ الله عَلَيْكَ بِذَلِكَ أَكْنَافَ رَحْمَتِهِ وَيُوجِبْ لَكَ ثَوَابَ طَاعَتِهِ)، إذ: جميع هذه الروايات والاحاديث المطهرة تؤكد على سعة الصدر لدى الحاكم وشعار الرعية بالرحمة والشفقة: وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ).

فإذا فقد الإنسان فضيلة سعة الصدر ضعف إيمانه وضاق صدره وتغير مزاجه وانحبس طبعه، حتى كأن على الإنسان ثقلا كبيرًا ينوء به، فيصبح سريع التضجر والتأفف من أدنى شيء، ويشعر بالضيق من تصرفات الناس حوله وتذهب سماحة نفسه.. ويؤدي ذلك إلى التحير في اتخاذ القرار.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) من ضاق صدره لم يصبر على أداء حق[2].

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): ضيق الصدر بسوء الخلق[3].

(١) نهج البلاغة: خطب الإمام علي ج٣ ص٢٧ رسالة ٢٧.

(٢) كنز الفوائد: أبو الفتح الكراجكي: ص١٢٨

(٣) نهج البلاغة: خطب الإمام علي (تحقيق صبحي صالح)، ص٧٠١:

وعنه عليه السلام: من ساء خلقه ضاق صدره [1].

وقالوا: من ضاق صدره اتسع لسانه، ومن كثر كلامه كثر سقطه، ومن ساء خلقه قل صديقه[2].

إذا الاثار المترتبة على ضيق الصدر هي سوء الخلق، فاذا كان الحاكم ضيق الصدر يكون سيئ الخلق، فينعكس سوء خلقه على التعامل مع الناس ويكون في حالة تحير في اتخاذ القرارات.

٢ـ معالجة الاخطاء.

قوله عليه السلام: (وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ وَيُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطَأ)[3].

من العوامل التي تؤدي إلى نجاح الحاكم في منظومة القيادة هو كيفية معالجة الأخطاء، وبعبارة آخرى كيف ينظر الوالي أو المسؤول إلى أخطاء الناس، وكيف يستطيع تقييمها، وماهي الطرق في التعامل معها.

وهذا ما يتناوله الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا المقطع من العهد الشريف فيقول ان الناس بحسب طبعهم تصدر منهم الاخطاء، البعض منهم ينسجمون في سلوكياتهم وافعالهم مع الضوابط والقوانين والبعض الآخر تصدر منهم الاخطاء تكون سلوكياتهم وطبائعهم غير منسجمة مع القانون ومع علمهم بهذه الاخطاء وإن الذي يقومون به يغيض الحاكم، فيجب على المسؤول والحاكم ان يتعامل معهم على ضوء مبدأ التسامح والصفح، وهذا العفو أو الصفح لا يعني تجاهل الحق العام، لابد من محاسبة كل من يتجاوز الحدود الضوابط والقوانين،

(١) الغرر ٣٧٩

(٢) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة الشيخ المحمودي، الجزء: ٧، ص٣٨٤

(٣) نهج البلاغة: خطب الإمام علي، ج٣، ص٨٦، رسالة ٥٣.

وإلا إذ تـرك المـسيء في ممارسـة الاسـاءة للحـق العـام فإنـه يـؤدي إلى فقـدان الدولـة هيبتهـا، ونفهـم مـن ذلـك إن مـن واجبـات الحاكـم أو الـوالي توفـير أجـواء المحبـة والثقـة بـين النـاس، ودفعهـم باتجـاه المزيـد مـن الالتزامـات بالقوانـين.

٣ـ الرؤية الشمولية ورجوع الحاكم إلى ذاته

يعتقـد الامـام أمـير المؤمنين (عليـه السـلام) ان مـن أولويـات الحاكـم عندمـا يجلس عـلى كـرسي الحكـم، أن لا يسـتثني نفسـه مـن الاخطـاء، لأنـه إنسـان غـير معصـوم ومـن طبيعـة الانسـان إن يخطـأ، فيذكّـر الامـام (عليـه السـلام) مالـكا إن الحاكـم والقائـد لابـد أن يتدبـر في نفسـه فـإن وجـد فيهـا عيبـا اشـتغل بعيـب نفسـه، وذكـر قولـه صـلى الله عليـه وآلـه طوبـى لمـن شـغله عيبـه عـن عيـوب النـاس). ٢٣٤

قـال النبـيّ صـلَّى الله عليـه وآلـه: طوبـى لمـن شـغله خـوف الله عـزّ وجـلّ عـن خـوف النـاس، طوبـى لمـن شـغله عيبـه عـن عيـوب المؤمنين مـن إخوانـه[١].

وقـال صـلى الله عليـه وآلـه: (إن أسرع الخـير ثوابـا الـبر، وإن أسرع الـشر عقابـا البغـي، وكفـى بالمـرء عيبـا أن يبـصر مـن النـاس مـا يعمـى عنـه مـن نفسـه، وأن يعـير النـاس بـما لا يسـتطيع تركـه وأن يـؤذي جليسـه بـما لا يعنيـه)[٢].

وقـال أمـير المؤمنين عليـه السّـلام: مـن أصلـح سريرتـه أصلـح الله علانيتـه، ومـن عمـل لدينـه كفـاه الله أمـر دنيـاه، ومـن أحسـن فيـما بينـه وبـين الله أحسـن الله بينـه وبـين النّاس[٣]،وقـال عليـه السّـلام: الحلـم غطـاء سـاتر، والعقـل حسـام قاطـع، فاسـتر خلـل خلقـك بحلمـك، وقاتـل هـواك بعقلـك[٤].

(١) الوسائل باب: ٣٦ من أبواب جهاد النفس، حديث: ٣ و٢.

(٢) منهاج الصالحين: السيد الخوئي، ج: ١، ص٣٥٦

(٣) نهج البلاغة خطب الإمام علي، ج٤ ص٩٩.

(٤) المصدر نفسه: ص٩٩.

٣ـ تجسيد علاقة العفو والصفح في الناس.

يريد الإمام (عليه السلام) من خلال هذا العنصر أن يبين العلاقة الطردية بين صفح الله سبحانه وتعالى عن العباد، وصفح الإنسان عن الانسان، بعبارة أخرى إن من يريد أن يُرحم فعليه أولا أن يَرحم الآخرين، ومن يريد الصفح من الله فليصفح أولا عن الناس، وهذه من القواعد الاساسية في تحقيق السلوك الانساني في الفهم الاسلامي، يصبح الإنسان فيها مرآة واضحة في علاقته مع الله سبحانه وتعالى، وقد اشار القرآن الكريم إلى محتوى هذه العلاقة بين فعل الله وفعل الانسان:

﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ الله لَكُمْ وَالله غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[١].

تتحدث الآية الشريفة عن العباد ومغفرة الله تبارك وتعالى لهم.

وفي بيان وجوب الابتعاد عن عيوب الناس والانشغال بعيوب النفس واصلاحها، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (الأشرار يتبعون مساوي الناس، ويتركون محاسنهم، كما يتبع الذباب المواضع الفاسدة من الجسد)[٢].

وعنه (عليه السلام)، في النهي عن ذكر عيوب الناس وأمن عيوب النفس مورد سخط الله وغضبه قال: (يا عبد الله، لا تعجل في عيب أحد بذنبه فلعله مغفور له، ولا تأمن على نفسك صغير معصية فلعلك معذب عليه، فليكفف من علم منكم عيب غيره لما يعلم من عيب نفسه، وليكن الشكر شاغلا له على معافاته مما ابتلى به غيره).

(١) النور: ٢٢

(٢) نهج البلاغة: ١١٣

ونجد هذه الصورة واضحة في كلام الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما يشير إلى الربط بين الصفح عن الناس ومغفرة الله: (الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)[1]، إشارة إلى مطلق الرحمة أي لمن في الأرض من إنسان أو حيوان في الشفقة عليهم والإحسان إليهم.

اذا علاقة العمل في تحقيق هذه الرابطة منشؤها العلاقات الاجتماعية القائمة على مبدأ الرحمة والشفقة بين الناس، فمن أراد استنزال الرحمة من السماء فعليه ان يبدأ أولا في الارض، وهوقول النبي صلى الله عليه وآله: من لا يرحم لا يرحم.[2] وورد عنه (صلى الله عليه وآله وسلم): من لا يرحم الناس لا يرحمه الله[3].

فيتحصل: القول في العناصر الثلاثة في نجاح الحاكم في المنظومة القيادية

ينبغي للوالي والحاكم أن يعمل بأمور ثلاثة:

١ـ تأخير العقوبة في موارد الغضب لأن في إمكانها العفو، والتريث فيما يرتأيه من رأى .

٢ـ تعجيل مكافأة المحسن بالإحسان، فإن في لإحسان طاعة الرعية.

٣ـ انفتاح الرأي ووضوح الصواب وحمد العاقبة.

(١) مستدرك الوسائل: ج٩: ص٥٥ وينظر كنز العمال، ج٣، ص١٦٣.

(٢) صحيح مسلم: ج١، ص٧٧.

(٣) المحلى: ابن حزم، ج٦، ص١٥٧.

المسألة السادسة: الكفاءة والالتزام بالمسؤولية.

قوله (عليه السلام): (فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ وَالله فَوْقَ مَنْ وَلَّاكَ وَقَدِ اسْتَكْفَاكَ أَمْرَهُمْ وَابْتَلَاكَ بِهِمْ)[1].

يشير الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا المقطع من العهد الشريف لمالك الاشتر النخعي (رضوان الله عليه) إلى أمور:

١ـ المسؤولية إلتزام.

إن كل من يتصدى للمسؤولية ينبغي عليه الالتزام في مسارات مسؤولية، ولابد ان يعتقد بمسؤوليته أمام الله سبحانه وتعالى وأمام الناس.

نجد الإمام (عليه السلام) يؤكد هذا المعنى ويمليه على ولاته وعماله في تطبيق المساواة بين الناس على اختلاف قومياتهم وأديانهم، يقول (عليه السلام) في بعض رسائله إلى عماله: (واخفض للرعية جناحك، وابسط لهم وجهك، وألن لهم جنابك وآس بينهم في اللحظة والنظرة، والإشارة والتحية، حتى لا يطمع العظماء في حيفك، ولا ييأس الضعفاء من عدلك..)[2].

قال: ولم تفتن في أي دين أو مذهب اجتماعي مثل هذه المساواة المشرقة التي تنشد كرامة الإنسان وعزته، وتؤلف ما بين المشاعر والعواطف، وتجمع الناس على صعيد من المحبة والإخاء.[3]

---

(١) نهج البلاغة خطب الإمام علي، ج٣،ص٨٤.

(٢) نهج البلاغة: خطب الإمام علي، ج٣، ص٧٦، رسالة ٥٣.

(٣) حياة الإمام الحسين: الشيخ باقر شريف القرشي، ج١، ص٤١٢.

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية: (أما بعد فإن الله سبحانه قد جعل الدنيا لما بعدها، وابتلى فيها أهلها ليعلم أيهم أحسن عملا. ولسنا للدنيا خلقنا، ولا بالسعي فيها أمرنا، وإنما وضعنا فيها لنبتلى بها، وقد ابتلاني الله بك وابتلاك بي فجعل أحدنا حجة على الآخر، فعدوت على طلب الدنيا بتأويل القرآن فطلبتني بما لم تجن يدي ولا لساني، وعصبته أنت وأهل الشام بي وألب عالمكم جاهلكم، وقائمكم قاعدكم. فاتق الله في نفسك، ونازع الشيطان قيادك، واصرف إلى الآخرة وجهك فهي طريقنا وطريقك، واحذر أن يصيبك الله منه بعاجل قارعة تمس الأصل وتقطع الدابر، فإني أولى لك بالله ألية غير فاجرة لئن جمعتني وإياك جوامع الأقدار لا أزال بباحتك « حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين)[1].

فعندما ينصب الإنسان حاكما على الناس فعليه أن ينظر إلى سلوكه وتعامله مع الناس من خلال احترامهم والتواضع لهم، وطلب المساواة بين الناس في النظرات وطلاقة الوجه، والحديث والجلوس معهم، فلايمكن للمسؤول أو الحاكم ان يكون مسؤولا عن الامة من دون مراعاة هذه السمات فيما بينهم.

ثم يؤكد الامام (عليه السلام) في عهده لمالك، ان هناك حقيقة ربما تكون غائبة عن اذهان الولاة والمسؤولين، وهو السؤال الذي يسأله الله جلّ وعلا عن عبادة يوم القيامة، نحن لودققنا النظرفي هذه العبارات لوجدنا لها رؤية ومداليل عميقة جدا، تجعل من الإنسان يراقب سلوكياته وانطباعاته.

فالله سبحانه وتعالى يسأل الحكام والمسؤولين يوم القيامة عن الاخطاء التي تسبب ظلم العباد في كل صغيرة وكبيرة.

(١) نهج البلاغة: رسالة ٥٥

٢ـ القدرة وحسن الأداء.

يؤكد الإمام عليه السلام في هذه النقطة على قدرة المتصدي وحسن أداءه، قوله عليه السلام: وَقَدِ اسْتَكْفَاكَ أَمْرَهُمْ، أي ان الله سبحانه وتعالى يطلب من الإنسان عندما يصل إلى مواقع السلطة، ان يكون ذا قدرة وحسن أداء، أي ما يعبر عنه بالكفاءة.

وقد روي في مورد الكفاءة وحسن الاداء عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قال: (من طلب العلم ليباهي به العلماء أو يماري به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس فيه فليتبوأ مقعده من النار إن الرئاسة لا تصلح إلا لأهلها)[1]. فمن كانت لديه الاهلية والقدرة على التصدي يجوز له ان يتصدى لمواقع المسؤولية، وخلاف ذلك لا يجوز له واذا تصدى ارتكب كبيرة من الكبائر لأن مصالح البلاد والعباد تحتاج إلى متصدٍ قادر حسن الأداء.

المسألة السابعة: محاربة الله سبحانه وتعالى.

قوله (عليه السلام) (وَلَا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ الله فَإِنَّهُ لَا يَدَ لَكَ بِنِقْمَتِهِ وَلَا غِنَى بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ)[2].

يتناول الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا المقطع من العهد الشريف، موضوع محاربة الله سبحانه وتعالى، فيطلب الامام عليه السلام من الحاكم والمسؤول في منظومة القيادة والحكم ألا ينصب نفسه لمحاربة الله جلا وعلا.

(١) الكافي: ج١ ص٤٧ ح٦

(٢) نهج البلاغة: خطب الإمام علي، ج٣، ص٨٤.

ما هو المراد من محاربة الله؟ يقصد الإمام عليه السلام بمحاربة الله في هذ المقطع، هو أنه يجب على المسؤول ان يكون كفوءا، فإذا لم يكن كذلك وتصدى للمسؤولية، فقد اعلن الحرب مع الله تعالى.

ويعلل الإمام عليه السلام معنى الحرب في هذه الصورة، فيقول تنصيب غير الكفوء بمثابة سفك للدماء وهدر للمال، وتضييع للمصلحة العامة، وتجاوز على حقوق الاخرين والاعتداء عليهم.

من هذا المنطلق نفهم أهمية حقوق الناس في النظرية الاسلامية، الاعتداء والاساءة إليهم معناه محاربة الله، وفي قبال ذلك من أحسن إلى الناس وحفظ حقوقهم وحرياتهم ولم يتجاوز عليهم، يعد من الطاعة لله سبحانه وتعالى.

وهذا هو منهج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين.

ومن هنا نرى تأكيد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على ذلك.

قال عليه السلام: من أبدى صفحته لإقامة الحد عليه هلك، ولم يصبر على الحق فيه [١]... المعنى: أن الإنسان اذا واجه الحق وحاربه يهلك، وهذا ما نراه بوضوح في الحكومات الحاكمة عندما يعتز المسؤول بالمنطق والمفهوم الخاطئ، مع علمه بخطأ، يعبر عنه في علم المنطق الجهل المركب.

ويؤكد الامام عليه السلام في رواية اخرى على هذا المعنى، إذ قال عليه السلام: من صارع الحق صرعه[٢].. يجوز أن يراد بالحق ذات الله تعالى والمراد

(١) نهج البلاغة: حكمة ١٣٨؛ وينظر المقنعة: الشيخ المفيد، ص٧٧٧

(٢) غرر الحكم: ج١ ٢٧٢

بالمصارعة حينئذ مخالفة أوامره ونواهيه، وأن يراد به الصواب، أي: من عدل عن طريق الصواب صرعه في مهاوي البلاء والعتاب.[1]

وقوله عليه السلام في هذا المعنى: الغالب بالشر مغلوب، المحارب للحق محروب[2].

ومنه قوله عليه السلام: لا تغالب من يستظهر بالحق فإن مغالب الحق مغلوب[3].

من نصب العداء لأهل الحق يكون مغلوبا لا محال، لأن الحق يعلو ولا يُعلى عليه.

ثم يختتم الإمام عليه السلام بقوله: وَلَا غِنَى بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ، اشارة إلى أن الإنسان لا يستغني عن الرحمة الالهية وعفوه سبحانه وتعالى، لأنه مهما وصل بقدرته يكون محتاجا إلى رحمته وعفوه سبحانه وتعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى الله وَالله هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ)[4].

يخبر تعالى بغناه عمن سواه، وبافتقار المخلوقات كلها إليه، وتذللها بين يديه واحتياجها اليه، فعلى الإنسان أن لا يشعر بالاستغناء عن الرحمة والعفو الالهي، لأن ذلك بداية للانحراف والسقوط، نعوذ بالله من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

(١) نهج البلاغة: حكمة ٤٠٨
(٢) غرر الحكم: ج١ حكمة ٢٧٢
(٣) غرر الحكم: ٦: ٣٢
(٤) فاطر: ١٥

المسألة الثامنة: التنزه عن الصفات السلبية ونبذ سياسة ردود الأفعال.

قوله (عليه السلام): (وَلَا تَنْدَمَنَّ عَلَى عَفْوٍ وَلَا تَبْجَحَنَّ بِعُقُوبَةٍ وَلَا تُسْرِعَنَّ إِلَى بَادِرَةٍ وَجَدْتَ مِنْهَا مَنْدُوحَةً)[1]، يشير الامام عليه السلام في هذا المقطع إلى مجموعة من الصفات السلبية، يجب على الحاكم التنزه عنها وهي:

١ـ الندم على العفو: وَلَا تَنْدَمَنَّ عَلَى عَفْوٍ: يخاطب الامام المسؤولين والحكام وكل من يتصدى لموقع المسؤولية، بأن عليهم ممارسة سياسة العفو وفق القدرة والتمكين، واذا عفوا عن شخص ألّا يندموا.

٢ـ التبجح بالعقوبة.

التبجح: في اللغة معناه التكبر والتباهي، وهو عبارة عن سوء أدب وسلاطة لسان.

وَلَا تَبْجَحَنَّ بِعُقُوبَةٍ: ينبغي للحاكم أو المسؤول ان لا يفتخر ويشعر بالسعادة حينما يوجه عقوبة لأحد، لأن المنظومة القيادية ليست محطة لظلم الناس والشماتة بهم، بل هي رحمة وعفو وشفقة ولين، ونجد هذا المعنى في ابهى صوره في سلوك النبي (صلى عليه وآله وسلم) مع أهل مكة عندما جاء فاتحا لها.

أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عفا عن مكة وأهلها وقال (من أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن) ونهى عن القتل إلا نفرا قد سماهم، إلا أن يقاتل أحد، فيقتل وقال لهم حين اجتمعوا في المسجد (ما ترون أني صانع بكم؟) قالوا: خيرا أخ كريم وابن أخ كريم قال (اذهبوا فأنتم الطلقاء)[2].

(١) نهج البلاغة خطب الإمام علي ج٣ ص٨٤.

(٢) كتاب الأم: الإمام الشافعي ج٧ ص٣٨٢.

٣ـ ردود الافعال: وَلَا تُسْرِعَنَّ إِلَى بَادِرَةٍ وَجَدْتَ مِنْهَا مَنْدُوحَةً.

المندوحة: السعة والفسحة أو المتسع وعدم المسارعة ويمكن ترك الامر والعزوب عنه[١].

يوصي الإمام عليه السلام مالكا بعدم المسارعة في معاقبة أحد وهناك فرصة يدرئها والخلاص منها، ويفهم من هذا المعنى القاعدة المعروفة (الحدود تدرأ بالشبهات)، فلا ينبغي للحاكم الاسراع في ردود الفعل وترتيب الاثر عليها وهو في حالة غضب،: بل هو مكلف بالبحث عن منافذ شرعية مقبولة لإيقاف العقوبات، لئلا تستشري ظاهرة الجريمة والعقاب، وواضح أن الناس يميلون إلى اعتناق الرأي والحكم المقرون بالرحمة، أكثر من قبولهم بما فيه ما يثير مخاوفهم[٢]

وتأكيدا لهذا المعنى فقد روي الكثير من الاحاديث والروايات حول الغضب وآثاره السلبية، فعن الإمام الرضا عليه السلام: قال الغضب مفتاح كل شر[٣].

وقال (عليه السلام): قال الحواريون لعيسى (عليه السلام): يا معلم الخير أعلمنا أي الأشياء أشد؟ قال: أشد الأشياء غضب الله، قالوا: فيما يتقى غضب الله؟ قال: بأن لا تغضبوا، قالوا: وما بدءُ الغضب؟ قال: الكبر والتجبر ومحقرة الناس[٤].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعت أبي عليه السلام يقول: أتى رسول الله صلى الله عليه وآله رجل بدوي فقال: إني أسكن البادية فعلمني جوامع الكلام فقال: آمرك أن لا تغضب فأعاد عليه الاعرابي المسألة ثلاث مرات حتى رجع

(١) ينظر تهذيب اللغة: الأزهري، ج٢، ص٧٤.

(٢) الحكم الاسلامي في مدرسة الامام علي عليه السلام: محمد تقي المدرسي: ص٨٢

(٣) مشكاة الأنوار في غرر الأخبار: علي الطبرسي ص٣٨٣

(٤) الخصال: ٦ / ١٨٩، روضة الواعظين: ٣٧٩، البحار: ١٤ / ٢٨٧ / ٩

الرجل إلى نفسه فقال: لا أسأل عن شيء بعد هذا، ما أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله إلا بالخير قال: وكان أبي يقول: أي شئ أشد من الغضب؟ إن الرجل يغضب فيقتل النفس التي حرم الله ويقذف المحصنة[1].

وهذه هي اخلاق الإنسان الكامل المتمثلة برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) واهل بيته، انظر إلى أمير المؤمنين عليه السلام كيف تعامل مع من خرج عليه بحرب في معركة الجمل، فقد اشارت النصوص المستفيضة، بعد انتهاء المعركة لم تقرع طبول النصر ولم يعبر عن هذا النصر بالسعادة، وعندما مرّوا بجثمان طلحة وهو مقتول وقف الامام عليه السلام على جثمانه وقال: لقد اصبح أبو محمد بهذا المكان غريبا اما والله لقد كنت اكره أن تكون قريش قتلى تحت بطون الكواكب[2].

فيتحصل: ينبغي للحاكم ان لا يتسارع في حكم وهو في حالة غضب، لأن الغضب مفتاح كل شر، إذ يتولد منه الحقد والحسد والشماتة والتحقير والأقوال الفاحشة، وهتك الأستار، والسخرية والطرد والضرب والقتل والنهب ومنع الحقوق إلى غير ذلك مما لا يحصى.

المسألة التاسعة: المسؤولية والاستبداد .

قوله عليه السلام: (وَلَا تَقُولَنَّ إِنِّي مُؤَمَّرٌ آمُرُ فَأُطَاعُ فَإِنَّ ذَلِكَ إِدْغَالٌ فِي الْقَلْبِ وَمَنْهَكَةٌ لِلدِّينِ وَتَقَرُّبٌ مِنَ الْغِيَرِ)[3].

يتحدث الامام عليه السلام في هذا المقطع من العهد حول موضوع الاستبداد بالمسؤولية، فينبغي لكل من يتصدى للمسؤولية ألا يقول أنا مؤمر ويجب أن

(١) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ص٢٧٤.

(٢) نهج البلاغة: خطب الإمام علي، ج٢، ص٢٠٣، خطبة ٢١٩.

(٣) المصدر نفسه، ج٣، ص٨٥، رسالة ٥٣.

أطاع، لكي لا يقع في مصائد الشيطان ولا يجعل حب الرئاسة يتملكه، لأن في حب الرئاسة سوف تتولد عنده حالة التجبر والتكبر والاستبداد والنرجسية فعندما يصاب المسؤول او الحاكم بهذه الامراض الخلقية يعرض الحكومة للدخول بمطبات ومشاكل لا تحمد عقباها والتاريخ مليء بالعبر عندما يتحدث عن الحكم الاستبدادي والاثار المأساوية المترتبة عليه.

فالإمام عليه السلام يشدد على هذه الامراض الخلقية التي قد يصاب به الحاكم، وقد تختلف هذه الامراض من شخص إلى شخص آخر حسب موقع المسؤولية، ويقول عليه السلام لابد من وضع كوابح للسيطرة على النفس وهواها.

ويؤيد هذ المعنى قوله عليه السلام: بئس الاستعداد الاستبداد[١].

ويقول عليه السلام في مورد الاستبداد والاثار المترتبة عليه: من استبد برأيه هلك[٢].

وعنه عليه السلام: من استبد برأيه زل[٣].

وقال عليه السلام: من استبد برأيه خفت وطأته على أعدائه[٤].

ويقول عليه السلام: خاطر من استبد برأيه[٥].

وعنه سلام الله عليه: الاستبداد برأيك يزلك، ويهورك إلى المهاوي[٦].

(١) غرر الحكم: ٣: ٦: ٢٥٦.

(٢) المصدر نفسه: ٥: ١٦١.

(٣) المصدر نفسه: ١٧٠.

(٤) المصدر نفسه: ١٧٠.

(٥) المصدر نفسه: ٥: ٤٦٠.

(٦) المصدر نفسه: ١:٣٩٠.

اذا يعدّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام جميع هذه السمات سماتً خاطئة ولايمكن ان تحقق النتيجة المطلوبة.

المسألة العاشرة: معالجة أمراض السلطة.

قوله عليه السلام: (وَإِذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أُبَّهَةً أَوْ مَخِيلَةً فَانْظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ الله فَوْقَكَ وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ فَإِنَّ ذَلِكَ يُطَامِنُ إِلَيْكَ مِنْ طِمَاحِكَ وَيَكُفُّ عَنْكَ مِنْ غَرْبِكَ وَيَفِيءُ إِلَيْكَ بِمَا عَزَبَ عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ)[1].

يتحدث الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا المقطع عن الامراض التي تصيب السلطة والسلطان، ومن هذه الامراض الأبهة، والعظمة، والكبرياء، والخيلاء والعجب.

الامام (عليه السلام) يقول إذا اصيب الوالي أو ظهرت هذه الامراض في السلطة فلابد من معالجتها ووضع العلاج المناسب لها، ومن هذه العلاجات هوأن ينظر الوالي أو السلطان أو الحاكم إلى عظمة الله وقدرته فوقه، لأنه لا قيمة لملك الحاكم أمام ملك الله وقدرته وعظمة، فالنظر إلى هذه الامور يقلل ويهدئ من حالة الطغيان والتمرد التي يشعر بها الحاكم او المسؤول، ولا ريب أن آفة عقل الوالي التكبر الذي يحدث من سلطانه وملكه، فلا بدله عند ما حدث له أبهة أن يكون ناظرا إلى عظم ملك الذي وسع كرسيه السماوات والأرض وقدرة القاهر على عباده الذي بيده ناصية كل شيء، وجبروت الذي بيده ملكوت كل شيء[2].

(١) نهج البلاغة خطب الإمام علي، ج٣، ص٨٥، رسالة ٥٣.

(٢) نهج البلاغة خطب الإمام علي، ج٣، ص٨٥، رسالة ٥٣.

فيحذر الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) كل من يتصدى لموقع المسؤولية، بأن يكون نبها فطنا أمام الاخطار والعوارض، كعوارض السلطة والتكبر وعوارض الوجاهات والمواقع والتدافع عليها، فيقول عليه السلام: (وإذا حدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهة أو مخيلة، فانظر إلى عظم ملك الله فوقك، وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك، فإن ذلك يطامن إليك من طماحك، ويكف عنك من غربك، ويفيء إليك بما عزب عنك من عقلك. وإياك ومساماة الله في عظمته، والتشبه به في جبروته، فإن الله يذل كل جبار، ويهين كل مختال فخور [1].

ومن عوارض السلطة الوصول إلى حالة الطغيان والتمرد والغدر والمكيدة ونقض العهود والمواثيق، واشاعة الظلم، واستعباد الناس، وشيوع ظاهرة النفاق، واستهداف المتدينين.

قال أمير المؤمنين عليه السّلام: لو لا أن المكر والخديعة في النار لكنت أمكر الناس[2].

قال أمير المؤمنين عليه السّلام ذات يوم وهو يخطب على المنبر بالكوفة: (يا أيها الناس لولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس، ألا إن لكل غدرة فجرة ولكل فجرة كفرة ألا وإن الغدر والفجور والخيانة في النار).[3]

وعن عليّ عليه السّلام: من استبد برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها[4].

(١) منهاج الصالحين: الشيخ وحيد الخراساني، ج ١، ص٢٧٣.

(٢) الوافي: الفيض الكاشاني، ج: ٥ ص٩٢٣.

(٣) المصدر نفسه، ج: ٥ ص٩٢٣.

(٤) الوسائل باب: ٢١ من أبواب أحكام العشرة حديث: ٢ و٤ و٦ و٧.

فيتحصل: فالحاكم إذا أراد النجاح فعليه ان يبدأ بنفسه، ويعرف قيمتها ومنزلتها وليس كحاكم أو سلطان.

والسبب في ذلك حتى يتمكن من السيطرة ويكون قويا أمام العوارض والامراض النفسية، فيتلاشى الهوى من نفسه ويمنح القوة للأخرين، فيحقق النجاح حينئذ في المنظومة القيادية، وخلاف ذلك لا يكون النجاح والتوفيق بل الفشل وانهيار المنظومة بجوانبها .

المسألة الحادية عشر: إنصاف الحاكم وظلمه.

قال الإمام علي عليه السلام: (أَنْصِفِ اللهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوًى مِنْ رَعِيَّتِكَ فَإِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلْ تَظْلِمْ)[١]

يستعرض الامام (عليه السلام) مسألة مهمة في عهده لمالك الاشتر (رضوان الله عليه) تعد محورا اساسيا في مفهوم الحكم وهو الانصاف.

فالإنصاف: أن تعطي غيرك من الحق من نفسك مثل الذي تحب أن تأخذه منه لو كنت مكانه، ويكون ذلك بالأقوال والأفعال، في الرضا والغضب، مع من تحب ومع من تكره.... وهو لا يكون إلا بين اثنين، أو أمرين، أو أمر ذي طرفين. ولعل أروع تعبير ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:(حب لأخيك ما تحب لنفسك وإذا احتجت فسله، وإن سألك فأعطه لا تمله خيرا ولا يمله لك، كن له ظهرا فإنه لك ظهر إذا غاب فاحفظه في غيبته وإذا شهد فزره وأجله وأكرمه فإنه منك وأنت منه فإن كان عليك عاتبا فلا تفارقه حتى تسأل سميحته وإن أصابه خير فاحمد الله، وإن ابتلى فاعضده وإن تمحل فأعنه)[٢].

(١) نهج البلاغة خطب الإمام علي، ج٣، ص٨٦، رسالة ٥٣.

(٢) النظام السياسي في الإسلام: الشيخ باقر شريف القرشي، ص٢٢٩.

أقسام الانصاف:

أولاً: **انصاف الله سبحانه وتعالى**: لأنه الخالق المنعم على العباد بيده كل شيء، ويتحقق انصافه بتأدية حقوقه، ومن هذه الحقوق حق العبودية له سبحانه وتعالى (وَمَا خَلَقتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعبُدُونِ)[1] وشكره على نعمه التي لا تحصى (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا)[2]، ومن حقوقه الصبر على بلائه (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين)[3].

ثانياً: **انصاف الناس**: يعني أداء حقوق الآخرين كاملة غير منقوصة مع رعاية المساواة.

وعن الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول مَنْ: تَحَلّى بِالإنْصافِ. بَلَغَ: مَراتِبَ الإشْرافِ[4].

قال عليه السلام: الإنصاف: عنوان النبل؛ الإنصاف: شيمة الأشراف؛ الإنصاف: أفضل الفضائل؛ الإنصاف: أفضل الشيم[5].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: ألا إنه: من ينصف الناس من نفسه، لم يزده الله إلا عزا[6].

(١) الذاريات: ٥١.
(٢) النحل: ١٨.
(٣) البقرة:١٥٥.
(٤) غرر الحكم ص٣٩٤ح٩١١١.
(٥) المصدر نفسه٣٩٤ف٤ح٩٠٩٣-٩١٢٤.
(٦) الكافي: ح٤،ح٥.ص١٤٦ح١٢، ١٣.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: من يضمن لي: أربعة، بأربعة أبيات في الجنة: أنفق: ولا تخف فقرا. وأفش: السلام في العالم. واترك: المراء وإن كنت محقا. وأنصف: الناس، من نفسك [1].

قال الإمام الصادق عليه السلام: من أنصف: الناس من نفسه. رضي به: حكما لغيره[2].

وقال علي (عليه السلام): الإنصاف: من النفس، كالعدل في الإمرة[3].

وفي امالي الطوسي عن الصادق -عليه السلام- قال: (من اراد ان يسكنه الله جنته فليحسن خلقه وليعط النصفة من نفسه وليرحم اليتيم وليعن الضعيف وليتواضع لله الذي خلقه)[4].

ويعدّ الانصاف من الامور التي توفر للإنسان السعادة والاطمئنان .

قال الإمام الحسين عله السلام: أيها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتى أعظكم بما يحقّ لكم عليّ، وحتى أعذر إليكم، فإن أعطيتموني النصف كنتم بذلك سعداء وإن لم تعطوني النصف من أنفسكم فأجمعوا رأيكم ثم لا يكن أمركم عليكم غُمّة ثم اقضوا إليّ ولا تنظرون، إنّ وليّي الله الذي نزّل الكتاب وهو يتولّى الصالحين.

(١) ج٢ص١٤٤ ح١،ح٣.
(٢) ح٤،ح٥.ص١٤٦ح١٢، ١٣.
(٣) غرر الحكم: ١:٢٣٠
(٤) الامالي: للطوسي.
(٢) نهج البلاغة خطب الإمام علي، ج٣، ص٨٥، رسالة ٥٣.

ومن أحلى الكلام في الإنصاف، قول أمير المؤمنين عليه السلام:

إن كنت تطلب رتبة الأشراف فعليك بالإحسان والإنصاف
وإذا اعتدى أحد عليك فخلِّهِ والدهر فهو له مكاف كاف[٢]

المسألة الثانية عشر: ظلم العباد وحلول العقوبة الالهية.

قوله عليه السلام: (وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ الله كَانَ الله خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ وَمَنْ خَاصَمَهُ الله أَدْحَضَ حُجَّتَهُ وَكَانَ لله حَرْباً حَتَّى يَنْزِعَ أَوْ يَتُوبَ،... وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ الله وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةٍ عَلَى ظُلْمٍ فَإِنَّ الله سَمِيعٌ دَعْوَةَ الْمُضْطَهَدِينَ وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ)[١].

يشير الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا المقطع من العهد إلى طبيعة ظلم الناس من قبل الحاكم أو المسؤول، فيوصي الامام (عليه السلام) مالكا بأنصاف الناس وعد م ممارسة حالة التسلط وظلم الناس.

ويتحدث الإمام (عليه السلام) في الفقرة الاولى من هذا المقطع عن أن الله سبحانه وتعالى لا يترك المظلوم حتى يأخذ بحقه.

ويشير في الفقرة الثانية إن الله تعالى هو الذي يتولى أمر الظالم قبل المظلوم، ويدحض الله حجة الظالم وإبطالها وإظهار زيفها.

ومن اقبح الرذائل والأزمنة ان يكون الإنسان في موقع الظلم لعباد الله وخصمه الله سبحانه وتعالى، لأن أشد الخصومات الخصومة مع الله تبارك وتعالى، لأنه عالم بكل شيء وحسابه عسير وعذابه أليم.

(١) نهج البلاغة خطب الإمام علي ج٢ ص٧٣ خطبة ٢٧؛ ديوان الإمام علي مصطفى زماني.

والعجب أن الامام (عليه السلام) يصف من يظلم عباد الله بأنه (وكان لله حربا) أي أن الظالم ليس في حال خوض الحرب ضد الله، بل هو نفسه عبارة عن حرب ضد الله وهذا التعبير يتضمن المعنى نفسه، كما لوقلنا في بيان التوضيح (زيد عادل) وأخرى تقول (زيد عدل) رغم انها تتضمن مفهوم العبارة (زيد عادل) إلا أنها تفيد أمرا آخر وهو شدة ثبوت العدالة لزيد، واتصافه بأنه كتلة من العدل من دون مخالفة العبارات الاخرى، فالظالم هنا هو كتلة من الحرب تتجسد فيه حرب الله[1].

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله): يقول الله عز وجل: وعزتي وجلالي لأنتقمن من الظالم في عاجله وآجله، ولأنتقمن ممن رأى مظلوما فقدر أن ينصره فلم ينصره[2].

وعن سهل بن حنيف عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال من أُذِلَّ عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر على أن ينصره أذله الله عز وجل على رؤوس الخلائق يوم القيامة [3].

ويروي العلامة المجلسي: إن أمير المؤمنين عليه السلام صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس ان الذنوب ثلاثة ثم أمسك فقال له حبة العرني يا أمير المؤمنين فسرها لي فقال ما ذكرتها إلا وانا أريد ان أفسرها ولكنه عرض لي بهر حال بيني وبين الكلام، نعم الذنوب ثلاثة فذنب مغفور وذنب غير مغفور وذنب نرجو لصاحبه ونخاف عليه، قيل يا أمير المؤمنين فبيّنها لنا، قال نعم،

(١) الدولة الاسلامية شرح لعهد الامام علي (عليه السلام) إلى مالك الاشتر النخعي: محمد فاضل النكراني: ص٨٣

(٢) ميزان الحكمة: محمد الريشهري الجزء: ٢ ص١٧٧٤؛ وينظر: كنز العمال: ٧٦٤١.

(٣) مجمع الزوائد: الهيثمي الجزء: ٧ ص٢٦٧

أما الذنب المغفور فعبد عاقبه الله تعالى على ذنبه في الدنيا فالله احكم وأكرم ان يعاقب عبده مرتين، وأما الذنب الذي لا يغفر فظلم العباد بعضهم لبعض ان الله تعالى وتبارك إذا برز لخلقه أقسم قسما على نفسه فقال وعزتي وجلالي لا يجوز لي ظلم ظالم ولو كف بكف ولو مسحة بكف ونطحة الشاة القرناء إلى الشاة الجماء فيقتص الله للعباد بعضهم من بعض حتى لا يبقى لأحد عند أحد مظلمة ثم يبعثهم الله إلى الحساب واما الذنب الثالث فذنب ستره الله على عبده ورزقه التوبة فأصبح خاشعا من ذنبه راجيا لربه فنحن له كما هو لنفسه نرجو له الرحمة ونخاف عليه العقاب[1].

فحينما يستذكر الامام أمير المؤمنين هذه الاقسام من الذنوب تحصل عنده حاله من الخوف الشديد من الله تبارك وتعالى. من أن لا يغفر له الله تعالى ذنبه، وهذا هو منهج أهل البيت عليهم السلام في تربية الأمة وكيف يكون الحاكم فيها. فيجب على الحكومة الإسلامية والحاكم الإسلامي أن يتأسوا برسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في النزاهة والأمانة أيام إدارة الحكم[2].

لذا نجد التشدد الكبير والتحذير من قبل الباري عز وجل من ممارسة الظلم من قبل الحاكم أو المسؤول، يقول علي (عليه السلام):

ظالم الناس يوم القيامة منكوب بظلمه معذب محروب، ظلم اليتامى والأيامى ينزل النقم ويسلب النعم[3].

(١) بحار الأنوار، ج ٣، ص ١٠٠

(٢) فقه العولمة، السيد محمد الحسيني الشيرازي، ص٢٠٠.

(٣) عيون الحكم والمواعظ: علي بن محمد الليثي الواسطي، ص٣٢٤

ظالم الناس يأتي يوم القيامة منكوس الرأس ومفتضحاً بين الاشهاد كما في تعبير الروايات الشريفة.

لذا يحذر الإمام (عليه السلام) من الظلم الذي يعجل العقوبة لصاحبه، جاء في الرواية سئل الامام أمير المؤمنين (عليه السلام): أي ذنب أعجل عقوبة لصاحبه؟ فقال (من ظلم من لا ناصر له إلا الله وجاور النعمة بالتقصير واستطال بالبغي على الفقير)[1].

يتحدث الامام (عليه السلام) من خلال الرواية عن ثلاثة اقسام من الذنوب:

القسم الاول: من الذنوب ظلم من لا ناصر له إلا الله، ويتحقق هذا النوع من الظلم في أكل أموال اليتامى والتعدي عليهم.

القسم الثاني: مجازاة النعم الإلهية بالتقصير ومن النعم الالهية أن يمن الله على الإنسان بخدمة الناس من خلال الموقع الرئاسي والمنصب الحكومي، ولكن لا يستفيد من هذه النعمة بل يحولها إلى نقمة من خلال ظلم الناس والتعدي عليهم وسلب حرياتهم وحقوقهم.

القسم الثالث: الاستطالة على الفقراء وغصب حقوقهم والبغي عليهم.

يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): يوم العدل على الظالم أشد من يوم الجور على المظلوم [2].

ثم يسترجع الامام (عليه السلام) ويقول ان للظالم توبة اذا رجع وعاد إلى رشده.

(١) الاختصاص: الشيخ المفيد، ص٢٣٤

(٢) نهج البلاغة: خطب الإمام علي (عليه السلام)، ج٤، ص٨٠.

كما بيّنه (عليه السلام) بقوله: كان لله حربا حتى ينزع ويتوب[1]. ومن كلام له (عليه السلام) يبين فيه الظلم: يقول ألا وإن الظلم ثلاثة: فظلم لا يغفر، وظلم لا يترك، وظلم مغفور لا يطلب، فأما الظلم الذي لا يغفر، فالشرك بالله تعالى، قال الله تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به) وأما الظلم الذي يغفر، فظلم العبد نفسه عند بعض الهنات، وأما الظلم الذي لا يترك، فظلم العباد بعضهم بعضا، القصاص هناك شديد، ليس هو جراحا بالمدى ولا ضربا بالسياط، ولكنه ما يستصغر ذلك معه[2].

فيتحصل: إن ظلم الحاكم هو في حد ذاته حرب مع الله سبحانه وتعالى، كما اشار الله سبحانه وتعالى في الفقرة (كَانَ لله حَرْباً) ولم يقل الإمام (عليه السلام) ان المسؤول او الحاكم هو محارب بل استعمل المصدر فقال حربا لشدة تأكيده بالتنكيل، فالحاكم الظالم ليس محاربا لله فقط، بل هو حرب ومسيئ للعباد من خلال استغلال موقعه الحكومي.

المسألة الثالثة عشر: غض النظر والتغافل.

(وَتَغَابَ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَضِحُ لَكَ وَلَا تَعْجَلَنَّ إِلَى تَصْدِيقِ سَاعٍ فَإِنَّ السَّاعِيَ غَاشٌّ وَإِنْ تَشَبَّهَ بِالنَّاصِحِينَ)[3].

يتحدث الامام (عليه السلام) في هذا المقطع من العهد الشريف عن سمتين لابد من توافرهما في الحاكم وكل من يتصدى إلى المسؤولية.

(١) نهج البلاغة: خطب الامام علي (عليه السلام) ج٣ ص٩٥.

(٢) مستدرك الوسائل: ميرزا حسين النوري الطبرسي الجزء: ١٢ ص١٠٤

(٣) نهج البلاغة خطب الإمام علي ج٣ ص٨٧ رسالة ٥٣.

السمة الاولى: غض النظر والتغافل عن الصغائر والتفاصيل الجزئية، يجب على الحاكم ان يتحلى بسعة الصدر والتعامل بعقلانية ويكون ذا أفق واسع ينظر للأمور بعين ثاقبة وتجنب القيل والقال وعدم الوقوف عندها (وَتَغَابَ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَضِحُ لَكَ)، التغافل عن الامور التي لا تظهر فيها اساءة إلى القانون والناس، كالأمور الجزئية والقضايا الهامشية فتترك المحاسبة عليها.

السمة الثانية: التصديق بالنمامين والوشاة يؤدي إلى انهيار المنظومة القيادية (وَلَا تَعْجَلَنَّ إِلَى تَصْدِيقِ سَاعٍ) ثم يعلل الإمام (عليه السلام) عدم تصديق هؤلاء بقوله (فَإِنَّ السَّاعِيَ غَاشٌّ وَإِنْ تَشَبَّهَ بِالنَّاصِحِينَ)، إن النمامين والوشاة من طبيعتهم الغش وإظهار للحاكم بمظهر الحرص والنصح، فالإمام عليه السلام يوصي مالكا بعدم ترتب الاثر على اقوال هؤلاء، فعلى الحاكم أن يستحضر الاهداف الكبرى ويغض الطرف عن الجزئيات والصغائر.

يقول (عليه السلام): إن لله عبادا عاملوه بخالص من سره، فشكر لهم بخالص من شكره، فأولئك تمر صحفهم يوم القيامة فرغا، فإذا وقفوا بين يديه ملاها لهم من سر ما أسروا إليه. وقال عليه السلام: ذللوا أخلاقكم بالمحاسن، وقودوها إلى المكارم، وعودوا أنفسكم الحلم واصبروا على الايثار على أنفسكم فيما تجمدون عنه ولا تداقوا الناس وزنا بوزن. وعظموا أقداركم بالتغافل عن الدني من الأمور. وأمسكوا رمق الضعيف بجاهكم وبالمعونة له إن عجزتم عما رجاه عندكم. ولا تكونوا باحثين عما غاب عنكم فيكثر غائبكم. وتحفظوا من الكذب، فإنه من أدنى الأخلاق قدرا وهو نوع عن الفحش وضرب من الدناءة. وتكرموا بالتعامي عن الاستقصاء - وروي بالتعامس من الاستقصاء[1].

(١) تحف العقول عن آل الرسول (ص): ابن شعبة الحراني ص٢٢٤

وعنه (عليه السلام): نصف العاقل احتمال ونصفه تغافل[1]: العاقل لا يكون عاقلا إلا بأمرين التحمل وسعة الصدر وغض الطرف عن الجزئيات.

وقال (عليه السلام): لا حلم كالتغافل. لا عقل كالتجاهل[2].

وقال أيضا (عليه السلام): من لم يتغافل ولا يغض عن كثير من الأمور تنغصت عيشته[3].

فيتحصل: إذا: إن التغافل وغض النظر عن الجزئيات والصغائر يؤدي إلى التكامل والاستقامة في السلوك القيادي، ودليل القوة في المنظومة القيادية، مما يؤدي إلى تشخيص الاهداف وفق المسارات الصحيحة.

المسألة الرابعة عشر: الاستعانة بأصحاب التجربة والخبرة.

قوله عليه السلام: (إِنَّ شَرَّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ لِلْأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيراً وَمَنْ شَرِكَهُمْ فِي الْآثَامِ فَلَا يَكُونَنَّ لَكَ بِطَانَةً فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الْأَثَمَةِ وَإِخْوَانُ الظَّلَمَةِ وَأَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الْخَلَفِ مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَنَفَاذِهِمْ وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ آصَارِهِمْ وَأَوْزَارِهِمْ وَآثَامِهِمْ مِمَّنْ لَمْ يُعَاوِنْ ظَالِماً عَلَى ظُلْمِهِ وَلَا آثِماً عَلَى إِثْمِهِ أُولَئِكَ أَخَفُّ عَلَيْكَ مَئُونَةً وَأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةً وَأَحْنَى عَلَيْكَ عَطْفاً وَأَقَلُّ لِغَيْرِكَ إِلْفاً فَاتَّخِذْ أُولَئِكَ خَاصَّةً لِخَلَوَاتِكَ وَحَفَلَاتِكَ)[4].

(١) عيون الحكم والمواعظ: ٩٤

(٢) غرر الحكم: ٦: ٣٥٦

(٣) غرر الحكم: ٤٦٦٣، ٩١٤٩، ٧٨٩.

(٤) نهج البلاغة خطب الإمام علي ج٣ ص٨٧.

يتحدث الامام (عليه السلام) في هذا المقطع من العهد حول الوزراء السمات والخصال التي لابد من توافرها فيهم.

الوزراء: هم أرفع الافراد الذين يضطلعون بمسؤولية برمجة مشاريع الحكومة، وهم الذين يمكنهم قيادة المسيرة نحو الصلاح والفلاح أو جرها إلى الفساد والانحراف[1].

والوزير هو المساعد الذي يكون ضمن تشكيلة وهيكلية فريق العمل والحكومة الذي يختاره الحاكم لإدارة البلاد، ويؤكد الامام (عليه السلام) على ذلك بأن يكون الوزير متوافراً فيه الخصال المطلوبة.

ويحذر الإمام (عليه السلام) من اختيار الوزراء الذين كانوا وزراء في مناصب حكومات جائرة وفاسدة، لماذا يحذر الامام (عليه السلام) من دخول هؤلاء الوزراء في الحكومات العادلة؟ لأن مثل هؤلاء الافراد قد تأقلموا على الثقافة الفاسدة السائدة في ذلك النظام، فهم لا يتورعون عن الظلم[2]

فهؤلاء ممن اشترك مع الحكام الظلمة السابقين في الآثام، ومن ديدن هؤلاء أنهم لا يقربون أحداً إلا ولطخوه بسوء افعالهم وسمعتهم، فالإمام (عليه السلام) يحذر مالك الاشتر (رضوان الله عليه) من اقتراب وزراء مثل هؤلاء إلى الحكومة، لأنهم يكونون سببا لظلم الناس والاستحواذ على حقوقهم، ثم يوصي مالكا بعدم تفرق الناس بينه وبين من كان مع الظلمة، يقول له ليس من الضرورة ان تكون انت بالتماس معهم بل اشرك من كان معك في الحكومة ان يكون قريباً من هؤلاء.

(١) الدولة الاسلامية شرح لعهد الامام علي إلى مالك الاشتر النخعي: محمد الفاضل اللنكراني:ص١٠٠

(٢) المصدر نفسه،ص١٠٠

ثم أن الامام (عليه السلام) يفتح لمالك نافذة فيما لو كان في الحكومة السابقة من اصحاب الخبرة والتجربة سابقا ويمكن الاستفادة منه لاحقا ماذا يكون الامر؟ يقول (عليه السلام): (وَأَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الْخَلَفِ) فاذا اضطررت استفد ممن لم تلطخ يده بدماء الابرياء، يكون لك عونا وسندا في ادارة البلاد.

الامام (عليه السلام) يتحدث قبل الف واربعمائة سنة وهذه الحقائق تتجدد في كل زمان ومكان، لأن الامام (عليه السلام) وضع دستورا عالميا لكل زمان ومكان.

فيشير الامام (عليه السلام) ايضا في هذا المقطع إلى بيان كيفية اختيار الوزراء في الحكومة من خلال عنصرين أساسيين، ويعد هذان العنصران دستورا اساسيا في اختيار الكابينة الوزارية ونجاح الحكم في البلاد وهما:

الأول النظر إلى الماضي السياسي النظيف للمسؤول أو الوزير الذي يتم اختياره ليكون أحد افراد فريق العمل الحكومي، ويتجلى هذا العنصر من خلال قول الامام (عليه السلام): (مِمَّنْ لَمْ يُعَاوِنْ ظَالِماً عَلَى ظُلْمِهِ) يؤكد الامام على التاريخ السياسي النظيف الذي لابد ان يحمله ممن يتصدى للحكم وإدارة البلاد، ورفع اليدعمن لم يحملوا هذا التاريخ بل كانوا عونا للظلمة في ظلمهم، لأن الذي يضع يده بيد الظالم ويسير معه يترتب عليه أثر وضعي لابد من معالجته.

إذا من خلال هذه النقطة يتفرع السؤال الآتي؟ هل يكون الدخول في ولاية الحاكم الجائر جائزا شرعا أولا؟ فاذا كان جائزا فما هو مقدار مساحة مشروعية الدخول؟

قبل الاجابة عن هذا التساؤل لابد من ايجاد تعريفٍ للولاية وأقسامها:

الولاية: في اللغة بالفتح والنصب النصرة والغلبة، ومنه قوله تعالى: ﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[1].

والولاية: إمّا مشترك معنوي، وإمّا مشترك لفظي، بالدرجة الأُولى أن تكون الولاية مشتركاً معنويّاً، فمعنى الولاية إذا قيل: فلان وليّ فلان، أي فلان هو القائم بأمر فلان، فلان ولي هذه الصغيرة، أي القائم بشؤون هذه الصغيرة، فلان وليّ الأمر أي القائم بشؤون هذا الأمر، ولذا يقال للسّلطان: ولي. هذا المعنى هو واقع معنى الولاية. ونجد هذا المعنى في جميع موارد استعمال لفظ الولاية ومشتقّاته، مثلاً: الصديق وليّ، الجار وليّ، الحليف وليّ، الأب وليّ، الله وليّ، ورسوله وليّ، وهكذا في الموارد الأُخرى من الأولياء والولاية أيضاً السلطة التي يمتلكها الإنسان على الشيء، ومنه قيل لكل من السلطان والقاضي ولي، لأنه يملك الحكم على الناس، يقال ولِيَ الشيءَ ولي على الشيءِ ولاية بفتح الواو وكسرها، إذا ملك أمره وقام عليه.. فإنّ المعنى الذي ذكرناه موجود في جميع الموارد، وهو القيام بالأمر.[2]

الولاية في اصطلاح الفقهاء، هي: (سلطة شرعية يسوغ لصاحبها التصرف بمحل الولاية تصرفا نافذاً غير موقوف على إجازة أحد).

وهي قسمان: قاصرة ومتعدية، فالقاصرة هي سلطة الإنسان على إنفاذ أقواله وتصرفاته، والمتعدية هي سلطته على إنفاذ تصرفات غيره، وكل من هذين القسمين ينقسم إلى قسمين، ولاية على النفس، وولاية على المال[3].

(١) البقرة: ٢٥٧.

(٢) ينظر: الصحاح ٦ / ٢٥٣٠.، لسان العرب ١٥ / ٤٠٦، تاج العروس ١٠ / ٣٩٩، في مادة (ولي)، المغرب في ترتيب المعرب: أبو الفتح المطرز ج٥ ص٣٩٥.

(٣) المكاسب المحرمة، ج ٢، ص ١٥٩.

ثم هناك نصوص صريحة في أنه يجوز الدخول في ولاية الجائر إذا كان سيقوم بمصالح العباد، فقد روى علي بن يقطين قال: قال لي أبو الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام): إن لله تبارك وتعالى مع السلطان أولياء يدفع بهم عن أوليائه[1].

اذا من خلال هذا الكلام الذي استعرضناه في السمة الاولى من السمات التي لابد من توافرها في الوزراء يتحصل ما يلي:

أولاً: يتضح من كلام الامام (عليه السلام) أنه لا مانع من الاستفادة من اصحاب الخبرة والتجربة ممن كانوا تحت ولاية الحاكم الظلم، ممن لم يعينوا الظالم على ظلمه، ولم يسيروا بسيرته ويسلكوا سلوكه.

السمة الثانية: ان الوزراء الذين كانوا في الحكومات السابقة التي تحمل سمعة سيئة منهم من يعمل بسرية من اجل انقاذ حقوق الناس والانتصار لهم وهذا ما ذكرناه في حديثنا حول الدخول في ولاية الحاكم الظالم أو الجائر، والقسم الآخر وضع يده بيد الحاكم واخذ ينتصر للحاكم على ظلم الناس وسلب حقوقهم.

النظر إلى الجانب الاخلاقي النظيف:

يتحدث الامام (عليه السلام) في جزء آخر من المقطع إلى الجانب الاخلاقي الذي يحمله الوزير او المسؤول الذي يتصدى إلى المسؤولية: يقول (عليه السلام): (وَلَا آثِماً عَلَى إِثْمِهِ) اشارة إلى الاشخاص الذين لم يرتكبوا المعاصي ولا يعينوا أحدا عليها.

فالإمام (عليه السلام) يوصي عامله (رضوان الله عليه) بطرد عناصر النظام السابق، ثم يرشده إلى العناصر الكفوءة الثورية المجربة لسد الفراغ، خشية أن

(١) وسائل الشيعة ب ٤٦ من أبواب ما يكتسب به، ح ١

تؤدي تلك التصفية إلى قلة الكادر المجرب والمتخصص، ثم يطرد عنه بعض الافكار الخيالية التي تجعله يعيش هاجس القلق من تلك التصفية، فما إن تطرد تلك العناصر الفاسدة حتى تستبدل بكل سهولة بالعناصر الثورية الصالحة[1].

اذا لابد للحاكم من اعتماد العناصر النزيهة والكفوءة كل حسب موقعه بالسلطة، ثم يبين الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) الخصال الايجابية التي يتمتع بها هؤلاء الوزراء الجدد، ويذكر (عليه السلام) أربعاً من الخصال الايجابية:

أولاً: أنهم أخف مؤونة: (أُولَئِكَ أَخَفُّ عَلَيْكَ مَئُونَةً) ان هؤلاء الافراد لا يثقلون كاهل الوالي في النفقات، ليس لديهم توقعات وامتيازات كثيرة وعيونهم مفتحة على الخدمة والعمل، وهم كما وصفهم رسول الله (صلى الله عليه واله) بقوله: « لا يكمل المؤمن إيمانه حتى يحتوي على مئة وثلاث خصال: فعل، وعمل، ونية، وباطن، وظاهر. فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): يا رسول الله (صلى الله عليه وآله): ما المائة وثلاث خصال؟ فقال: يا علي من صفات المؤمن (.... قليل المؤونة، كثير المعونة،.....)[2]، لا تكون توقعاته كثيرة، ويساعد الناس كثيرا، يعبرون عنهم بأصحاب الخدمة، ٢٦٢

ثانياً: وَأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةً: إن هؤلاء احسن معونة لك في أسها ماتهم في تحمل المسؤولية، ومساعدوك في العمل حيث لا يتوانون يصلون الليل بالنهار مخلصون في سبيل ما يقدمونه من خدمة للناس وللبلاد، فهم اصحاب قضية ومشروع، فعندما يأتي بهم الوالي في إدارة البلاد سوف يسير عمله بصورة صحيحة.

(١) الدولة الاسلامية شرح لعهد الامام علي (عليه السلام) إلى مالك الاشتر النخعي: محمد الفاضل اللنكراني: ص١٠١

(٢) منهاج الصالحين: الشيخ وحيد الخراساني الجزء ١: ص٥٢٥؛ مستدرك الوسائل، ميرزا حسين النوري للطبرسي، ج١١، ص١٨٠.

ثالثاً: وَأَحْنَى عَلَيْكَ عَطْفاً: ثم يصفهم الامام (عليه السلام) بوصف ثالث وهو (حسن الولاء) أي يكون حبهم للوالي أكثر من غيره، لأنهم يتفقون معه في الفكر والدوافع والنيات مما يتسبب في فوران محبتهم وشدة تعاطفهم مع الوالي[1].

وكم نحن بأمس الحاجة اليوم إلى مثل هؤلاء الاشخاص الذين تحترق قلوبهم دما على حب الوطن والولاء له، لكي يدفع الله عنا ألوان البلاء.

رابعاً: وَأَقَلُّ لِغَيْرِكَ إِلْفاً: يتحدث الامام (عليه السلام) في الوصف الرابع عن الوزراء السابقين الذين تكون لهم رابطة مع اعوان الظلمة الماضين، هؤلاء ينتمون إلى شبكة ومنظومة وروابط علاقات اجتماعية يشكلون من خلالها خطرا على الدولة والنظام الجديد.

ومن الجلي أن أنصار الظلمة السابقين ليسوا فقط غير صالحين معهم، بل بما أن الناس يعرفون سوابقهم السيئة مما يؤدي إلى ضعف اعتمادهم على الوالي وعدم التعاون معه بشكل جيد.

وجاء في الخبر المرفوع: « ينادى يوم القيامة: أين من بري لهم - أي الظالمين قلما ». أتى الوليد بن عبد الملك برجل من الخوارج فقال له ما تقول في الحجاج قال: وما عسيت أن أقول فيه! هل هو إلا خطيئة من خطاياك، وشرر من نارك؟ فلعنك الله ولعن الحجاج معك! وأقبل يشتمهما، فالتفت الوليد إلى عمر بن عبد العزيز فقال: ما تقول في هذا؟ قال: ما أقول فيه! هذا رجل يشتمكم، فإما أن تشتموه كما شتمكم، وإما أن تعفوا عنه. فغضب الوليد وقال لعمر: ما أظنك إلا خارجيا! فقال عمر: وما أظنك إلا مجنونا، وقام فخرج مغضبا، ولحقه خالد ابن الريان صاحب شرطة الوليد، فقال له ما دعاك إلى ما كلمت به أمير المؤمنين!

(١) نفحات الولاية شرح نهج البلاغة: ناصر مكارم الشيرازي: ج١٠ ص٣٤١

لقد ضربت بيدي إلى قائم سيفي أنتظر متى يأمرني بضرب عنقك، قال أو كنت فاعلا لو أمرك قال نعم فلما استخلف عمر جاء خالد بن الريان فوقف على رأسه متقلدا سيفه، فنظر إليه وقال: يا خالد، ضع سيفك فإنك مطيعنا في كل أمر نأمرك به -وكان بين يديه كاتب للوليد، فقال له: ضع أنت قلمك، فإنك كنت تضر به وتنفع اللهم إني قد وضعتهما فلا ترفعهما، قال: فوالله ما زالا وضيعين مهينين حتى ماتا[1].

ثم إن الامام (عليه السلام) يوصي الوالي الجديد أن يختار هؤلاء لخاصة خلواته: أي اوقات المشورة خلف الابواب المغلقة وخاصة حفلاته: تعني اوقات حضوره بين الناس، فتعرفهم الناس بأن هؤلاء اصحاب سيرة حسنة وتاريخ جهادي وسياسي كبير فيحمدون الله على ما هم عليه من واقع يعيشون فيه، واذا نظروا إلى غيرهم تعتريهم حالة التعجب في كل خبر يتلقونه .

المسألة الخامسة عشر: معيار نجاح الولاة .

قوله عليه السلام (ثُمَّ لْيَكُنْ آثَرُهُمْ عِنْدَكَ أَقْوَلَهُمْ بِمُرِّ الْحَقِّ لَكَ وَأَقَلَّهُمْ مُسَاعَدَةً فِيمَا يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ الله لِأَوْلِيَائِهِ وَاقِعاً ذَلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ)[2].

يذكر الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا المقطع خصوصيتين اساسيتين يجب توافرهما في الوزراء ممن يتم انتخابهم في إدارة الدولة واشراكهم في فريق العمل الحكومي، وهما:

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج١٧ ص٤٣

(٢) نهج البلاغة خطب الإمام علي ج٣ ص٨٨.

أولاً: النصيحة: يوصي الامام (عليه السلام) الحاكم والمسؤول أن يكون أقرب الناس اليه هو الاكثر نصحا، وهذا الامر يتضح من خلال قوله (عليه السلام): (ثُمَّ لْيَكُنْ آثَرُهُمْ عِنْدَكَ أَقْوَلَهُمْ بِمُرِّ الْحَقِّ لَكَ).

النصيحة: وهي المشورة بما فيه الحظ والصلاح ونصح الشيء مثل نصع: إذا خلص، ومنه سميت النصيحة، ويقولون أيضا نصحت الثوب أنصحه نصحا إذا خطته. والناصح: الخياط. والنصاح: الخيط. ويقال نصحت الإبل نصوحا: إذا رويت، وانصحتها أنا إنصاحا. والنصاحات: الجلود، واحدها نصاح.[1]

حق المؤمن على المؤمن، أن يمحضه النصيحة في المشهد والمغيب كنصيحته لنفسه.[2]

عن أبي جعفر عليه السلام قال: (يجب للمؤمن على المؤمن النصيحة)[3].

والنصيحة الصحيحة يكون فيها ازعاج للطرف المقابل، فمن الصعب جدا ان يقف الشخص بوجه الحاكم وينصحه ويتقبل النصح من دون انزعاج وترتيب الاثار على ذلك فعلى الحاكم او المسؤول أن يقرب من هو أكثر الناس صراحة وصدقا معه في قول الحقيقة وبيان أخطائه لأن نجاح المنظومة القيادية لا يكون إلامن خلال الانسجام والصراحة وقول الحق.

ثانياً: عدم الإعانة على الاثم: يوصي الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) الحاكم أو الوالي، ان يقرب الناس او الاشخاص الذين يكونون اقل اعانة له على الاثم يقول (عليه السلام) منبها الوالي من ارتكاب الاخطاء وعدم قبول النصائح من المقربين والاصابة بالنرجسية وعلو حالة الكبرياء في الذات.

(١) رسائل الشريف المرتضى، ج٤، ص٧٨.

(٢) فقه الرضا: علي ابن بابويه القمي، ص٣٦٩

(٣) روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه: محمد تقي المجلسي (الأول)، ج٩ ص٤٠٨

يقول (عليه السلام): لو سلكت طريقا غير صحيح، أو ارتكبت خطأ فإن هؤلاء لا يعينوك على ذلك، أي انهم يملكون آراءً وتفكيراً يختلف تماما مع آراء وافكار الحاكم، فعلى المسؤول ان لا يقدم على الاعمال الخاطئة واتخاذ القرارات الغير مؤثرة، فإنها تؤثر في سير وأ هداف المنظومة القيادية، فعليه معالجة الاخطاء ووضع الكوابح التي توقف الإنسان عن الاندفاع نحو الاخطاء والاصابة بهذه الامراض.

اذا: توجد هناك خصوصيتان أساسيتان يجب ملاحظتهما في الوزراء الذين يتصدون لإدارة البلاد وهما الصراحة، وعدم التماشي مع المواقف الخاطئة.

ومن النصوص ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام): إنما يحبك من لا يتملقك ويثني عليك من لا يسمعك من مدحك بما لا يليق فحقيق أن يذمك بما ليس فيك، أبق لرضاك من غضبك، لا يرضى عنك الحسود حتى تموت إذا قدمت الرحمة شبهت بالقرابة، لا تسرع إلى أرفع موضع في المجلس فالموضع الذي ترفع إليه خير من الموضع الذي تحط عنه[١].

وعنه (عليه السلام): ليس الملق من خُلق الأنبياء[٢].

وقال (عليه السلام): ليس من أخلاق المؤمن الملق ولا الحسد إلاّ في طلب العلم[٣].

فعلى الحاكم أن يحذر من المتملقين، لأن التملق ليس دليل المحبة بل هو الانتهازية والتقرب من السلطان بأي طريقة ووجه كان.

فلذا ينبغي على الوالي ان يقرب من هو صادق في نواياه فيكون صديقا حقيقيا له.

(١) عيون الحكم والمواعظ: علي بن محمد الليثي الواسطي ص١٧٧.
(٢) غرر الحكم: ح ٢٦٩٦.
(٣) بحار الأنوار: ج٧٥ ص٤٤ ح٤٤.

ومن كلام لأمير المؤمنين (عليه السلام) يصف فيه العدو الغادر يقول: إنما سمي العدو عدوا لأنه يعدو عليك، فمن داهنك في معايبك فهو العدو العادي عليك[1].

المسألة السادسة عشر: صفات المقربين من الحاكم.

قوله عليه السلام (وَالْصَقْ بِأَهْلِ الْوَرَعِ وَالصِّدْقِ ثُمَّ رُضْهُمْ عَلَى أَلَّا يُطْرُوكَ وَلَا يَبْجَحُوكَ بِبَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ فَإِنَّ كَثْرَةَ الْإِطْرَاءِ تُحْدِثُ الزَّهْوَ وَتُدْنِي مِنَ الْعِزَّةِ)[2]

يتحدث الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا المقطع من العهد الشريف، في مقام الوصية للوالي أو الحاكم والمسؤول عند اختيار من يجعل نفسه لصيقا بهم، من أفراد حاشيته وأصدقائه وأقاربه، أن تتوافر بهم صفتان أساسيتان هما الورع والصدق.

أولاً: الورع.

هو العفّة وحسن السيرة، وهو مرتبة وراء العدالة تبعث على ترك المكروهات والتجنّب عن الشبهات والرخص، ويؤيّد اعتبارها في المراتب أنّ العدالة المعتبرة في الإمام تقبل الشدّة والضعف، فكما يقدّم الأكثر فقهاً والأكثر قرآناً وغيرهما، فكذا الأشدّ عدالةً، وحيث كانت العدالة معتبرةً في جميع المراتب كانت زيادتها مرجّحةً في الجميع. ولأنّ الإمامة سفارة بين الله تعالى وبين الخلق، فأولاهم بها أكرمهم على الله، وكلّما كان الورع أتمّ كان تحقّق العدالة أشدّ.[3]

(١) عيون الحكم والمواعظ: ١٧٧.

(٢) نهج البلاغة خطب الإمام علي ج٣ ص٨٥.

(٣) روض الجنان في شرح ارشاد الأذهان، الشهيد الثاني ت: ٩٦٥هـ تحقيق: مركز الابحاث والدراسات الاسلامية، ط١، ١٤٢٢هـ، ج٢،: الناشر: بوستان كتاب قم.

ومنه قوله تعالى واصفا عباده: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[1].

هذه الآيات تشير إلى الورع وتهذيب النفس والخصال الحميدة التي يمتلكها الإنسان الورع التي ذكرتها الآيات المباركة من سورة الفرقان.

ومنه قول الامام أمير المؤمنين (عليه السلام): (أصل الورع تجنب الشهوات)[2].

وعنه (عليه السلام) أيضاً: أصل الورع تجنب الآثام والتنزه عن الحرام[3].

ويقول (عليه السلام): (إنما الورع التطهير عن المعاصي)[4].

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): من لم يكن له ورع يرده عن معصية الله تعالى إذا خلا بها لم يعبأ الله بسائر عمله، فذلك مخافة الله في السر والعلانية[5]. ثم يعد الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) الورع صيانة الإنسان من الرذائل والتحلي بالفضائل.

(١) الفرقان: الآيات ٦٣ - ٦٧.

(٢) عيون الحكم والمواعظ: علي بن محمد الليثي الواسطي.
تحقيق: الشيخ حسين الحسيني البيرجندي، ط١، مطبعة دار الحديث.

(٣) عيون الحكم والمواعظ: علي الواسطي، ص١٣١.

(٤) عيون الحكم والمواعظ: ١٧٨.

(٥) ميزان الحكمة: محمد الريشهري، ج: ٤ ص٣٥١٠.

يقول (عليه السلام): (عليك بالورع فإنه خير صيانة.[1] عليك بالورع فإنه عون الدين وشيمة المخلصين)[2].

إذن يتضح مما استعرضناه إن أهم السمات والصفات التي يجب ان يتصف بها من يحيط بالحاكم والمسؤول هو الورع عن محارم الله سبحانه وتعالى.

ثانياً: الصدق.

الصفة الثانية التي يجب ان تتوافر في المقربين وحاشية الحاكم هو الصدق.

والصدق لغة: ضد الكذب، صدق يصدق صدقا وتصداقا، وصدقة: قبل قوله، وصدقه الحديث: أنبأه بالصدق، ويقال: صدقت القوم. أي قلت لهم صدقا وتصادقا في الحديث وفي المودة[3].

ومعنى الصدق اصطلاحا: (هو الخبر عن الشيء على ما هو به، وهو نقيض الكذب)[4].

وقال الراغب الأصفهاني: (الصدق مطابقة القول الضمير والمخبَر عنه معًا، ومتى انخرم شرط من ذلك لم يكن صدقًا تامًّا)[5].

(١) غرر الحكم: ٤ ٢٩٠.

(٢) غرر الحكم: ٤: ٤١٠.

(٣) لسان العرب: لابن منظور:ج١٠ ص١٩٣ وينظر مختار الصحاح، للرازي، ص١٧٤ .

(٤) الواضح في أصول الفقه: أبو الوفاء، علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الظفري، (المتوفى: ٥١٣هـ: ج١ ص ١٢٩ مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

(٥) مفردات الفاظ القرآن: الراغب الاصفهاني: ص٢٧٠.

ووردت آيات كثيرة تبين وتشير إلى الصدق منها:

قوله تعالى ﴿وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾[1].

قوله تعالى ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[2].

وقوله عز وجل ﴿فقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[3].

وكذلك: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ[4].

قوله عز وجل ﴿أَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[5].

وقد وردت نصوص كثيرة عن المعصومين (عليهم السلام) في أهمية الصدق في الحياة الاجتماعية، وأنه مسألة أساسية وضرورية: منها ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام): الصدق صلاح كل شيء. الكذب فساد كل شيء[6] الصدق يؤمنك وإن خفته. الكذب يرديك وإن ائتمنته[7].

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): الجمال صواب القول بالحق، والكمال حسن الفعال بالصدق [8].

(١) الاحقاف: ١٦.

(٢) البقرة: ٢٣.

(٣) البقرة٣١.

(٤) ال عمران: ١٧.

(٥) البقرة ٢٨٠.

(٦) عيون الحكم والمواعظ، علي الواسطي، ص٤٤.

(٧) المصدر نفسه، ص٤٤.

(٨) كنز العمال: المتقي الهندي ج٣، ص٣٤٤. ح٦٨٥٣.

وعنه (صلى الله عليه وآله): الصدق مبارك، والكذب مشؤوم[1].

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: زينة الحديث الصدق[2].

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): عليكم بالصدق، فإنه باب من أبواب الجنة [3].

دلالة هذه الروايات هو إن مفتاح الصلاح في كل الامور هو الصدق، وإذا بدأ الإنسان يقول خلاف الواقع في مسألة معينة، فلا يصدق في المسألة الاخرى فملاك الصدق هو الثقة، واذا زالت فلا يمكن الاعتماد على هذا الإنسان والتفاهم معه والتواصل معه.

إذن فالورع والصدق صفتان أساسيتان يجب توافرهما في من يريد أن يختاره المسؤول بطانة له.

الآثار السلبية المترتبة على مدح الحكام:

من الاثار السلبية التي تدخل الزهو والعجب في قلوب الحكام والمسؤولين هو كثرة الاطراء: كلمات الثناء المبالغ فيها على الشخص، وهو من الاخطار الفادحة على الحكام والأمة. فلهذا يوصي الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) المسؤول ان يحذر المقربين منه من الثناء عليه ومدحه، ويستعمل الامام (عليه السلام) كلمات الترويض والتدريب، لتربية وتدريب الحاشيته على ترك هذه الخصلة المقيتة والعادة السيئة، ويطلب من المسؤول ان يروض ويدرب حاشية على ترك مديحه والثناء

(١) بحار الانوار، ج٧٤، ص٦٧.

(٢) أمالي الصدوق: ج١ ص٥٩٣؛ بحار الأنوار ج٨٦ ص٠٩.

(٣) ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج٢، ص٢٧٥١.

عليه، ويوصي (عليه السلام) أيضا ترك التبجح بالباطل، ويحذرهم من المدح والاطراء بالطريقة التي توحي إلى الطرف الاخر أنه شيء مهم وأفكاره مهمة جدا في حين أنه كأحدهم وهو إنسان منهم يعرف الاشياء ويجهل أخرى.

يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): حب الاطراء والمدح من أوثق فرص الشيطان[1].

وروي ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):قال حثوا (أي ارموا) التراب على وجوه المداحين[2].

أي خيبوهم ولا تعطوهم شيئا لما يحصل لكم العجب من المدح في الحضور أو لمدح غير المستحق كما هو الغالب من الإطراء والمبالغة في الأكاذيب سيما إذا كانوا شعرا، وحمل بعضهم على ظاهره ويقول باستحباب رمي التراب بكفه (أو بكفيه) على وجهه [3].

وقال من مدح سلطانا جائرا أو تخفف وتضعضع له طمعا فيه كان قرينه في النار[4]، وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): إياكم والمدح فإنه الذبح[5]، إشارة إلى ان المديح هو الذبح بعينه، وتغييب كل المعايير الخلقية، كالتواضع والنصح والمشورة.

(١) عيون الحكم والمواعظ، علي الواسطي، ص٢٣١.

(٢) روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه: محمد تقي المجلسي (الأول) الجزء: ٩ ص٣٥٢ وينظر البحار: ٧٠٢٩٤ ح١؛ الفروق اللغوية أبو هلال العسكري، ص٢٠٢.

(٣) المصدر نفسه

(٤) الوافي: الفيض الكاشاني ج٥، ص١٠٣٧

(٥) كنز العمال: ٦٥١٣ ح٨٣٣١

يقول (عليه السلام) لوكنت أحب ان يمدحني أحد لتركته تواضعا بين يدي الله تعالى، لأنه أحق به لما هو فيه، ثم يقول (عليه السلام) بالمكافاة إن حب الناس للثناء والمدح والتكريم أمر طبيعي ولكن بعد ان يحققوا انجازا واقعيا يستهدف خدمة الناس وتحقيق طموحاتهم وتطلعاتهم، فيقول (عليه السلام): وربما استحلى الناس الثناء بعد البلاء فلا تثنوا علي بجميل ثناء لإخراج نفسي إلى الله وإليكم من البقية في حقوق لم أفرغ من أدائها.

الانسان بفطرته يشعر بحلاوة المدح والثناء عندما يقوم بعمل فيه مصلحة عامة، وهذا ليس سيئا وإنما السيئ عندما ينفلت عنان النفس ويتحول هذا المدح والاطراء إلى العجب والتكبر؛ ثم يوصي (عليه السلام) الناس بترك المدح والثناء عليه، لأنه عليه السلام اعتبر نفسه مقيدا بالحقوق الكبيرة التي أثقلت كاهله، فلابد أولا من تأدية حقوق الله ومن ثم حقوق الناس. ثم ينتقل (عليه السلام) بعد ذلك في نهاية هذا المقطع من العهد إلى الطلب من الناس عدم التعامل معه كالتعامل مع الجبابرة والسلاطين (فلا تكلموني بما تكلم به الجبابرة، ولا تتحفظوا مني بما يتحفظ عند أهل البادرة)، يقول الامام (عليه السلام) ايها الناس لا تلقبوا علي بن أبي طالب بألقاب الجبابرة، ولا تتعاملوا معي كتعاملكم معهم، كما يسمي الناس اليوم كبار المسؤولين فخامة، وسعادة، أو اصلح الله أمر الخليفة، او القيام بأفعال كالانحناء، او تقبيل الايادي والارجل، أو المشي على الركب للسلطان، يطلب الامام (عليه السلام) من الناس أن ينبسطوا معه في الحديث والمعاملة من دون تكلف وتصنع: ولا تخالطوني بالمصانعة ولا تظنوا بي استثقالا، ولا يعظموه تعظيما، ولا يخبئوا عنه حقيقة، وعدم منعه بمشورة عدل.

فعلى المقربين والمستشارين أن ينبهوا المسؤول على الاخطاء وغيرها، وعلى المسؤولين قبول النصيحة ممن ينصحهم، يقول (عليه السلام): ولا آمن ذلك من فعلي إلا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به مني[1].

فيتحصل: على المسؤول ان يتوكل على الله سبحانه وتعالى، وأن تكون علاقته مع الله علاقة محكمة وقوية، فيكون الله في عونه وتوفيقه، ويرشده إلى الطريق الصحيح والقويم، فتكون العناية الالهية قد ظللت محاسنه وأرفعت شأنه، هذا هو منهج علي بن أبي طالب (عليه السلام) في رسم المنظومة القيادية والعمل الميداني في تحقيق أهداف الامة وتطلعاتها، فهو رمز للإنسانية عامة وللمسلمين خاصة.

المسألة السابعة عشر: ثقة الحاكم بالامة.

قوله عليه السلام: (وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعَى إِلَى حُسْنِ ظَنِّ رَاعٍ بِرَعِيَّتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ وَتَخْفِيفِهِ الْمُؤُنَاتِ عَلَيْهِمْ وَتَرْكِ اسْتِكْرَاهِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى مَا لَيْسَ لَهُ قِبَلَهُمْ فَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذَلِكَ أَمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ بِرَعِيَّتِكَ فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْكَ نَصَباً طَوِيلًا وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ حَسُنَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ حَسُنَ بَلَاؤُكَ عِنْدَهُ وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ سَاءَ بَلَاؤُكَ عِنْدَهُ)[2].

يشير الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا المقطع من الوثيقة التاريخية الاسلامية، إلى مسألة حسن ظن الحاكم بالشعب وبناء علاقة المودة والمحبة والثقة بينه وبين الناس المسؤول عنهم، والوسائل التي من خلالها يمكن تحقيق هذا الهدف، ويعد الإمام (عليه السلام) هذه المسألة من المسائل المهمة ولها الصدارة ومقدمة على كل الامور الادارية.

(١) نهج البلاغة خطب الإمام علي عليه السلام، ج٢، ص٢٠١.

(٢) نهج البلاغة خطب الإمام علي، ج٣، ص٨٨.

وهنا نقطة مهمة أيضا، وهي أن الإمام (عليه السلام) يتحدث عن عوامل حسن الظن للوالي برعيته لاحسن ظن الرعية بالوالي، إن الولاة وزعماء الامة يسدون الخير والمعروف للرعية إلى درجة أنهم يطمئنون إلى تأييدهم ووفائهم لهم[1].

المسألة الثامنة عشر: وسائل تحقيق حسن ظن الحاكم بالرعية.

أولاً: الإحسان للرعية:

إن على الحاكم ومن يتصدى لأي موقع من مواقع المسؤولية أن يحسن الظن بمن يتحمل المسؤولية إزاءهم، يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): الاحسان محبة[2].

وعنه (عليه السلام): وعنه (عليه السلام): «أحق الناس بالإحسان من أحسن الله إليه وبسط بالقدرة يديه» [3].

وفي رواية أخرى عنه (عليه السلام): «من كثر إحسانه أحبه إخوانه»[4].

أي من خلال الاحسان إلى الناس يكون محبوبا بينهم ويكون أعوانه كثيرون،

قال (عليه السلام): «سبب المحبة الإحسان»[5].

وعنه (عليه السلام): «من أحسن إلى الناس استدام منهم المحبة».

(١) نفحات الولاية شرح نهج البلاغة: مصدر سابق: ص٣٤٧

(٢) عيون الحكم والمواعظ، علي الواسطي ج١٠ ص٣٧.

(٣) غرر الحكم ٣٣٦٩.

(٤) عيون الحكم، والمواعظ: ٤٦٠

(٥) غرر الحكم: ٧٦٠١، ١٠٩

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله): جبلت القلوب على حب من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها[1].

ومن كلام لأمير المؤمنين (عليه السلام) أوجز فيه معنى الاحسان: عنه (عليه السلام): احتج إلى من شئت تكن أسيره، واستغن عمن شئت تكن نظيره، وأفضِل على من شئت تكن أميره[2].

وقال علي (عليه السلام): إن إحسانك إلى من كادك من الأضداد والحساد، لأغيظ عليهم من مواقع إساءتك منهم، وهو داع إلى صلاحهم[3].

وعنه (عليه السلام): أحسن إلى المسيء تملكه[4].

فيتحصل: من مفهوم هذه الروايات إن الاحسان إلى الناس منهج تربوي اجتماعي في البناء والتزكية .

ثانياً: تخفيف المؤون

من الوسائل التي تحقق العلاقة المتبادلة بين الحاكم والأمة هو تخفيف المؤن عليهم؛ تخفيض الضرائب وأجور الخدمات العامة، كأجور شبكات المياه والكهرباء والصحة، وعدم تحميلهم بما لا يطيقون، لأن التحميل بما لا يطاق مذموم عقلا وشرعا.

(١) تحف العقول: ٣٧

(٢) الإرشاد، الشيخ المفيد، ج١، ص٣٠٣.

(٣) عيون الحكم والمواعظ، علي الواسطي ص٦٥١.

(٤) غرر الحكم، ص٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٨.

فرسالة الأمام (عليه السلام) لمالك الأشتر عندما ولاه مصر هي عبارة عن استحضار تاريخ مصر العريق، وما فعله الحكام السابقين في هذه البلاد، من نهب خيراتها والتسلط على أهلها بالقوة من خلال فرض الضرائب المهلكة التي كانت تفوق كل إيراداتهم المالية مما اضطرهم إلى بيع بعض السلع المنزلية لتسديد هذه الضرائب.

قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): «علامة رضا الله عز وجل في خلقه عدل سلطانهم ورخص أسعارهم وعلامة غضب الله تبارك وتعالى على خلقه جور سلطانهم وغلاء أسعارهم»[1].

اذا كان الحاكم عادلا يكون الله راضيا عنه، فيسلط عليهم من يرحمهم، وعلامات رحمته ترخيص الاسعار، وعلامة غضب الله سبحانه وتعالى على خلقه جور السلاطين وغلاء الاسعار، فاذا كانت الاسعار غالية لا يستطيع أحد أن يشتري الحاجة فيكون في عناء.

وقوله (عليه السلام): آفة العمران جور السلطان[2].

فالإمام (عليه السلام) يعطي درسا كبيرا وأسلوبا رائعا في كيفية نجاح المنظومة القيادية، وهو المطالبة بما هو ممكن ومنطقي، وعدم تحميل الناس اكثر من طاقتهم.

(١) الوافي: الفيض الكاشاني، ج١، ص٢٩٥

(٢) الغرر والدرر ٣/ ١٠٩، الحديث ٣٩٥٤

ثالثا: عدم الإكراه على الاعمال الشاقة والسخرة.

قوله (عليه السلام): (وترك استكراهه إياهم على ما ليس له قبلهم)،حيث يوصي الإمام صلوات الله وسلامه عليه مالكا (رضوان الله عليه) بأن لا يطلب من الناس أن يقوموا بأعمال ومهام خارج حدود مسؤولياتهم وطاقاتهم، كما هو متعارف في المجتمعات القديمة، فيما ينقل عن المجتمع المصري حيث كان الفراعنة يأخذون الناس بالقهر والقوة، ويستخدمونهم في مجالات شتى من دون أجور، حتى ان البعض منهم كان يموت من شدة المشقة الكبيرة التي يتعرضون لها.

تسمى هذه الاعمال السخرة (ما يسمى عند البعض من الناس) بالمجهود الحربي. ويسمى في عند بعض الدول كما في روسيا والصين (معسكرات العمل) وهو استخدام الطاقة البشرية من دون مقابل.

قال الإمام أمير المؤمنين لجنده في حرب صفين (قد كنت أمس اميرا فأصبحت اليوم مأمورا وكنت أمس ناهيا فأصبحت اليوم منهيّا وقد احببتم البقاء وليس لي أن احملكم على ما تكرهون)[1].

فالحاكم الذي يريد ان يوطد ويقوي العلاقة بينه وبين الأمة فعليه أن لا يحملهم بما لا يطيقون، أو يطلب منهم ما هو خارج عن قدراتهم الجسدية والمادية. فالعناصر الثلاثة التي ذكرناها هي ضمان لنجاح الحكم في المنظومة القيادية، وتحقيق حالة حسن الظن والثقة المتبادلة بينها وبين عموم الامة.

من هنا تتضح ثمرة العلاقة بين الحاكم والرعية من خلال قول الامام (عليه السلام): (حسن الظن يقطع عنك نصبا طويلا) إن حسن الظن بالرعية يؤدي إلى

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٢٠٨

تخفيف الأعباء في إدارة البلاد، لأن من خلالها يعيش الحاكم مرتاح البال خاليا من هواجس الخوف والقلق التي تسببه الادارات الفاشلة والتعلق بالسلطة وكرسي الحكم.

فيتحصل مما ذكر ما يلي:

الملاحظة الاولى درجات ثقة الحاكم بالرعية:

من الطبيعي ان الحاكم لا تصبح ثقته بالأمة مطلقة وبدرجة واحدة، فقد يحظى البعض بدرجة عالية، والبعض الاخر لا ينال إلادرجة متوسطة من الثقة، والبعض تكون ثقة الحاكم به ضعيفة جدا، فالإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) يعطينا ميزاناً ومعياراً في كيفية نيل ثقة الوالي بالرعية، وطريقة منح الثقة لمن حوله،يقول (عليه السلام): (وإن أحق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده).

الملاحظة الثانية تأصيل الثقة بالناس لأنها الاصل:

الملاحظة الثانية التي نريد ان نبينها هنا وهي إن الاصل هو الثقة، ولكن ليست الثقة العمياء، وإنما الثقة التي تحتوي على التوازن من خلال منح الفرص للأخرين أن يعبروا عن ذواتهم ومكنونهم، لتصل الحالة عند الحاكم بأن الجميع لو منحوا فرصاً اكثر سينجحون في الاختبارات وتكون نتائج نجاحهم مرضية، هذه الرؤية موضوعية ومتوازنة، تحمل فيها حسن الظن والثقة والعلاقات الانسانية، ومن خلال هذه الرؤية تنبثق رؤية أخرى تحذر من وجود النتوءات والاستثناءات وحالات الشواذ من الناس الذين لا يستحقون ثقة الحاكم، يقول الإمام (عليه السلام) في كلام له كلَم به طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة وقد عتبا عليه من ترك مشورتهما، والاستعانة في الأمور بهما:(...فلَمَّا أَفْضَتْ إِلَيَّ نَظَرْتُ إِلَى كِتَابِ الله وَ مَا وَضَعَ لَنَا وَ أَمَرَنَا بِالْحُكْمِ بِهِ فَاتَّبَعْتُهُ وَ مَا اسْتَنَّ النَّبِيُّ

(صلى الله عليه وآله) فَاقْتَدَيْتُهُ فَلَمْ أَحْتَجْ فِي ذَلِكَ إِلَى رَأْيِكُمَا وَ لَا رَأْيِ غَيْرِكُمَا وَ لَا وَقَعَ حُكْمٌ جَهِلْتُهُ فَأَسْتَشِيرَكُمَا وَ إِخْوَانِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَ لَوْ كَانَ ذَلِكَ لَمْ أَرْغَبْ عَنْكُمَا وَ لَا عَنْ غَيْرِكُمَا [1].

فيتحصل من خلال الملاحظتين النتائج الآتية:

أولاً: نجاح العلاقة بين الحاكم والامة :

نجاح العلاقة بين الحاكم والأمة تنشأ عبر مد جسور المودة والثقة بينهما لأن العلاقة الإنسانية هي التي تستطيع أن تنجح العمل.

ثانياً: توفير المحبة والمودة :

يكتسب المسؤول المحبة من قبل الشعب من خلال الاحترام الذي يبديه للجمهور، فتتحقق من خلال هذه المحبة علاقة رصينة قائمة على الاحترام والثقة المتبادلة، يقول الامام أمير المؤمنين (عليه السلام): من حسن ظنه بالناس حاز منهم المحبة[2]، وكيف تتحقق هذه المحبة بانعدام الثقة؟ ولكن اذا كان الحاكم منضبطا ومتزنا ومنفتحا على الجمهور ويعتمد على سلوكياتهم وانطباعاتهم في الاداء، حينئذ ينال هذه المحبة.

ثالثاً: اكتشاف الأكفّاء وتنمية المواهب والطاقات :

إن عنصر الثقة وحسن الظن بالجمهور يساعد الوالي على اكتشاف الطاقات والمواهب من بين عامة الناس، والاعتماد عليهم في إدارة الحكم، ومن خلال عملية الاكتشاف يستطيع الحاكم ان يقف على فرصة توزيع الحقوق بالعدالة، وإعطاء كل

(١) نهج البلاغة: ٣٢٢.

(٢) غرر الحكم: ٥ ٣٧٩.

ذي حق حقه، أما اذا لم يكن للحاكم ثقة بالجمهور فيعمد إلى تقريب الناس من حاشيته وممن يعرفهم، ويترك الطاقات والاكفاء خوفا من الناس.

إذن المنهج الذي وضعه الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) منهج اسلامي قائم على اسس وقواعد الاحترام والثقة بالطرف الآخر ومنهج يتبنى الاصول العلمية والاخلاقية للاختبارات وتحقيق النتائج وحسابها في القدرة على الاداء.

قال (عليه السلام): الرجل السوء لا يظن بأحد خيرا، لأنه لا يراه إلا بوصف نفسه[1].

المسألة التاسعة عشر: المعيار في حسن الظن وسوء الظن :

قوله (عليه السلام): وإن أحق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده، وإن أحق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده [2].

يتحدث الإمام (عليه السلام) في هذا المقطع من عهده لمالك الاشتر(رضوان الله عليه) عن المعيار الاساسي في حسن الظن وسوء الظن، أي متى نحسن الظن، ومتى نسيء الظن، فيذكر الامام (عليه السلام) بأن الإنسان لا يكون دائما في مستوى التغافل، فعندما يريد ان يحسن الظن بكل أحد ليس معناه العمى إغماض العيون عن الفئة الفاشلة والمفسدة التي تريد تغيير الاهداف الصحيحة عن مسارها الصحيح لابد أن يكون هناك توازن في رؤية الحاكم إزاء الامة، وهذا ما يعبر عنه بالكياسة والفطانة يقول (صلى الله عليه وآله): المؤمن كيس، فطن، حذر[3].

(١) غرر الحكم: ٢١٧٥، ١٩٠٣.

(٢) نهج البلاغة: خطب الإمام علي ج٣ ص٩٨ رسالة ٥٣.

(٣) مستدرك الوسائل ج٣ ص٤٨٩؛ بحار الأنوار العلامة المجلسي، ج٦٤ ص٣٠٧.

وفي رواية عن أمير المؤمنين (عليه السلام) يؤكد بها على القول بالحق عند الناس فيثبتون بلاء كل ذي بلاء منهم ليثق أولئك بعلمك ببلائهم:(ثم اعرف لكل امرئ منهم ما أبلى ولا تضمَنَّ بلاء امرئ إلى غيره ولا تقصرنّ به دون غاية بلائه وكاف كلام منهم بما كان منه واخصصه منك بهزة. ولا يدعونك شرف امرئ إلى أن تعظم من بلائه ما كان صغيرا ولا ضعة امرئ على أن تصغر من بلائه ما كان عظيما. ولا يفسدن امرءا عندك علة إن عرضت له ولا نبوة حديث له، قد كان له فيها حسن بلاء، فإن العزة لله يؤتيه من يشاء والعاقبة للمتقين)[1].

يريد الامام (عليه السلام) ان يبين قضية مهمة للمسؤولين وهي النظر فيمن كان عاملا واحتساب انجاز عمله له لا لغيره، او تسجيل الانجازات جميعها للمسؤول وتضييع حقوق الاخرين، أو يتساوى الإنسان العامل والانسان الفاشل، هذا لا يجوز جميعه في حدود الشريعة المقدسة، والقاعدة الفقهية تقول (من له الغنم فعليه الغرم)[2]، أي من له الفائدة فإن عليه التبعات. فالمسؤول يكون هو مسؤولا عن الانجاز ومسؤولاً عن الفشل، ثم أن الإمام (عليه السلام) يؤكد على عدم التقليل والاستهانة من أهمية العمل وإن كان صغيرا (ولا تقصرن به دون غاية بلائه).

ثم يحذر(عليه السلام) الحاكم والمسؤول من التمييز بالتعامل بين الناس فقال (ولا يدعونك شرف امرئ إلى أن تعظم من بلائه ما كان صغيرا) فيما لو كان الشخص مؤخرا فيقدم لوجاهة، عندما يكون هذا الشخص من مقربي الحاكم أو

(١) تحف العقول عن آل الرسول (ص): ابن شعبة الحراني ص١٣٤

(٢) نهج الفقاهة: السيد محسن الحكيم ص١٢٤

أقربائه، فيشار إليه بالبنان والاحترام، وفي مقابل ذلك يوصي الامام (عليه السلام) مالكا بأن لايحجم عمل أحد من عامة الناس يقول (ولا ضعة امرئ على أن تصغر من بلائه ما كان عظيما)أي وضع وإهمال الإنسان البسيط ذي الانجازات الكبيرة.

وعنه صلوات الله وسلامه عليه يقول: (إذا استولى الصلاح على الزمان وأهله ثم أساء رجل الظن برجل لم تظهر منه خزية فقد ظلم، وإذا استولى الفساد على الزمان وأهله فأحسن رجل الظن برجل فقد غرر، لا تظنن بكلمة خرجت من أحد سوء وأنت تجد لها في الخير سبيلا[1].

يتحدث الإمام (عليه السلام) مشيرا إلى نقطة مهمة وهي حينما تكون الاجواء أجواءً إيمانية، فلايمكن لأحد أن يسيء الظن بأحد، فاذا حدث مثل ذلك يكون ظلما لنفسه ولغيره، أما إذا غلب زمان الجور والفساد على زمان الايمان والعدالة، وأحسن رجل الظن برجل دون أن يجد منه ما يستحق فقد غره، أي غرر بنفسه فيكون المعيار الأساسي الذي تبنى عليه قاعدة حسن الظن وسوء الظن هو البيئة اذا كانت سليمة ونظيفة فيكون حسن الظن واقعاً، واذا كانت غير نظيفة وغير سليمة، فيحل محل حسن الظن سوء الظن، ويؤيد ذلك قوله (عليه السلام): إذا كان الزمان زمان جور وأهله أهل غدر فالطمأنينة إلى كل أحد عجز[2]. وفي مانحن فيه ورد عنه عليه السّلام: من عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن[3].

فيتحصل: إن ثقة الحاكم بالأمة يجب أن تكون وفق المعايير المنطقية والسلوكيات الصحيحة، المبنية على الأسس العلمية والاخلاقية.

(١) نهج البلاغة، الحكمة ١١٤٤.

(٢) تحف العقول عن آل الرسول (ص): ابن شعبة الحراني، ص٣٥٧:

(٣) الوافي: الفيض الكاشاني الجزء: ٥ ص٩٨٤

الفصل الثالث
الأهداف العامة للحكم

قــوله (عليه السلام):

«جِبَايَةَ خَرَاجِهَا وَجِهَادَ عَدُوِّهَا وَاسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا وَعِمَارَةَ بِلَادِهَا»

توطئة

يتحدث الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا المقطع عن الاهداف العامة للقيادة المركزية والحكم، وقد حدد الإمام (عليه السلام) أربعة أهداف لمالك حين ولاه مصر وعلينا ان نعتبر هذه الاهداف كأهداف استراتيجية في إدارة أي منظومة قيادية أخرى وأي مشروع على المستويات المختلفة.

وقد قسمنا الفصل على أربعة مباحث، لنقف عندها من خلال التفصيل الآتي:

المبحث الاول: (السياسة المالية توفير الإيرادات المالية) .

قوله عليه السلام: (جِبَايَةَ خَرَاجِهَا) .

المبحث الثاني: (السياسة الحربية المتمثلة بالجهاد)؛ (توفير الأمن والدفاع).

قوله عليه السلام: (وَجِهَادَ عَدُوِّهَا)

المبحث الثالث: (التنمية البشرية)؛ (الإصلاح الاجتماعي).

قوله عليه السلام: (وَاسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا) .

المبحث الرابع: (التنمية الاقتصادية) .

قوله عليه السلام: (وَعِمَارَةَ بِلَادِهَا)

المبحث الأول

السياسة المالية/ توفير الإيرادات المالية

قوله عليه السلام: (جِبَايَةَ خَرَاجِهَا).

يتحدث الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا المقطع من العهد الشريف، عن السياسة المالية للدولة والإيرادات المالية.

ـ جباية الخراج الذي يتكون من:

المسألة الأولى: الخمس والزكاة.

المسألة الثانية: الجزية.

المسألة الثالثة: الركاز (المعادن).

المسألة الرابعة: الفيء.

المسألة الخامسة: الغنائم.

المسألة السادسة: أموال الخراج والمقاسمة.

المسألة السابعة: سياسة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في الخراج.

المسألة الثامنة: سياسة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في بيت مال المسلمين ومصارفة.

أولاً: الخراج في العرف الشرعي:

الخراج هو الضريبة المالية التي فرضها الإسلام على غلة الأرض[١].

ويعني الضرائب الموضوعة على الاراضي المفتوحة عنوة بيد المسلمين، ولكنها في هذا المورد تمتد لدائرة واسعة وتشمل جميع الأمور المالية المتعلقة بالحكومة الإسلامية، أعم من الخراج والزكاة والجزية والخمس وأمثال ذلك[٢].

وهو من أهم الواردات المالية للدولة الاسلامية في عصر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته وصحبه، وقد بيّن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في كلامه أن صلاح الخراج صلاح لأهله، وصلاح لعامة الناس، لأنهم جميعا في نظر الإمام عيال عليه.

ويطلق على الخراج في الاصطلاح الفقهي على الاراضي التي يسيطر عليها المسلمون بالقوة دون الصلح بالأراضي المفتوحة عنوة، ومثل هذه الاراضي ملك لجميع المسلمين، وعلى ضوء ذلك فإن الحاكم الإسلامي يقوم وطبقا للمصالح الإسلامية بتقسيم هذه الاراضي على المسلمين على أن يأخذ منهم مبالغ سنوية، ويطلق على هذه المبالغ من الناحية الفقهية اسم الخراج[٣].

ثانياً: الخراج في الرؤية القرآنية والسنة النبوية المطهرة:

قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٤].

(١) مجمع البحرين: مادة خرج

(٢) نفحات الولاية شرح نهج البلاغة: مصدر سابق: ص٢٩٠

(٣) المكاسب: للشيخ الانصاري: ٢ ص٢٣٩

(٤) الحشر: ٦

و قال تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ الله عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[1]

ثم قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلا مِنَ الله وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ الله وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[2]

تتحدث هذهِ الآيات المباركة عن غنائم الحرب، يقول صاحب مجمع البيان: إن بعد اندحار يهود بني النضير وخروجهم من المدينة، بقيت بساتينهم وأراضيهم وبيوتهم وقسم من أموالهم في المدينة، فأشار بعض شيوخ المسلمين على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تماشيا مع سنة جاهلية، بأن يأخذالصفوة من أموالهم وربع ممتلكاتهم، أن يترك المتبقي كي يقسم بين المسلمين، ثم إن الله أعلن صراحة، إن هذه الغنائم التي لم تكن بسبب قتال، ولم تكن نتيجة حرب، فإنها جميعا من مختصات الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) موضعه رئيسا للدولة الاسلامية، ويتصرف بها كما يشاء وفقا لما يقدر من مصلحة في ذلك.

وسنلاحظ أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قسم هذه الاموال بين المهاجرين الفقراء في المدينة وعلى قسم من الانصار من ذوي القربى[3].

ثالثاً: أهمية الخراج في السنّة المطهرة:

نستنتج أهمية الخراج في الدين الاسلامي من خلال الروايات الواردة عن العترة الطاهرة سلام الله عليهم أجمعين. يقول الامام أمبر المؤمنين (عليه السلام)

(١) الحشر: ٧.

(٢) الحشر: ٨.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن: للطبرسي: في ذيل الآيات المباركة ٦، ٧، ٨ من سورة الحشر

في كتاب بعثه إلى امراء الخراج يبين فيه سياسته الاسلامية في التعامل مع جباية الخراج، يقول (عليه السلام) فيه: ((أما بعد؛ فإن من لم يحذر ما هو صائر إليه لم يقدم لنفسه ما يحرزها، واعلموا أن ما كلفتم به يسير وأن ثوابه كثير، ولو لم يكن فيما نهى الله عنه من البغي والعدوان عقاب يخاف لكان في ثواب اجتنابه ما لا عذر في ترك طلبه، فأنصفوا الناس من أنفسكم واصبروا لحوائجهم فإنكم خزان الرعية ووكلاء الأمة وسفراء الأئمة، ولا تحشموا أحداً عن حاجته، ولا تحبسوه عن طلبته، ولا تبيعن للناس في الخراج كسوة شتاء ولا صيف، ولا دابةً يعتملون عليها ولا عبداً، ولا تضربن أحداً سوطاً لمكان درهم، ولا تمسن مال أحد من الناس مصل ولا معاهد، إلا أن تجدوا فرساً أو سلاحاً يُعدى به على أهل الإسلام فإنه لا ينبغي للمسلم أن يدع ذلك في أيدي أعداء الإسلام فيكون شوكةً عليه، ولا تدخروا أنفسكم نصيحةً ولا الجند حسن سيرة ولا الرعية معونةً ولا دين الله قوةً وأبلوا في سبيل الله ما استوجب عليكم فإن الله سبحانه قد اصطنع عندنا وعندكم أن نشكره بجهدنا وأن ننصره بما بلغت قوتنا ولا قوة إلا بالله العلي العظيم))[1].

وروى إسماعيل بن مهاجر عن رجل من ثقيف قال: استعملني علي بن أبي طالب (عليه السلام) على بانقيا وسواد من سواد الكوفة فقال لي، والناس حضور: «انظر خراجك فجد فيه، ولا تترك منه درهما، فإذا أردت أن تتوجه إلى عملك فمر بي. قال: فأتيته، فقال: إن الذي سمعت مني خدعة، إياك أن تضرب مسلما، أو يهوديا، أو نصرانيا في درهم خراج، أو تبيع دابة عمل في درهم، فإنا أمرنا أن نأخذ منهم العفو. ولا تجمع بين متفرق، ولا تفرق بين مجتمع، يعني في الملك على ما قدمناه، والمعنى في ذلك: أنه لا يؤخذ من الشريكين صدقة إذا بلغ ملكهما جميعا مقدارما يجب فيه الزكاة، ولا تسقط الزكاة عن المالك وإن كان ملكه

(١) نهج البلاغة، الرسائل: ٥١ من كتاب له (عليه السلام) إلى عماله على الخراج

في الأماكن على الافتراق. وإن أخذ المصدق حقه من الأنعام فباعها فيمن يريد فطلبها المتصدق بالثمن فهو أحق بها» [1].

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصية له كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات:

«انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له، ولا ترو عن مسلما ولا تجتازن عليه كارها، ولا تأخذن منه أكثر من حق الله في ماله، فإذا قدمت على الحي فأنزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم، ثم امض إليهم بالسكينة والوقار حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم، ولا تخدج بالتحية لهم، ثم تقول: عباد الله أرسلني إليكم ولي الله وخليفته لآخذ منكم حق الله في أموالكم، فهل لله في أموالكم من حق فتؤدوه إلى وليه؟ فإن قال قائل لا، فلا تراجعه، وإن أنعم لك منعم فانطلق معه من غير أن تخيفه أو توعده أو تعسفه أو ترهقه، فخذ ما أعطاك من ذهب أو فضة. فإن كان له ماشية أو إبل فلا تدخلها إلا بإذنه، فإن أكثرها له، فإذا أتيتها فلا تدخل عليها دخول متسلط عليه ولا عنيف به، ولا تنفرن بهيمة ولا تفزعنها ولا تسوءن صاحبها فيها، واصدع المال صدعين ثم خيره، فإذا اختار فلا تعرضن لما اختاره. ثم اصدع الباقي صدعين ثم خيره، فإذا اختار فلا تعرضن لما اختاره. فلا تزال كذلك حتى يبقى ما فيه وفاء لحق الله في ماله فاقبض حق الله منه. فإن استقالك فأقله ثم اخلطهما ثم اصنع مثل الذي صنعت أولا حتى تأخذ حق الله في ماله، ولا تأخذن عودا ولا هرمة ولا مكسورة ولا مهلوسة ولا ذات عوار، ولا تأمنن عليها إلا من تثق بدينه رافقا بمال المسلمين حتى يوصله إلى وليهم فيقسمه بينهم،

(١) المقنعة: الشيخ المفيد: ص٢٥٨، وينظر الكافي: ٣ ٥٤٠/ ٨ ؛وينظر تهذيب الاحكام: ٤ / ٩٨ / ٢٧٥

ولا توكل بها إلا ناصحا شفيقا وأمينا حفيظا، غير معنف ولا مجحف، ولا ملغب ولا متعب، ثم احدر إلينا ما اجتمع عندك نصيره حيث أمر الله به.

فإذا أخذها أمينك فأوعز إليه ألا يحول بين ناقة وبين فصيلها ولا يمصر لبنها فيضر ذلك بوليدها، ولا يجهدنها ركوبا. وليعدل بين صواحباتها في ذلك وبينها، وليرفه على اللاغب. وليستأن بالنقب والظالع. وليوردها ما تمر به من الغدر ولا يعدل بها عن نبت الأرض إلى جواد الطريق، وليروحها في الساعات وليمهلها عند النطاف والأعشاب حتى تأتينا بإذن الله بدنا منقيات غير متعبات ولا مجهودات، لنقسمها على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله، فإن ذلك أعظم لأجرك وأقرب لرشدك إن شاء الله[1].

يوصي الامام (عليه السلام) واليه على الصدقات بأمور متعددة، تعدّ ميزانا ومعيارا لآداب واخلاق التصرف مع الأمة في جميع مجالات الحياة، وواحدة من هذه المجالات وهي جباية زكاة ما يسمى بالخراج.

المسألة الأولى: الخمس والزكاة.

الخمس: هو حق مالي فرضه الله مالك الملك بالأصالة على عباده، فالخمس في مال مخصص له ولبني هاشم الذين هم رؤساؤهم وسواهم وأهل الفضل والاحسان عليهم عوض إكرامه اياهم بمنع الصدقة والاوساخ عنهم[2]، ويتعلق بأمور: منها: غنائم الحرب، والمعادن، والكنز، والغوص، والمال الحلال المخلوط بالحرام، والأرض التي يمتلكها الذمي من المسلم، وأرباح المكاسب كأرباح التجارة والراتب الذي يستلمه الموظف أو العامل وما شابهه.

(١) نهج البلاغة: خطب الإمام علي (عليه السلام) الجزء: ٣

(٢) جواهر الكلام، ج١٦، ص٢

والروايات الدالة على وجوبه كثيرة: وروى الكليني والشيخ، عن محمد بن زيد الطبري قال: كتب رجل من تجار فارس من بعض موالي أبي الحسن الرضا عليه السلام يسأله الإذن في الخمس فكتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم إن الله واسع كريم ضمن على العمل الثواب، وعلى الضيق الهم، لا يحل مال إلا من وجه أحله الله وإن الخمس عوننا على ديننا (يمكن قراءته بالفتح والكسر) وعلى عيالاتنا وعلى موالينا وما نبذله ونشتري من أعراضنا ممن نخاف سطوته فلا تزووه عنا ولا تحرموا أنفسكم دعاءنا ما قدرتم عليه، فإن إخراجه مفتاح رزقكم وتمحيص ذنوبكم وما تمهدون لأنفسكم ليوم فاقتكم والمسلم من يفي لله بما عاهد إليه وليس المسلم من أجاب باللسان وخالف بالقلب والسلام، وعن محمد بن زيد الطبري قال قدم قوم من خراسان على أبي الحسن الرضا عليه السلام فسألوه أن يجعلهم في حل من الخمس، فقال: ما أمحل؟ هذا؟ تمحضونا بالمودة بألسنتكم وتزوون عنا حقا جعله الله لنا وجعلنا له وهو الخمس لا نجعل، لا نجعل، لا نجعل لأحد منكم في حل[1].

ومنها: ما ورد عن مولانا الصادق (عليه السلام): أنه قال: إني لآخذ من أحدكم الدرهم، وإني لمن أكثر أهل المدينة مالا، ما أريد بذلك إلا أن تطهروا[2].

يقول الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) من ايقن بالخلف جاد بالعطيّة[3]،

وفي مورد آخر يقول (عليه السلام): لا تجعلوا علمكم جهلا ويقينكم شكا اذا علمتم فاعملوا واذا تيقّنتم فأقدموا[4].

(١) الكافي كتاب الحجة باب الفيء والأنفال وتفسير الخمس خبر - ٢٦؛ والتهذيب باب الزيادات، خبر ١٩.

(٢) الوسائل باب ١ حديث ٣ من أبواب ما يجب فيه الخمس ص٢٩١.

(٣) نهج البلاغة: حكمة ١٣٨.

(٤) نهج البلاغة ٢٧٤.

ومن خطبة له (عليه السلام) يصف فيها الزكاة وأهميتها:

يقول (عليه السلام): ثم إن الزكاة جعلت مع الصلاة قربانا لأهل الاسلام فمن أعطاها طيب النفس بها فإنها تجعل له كفارة، ومن النار حجازا ووقاية. فلا يتبعنها أحد نفسه، ولا يكثرن عليها لهفه. فإن من أعطاها غير طيب النفس بها يرجو بها ما هو أفضل منها فهو جاهل بالسنة مغبون الأجر، ضال العمل، طويل الندم[1].

ويقول (عليه السلام) إن أفضل ما توسل به المتوسلون إلى الله سبحانه الإيمان به وبرسوله والجهاد في سبيله، فإنه ذروة الاسلام، وكلمة الاخلاص فإنها الفطرة. وإقام الصلاة فإنها الملة. وإيتاء الزكاة فإنها فريضة واجبة.[2]

وقال (عليه السلام): ومن ذلك ما حرس الله عباده المؤمنين بالصّلوات والزّكوات... تسكينا لأطرافهم، وتخشيعا لأبصارهم، وتخفيضا لقلوبهم... مع ما في الزّكاة من صرف ثمرات الأرض، وغير ذلك من أهل المسكنة والفقر[3].

وقوله (عليه السلام):حصّنوا أموالكم بالزّكاة[4].

والزكاة تتعلق بأشياء تسعة هي: الغلات الأربع أي الحنطة والشعير والتمر والزبيب، والأنعام الثلاثة أي الإبل والبقر والغنم، والنقدان أي الذهب والفضة،

ثم إن الخمس نسبة ٢٠٪ والزكاة نسبتها ١٠٪ وهو فيما سقت السماء من الغلات، وأدناها الواحد في المائة نصاب الشياه، إذ في كل أربعين شاة شاة واحدة، وهذان الحقان يشكلان العمود الفقري للمالية الإسلامية، وعادة ما يشكلان

(١) نهج البلاغة: خطبة ١٩٩.

(٢) نهج البلاغة: خطب الإمام علي عليه السلام، ج١، ص٢١٥، خطبة ١١٠.

(٣) المصدر نفسه، ج٣، ص١٤٩، خطبة ١٩٣.

(٤) المصدر نفسه، ج٢ حكمة ١٤٦؛ الوافي، الفيض الكاشاني ج،١٠ ص٤٣. خطبة ١١٠.

ربع الموارد، أي إذا جمعنا الخمس والزكاة معا يصبح في الميزانية العامة ما يقارب الخمس والعشرين في المائة [1].

هذا ويقسم الخمس على قسمين: الأول للإمام المعصوم (عليه السلام) ونائبه في عصر الغيبة، وهذا ما يسمى بسهم الإمام، الثاني لذرية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويسمى بسهم السادة، وقد ورد ذكر ذلك في الآية الشريفة في قوله عز وجل: ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لله خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِالله وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَالله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2]، فما كان لله والرسول والإمام المعصوم هو سهم ذوي القربى، أي قربى الرسول (صلى الله عليه واله)، ويسمى بسهم الإمام ويعطى له في حالة حضوره، وفي حالة غيبة الإمام (عليه السلام) يعطى إلى نائبه وهو الفقيه الجامع للشرائط ليصرفه في مصالح المسلمين، وما كان لليتامى المعوزين والفقراء المساكين وأبناء السبيل المنقطعين يسمى بسهم السادة، ويصرف في مصرف هؤلاء ممن لا يقدر على العمل ولا وارد له[3].

وأما الزكاة فتقسم على ثمانية أقسام كما ذكرت الآية الشريفة مواردها في قوله تعالى (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ الله وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ الله وَالله عَلِيمٌ حَكِيمٌ) [4].

الاول: الفقير ويراد به من له حاجة لا يتمكن من سدها، الثاني: المسكين، وهو من أقعده الفقر وأسكنه عن فعل شيء، فهو أسوأ حالا من الفقير، والثالث:

(١) ينظر: فقه الدولة: للشيخ فاضل الصفار، ج٢، ص٤٦٢.

(٢) الانفال: ٤١.

(٣) ينظر: فقه الدولة: الشيخ الصفار: ج٢ ص٤٦٢.

(٤) التوبة: ٦٠.

وهو العامل عليها أي من يجبي الزكاة للإمام المعصوم (عليه السلام) أو الفقيه الجامع للشرائط، والرابع: المؤلفة قلوبهم، وهم الكفار، إذ يعطون المال لأجل تقريبهم إلى الإسلام، ويشمل أيضا المسلم الضعيف الإيمان، فيعطي المال لأجل تقوية إيمانه، والخامس: الغارمون، وهم الذين لهم دين لم يصرفوه في عصيان الله، ولا يقدرون على أدائه أحياء كانوا أو أمواتا، كما ليس لهم ما يصرفه الورثة في أداء ديونهم، السادس: الرقاب، وهم العبيد الذين هم تحت الشدة من جهة الأسياد، فيشترون من الزكاة ويعتقون، السابع: وهو في سبيل الله عز وجل، والمراد به كل ما كان فيه مصلحة للإسلام والمسلمين مما ينطبق عليه عنوان سبيل الله عز وجل، والمراد به كل ما كان فيه مصلحة للإسلام والمسلمين مما ينطبق عليه عنوان سبيل الله سبحانه، والثامن: هو ابن السبيل، والمراد به من انقطع في السفر فلا يجد ما يوصله إلى أهله[1].

فيتحصل: وجوب الخمس والزكاة في الشريعة الاسلامية، فكلاهما من الامور المالية التي تأخذ ممن له مال خاص ويصرفان: في مصالح المسلمين، والفقراء المعوزين.

المسألة الثانية: الجزية.

إن لفظ (الجزية) عند أكثر اللغويين والمفسرين لفظ عربي محض، مشتق من مادة (الجزاء) وهو عبارة عن مال تأخذه الحكومة الإسلامية من أهل الذمة. في قبال أن يمنحوا الأمن، جاء في القاموس: (الجزية بالكسر خراج الأرض وما يؤخذ من الذمي جمعه جزى وجزى وجزاء) وفي الصحاح: (الجزية ما يؤخذ من أهل الذمة والجمع الجزى مثل لحية ولحي[2].

(١) ينظر: فقه الدولة: للصفار مصدر سابق: ص٤٦٣

(٢) لسان العرب، ابن منظور ج٣ ص٣١١؛ مختار الصحاح، الرازي، ج١، ص٥٠.

وقال صاحب مجمع البيان: إن الجزية فعلة من جزى يجزي مثل القعدة والجلسة[1].

وذكر القرطبي في تفسيره: إن الجزية وزنها فعلة من جزى يجزي إذا كافأ عما أسدي إليه فكأنهم أعطوها جزاء ما منحوا من الأمن، وهي كالقعدة والجلسة[2].

الجزية مبالغ مالية تؤخذ من أهل الذمة لبيت مال المسلمين وهي الخراج المجعول عليهم والجزية على وزن فعلة من جزى يجزي اذا كافأ عما اسدي اليه فكأنها اعطيت جزاء ما منحوا من الأمن بحفظ ارواحهم واموالهم واعراضهم وعدم ايذائهم ما اوفوا بعهدهم ولم ينكثوا[3].

وفي الاصطلاح تعني: ضريبة يدفعها أهل الكتاب بصفة عامة، ويدفعها المجوس في آراء أغلب الفقهاء، والمشركون في رأي بعضهم، نظير أن يدافع عنهم المسلمون، وإن فشل المسلمون في الدفاع عنهم، ترد إليهم جزيتهم، ثم إنهم ذكروا في وجه تسمية هذا المال المخصوص ب (الجزية) وجوها أهمها أمران:

ـ كونها جزاء عما منحوا من الأمن والحماية لهم والدفاع عنهم من غير تكليفهم التجند للقتال مع المسلمين. وبكلمة أخرى: جزاء اعطاء الذمي حقوق المسلمين ومساواتهم بأنفسهم في حرية النفس والمال والعرض.

ـ كونها جزاء على تمسكهم بالكفر وعدم قتلهم بذلك[4] وظاهر قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ

(١) مجمع البيان: للطبرسي ج ٥ ص ٢

(٢) الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي: ج ٨، ص ١١

(٣) الموسوعة العربية العالمية: ص١.

(٤) الأحكام السلطانية، ص ١٥٣

صَاغِرُونَ﴾[1]، هو الوجه الثاني، حيث جعل اعطاء الجزية غاية لقتالهم، المستفاد منه إن هذا المال عقوبة على بقائهم في الكفر: وإنما سمي هذا المال جزية لأن معناها الاقتطاع، وفيه نوع من الضغط النفسي او الاجتماعي او الادبي، لأن الزكاة معناها النمو، والخمس معناه الجزء من المال، وأما الجزية فمعناها القطع من الكافر، وكأن ماله لا احترام له فيقطع منه [2]، ولكن المستفاد من بعض النصوص هو الوجه الأول. منها ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: (واعلم أن الرعية طبقات، لا يصلح بعضها إلا ببعض، ولا غنى ببعضها عن بعض، فمنها جنود الله، ومنها كتاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل، ومنها عمال الانصاف والرفق، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة)[3].

ففرض سبحانه على نبيه (صلى الله عليه وآله) أخذ الجزية من كفار أهل الكتاب، وفرض ذلك على الأئمة من بعده عليهم السلام، إذا كانوا هم القائمين بالحدود مقامه، والمخاطبين في الأحكام بما خوطب به، وجعلها تعالى حقنا لدمائهم، ومنعا من استرقاقهم، ووقاية لما عداها من أموالهم[4]

وتعدّ الجزية نوعاً من الضغط كسائر الضغوط المحرجة لأجل أن يرجع عقلاؤهم إلى أنفسهم، ويلتفتوا إلى بطلان عقائدهم بواسطة فتح الحوار مع المسلمين، فبالحوار يتوصلون إلى أن عقيدتهم خرافية، وأن نظامهم ليس صحيحا، ولو كانوا من المنصفين لتوصلوا إلى احقية الإسلام وصحة عقيدته وعدالة نظامه، ويكون لهم الداعي في الإيمان بالإسلام[5].

(١) التوبة ٢٩.

(٢) فقه الدولة: للصفار مصدر سابق ص٤٦٣

(٣) نهج البلاغة خطب الإمام علي عليه اسلام ج٣ ص٩٠.

(٤) المقنعة: الشيخ المفيد ص٢٦٩

(٥) ينظر: فقه الدولة: للصفار، ج٢ ص٤٦٤

ـ أصناف أهل الجزية :

والواجب عليه الجزية من الكفار ثلاثة أصناف: اليهود على اختلافهم، والنصارى على اختلافهم، والمجوس على اختلافهم. وقد اختلف فقهاء العامة في الصابئين ومن ضارعهم في الكفر سوى من ذكرناه من الأصناف الثلاثة: فقال مالك بن أنس والأوزاعي: كل دين بعد دين الإسلام سوى اليهودية والنصرانية فهو مجوسية، وحكم أهله حكم المجوس. وروي عن عمر بن عبد العزيز أنه قال: الصابئون مجوس. وقال الشافعي وجماعة من أهل العراق: حكمهم حكم المجوس. وقال بعض أهل العراق: حكمهم حكم النصارى. فأما نحن فلا نتجاوز بإيجاب الجزية إلى غير من عددناه، لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله فيهم، والتوقيف الوارد عنه في أحكامهم. وقد روي عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه وآله أنه قال: المجوس إنما الحقوا باليهود والنصارى في الجزية والديات، لأنه قد كان لهم فيما مضى كتاب [1].

ـ مقدار الجزية :

وليس في الجزية حد مرسوم لا يجوز تجاوزه إلى ما زاد عليه ولا حطّه عما نقص عنه، وإنما هي على ما يراه الإمام في أموالهم، ويضعه على رقابهم على قدر غناهم وفقرهم [2].

وقدر الجزية كما يقرره الإسلام بدون أن تؤخذ من النساء والاطفال والرهبان والمقعدين والفقراء منهم، بحسب ما يراه الحاكم الشرعي من المصلحة [3].

(١) المصدر نفسه: ص٢٦٩

(٢) المقنعة: الشيخ المفيد:ص٢٧٢

(٣) فقه الدولة: للصفار مصدر سابق ص٤٦٤

عن زرارة قلت لأبي عبد الله عليه السّلام: ما حدّ الجزية على أهل الكتاب وهل عليهم في ذلك شيء موظَّف لا ينبغي أن يجوزوا إلى غيره؟ فقال: ذاك إلى الإمام أن يأخذ من كلّ إنسان منهم ما شاء على قدر ماله بما يطيق[1].

وكان أمير المؤمنين عليه السلام قد جعل على أغنيائهم ثمانية وأربعين درهما، وعلى أوساطهم أربعة وعشرين درهما، وجعل على فقرائهم اثنيي عشر درهما. وكذلك صنع عمر بن الخطاب قبله، وإنما صنعه بمشورته عليه السلام[2].

ـ مصروف الجزية :

وكانت الجزية على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله عطاء المهاجرين، وهي من بعده لمن قام مع الإمام مقام المهاجرين، وفيما يراه الإمام من مصالح المسلمين

روى محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام: أنه سأله عن خراج أهل الذمة وجزيتهم إذا أدوها من ثمن خمورهم، وخنازيرهم، وميتتهم أيحل للإمام أيأخذها، وتطيب للمسلمين؟ فقال: ذلك للإمام والمسلمين حلال، وهي على أهل الذمة حرام، وهم المحتملون لوزره [3].

وقال عليه السلام: لا يجوز رفع الجزية، لأنها عطاء المهاجرين، والصدقة لأهلها المسلمين في القرآن، وليس لهم من الجزية شيء. ثم قال: ما أوسع العدل: إن الناس يستغنون إذا عدل بينهم، وتنزل عليهم السماء رزقها، وتخرج الأرض بركاتها بإذن الله عز وجل[4].

(١) النجعة في شرح اللمعة: الشيخ محمد تقي التستري، ج: ٦، ص١٦١
(٢) الوسائل، ج ١١، الباب ٦٨ من أبواب جهاد العدو، ح ٨، ص ١١٦
(٣) الوسائل، ج ١١، الباب ٧٠ من أبواب جهاد العدو، ح ٢، ص ١١٨
(٤) الوسائل، ج ١١، الباب ٦٩ من أبواب جهاد العدو، ح١ و٢، ص ١١٦

المسألة الثالثة: الركاز والمعادن.

من الموارد المالية التي تعتمد عليها الحكومة الاسلامية هو الركاز.

والركاز لغة: هو كنوز الجاهلية المدفونة في الارض، وقيل إنها المعادن، والقولان تحتملهما اللغة، لأن كلا منهما مركوز في الارض، أي ثابت، من: ركزه يركزه ركزا: إذا دفنه[1].

ويشترط في تملك الركاز أن يكون في أرض الحرب، سواء كان عليه أثر الجاهلية، أو أثر الإسلام كذكر النبي صلى الله عليه وآله، أو أحد ولاة الإسلام

والواجب بالركاز الخمس، لقوله عليه السلام (في الركاز الخمس)، وهو على إطلاقه، ولأنه مال كافر فلم يعتبر فيه النصاب كالغنيمة [2].

وقال أبو جعفر الباقر عليه السلام «كل ما كان ركازا ففيه الخمس»[3].

المسألة الرابعة: الفيء.

من الايرادات التي تعتمد عليها الحكومة الاسلامية هو الفيء.

والفيء: الغنيمة التي تنال من دون قتال، والجمع أفياء، وفيوء[4].

وقال الأزهري: الفيء: ما ردّه الله على أهل دينه من أموال من خالف أهل

(١) تاج العروس: للزبيدي: ج١٥ ص ١٥٩ـ ١٦٠

(٢) المعتبر: المحقق الحلي ج٢ ص٦٢٥

(٣) التهذيب ٤: ١٢٢ / ٣٤٧

(٤) المعجم الوسيط: مادة (فيء)

دينه بلا قتال، إما بأن يجلوا عن أوطانهم ويخلّوها للمسلمين، أو يصالحوا على جزية يؤدّونها عن رؤوسهم، أو مال غير الجزية يفتدون به من سفك دمائهم[1].

ـ مشروعية الفيء :

قال تعالى: ﴿وَمَا أَفَاءَ الله عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلاَ رِكَابٍ وَلَكِنَّ الله يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَالله عَلَى كُل شَيءٍ قَدِيرٌ﴾[2]

وقوله تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ الله عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْل الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُول وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِين وَابْنِ السَّبِيل كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْن الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾[3].

ويقول العلامة الطبرسي في مجمع البيان: ذكر سبحانه حكم الفيء فقال: (مَا أَفَاءَ الله عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى) أي من أموال كفار أهل القرى (فللّه) يأمركم فيه بما أحب (وللرسول) بتمليك الله إياه (ولذي القربى) يعني أهل بيت رسول اللهّ، وقرابته، وهم بنو هاشم (واليتامى والمساكين وابن السبيل) منهم، لأن التقدير ولذي قرباه، ويتامى أهل بيته، ومساكينهم، وابن السبيل منهم[4].

ـ موارد الفيء :

فموارد الفيء كثيرة، نشير اليها باختصار منها:

ما جلا عنه الكفار خوفا من المسلمين من الاراضي والعقارات، ما تركه الكفار وجلوا عنه من المنقولات، ما أخذ من الكفار من خراج أو أجرة عن الاراضي التي ملكها المسلمون ودفعت بالإجارة لمسلم أو ذمي، أو الاراضي التي

(١) تفسير الرازي: ١٠ج:ص ٥٠٥ ٥٠٦.
(٢) الحشر: ٦.
(٣) الحشر: ٧ .
(٤) مجمع البيان ج ٩: ٤٣١.

أقرت بأيدي أصحابها من أهل الذمة صلحا أو عنوة على انها لهم ولنا عليها الخراج والجزية، ومن موارد الفيء عشور أهل الذمة، وما صولح عليه الحربيون من مال يؤدونه إلى المسلمين.

ومن موارد الفيء أيضاً:

مال المرتد إن قتل أو مات، مال الذمي إن مات ولا وارث له وما فضل من ماله عن وارثه فهو فيء، وهناك مصاديق اخرى للفيء كالاراضي المغنومة بالقتال وهي الأراضي الزراعية عند من يرى عدم تقسيمها بين الغانمين.

ـ مصارف الفيء :

أما مصرفه: فهو في مصالح المسلمين بحسب ما يراه الإمام كرزق القضاة، والمؤذنين، والأئمة، والفقهاء، والمعلمين وغير ذلك من مصالح المسلمين؛ وفي المغازي للواقدي بسنده: « فقال عمر: يا رسول الله، ألا تخمس ما أصبت من بني النضير كما خمست ما أصبت من بدر؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): لا أجعل شيئاً جعله الله – عزَّ وجلَّ – لي دون المؤمنين بقوله: « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى «الآية، كهيئة ما وقع فيه السهمان للمسلمين».[1] ولا يخفى أن مقصود عمر في سؤاله تخميس المال وتقسيم البقية، كما في الغنائم. والرواية شاهد على وقوع التخميس في غنائم بدر، ولهذا ذكر الله تعالى كل فئات المسلمين في معرض بيان مصارف الفيء فقال سبحانه وتعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾، فيأخذ منه الإمام من غير تقدير، ويعطي القرابة باجتهاد، ويصرف الباقي في مصالح المسلمين.

(١) دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية: الشيخ المنتظر، الجزء: ٣ص٣٢١.

وقد تعدّى ذلك إلى ما وهبه رسول اللهّ(صلى الله عليه وآله وسلم) لأهل بيته من أموال الفيء، ومن مصاديقه فدكاً، وهي قرية بناحية الحجاز، بينها وبين المدينة يومان، وأرضها كانت لليهود، فأفاءها الله تعالى على رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) صلحاً سنة ٧ هـ دون أن يوجف عليها المسلمون بخيل ولا ركاب.

وقد ورد إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) منح فدك إلى ابنته الزهراء (عليها السلام) في حياته حينما نزلت الاية (وآت ذا القربى حقه) على ما رواه المحدثون والمفسرون عن أمير المؤمنين (عليه السلام) وابن عباس وأبي سعيد الخدري، وحينما توفي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وضعت سلطة الخلافة المزعومة يدها على نحلة الزهراء (عليها السلام) في فدك، وأخرجت وكيلها منها، وجعلتها من مصادر بيت المال وموارد ثروة الدولة كما زعمت[1].

ويظهر الفرق بين الغنيمة والفيء من خلال: الغنيمة ما غنمه المسلمون واستولوا عليه من أموال العدو ومعداتهم... بالقوة والقتال..

فهذا يقسم بين المقاتلين بعد خصم خمسه وجعله في بيت مال المسلمين لصرفه في المصالح العامة.

قال الله تعالى: ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لله خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ..﴾[2]، وأما الفيء فهو ما حصل عليه المسلمون من أموال بدون قتال. وهذا مرجعه إلى بيت المال واجتهاد ولي أمر المسلمين، قال الله تعالى: مَّا أَفَاء الله عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي

(١) تفسير الدر المنثور: السيوطي ٥: ٢٧٢؛ وينظر مجمع الزوائد: الهيثمي ٧: ٤٩؛ وينظر كنز العمال: المتقي الهندي ٣: ٧٦٧ / ٨٦٩٦؛ وينظر مجمع البيان: الطبرسي ٦: ٦٣٤؛ وينظر الشافي: المرتضى ٤: ٩٠ و٩٨.
(٢) الأنفال:٤١

الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاء مِنكُمْ..[1].

المسألة الخامسة: الغنائم.

الغنيمة: ما يؤخذ من المحاربين في الحرب قهرا والجمع غنائم[2].

الغنائم اصطلاحا المال الذي يصيبه المسلمون من أعدائهم من خلال القتال والعنوة.

ويقصد بالغنائم: كل ما يحصل عليه الجيش الإسلامي في ميدان الحرب، بعد انتهاء المعارك، مِن أموال ودواب وسلاح وملابس، وأسرى من المحاربين، والسبي من النساء والأطفال، ويعرّف الفقهاء الغنائم: بأنها ما غلب عليه المسلمون من أموال أهل الحرب حتى يأخذوه عنوة، يعني: بالسلاح والقتال.

وتعدّ الغنائم التي حازها المسلمون من أعدائهم، موردًا حسنًا لبيت المال وللمقاتلين، ومن المعلوم أن القرآن نص على توزيع الغنائم بين الدولة والمقاتلين، ولم يترك ذلك لاجتهاد الدولة، فجعل للجيش الذي غنمها أربعة أخماسها، واحتفظ بالخمس يصرفه الرسول أو خليفته في مصالح الدين والدولة، ومرافق المسلمين العامة.

وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لله خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِالله وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَالله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[3].

(١) الحشر:٧.

(٢) ينظر التعريفات: الجرجاني، ج١، ص٥٢.

(٣) الأنفال: ٤١

وكل ما أفاده الناس فهو غنيمة، لا فرق بين الكنوز والمعادن والغوص ومال الفيء الذي لم يختلف فيه، وهو ما ادعي فيه الرخصة، وهو ربح التجارة وغلة الضيعة، وسائر الفوائد من المكاسب والصناعات والمواريث وغيرها، لأن الجميع غنيمة وفائدة من رزق الله تعالى[1].

وإذا غنم المسلمون شيئا من أهل الكفر بالسيف قسمه الإمام على خمسة أسهم، فجعل أربعة منها بين من قاتل عليه، وجعل السهم الخامس على ستة أسهم، منها ثلاثة له عليه السلام: سهمان وارثة من الرسول صلى الله عليه وآله، وسهم بحقه المذكور، وثلاثة للثلاثة أضافه من أهله: فسهم لأيتامهم، وسهم لمساكينهم، وسهم لأبناء سبيلهم، فيقسم ذلك بينهم على قدر كفايتهم في السنة ومؤونتهم، فما فضل عنها أخذه الإمام منهم، وما نقص منها تممه لهم من حقه، وإنما كان له أخذ ما فضل لأن عليه إتمام ما نقص[2].

وروى أبو بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: كل شيء قوتل عليه على شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله فإن لنا خمسة، ولا يحل لأحد أن يشتري من الخمس شيئا حتى يصل إلينا نصيبنا[3].

وفي رواية علي بن مهزيار، فإن فيها: (فأما الغنائم والفوائد فهي واجبة عليهم في كل عام قال الله تعالى ﴿واعْلَمُوا﴾. الآية. إلى أن قال (عليه السلام): والغنائم والفوائد يرحمك الله فهي الغنيمة يغنمها المرء والفائدة يفيدها والجائزة من الإنسان للإنسان التي لها خطر والميراث الذي لا يحتسب من غير أب ولا ابن[4].

(١) فقه الرضا: علي ابن بابويه القمي ص٢٩٤.

(٢) المقنعة: الشيخ المفيد ص٢٧٨.

(٣) الوسائل، ج ٦، الباب ٢ من أبواب ما يجب فيه الخمس، ح ٥، ص ٣٣٩ مع تفاوت.
والباب ٣ من أبواب الأنفال، ح ٩، ص ٣٧٨ عن الكتاب

(٤) الوسائل، ب ٨ من أبواب ما يجب فيه الخمس، ح ٥. وسورة الأنفال، الآية ٤١.

عن الامام الصادق (عليه السلام): وللإمام قبل القسمة من الغنيمة ما شاء على ما قدمناه في صفو الأموال، وله أن يبدأ بسد ما ينويه بأكثر ذلك المال. وإن استغرق جميعه فيما يحتاج إليه من مصالح المسلمين كان ذلك له جائزا، ولم يكن لأحد من الأمة عليه اعتراض. وجاء في حديث عن الامام أبي الحسن عليه السلام: قال وليس لمن قاتل معه شيء من الأرضين، ولا ما غلبوا عليه إلا ما احتوى عليه العسكر.

المسألة السادسة: أموال الخراج والمقاسمة.

من الموارد المالية الذي تأخذه الدولة وتعتمد عليه، هو المال الذي تأخذه الحكومة في قبال إجارة الأراضي المفتوحة لمن استأجرها منها.

وهما ضريبتان مضروبتان على من يعمل في الأراضي التي فتحها المسلمون بالقتال وسبب ذلك أنّ هذه الأراضيّ ملك لعامّة المسلمين فلا بدّ أن تصرف عائداتها في مصالحهم بعد أن يكون للعامل فيها ومحييها حصّة لقاء عمله.[١]

والمقاسمة: حصة من حاصل الارض، تؤخذ عوضا عن زراعتها. والخراج: مقدار من المال يضرب على الأرض أو الشجر حسبما يراه الحاكم. ونبهّ بقوله باسم المقاسمة واسم الخراج على انهما لا يتحققان إلا بتعيين الإمام العادل[٢].

وعليه فإن قدّرت الدولة مقدارا خاصا من المال في مقابل الاجارة سمي ذلك خراجا، لأنه خرج من كيس الزارع ونحوه إلى كيس الدولة، وإن قدّرت الدولة نسبة خاصة ولم تعين مقدارا كالثلث والربع والنصف من الارباح سمي حينئذ مقاسمة، لأن الدولة والعامل يتقاسمان الربح[٣].

(١) مفاهيم القرآن: الشيخ جعفر السبحاني: ج٢ ص٥٨٢ـ ٥٨٣

(٢) الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة: المحدث الشيخ يوسف آل عصفور البحراني ص٢٤٤

(٣) فقه الدولة: للصفار ص٤٦٥

المسألة السابعة: سياسة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في الخراج.

تعتمد سياسة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في جباية الخراج على إجراءات مرنة وتعامل الاسلامي الحقيقي، حيث يؤكد الامام (عليه السلام) على إن الاهتمام في هذا الامر يساعد على حل مشكلة الفقر والعوز عند الناس، حيث يعد هذا العطاء استقامة واستقراراً لهم في تحقيق أهدافهم في الحياة الاجتماعية، ومن هذا المنطلق نستعرض سياسته (عليه السلام) من خلال رسالته التي بعثها لبعض عماله يحثه على الالتزام بالسلوكيات العامة للقيادة في المنظومة القيادية

يقول (عليه السلام):

«انْطَلِقْ عَلَى تَقْوَى اللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَلاَ تُرَوِّعَنَّ مُسْلِماً، وَلاَ تَجْتَازَنَّ عَلَيْهِ كَارِهاً، وَلاَ تَأْخُذَنَّ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّ اللهِ فِي مَالِهِ. فَإِذَا قَدِمْتَ عَلَى الْحَيِّ فَانْزِلْ بِمَائِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخَالِطَ أَبْيَاتَهُمْ، ثُمَّ امْضِ إِلَيْهِمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ، حَتَّى تَقُومَ بَيْنَهُمْ فَتُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ، وَلاَ تُخْدِجْ بِالتَّحِيَّةِ لَهُمْ، ثُمَّ تَقُولَ: عِبَادَ اللهِ، أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ وَلِيُّ اللهِ وَخَلِيفَتُهُ، لِآخُذَ مِنْكُمْ حَقَّ اللهِ فِي أَمْوَالِكُمْ، فَهَلْ للهِ فِي أَمْوَالِكُمْ مِنْ حَقّ فَتُؤَدُّوهُ إِلَى وَلِيِّهِ؟ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: لاَ، فَلاَ تُرَاجِعْهُ، وَإِنْ أَنْعَمَ لَكَ مُنْعِمٌ فَانْطَلِقْ مَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخِيفَهُ أَوْ تُوعِدَهُ أَوْ تَعْسِفَهُ أَوْ تُرْهِقَهُ، فَخُذْ مَا أَعْطَاكَ مِنْ ذَهَب أَوْ فِضَّة، فَإِنْ كَانَتْ لَهُ مَاشِيَةٌ أَوْ إِبِلٌ فَلاَ تَدْخُلْهَا إِلاَّ بِإِذْنِهِ، فَإِنَّ أَكْثَرَهَا لَهُ، فَإِذَا أَتَيْتَهَا فَلاَ تَدْخُلْهَا دُخُولَ مُتَسَلِّط عَلَيْهِ وَلاَ عَنِيف بِهِ، وَلاَ تُنَفِّرَنَّ بَهِيمَةً وَلاَ تُفْزِعَنَّهَا، وَلاَ تَسُوءَنَّ صَاحِبَهَا فِيهَا، وَاصْدَعِ الْمَالَ صَدْعَيْنِ، ثُمَّ خَيِّرْهُ، فَإِذَا اخْتَارَ فَلاَ تَعْرِضَنَّ لِمَا اخْتَارَهُ، ثُمَّ اصْدَعِ الْبَاقِيَ صَدْعَيْنِ، ثُمّ خَيِّرْهُ، فَإِذَا اخْتَارَ فَلاَ تَعْرِضَنَّ لِمَا اخْتَارَ، فَلاَ تَزَالُ بِذلِكَ حَتَّى يَبْقَى مَا فِيهِ وَفَاءٌ لِحَقِّ اللهِ فِي مَالِهِ، فَاقْبِضْ حَقَّ اللهِ مِنْهُ، فَإِنِ

اسْتَقَالَكَ فَأَقِلْهُ، ثُمَّ اخْلِطْهُمَا، ثُمَّ اصْنَعْ مِثْلَ الَّذِي صَنَعْتَ أَوَّلاً حَتَّى تَأْخُذَ حَقَّ الله فِي مَالِهِ. وَلاَ تَأْخُذَنَّ عَوْداً، وَلاَ هَرِمَةً، وَلاَ مَكْسُورَةً، وَلاَ مَهْلُوسَةً، وَلاَ ذَاتَ عَوَار. وَلاَ تَأْمَنَنَّ عَلَيْهَا إِلاَّ مَنْ تَثِقُ بِدِينِهِ، رَافِقاً بِمَالِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى يُوصِلَهُ إِلَى وَلِيِّهِمْ فَيَقْسِمَهُ بَيْنَهُمْ. وَلاَ تُوَكِّلْ بِهَا إِلاَّ نَاصِحاً شَفِيقاً، وَأَمِيناً حَفِيظاً، غَيْرَ مُعَنِّف وَلاَ مُجْحِف، وَلاَ مُلْغِب وَلاَ مُتْعِب. ثُمَّ احْدُرْ إِلَيْنَا مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ، نُصَيِّرْهُ حَيْثُ أَمَرَ اللهُ بِهِ. فَإِذَا أَخذَهَا أَمِينُكَ فَأَوْعِزْ إِلَيْهِ: أَلاَّ يَحُولَ بَيْنَ نَاقَة وَبَيْنَ فَصِيلِهَا، وَلاَ يَمْصُرَ لَبَنَهَا فَيَضُرَّ ذلِكَ بِوَلَدِهَا، وَلاَ يَجْهَدَنَّهَا رُكُوباً، وَلْيَعْدِلْ بَيْنَ صَوَاحِبَاتِهَا فِي ذلِكَ وَبَيْنَهَا، وَلْيُرَفِّهْ عَلَى اللاَّغِبِ، وَلْيَسْتَأْنِ بِالنَّقِبِ وَالظَّالِعِ، وَلْيُوِرِدْهَا مَا تَمُرُّ بِهِ مِنَ الْغُدُر، وَلاَ يَعْدِلْ بِهَا عَنْ نَبْتِ الأَرْضِ إِلَى جَوَادِّ الطُّرُقِ، وَلْيُرَوِّحْهَا فِي السَّاعَاتِ، وَلْيُمْهِلْهَا عِنْدَ النِّطَافِ وَالأَعْشَابِ، حَتَّى تَأْتِيَنَا بِإِذْنِ الله بُدَّناً مُنْقِيَات، غَيْرَ مُتْعَبَات وَلاَ مَجْهُودَات، لِنَقْسِمَهَا عَلَى كِتَابِ الله وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ(عليه السلام) فَإِنَّ ذلِكَ أَعْظَمُ لِاجْرِكَ، وَأَقْرَبُ لِرُشْدِكَ، إِنْ شَاءَ اللهُ»[1].

اشتمل خطاب الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) على جملة من التعاليم الاسلامية في جباية الخراج، اذ يعطي (عليه السلام) درسا اخلاقيا وتربويا في كيفية وطريقة أخذ الخراج من الناس وتوزيعها، فيتحدث سلام الله عليه في جملة من القيم والمبادئ السامية والرفيعة، لابد ان يتحلى بها القائد أو الوالي أو من توكل اليه مهمة جباية الخراج، فخطاب الامام (عليه السلام):يدل بوضوح على المسيرة الرائدة للنبي (صلى الله عليه واله) في تعيين الإمام قائدا لأمته وخليفة من بعده، ومن المؤكد أن هذه الاحكام الرفيعة لا تصدر إلا من وصي نبي منحه الله تعالى الحكمة وفصل الخطاب[2].

(١) نهج البلاغة: ٥٢

(٢) مناهج حكومة الامام أمير المؤمنين (عليه السلام): باقر شريف القرشي ص١١٦

يوصي الامام (عليه السلام) الوالي أو عامله على جباية الخراج بالتقوى (انْطَلِقْ عَلَى تَقْوَى اللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ)، يبيّن الإمام إن التقوى مفتاح لكل الاعمال التي يريد الإنسان أن يقدم عليها، لأنها الغطاء الذي يحفظ الإنسان من الاخطار والوقوع في الرذائل، وهي مفتاح النجاح والتوفيق والتسديد، فيؤكد الامام (عليه السلام) في منهجه وسياسة على كل من يتصدى لمسؤولية معينة ان يتحلى بالتقوى. يقول (عليه السلام): فإن تقوى الله مفتاح سداد، وذخيرة معاد وعتق من كل ملكة، ونجاة من كل هلكة. بها ينجح الطالب، وينجو الهارب، وتنال الرغائب [1].

ومن كلام له (عليه السلام) يصف فيها فوائد التقوى: فإن تقوى الله دواء داء قلوبكم، وبصر عمى أفئدتكم، وشفاء مرض أجسادكم، وصلاح فساد صدوركم، وطهور دنس أنفسكم، وجلاء غشاء أبصاركم، وأمن فزع جأشكم، وضياء سواد ظلمتكم [2].

يؤكد الامام (عليه السلام) في وصية (وَلاَ تُرَوِّعَنَّ مُسْلِماً، وَلاَ تَجْتَازَنَّ عَلَيْهِ كَارِهاً، وَلاَ تَأْخُذَنَّ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّ اللهِ فِي مَالِهِ، فَإِذَا قَدِمْتَ عَلَى الْحَيِّ فَانْزِلْ بِمَائِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخَالِطَ أَبْيَاتَهُمْ)

يتحدث الإمام عليه السلام في هذا الجزء من الوصية عن الأبعاد الانسانية التي يجب ان تتوافر في المسؤول والحاكم، وهو عدم ادخال الفزع على قلوب الناس وتخويفهم والتطاول عليهم، من خلال سلب حقوقهم وتحميلهم أكثر من طاقتهم والابتعاد عن منازلهم مخافة انزال الذعر فيهم:

(١) نهج البلاغة: خطب الإمام علي ج٢ ص٢٢٣

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج١٠ ص١٨٨

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): لا يحل لمسلم أن يروع مسلما [١]. في هذا الحديث دلالة أنه لا يجوز ترويع المسلم حتى في صورة المزح.

وهناك اساليب أخرى لترويع الناس وتخويفهم:

منها اشهار السلاح بوجوههم، كما في قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): من أشار إلى أخيه المسلم بسلاحه لعنته الملائكة حتى ينحيه عنه.[٢]

ومنها أن تنظر اليهم بنظرة مخيفة:

في رسالة الصادق (عليه السلام) إلى النجاشي: وإياك أن تخيف مؤمنا، فإن أبي حدثني عن أبيه، عن جده علي بن أبي طالب (عليهم السلام) أنه كان يقول: من نظر إلى مؤمن نظرة ليخيفه بها، أخافه الله يوم لا ظل إلا ظله، وحشره في صورة الذر لحمه وجسده وجميع أعضائه حتى يورده مورده [٣].

ومنها تخويفهم من خلال الحاكم او السلطان:

عن الصادق (عليه السلام): من روع مؤمنا بسلطان ليصيبه منه مكروه فلم يصبه فهو في النار. ومن روع مؤمنا بسلطان ليصيبه منه مكروه فأصابه، فهو مع فرعون وآل فرعون في النار[٤].

(١) نيل الأوطار: الشوكاني، ت: ١٢٥٥،: ١٩٧٣: دار الجيل - بيروت لبنان، ج ٦، ص٦٢ ص٦٢

(٢) جامع أحاديث الشيعة: السيد البروجردي، ج: ١٦ ص٣٥٨

(٣) مستدرك سفينة البحار: الشيخ علي النمازي الشاهرودي، ج: ٣ ص٢٢٧

(٤) المصدر نفسه:ص٢٢٨

ومنها إدخال الحزن عليهم:

عنه (صلى الله عليه وآله): من أحزن مؤمنا ثم أعطاه الدنيا لم يكن ذلك كفارته ولم يؤجر عليه[1].

و في حديث مناجاة موسى (عليه السلام) قال تعالى: واعلم أن من أخاف لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، ثم أنا الثائر لهم يوم القيامة[2].

ثم يوصي (عليه السلام) الوالي بأن لا يأخذ منهم أكثر مما فرض الله تعالى عليه من الحق؛ قوله (عليه السلام): «ثُمَّ امْضِ إِلَيْهِمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ، حَتَّى تَقُومَ بَيْنَهُمْ فَتُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ، وَلاَ تُخْدِجْ بِالتَّحِيَّةِ لَهُمْ، ثُمَّ تَقُولَ: عِبَادَ الله، أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ وَلِيُّ الله وَخَلِيفَتُهُ، لِآخُذَ مِنْكُمْ حَقَّ الله فِي أَمْوَالِكُمْ، فَهَلْ للهِ فِي أَمْوَالِكُمْ مِنْ حَقّ فَتُؤَدُّوهُ إِلَى وَلِيِّهِ؟ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: لاَ، فَلاَ تُرَاجِعْهُ، وَإِنْ أَنْعَمَ لَكَ مُنْعِمٌ فَانْطَلِقْ مَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخِيفَهُ أَوْ تُوعِدَهُ أَوْ تَعْسِفَهُ أَوْ تُرْهِقَهُ، فَخُذْ مَا أَعْطَاكَ مِنْ ذَهَب أَوْ فِضَّة، فَإِنْ كَانَتْ لَهُ مَاشِيَةٌ أَوْ إِبِلٌ فَلاَ تَدْخُلْهَا إِلاَّ بِإِذْنِهِ، فَإِنَّ أَكْثَرَهَا لَهُ، فَإِذَا أَتَيْتَهَا فَلاَ تَدْخُلْهَا دُخُولَ مُتَسَلِّط عَلَيْهِ وَلاَ عَنِيف بِهِ، وَلاَ تُنَفِّرَنَّ بَهِيمَةً وَلاَ تُفْزِعَنَّهَا،وَلاَ تَسُوءَنَّ صَاحِبَهَا فِيهَا، وَاصْدَعِ الْمَالَ صَدْعَيْنِ، ثُمَّ خَيِّرْهُ، فَإِذَا اخْتَارَ فَلاَ تَعْرِضَنَّ لِمَا اخْتَارَهُ، ثُمَّ اصْدَعِ الْبَاقِيَ صَدْعَيْنِ، ثُمَّ خَيِّرْهُ، فَإِذَا اخْتَارَ فَلاَ تَعْرِضَنَّ لِمَا اخْتَارَ، فَلاَ تَزَالُ بِذلِكَ حَتَّى يَبْقَى مَا فِيهِ وَفَاءٌ لِحَقِّ الله فِي مَالِهِ، فَاقْبِضْ حَقَّ الله مِنْهُ، فَإِنِ اسْتَقَالَكَ فَأَقِلْهُ، ثُمَّ اخْلِطْهُمَا، ثُمَّ اصْنَعْ مِثْلَ الَّذِي صَنَعْتَ أَوَّلاً حَتَّى تَأْخُذَ حَقَّ الله فِي مَالِهِ».

(١) البحار: ج٧٥ ص١٥٠ / ١٣ وص ٥٤ / ح ١٩

(٢) المصدر نفسه: ص٢٢٨

يتحدث الامام (عليه السلام) عن آداب أخرى للتعامل مع الناس، كأداء التحية عليهم بالآدب والخلق العظيم وتعريفهم بمن بعثه اليهم، وعدم مزاحمتهم اذا لم يكونوا متمكنين من ان يدفعوا اليه شيئا، واذا كانوا متمكنين فيذهب معهم ليرى ماذا عندهم من حق، فاذا كان الحق الذي يدفعونه ينقسم إلى قسمين، القسم الاول النقدين الذهب والفضة، والقسم الثاني الانعام الثلاثة، الغنم، الابل، البقر فاذا كان من القسم الاول يؤخذ منهم برفق ورعاية، واذا كان من القسم الثاني فيقسم المال إلى قسمين، فيجعل الخيار في أيديهم من اختيار أحد القسمين.

ويؤكد الإمام (عليه السلام) في هذا المقطع عن أهمية الزكاة والحث عليها وعدم التهاون فيها.

قال عليه السلام لمعاذ (أعلمهم أن عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم)[١].

ـ قوله (عليه السلام): وَلاَ تَأْخُذَنَّ عَوْداً، وَلاَ هَرِمَةً، وَلاَ مَكْسُورَةً، وَلاَ مَهْلُوسَةً، وَلاَ ذَاتَ عَوَار.

يوصي الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) عامله بوصايا أخرى في التعامل الانساني، أن لا يأخذ الهرمة والمكسورة وذات العوار يقول له يجب ان تميز بين الانعام في طريقة جبايتها وأخذها، ولا تؤخذ مريضة من الصحاح، ولا هرمة، ولا ذات عوار أي: ذات عيب، لقوله تعالى: (ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون). وقال النبي صلى الله عليه وآله: (لا تخرج في الصدقة هرمة ولا ذات عوار ولا تيس إلا ما شاء المصدق) أي: العامل[٢].

(١) المعتبر: المحقق الحلي ج: ٢ ص٥٦٥

(٢) صحيح البخاري ٢: ١٤٧

وعن الصادق عليه السلام: ولا تؤخذ هرمة، ولا ذات عوار، إلا أن يشاء المصدق، يعد صغيرها وكبيرها[1].

ـ وَلاَ تَأْمَنَنَّ عَلَيْهَا إِلاَّ مَنْ تَثِقُ بِدِينِهِ، رَافِقاً بِمَالِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى يُوصِلَهُ إِلَى وَلِيِّهِمْ فَيَقْسِمَهُ بَيْنَهُمْ.

يقول (عليه السلام) على الشخص الذي توكل اليه مهمة جلب الصدقات إلى الامام (عليه السلام) أن يكون أمينا ثقة ومخلصا، لا يستبيح للدولة والرعية حقا من حقوقها، حتى يقسمها بالتساوي بين المسلمين، ويأخذ هو كنصيب واحد منهم ولا يفضل عليهم.

ثم يبين (عليه السلام) طبقات الناس الذين يستحقون العطاء؛ يقول (عليه السلام): «ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين، وأهل البؤس والزمنى فإن في هذه الطبقة قانعاً ومعتراً: واحتفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم، واجعل لهم قسماً من بيت مالك، وقسماً من غلات صوافي الإسلام في كل بلد. فإن للأقصى منهم مثل الذي للأدنى، وكل قد استرعيت حقه، فلا يشغلنك عنهم بطر، فإنك لا تعذر بتضييعك التافه لأحكامك الكثير المهم فلا تشخص همك عنهم، ولا تصعّر خدك لهم. وتفقّد أمور من لا يصل إليك منهم، ممن تقتحمه العيون وتحقره الرجال ففرّغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع، فليرفع إليك أمورهم، ثم اعمل فيهم بالإعذار إلى الله يوم تلقاه. فإن هؤلاء من بين الرعية أحوج إلى الانصاف من غيرهم. وكل فاعذر إلى الله في تأدية حقه اليه. وتعهد أهل اليتم، وذوي الرقة في السن ممن لا حيلة له ولا ينصب للمسألة نفسه»[2].

(١) التهذيب ٤: ٢٠ / ٥٢، الاستبصار ٢: ١٩ / ٥٦ و٢٣ / ٦٢.

(٢) نهج البلاغة ص ٤٣٨، الرسالة ٥٣ وينظر اقتصادنا: السيد محمد باقر الصدر ص٦٦٧

ثم يقول (عليه السلام): «وَلاَ تُوَكِّلْ بِهَا إِلاَّ نَاصِحاً شَفِيقاً، وَأَمِيناً حَفِيظاً، غَيْرَ مُعَنِّف وَلاَ مُجْحِف، وَلاَ مُلْغِب وَلاَ مُتْعِب. ثُمَّ احْدُرْ إِلَيْنَا مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ، نُصَيِّرْهُ حَيْثُ أَمَرَ اللهُ بِهِ. فَإِذَا أَخذَهَا أَمِينُكَ فَأَوْعِزْ إِلَيْهِ: أَلاَّ يَحُولَ بَيْنَ نَاقَة وَبَيْنَ فَصِيلِهَا، وَلاَ يَمْصُرَ لَبَنَهَا فَيَضُرَّ ذلِكَ بِوَلَدِهَا، وَلاَ يَجْهَدَنَّهَا رُكُوباً، وَلْيَعْدِلْ بَيْنَ صَوَاحِبَاتِهَا فِي ذلِكَ وَبَيْنَهَا، وَلْيُرَفِّهْ عَلَى اللاَّغِبِ، وَلْيَسْتَأْنِ بِالنَّقِبِ وَالظَّالِعِ، وَلْيُوِرِدْهَا مَا تَمُرُّ بِهِ مِنَ الْغُدُر، وَلاَ يَعْدِلْ بِهَا عَنْ نَبْتِ الأَرْضِ إِلَى جَوَادِّ الطُّرُقِ، وَلْيُرَوِّحْهَا فِي السَّاعَاتِ، وَلْيُمْهِلْهَا عِنْدَ. النِّطَافِ وَالاَعْشَابِ، حَتَّى تَأْتِيَنَا بِإِذْنِ الله بُدَّناً مُنْقِيَات، غَيْرَ مُتْعَبَات وَلاَ مَجْهُودَات، لِنَقْسِمَهَا عَلَى كِتَابِ الله وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ(عليه السلام) فَإِنَّ ذلِكَ أَعْظَمُ لِاجْرِكَ، وَأَقْرَبُ لِرُشْدِكَ، إِنْ شَاءَ اللهُ»[1].

يوصي الإمام (عليه السلام) عامله على الخراج بالرفق في الحيوان رفقا رقيقا على وجه العموم، فلا يرهقه في المسير ولا الحمل والركون، ولا يحرم الصغير من لبن أمه، وتجب مراعاة الهزيل والمريض بما يستدعيه ضعفه ومرضه، ولا يجار عليه إذا تلكأ في السير. قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): للدابة على صاحبها خصال ست: أن يبدأ بعلفها إذا نزل، ويعرض عليها الماء إذا مر به، ولا يضرب وجهها، ولا يقف على ظهرها إلا في سبيل الله، ولا يحمّلها فوق طاقتها، ولا يكلفها من المشي إلا ما تطيق[2]، وليس هناك من البر بالحيوان مثل الذي ذكره الامام (عليه السلام).

أقول: تعد هذه الوصايا والبنود التي أوردناها من نص خطاب الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) دستورا حقيقيا في التعامل الاسلامي في المجتمع، وحاكيا عن الرأفة والرحمة بالناس البسطاء الذين يعيشون على كد أيديهم ووفرة أنعامهم، وكثير ما واجه هؤلاء مرارة العيش وظلم السلاطين.

(١) نهج البلاغة: خطب الإمام علي عليه السلام، ج٣ ص٢٥.

(٢) في ظلال نهج البلاغة: محمد جواد مغنية، ج٣ ص٤٤٩

ويقول (عليه السلام) في قسم من العهد:

وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله، وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد ولم يستقم أمره إلا قليلا فإن شكوا ثقلا أو علةً أو انقطاع شرب أو بالة أو إحالة أرض اغتمرها غرق أو أجحف بها عطش خففت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم، ولا يثقلن عليك شيء خففت به المئونة عنهم فإنه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك وتزيين ولايتك مع استجلابك حسن ثنائهم وتبجحك باستفاضة العدل فيهم، معتمداً فضل قوتهم بما ذخرت عندهم من إجمامك لهم والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم ورفقك بهم، فربما حدث من الأمور ما إذا عولت فيه عليهم من بعد احتملوه طيبةً أنفسهم به، فإن العمران محتمل ما حملته وإنما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها وإنما يعوز أهلها لإشراف أنفس الولاة على الجمع وسوء ظنهم بالبقاء وقلة انتفاعهم بالعبر[1].

يؤكد الامام (عليه السلام) في هذا المقطع من العهد، إن الدولة التي تعتمد على الضرائب والخراج، لابد لها ان توفر مقدماته وتهيئة السبل أمامه.

ويركز الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) على الطبقتين الاقتصادية والاجتماعية، وهما المكلفتان بدفع الخراج، اي المستثمرين الزراعيين وغيرهم من المنتجين في الأرض التي عليها الخراج وهي أراضٍ واسعة تتميز بخصوبة تربتها، وبزراعتها لمحاصيل استراتيجية مهمة كالحنطة والشعير والتمر والزبيب... وغيرها،

(١) نهج البلاغة: رسالة ٥٣.

و الذين يعملون فيها شريحة واسعة من المجتمع، حيث يعد النشاط الزراعي، النشاط الأول بالاقتصاد القومي، ومن ثم فهو السبب الرئيسي في العمارة حتى إن هذه الأراضي الخراجية تسمى بأرض السواد، وهي أرض العراق وبلاد الشام ومصر، إضافة إلى أرض بلاد فارس وأرض خيبر وغيرها من الأراضي الخراجية التي تحقق للدول الإسلامية موارد مالية كبيرة مقارنة بالموارد المالية الأخرى، لذلك نلاحظ أن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) أكد على أهمية تفقد أمر الخراج، أي متابعته تفصيلية وشاملة لكل من الخراج وأهل الخراج، أي دراسة كافية لحقوق الدولة وحقوق أهل الخراج على حد سواء وآثارهما على من سواهم (المجتمع). ويعد ذلك بمثابة وضع نظام مالي متوازن بالخراج يخدم أهل الخراج (المنتجين الزراعيين)، أي يعمل على تحفيزهم وحثهم على الاستمرار في العمل في النشاط الزراعي وعلى زيادة الإنتاج، سواء كان من خلال زيادة الإنتاجية الكلية أو من خلال زيادة المساحة المزروعة، أي خلق حالة من المنافسة بين هؤلاء المنتجين الزراعيين على توسيع الإنتاج الزراعي واحساسهم بأهمية الإنتاج الذي يقومون بتحقيقه، وانهم شريحة مهمة في المجتمع، حيث يعتمد عليهم في إصلاح بقية المجتمع بعد أن يتحقق الإصلاح في الخراج وأهل الخراج، ولا يتحقق الإصلاح ببقية فئات المجتمع وبقية النشاطات الاقتصادية الأخرى إلا بعد أن تصلح كل من الخراج وأهل الخراج، وذلك لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله[1].

فضلاً عن تقديم الإعانة للمزارعين وسد احتياجاتهم وتخفيف المؤن (الخراج) عنهم: لأن الزراعة من أهم وسائل التنمية والاكتفاء الذاتي، فقد ورد في الاخبار ما يدل على استحباب الزراعة، وفي الوقت نفسه أباح إحياء الأرض وحيازة المباحات فيها: روى سيابة أنّ رجلاً سأل الصادقَ (عليه السلام): أسمع قوماً

(١) الإمام علي بن أبي طالب وسياسته في الخراج لمعالجة السكن والاعمار: رضا صاحب أبو حمد: ص١٢١.

يقولون: إنّ الزراعة مكروهة، فقال: « ازرعوا واغرسوا، فلا والله ما عمل الناس عملاً أحلّ ولا أطيب منه، والله لنزرعنّ الزرع ولنغرسنّ غرس النخل بعد خروج الدجّال[1].

وسأل هارون بن يزيد الواسطي الباقرَ (عليه السلام) عن الفلاّحين، فقال: هُم الزارعون كنوز الله في أرضه، وما في الأعمال شيء أحبّ إلى الله من الزراعة، وما بعث الله نبيّاً إلاّ زارعاً، إلاّ إدريس (عليه السلام) فإنّه كان خيّاطاً[2].

سئل النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أي الأعمال خير؟ قال زرع زرعه صاحبه وأصلحه وأدى حقه يوم حصاده قال فأي المال بعد الزرع خير؟ قال رجل في غنم له قد تبع بها مواضع القطر يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة قال فأي المال بعد الغنم خير قال البقر تغدو بخير وتروح بخير قال فأي المال بعد البقر خير؟ قال الراسيات في الوحل المطعمات في المحل نعم المال النخل من باعها فإنما ثمنه بمنزلة رماد على رأس شاهق اشتدت به الريح في يوم عاصف إلا أن يخلف مكانها[3] .

وعن الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال «أيما قوم احيوا شيئا من الأرض او عمروها فهم أحق بها، وسئل الإمام أبو عبد الله الصادق (عليه السلام) عن الرجل يأتي الأرض فيستخرجها، ويجري أنهارها ويعمرها (ويزرعها، ماذا عليه؟ قال (عليه السلام): الصدقة، قلت: فإن كان يعرف صاحبها: قال فليؤد اليه حقه فالأرض الله ولمن يقوم بعمارتها، لا لمن تركها وخربها»، وفي الحديث الشريف من أحيا أرضا ميتا من المسلمين، فليعمرها وليؤد خراجها إلى الإمام من

(١) الكافي ٥: ٢٦٠ / ٣، التهذيب ٦: ٣٨٤ - ٣٨٥ / ١١٣٩.

(٢) التهذيب ٦: ٣٨٤ / ١١٣٨

(٣) الوافي: الفيض الكاشاني الجزء: ١٧ ص١٣١

أهل بيتي وله من أكل منها، فإن تركها أو خربها، فأخذها رجل من المسلمين من بعده فعمرها وأحياها فهو أحق بها من الذي تركها فليؤد خراجها.[1]

وهذا يعني أن هناك حثاً من الشارع المقدس على العمل وعلى إحياء الأرض واستثمارها والاستفادة منها، فيتولد من هذا الاستثمار زيادة في الدخل الفردي للمواطن، فيترتب على هذه توفير الرفاهية والسعادة والرخاء، ويعد هذا الاستثمار العنصر الاساسي في القضاء على عامل البطالة، والارض لمن أحياها وهي له طالما يقوم بإعمارها والعمل فيها في احد النشاطات التي يحتاجها المجتمع، وعندما يتركها يحق للآخرين الاستفادة منها.

ويجوز لكل أحد إحياء أراضي الموات، فلو أحياها كان أحق بها من غيره سواء أكان في دار الإسلام، أم في دار الكفر، وسواء أكان في أرض الخراج أم في غيرها، وسواء أكان المحيي مسلما أم (كافرا، وليس عليه دفع الخراج أو أجرة الأرض إذا كان مؤمنا[2].

فيتحصل من كلامه (عليه السلام) في سياسة في جباية الخراج أمور بالغة الأهمية تعد دستورا في القيادة والادارة:

أولاً: يتحدث الامام (عليه السلام) في بداية كلامه عن تقوى الله سبحانه وتعالى وإطاعة أمره واجتناب معاصيه، مما لاريب فيه ان التقوى تحكم الإنسان وتمنعه من ارتكاب المعاصي، وتجعله يمارس حياته بكل سعادة وطمأنينة، ويسعد الناس فيما لو كان حاكما عليهم.

(١) هدى الطالب إلى شرح المكاسب: جعفر مروج الجزائري:، ط٢، انتشارات دار المجتبى ج ٦،ص ٤٧٥،

(٢)، تفسير مجمع البيان، الطبرسي، المجمع العالمي لأهل البيت، ج،١.

ثانياً: يؤكد الامام (عليه السلام) في وصيته لعماله بعدم التحميل بما لا يطاق، أي تكليف الناس فيما يجبونه فوق طاقتهم، ويوصيهم ايضا بأن يتحدثوا معهم بالمعروف بما هو واقع.

ثالثاً: ويوصي (عليه السلام) عماله بالإنصاف بين الناس، والسعي في قضاء حوائجهم، ويعتبرهم الامام (عليه السلام) خدام الرعية وأمناءها وخزان أموالها.

رابعاً: عدم الاحتجاب ومنع الناس من الالتقاء بالوالي او المتصدي لهذه المسؤولية، فإن ذلك مما يولد النفرة والبغضاء بين الحاكم والمحكوم او الراعي والرعية.

خامساً: إلغاء مبدأ الضمان بين الناس، أي يؤخذ أحدهم بجرم غيره أو كفيل عنه.

سادساً: يؤكد الامام (عليه السلام) على الاهتمام بأعمال المواطنين وانجازها بالوقت المحدد من دون تأخيرها.

المسألة الثامنة: سياسة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في بيت مال المسلمين ومصارفه.

بيت المال: هو ذلك المكان الذي يتم فيه جمع كل ما يأتي إلى الدولة الاسلامية، من الخمس والزكاة والجزية والخراج وغيرها: سواء كانت أموالاً نقدية أو عينية، كالأغنام والابل والابقار والتمور وسائر الغلات، ويجب على الحاكم [1]

ـ مشروعية بيت المال:

نستطيع أن نعرف مشروعية بيت المال من خلال القرآن الكريم وروايات أهل البيت (عليهم السلام) حيث ذكر في كتاب الله وظائف مالية عديدة متفرعة

(١) ينظر: فقه الدولة: للصفار، ج٢، ص ٤٥٢.

عن بيت المال، وأشارت آيات كثيرة بدلالة مفهومها العام إلى مشروعية بيت المال حيث أمر الله تعالى بأخذ الزكاة وتوزيعها، وحدد أصحاب الفيء، وأوضح طرق صرف الأموال المأخوذة في مصالح الأمة عامة، ولا يتم ذلك إلا من خلال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وولي الأمر من بعده، فضلاً عن مورد الغنائم وخُمسها. من هذه الآيات، ما ورد في قوله تعالى: «خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ»(١).

حيث يخاطب الله سبحانه وتعالى نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) ويحثه على العطاء والأخذ، وأخذه وعطاؤه صلى الله عليه وآله وسلم هو أخذ ولي بيت المال.

ومن الآيات الأخرى الدالة على بيت المال، ما ورد في قوله تعالى: «إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ»(٢).

إشارة إلى موارد صرف الصدقات التي تخرج من بيت المال، والعاملون عليها هم مكلفون من قبل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بشخصيته المعنوية المتولية لشؤون المسلمين عامة، وكذلك الأمر بالنسبة لمن خلفه من الاوصياء.

ومن الآيات قوله تعالى: (مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)(٣).

(١) التوبة: ١٠٣.

(٢) التوبة: ٦٠.

(٣) الحشر الآية ٨.

إشارة إلى أن الفيء مال عاد للمسلمين من أعدائهم حصلوا عليه من دون قتال، فمن يقوم برعايته؟ ولا ريب أنه بحاجة إلى جمع وإحصاء وحفظ وتوزيع وهذا بالجملة ما يقوم به بيت المال.

وقال تعالى: (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لله خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آَمَنْتُمْ بِالله وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَالله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[1].

بينت الآية المباركة خُمس الغنيمة في مصارف محددة أما ما يتبقى فيأخذه الغانمون، والخمس المتروك هو حق للرسول صلى الله عليه وسلم ولولي أمر الأمة من بعده للتصرف فيه بأشخاصهم المعنوية، وهذا في الحقيقة من مهام بيت المال.

هذه أهم مهام يقوم بها بيت المال في الحكومة الاسلامية وتحديد مشروعيته وفق النظرية القرآنية.

وأما الروايات التي تدل على بيت المال، فعلى الرغم من كثر وجود لفظ في روايات أهل البيت يدل على بيت المال، ولكن هناك اشارة واضحة على أن هناك وظائف لبيت المال كانت قائمة، تدل صراحة عليه، منها ما ورد في حديث جابر ابن عتيك، عن النبي [صلى الله عليه وآله وسلم] قال:

(سيأتيكم رَكبٌ مُبغَضون، فإن جاءوكم فرّحبوا بهم، وخلّوا بينهم وبين ما يبتغون، فإن عَدلوا فلِأنفسهم، وإن ظَلَموا فعليها، وأرضُوهم، فإن تمام زكاتكم رضاهم، وليدعوا لكم)[2].

(١) الأنفال: ٤١

(٢) الفتوحات المكية (ط.ج): ابن عربي الجزء: ٨ ص٣٦٤

ولقد ثبت عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه كان يوكل بعض أصحابه بحفظ مال الصدقة وحراسته مما يدل على إباحة حفظ مال الأمة في أي مكان يراه ولي الأمر، ومن ذلك ما ورد في صحيح البخاري، والحديث مرفوع عن أبي هريرة قال: (وكّلني رسول الله [صلى الله عليه وآله وسلم] بحفظ زكاة رمضان فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنّك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم)[1].

وذكر البخاري عن عائشة أن فاطمة بنت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أرسلت إلى أبي بكر تسأل ميراثها من رسول الله صلى الله عليه (وآله) مما أفاء الله عز وجل بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر، فقال أبو بكر إن رسول الله صلى الله عليه (وآله) قال لا نورث ما تركناه صدقة، إنما يأكل آل محمد في هذا المال وإني والله لا أغير شيئا من صدقة رسول الله صلى الله عليه (وآله) عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله صلى الله عليه (وآله) ولأعملن فيها بما عمل به رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم[2].

ـ في مصارف بيت المال :

من هنا نتحدث عن مصارف بيت مال المسلمين، ما في نهج البلاغة من كلام لمولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) كلّم به عبد الله بن زمعة لما قدم عليه يطلب منه مالا، فقال (عليه السلام):

«إن هذا المال ليس لي ولا لك، وإنما هو فيء للمسلمين وجلب أسيافهم، فإن شركتهم في حربهم كان لك مثل حظّهم، وإلا فجناة أيديهم لا تكون لغير أفواههم»[3].

(١) صحيح البخاري، ج٣، ص٦٣.

(٢) روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه: محمد تقي المجلسي (الأول) ج٨

(٣) نهج البلاغة، فيض / ٧٢٨ عبده ٢ / ٢٥٣ لح / ٢٥٣، الخطبة ٢٣٢.

ويؤكد الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) الالتزام بالمبادئ العامة عند الصرف من بيت مال المسلمين واعتماد مبدأ التسوية في العطاء. ومن كتاب له عليه السلام إلى مصقلة بن هبيرة الشيباني وهو عامله على أردشير خره: (بلغني عنك أمر إن كنت فعلته فقد أسخطت إلهك وأغضبت إمامك: أنك تقسم فيء المسلمين الذي حازته رماحهم وخيولهم وأريقت عليه دماؤهم فيمن اعتامك من أعراب قومك. فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لئن كان ذلك حقا لتجدن بك علي هوانا، ولتخفن عندي ميزانا. فلا تستهن بحق ربك، ولا تصلح دنياك بمحق دينك فتكون من الأخسرين أعمالا، ألا وإن حق من قبلك وقبلنا من المسلمين في قسمة هذا الفيء سواء يردون عندي عليه ويصدرون عنه)[1].

وقال (عليه السلام) لطلحة والزبير:

«وأما ما ذكرتما من أمر الأسوة فإن ذلك أمر لم أحكم أنا فيه برأيي ولا وليته هوى مني، بل وجدت أنا وأنتما ما جاء به رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد فرغ منه، فلم أحتج إليكما فيما فرغ الله من قسمه وأمضى فيه حكمه. فليس لكما والله عندي ولا لغيركما في هذا عتبى. أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحق، وألهمنا وإياكم الصبر»[2].

وفي الوسائل في رواية مروان بن الحكم، قال: (لما هزمنا علي (عليه السلام) بالبصرة.. فقال له قائل: يا أمير المؤمنين، اقسم الفيء بيننا والسبي)[3].

ويؤكد الامام (عليه السلام) في مورد مصروف (بيت المال) كرواتب لموظفي الدولة، للولاة والقضاة والجنود.

(١) نهج البلاغة: خطب الإمام علي (عليه السلام) ج: ٣ ص٦٨

(٢) المصدر نفسه، ج: ٢ ص١٨٥

(٣) الوسائل ١١ / ٧٤، الباب ٣٥ من أبواب جهاد العدوّ، الحديث ٢.

كما جعل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) راتبا لأسيد حينما جعله حاكما على مكة، وكان عمر يعطي الراتب لكل من سلمان حينما ولاه المدائن وعمار حينما أرسله إلى الكوفة[١]، كما فصل الفقهاء مسألة رزق القاضي من بيت المال[٢].

بالنسبة للولاة: يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): ثم أسبغ عليهم الأرزاق فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم وحجة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك [٣].

وأما بالنسبة للقضاة: يقول (عليه السلام): وافسح له في البذل ما يزيح علته وتقل معه حاجته إلى الناس، وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره[٤].

وبالنسبة إلى الجنود: ثم لا قوام للجنود إلَّا بما يخرج الله لهم من الخراج الَّذي يقوون به فى جهاد عدوّهم، ويعتمدون عليه فيما يصلحهم، ويكون من وراء حاجتهم[٥]..... وليكن آثر رؤوس جندك عندك من واساهم في معونته وأفضل عليهم من جدته بما يسعهم ويسع مَن وراءهم من خلوف أهليهم حتّى يكون همّهم همّاً واحداً في جهاد العدوّ[٦]. ويؤخذ من بيت المال في سد حاجات الناس، وقد ورد في الاخبار أن مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) مر بشيخ مكفوف كبير يسأل، فقال أمير المؤمنين ما هذا؟ فقيل له: يا أمير المؤمنين انه نصراني. فقال الإمام: استعملتموه حتى إذا كبر وعجز منعتموه!!. انفقوا عليه من بيت المال[٧]،

(١) فقه الدولة: للصفار ج٢ ص٤٥٢

(٢) الجواهر: الشيخ حسن النجفي ج٤٠ ص٥١

(٣) نهج البلاغة خطب الإمام علي ج٣ ص٩٦ رسالة ٥٣

(٤)المصدر نفسه، ج٣ ص٧٠

(٥) المصدر نفسه، ج٣ ص٧١.

(٦) نهج البلاغة: ٥٣

(٧) الوسائل ج ١١، ص ٤٩، الحديث ١٩٩٩٧. وينظر كتاب اقتصادنا، السيد محمد باقر الصدر،ص٦٦٩.

حيث أن ضمان الدولة لا يختص بالمسلم فقط دون غيره، فالذمي الذي يعيش في كنف الدولة الإسلامية إذا كبر وعجز عن الكسب، كانت نفقته من بيت المال

وقال (عليه السلام) لقثم بن عباس عامله على مكة:

(وانظر إلى ما اجتمع عندك من مال الله فاصرفه إلى من قبلك من ذوي العيال والمجاعة مصيبا به مواضع الفاقة والخلات، وما فضل عن ذلك فاحمله إلينا لنقسمه فيمن قبلنا)[1].

واذا بقي في بيت المال شيء وكان غالبا ما يبقى قسمه الحاكم بين المسلمين بالتساوي، كما كان يفعله الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم حرفه عمر باجتهاد خاطئ، وزاد فيه عثمان حيث وزعه بين عشيرته وقبيلته دون المسلمين[2] ولكن في عهد الإمام علي (عليه السلام) أرجع مصارفه الزائدة إلى ما كانت في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، يقول (عليه السلام) فيما رده على المسلمين من قطائع عثمان: والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملك به الإماء لرددته، فإنّ في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق[3].

يظهر من كلام الامام (عليه السلام) أنّ من وظائف الحاكم الإسلامي ردّ الأموال العامّة المغصوبة المتعلقة بالمجتمع إلى أهلها، والسبب للزوم التقسيم بالسوية بين المسلمين أنهم جميعا جنود الاسلام، واللازم أن يعطوا بالتساوي، ولذا ورد في زيارة مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) (وأنت القاسم بالسوية)، حيث المستفاد من سيرته (عليه السلام) أنه قسم الزائد من بيت مال المدينة بالسوية،

(١) نهج البلاغة خطب الإمام علي، ج٣، ص١٢٨.

(٢) الفقه: السيد محمد حسين الشيرازي: ج١٠٨، كتاب الاقتصاد، ص٥١

(٣) نهج البلاغة: خطب الإمام، ج١ ص٤٦، كتاب ١٥.

فأعطى لكل إنسان ثلاثة دنانير كما قسم بيت مال البصرة لكل إنسان خمسمائة درهم، وقسم بالسوية في الكوفة فيما جاءه من المال، حيث جعله سبعة أسباع كل محلة سبعا حتى جعل الخبز الذي كان مع المال سبعة أقسام،ثم أقرع بينهما،وكل اسم خرج على واحد من هذه الاسماء أعطاه إياه[1].

ويستفاد ايضا أنه كان لكل بلد بيت مال، وكان بيت المال يقسم بين أهالي البلد بالسوية بعد استخراج الوظائف والطوارئ، ولا يلاحظ في التقسيم بالسوية الغني والفقير وغيرهما، والتقسيم في كل بلد بحسب ضروراته، ويدل عليه بالإضافة إلى ما عرفته من سيرة أمير المؤمنين (عليه السلام) في المدينة والبصرة والكوفة.

والروايات في هذا المجال متضافرة، منها ما ورد عن الهاشمي عن أبي عبدالله الصادق (عليه السلام) في حديث أنه قال لعمرو بن عبيد (ما تقول في الصدقة)؟ فقرأ عليه الآية (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا)، إلى آخر الآية، قال نعم فكيف تقسمها؟ قال أقسمها على ثمانية أجزاء فأعطي كل جزء من الثمانية جزءا قال وإن كان صنف منهم عشرة آلاف وصنف منهم رجلا واحدا أو رجلين أو ثلاثة جعلت لهذا الواحد مثل ما جعلت للعشرة آلاف؟ قال: نعم، قال: وتجمع صدقات أهل الحضر وأهل البوادي وتجعلهم فيها سواء قال نعم قال (فقد خالفت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في كل ما قلت، في سيرته كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يقسم صدقة أهل البوادي في أهل البوادي وصدقة أهل الحضر في أهل الحضر ولا يقسمه بينهم بالسوية وإنما يقسمه على قدر ما يحضره منهم[2].

(١) فقه الدولة:للصفار: ج٢ ص٤٥٤

(٢) الوافي، الفيض الكاشاني، ج: ١٥ ص٨٧؛ وينظر الكافي، ج٥، ص٢٦ ح١؛ وينظر الوسائل، ج٩

ويستفاد من هذه الرواية أمور ثلاثة:

ـ إن صدقات كل بلد ومنطقة تصرف لأهلها.

ـ يكون التقسيم حسب الأفراد لا بحسب الاصناف.

ـ يكون التقسيم وفق الحاجة الفعلية من دون النظر إلى المستقبل.

ومن هذه الروايات وغيرها نفهم سياسة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في بيت المال وفي الموارد التي تجبى اليه، واحتياطه في أموال الدولة، إن الحاكم يجب أن يكون أمينا ووصيا على بيت المال ولا يحق له التصرف به إلا وفق الأطر الشرعية، وخلاف ذلك يعد خائنا ويجب معاقبته.

وروي عنه (عليه السلام) أنه لم يمنح أي شيء من بيت المال لسبطي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنه عاملهم بغير ما عامل به أبناء المسلمين.

يقول (عليه السلام): في مورد وفود أخيه عقيل عليه: (والله لقد رأيت عقيلا وقد أملق حتى استماحني من بركم صاعا)، ورأيت صبيانه شعث الشعور، غبر الألوان من فقرهم، كأنما سودت وجوههم بالعظلم، وعاودني مؤكدا، وكرر علي القول مرددا، فأصغيت إليه بسمعي، فظن أني أبيعه ديني وأتبع قياده مفارقا طريقتي، فأحميت له حديدة، ثم أدنيتها من جسمه ليعتبر بها، فضج ضجيج ذي دنف من ألمها، وكاد أن يحترق من ميسمها. فقلت له: ثكلتك الثواكل، يا عقيل! أتئن من حديدة أحماها إنسانها للعبه، وتجرني إلى نار سجرها جبارها لغضبه! أتئن من الأذى ولا أئن من لظى؟! وأعجب من ذلك طارق طرقنا بملفوفة في وعائها،

ص٢٦٥ ح١١٩٨٧ باب ٢٨ من أبواب المستحقين للزكاة.

ومعجونة شنئتها، كأنما عجنت بريق حية أو قيئها. فقلت: أصدقة أم نذر أم زكاة ؟وكل ذلك محرم علينا أهل البيت. فقال: لا ولا ذلك، ولكنها هدية، فقلت: هبلتك الهبول! أعن دين الله أتيتني لتخدعني؟ أمختبط أنت أم ذو جنة أم تهجر؟ والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها واسترق لي قطانها مذعنة بأملاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة فألوكها ما قبلت ولا أردت. وإن دنياكم عندي أهون من ورقة في فم جرادة تقضمها، ما لعلي ونعيم يفنى، ولذة لا تبقى! نعوذ بالله من سبات العقل، وقبح الزلل، وبه نستعين)[1].

فيتحصل: مما سبق عرضه: إن الايرادات المالية للدولة الاسلامية كانت عند الامام (عليه السلام) هدفا أساسيا يجب أن يمارسه القائد والحاكم في أي دولة، وتمثل هذه المسألة مدخلا مهما لنظام الحكم والادارة في النظرية الاسلامية

فضلاً عن أن جباية الخراج والضرائب من قبل الدولة في قبال تأمين الخدمات وسد احتياجات الناس، وتعد هذه المسألة مؤشرا مهما على المسؤوليات الخطيرة الملقاة على عاتق الدولة.

(١) رسائل الشريف المرتضى: الشريف المرتضى ج٣ ص١٤٠

المبحث الثاني

السياسة الحربية المتمثلة بالجهاد توفير الأمن والدفاع

قوله عليه السلام: (وَجِهَادَ عَدُوِّهَا).

يتحدث الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا المقطع من العهد الشريف عن السياسة الحربية المتمثلة بالجهاد، يعني توفير الأمن للمواطنين والدفاع عن البلاد ضد الاعتداءات الخارجية، (وَجِهَادَ عَدُوِّهَا)[1].

ونلاحظ أن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) يؤكد في كلامه على موضوع الأمن والدفاع وموضوع الجهاد، ويعدّه من الركائز الأساسية في القيادة والإدارة، ومن المهام الرئيسية للحاكم، لكي تبقى الدولة مصانة ومحترمة.

المسألة الأولى: مفهوم الجهاد لغة وشرعا.

الجهاد: على وزن فعال، وهو مأخوذ من الجهد (بالفتح) وهو بذل الوسع والمشقة أو الجهد (بالضم)، العمل ببذل الطاقة[2].

وباصطلاح الشرع: هو بذل النفس والمال والوسع في إعلاء كلمة الاسلام وإقامة شعائر الإيمان[3]، وإقامة شعائر الإيمان[4].

(١) نهج البلاغة خطب الإمام علي، ج٣، ص٣٨، رسالة ٣٥.

(٢) لسان العرب: ج٣ ص١٣٣ مادة (جهد)؛ وينظر: مفردات الفاظ القرآن الكريم: ص٩٩ مادة (جهد).

(٣) جواهر الكلام: الشيخ النجفي ج٢١، ص٣

(٤) فقه الصادق: السيد محمد صادق الروحاني، ج١٣، ص٩؛ وينظر مسالك الأفهام: للشهيد الاول، كتاب الجهاد ج١ ص ١٤٨؛ منهاج الصالحين، السيد الخوئي، ج١، ص٦٣.

وبهذا المعنى العام تقوم الأديان السماوية حدوثا وبقاء بالنسبة إلى الأفراد والأنواع، فليس قوام الدّين بالجهاد في جهة خاصة فقط، وهي المجاهدة مع الكفار، بل هو متقوّم به بمعناه العام فردا أو نوعا، وكما أنّه علة محدثة للدّين علة مبقية له أيضا[1].

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[2].

المسألة الثانية: أهمية الجهاد في الاسلام.

وهو من أعظم أركان الإسلام وأفضل الأعمال بعد الفرائض[3]، والجهاد أفضل الأعمال بعد العقائد الاسلامية والايمانية حتى الصلوات اليومية وإن كان لها في نفسها مزيد فضل عليه لكنه أفضل بحسب الجهات الخارجية لأن الطاعة لله والعبودية له فرع محبته والعمل بجميع التكاليف مرجعها إلى حب الله لأن المحب الحقيقي يتلذذ بخدمة المحبوب[4]، وإطلاق كلماتهم في غايته يشمل ما كان لأجل بسط الإسلام العزيز أو الدفاع عنه أو إنقاذ المستضعفين موقوف على الجهاد.

أما الاول والثاني فواضحان، وأما الثالث فلأن نصرة المظلوم انتصار للحق، وهو من كلمات الإسلام العليا، قال تبارك وتعالى: ﴿**وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرا**﴾[5].

(١) مهذب الأحكام في بيان الحلال والحرام: السيد عبد الأعلى السبزواري ج١٥ ص٧٨.

(٢) التوبة: ٧٣.

(٣) فقه الدولة: للصفار مصدر سابق ج٢ ص٤٨٩.

(٤) كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء (ط.ق): الشيخ جعفر كاشف الغطاء ج٢ ص٣٨٢.

(٥) النساء: ٧٥.

وكذا محاربة البغاة، فإن البغاة إذا تغلبوا لم تكن كلمة الله هي العليا، بل كانت الكلمة للشيطان[1].

فالجهاد هو وسيلة للحياة، وهو مدخل لتحقيق الحرية، وهو مدخل لتحقيق الكرامة الإنسانية، وهذه ثلاثة واجبات ومهمات أساسية للجهاد، وبه تتحقق هذه السمات الثلاث الأساسية، يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): (**إن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصّة أوليائه، إلى أن قال هو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة، وجنّته الوثيقة، فمن تركه، ألبسه الله تعالى الذلة ولشمله البلاء والصغار وقد قلت لكم وأمرتكم أن تغزوا هؤلاء القوم قبل أن يغزوكم، فإنه ما غزي قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا**)[2]، فهو مدخل للحياة ومدخل للحرية ومدخل للكرامة الإنسانية، وعنه عليه السلام: (**إنّ الله فرضَ الجِهاد، وعظَّمه، وجعله نصره وناصره، والله ما صلُحت دنيا ولا دين إلا به**)[3].

وعن مولانا الباقر (عليه السلام): إنّه كتب في رسالته إلى بعض خُلفاء بني أُميّة: (**ومن ذلك ما صنع في الجهاد الذي فضّله الله عزّ وجلّ على الأعمال، وفضّل عامله على العمّال تفضيلًا في الدرجات، والمغفرة، والرحمة لأنّه ظهر به الدين، وبه يدفع عن الدين، وبه اشترى الله من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنّة، بيعاً مُفلحاً مُنجحاً، اشترط عليهم فيه حفظ الحدود، وأوّل ذلك الدعاء إلى طاعة الله تعالى من طاعة العباد، وإلى عبادة الله من عبادة العباد، وإلى ولاية الله من ولاية العباد**)[4].

(١) فقه الدولة: للصفار ج٢ ص٤٩٠

(٢) نهج البلاغة: خطب الإمام علي ج، ص٦٧، خطبة ٢٧.

(٣) الكافي ج٥: ص٨ ح ١١، هداية الأُمّة ٥: ٥١٩ ح ٣، الوسائل ١١: ٩ أبواب جهاد العدوّ ب ١ ح ١٥.

(٤) الكافي ج٥: ص٣ ح ٤، تفسير نور الثقلين ٢: ٢٦٩ ح ٣٥٦، الوسائل ١١: ٦ أبواب جهاد العدوّ ب ١ ح ٨، وفيه: ما ضيّع الجهاد

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق**»[1].

وعن أبي عبد الله عليه السلام: (**لكل شيء زكاة، وزكاة الأجسام الصوم**)[2].

وفُرِض الجهاد سياحة للأمة، وبابا للجنة، وعزا للآباء، ومجدا للأبناء، فعن عثمان بن مظعون: (قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن نفسي تحدثني بالسياحة وأن الحق بالجبال، فقال: يا عثمان، لا تفعل، فإن سياحة أمتي الغزو والجهاد)[3].

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (اغزوا تورثوا أبناءكم المجد)[4].

وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم): (الخير كله في السيف وتحت السيف)[5].

وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم): (خيول الغزاة خيولهم في الجنة)[6].

المسألة الثالثة: أقسام الجهاد.

يقسم الجهاد تقسيما أوليا إلى:-

أولاً: الجهاد الاصغر.

ثانياً: الجهاد الاكبر.

---

(١) منتهى الطلب، العلامة الحلي ج٢، ص٨٩٨.
(٢) الوافي، الفيض الكاشاني، ج١١، ص٢٥.
(٣) الوسائل، ج ٣: ص ١٦.
(٤) الوسائل، ج ١١: ص ٩.
(٥) المصدر نفسه. المكان نفسه.
(٦) الوسائل، ج١١: ص١٢٠.

ويعرف الاول: بجهاد الكفار والبغاة، وهو مقاتلة ومجاهدة الكفار الذين يرتدوّن عن الاسلام، والبغاة هؤلاء الذين يخرجون على المسلمين، كقتال أهل القبلة.

وفي قرب الإسناد عن جعفر عن أبيه عليهم السلام « إن عليا عليه السلام لم يكن ينسب أحدا من أهل البغي إلى الشرك ولا إلى النفاق، ولكن كان يقول: إخواننا بغوا علينا»[1].

وفي الدعائم عن علي عليه السلام: «أنه سئل عن الذين قاتلهم من أهل القبلة أكافرون هم؟ قال: كفروا بالأحكام وكفروا بالنعم، ليس كفر المشركين الذين دفعوا النبوة ولم يقروا بالإسلام، ولو كانوا كذلك ما حلت لنا مناكحتهم ولا ذبائحهم ولا مواريثهم»[2].

إلى غير ذلك من النصوص الدالة على جريان حكم المسلمين على البغاة من حيث البغي في زمن الهدنة، فضلا عما هو المعلوم من تتبع كتب السير من مخالطتهم وعدم التجنب عن أسئارهم وغير ذلك من أحكام المسلمين، وإن وجب قتالهم على الوجه الذي ذكرناه، لكن ذلك أعم من الكفر، نعم الخوارج منهم قد اتخذوا بعد ذلك دينا، واعتقدوا اعتقادات صاروا بها كفارا لا من حيث كونهم بغاة، وأما تغسيلهم ودفنهم والصلاة عليهم فقد فرعه بعضهم على الكفر وعدمه، ولكن قد يقال بعدم وجوب ذلك وإن لم نقل بكفرهم حال حياتهم، ولكن لهم حكمهم بعد موتهم كما سمعته سابقا في مطلق منكر الإمامة [3].

(١) جواهر الكلام: الشيخ الجواهري ج٢١ ص٣٣٨

(٢) المستدرك - الباب - ٢٤ - من أبواب جهاد العدو - الحديث ١٤، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، حبيب الله الخوئي، ج٤، ص٦٦.

(٣) جواهر الكلام: الشيخ الجواهري، ج٢١، ص٣٣٨.

ويعرف الثاني: جهاد النفس:ـ وهو تحميل النفس على أداء الواجبات والاتيان بالخيرات وترك المحرمات والشرور، وهو واجب عيني أي يجب على كل مسلم ومسلمة.

فعن أبي عبد الله عليه السلام، أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعث بسرية فلما رجعوا قال: مرحبا بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر قيل: يا رسول الله وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس[1].

وقال عليه السّلام: أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه[2].

وقال عليه السّلام: المجاهد من جاهد نفسه[3].

ويقسم الجهاد تقسيما ثانيا حسب التكليف:ـ

أولاً: الجهاد العيني: جهاد النفس، اذا قام به أحد لا يسقط عن الآخر.

ثانياً: الجهاد الكفائي: جهاد الكفار والبغاة والخوارج وأهل الذمة والنواصب، اذا قام به أحد يسقط عن الآخر.

يقسم الجهاد تقسيما ثالثا حسب الموضوعية:ـ

أولاً: الجهاد الابتدائي: عبارة عن تحشيد الجيوش وتعبئتهم وفق الشروط الخاصة لمحاربة الكفار. مثل قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ الله وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ

(١) الوافي: الفيض الكاشاني، ج١٥، ص٦٢.

(٢) هداية الأمة إلى أحكام الأئمة (عليه السلام): الحر العاملي ج٥، ص٥٣٥.

(٣) المصدر نفسه: ج٥، ص٥٣٥.

الله يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ الله يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾[1]، والآية تنص على أن الغاية الاساسية من الإعداد والاستعداد هي إيجاد الرهبة الرادعة عن العدوان، فإذا لم يرتدع العدو كان المسلمون على استعداد لمقاومته، وهذا يتناسب مع مبدأ مشروعية الحرب الدفاعية[2].

ثانياً: الجهاد الدفاعي: وهو محاربة المعتدين دفاعا عن المسلمين وعن الوطن الإسلامي، وقد شرعه سبحانه وتعالى بقوله تعالى: ﴿**فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُواْ الله وَاعْلَمُواْ أَنَّ الله مَعَ الْمُتَّقِينَ**﴾[3]، يستفاد من الآية المباركة عدم انحصار العدوان بالقضايا الشخصية من جهة الانصراف كما يشهد له الإطلاق والسياق ولسان الخطاب الموجه إلى الجماعة، كما في قوله تعالى: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَالله يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**﴾[4]، بناء على ورود الماضي المجهول للإخبار لا الانشاء، فإنه عليه يكون إخبارا عن الواقع، وتحمل الكتابة على الغرض الخارجي من قبل الاعداء، وعلى الثاني يكون في مقام أصل الجعل وتشريع حكم الجهاد، وعلى الاول تكون الآية صريحة في إن المجتمع المسلم لا يبتدئ بالحرب، وإنما اذا استهدف بالعدوان الخارجي فحينئذ يتعين عليه القتال، وبهذه الآية شرع الله عز وجل للمسلمين ان يقاتلوا دفاعا عن انفسهم وعن المجتمع الاسلامي ودولته ضد من يعتدي عليهم من القوة المعادية، والخطاب

(١) سورة الانفال: ٦٠

(٢) فقه الدولة: ج٢ مصدر سابق: ص٤٩١

(٣) سورة البقرة: ١٩٤

(٤) سورة البقرة: ٢١٦

لم يوجه إلى فئه خاصة من المجتمع وإنما إلى الأمة بنحو عام[1]، وروي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه أنه قال: « الجهاد فرض على جميع المسلمين لقول الله تعالى « كتب عليكم القتال»[2]، وروي عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: عليكم بالجهاد في سبيل الله مع كل إمام عادل، فالجهاد في سبيل الله مع كل إمام عادل باب من أبواب الجنة «[3]

ويقسم الجهاد تقسيما ثالثا حسب الاهداف:ـ

اولاً: جهاد النصرة: وهو الذي شرعه الله سبحانه وتعالى، وأمر بالإعداد والاستعداد له على مستوى أخذ اليقظة والحذر، والدخول فيه فيما إذا فرضه العدو على المسلمين او غيرهم، وقد صرح القرآن الكريم بذلك في مثل قوله تعالى: **﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ الله عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا الله وَلَوْلا دَفْعُ الله النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ الله كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ الله مَن يَنصُرُهُ إِنَّ الله لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾**[4]، ويفهم من إطلاق الآية عدم انحصار الامر بفئة او جماعة معينة،بل كل من تعرض إلى الظلم والاضطهاد والتهجير، وهو المستفاد من قوله تعالى: **﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ الله الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ الله لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾**[5]

والآية على عمومها فإنها صريحة في أن المسلمين لم يبدأوا بقتال أحد عدوانا عليه، وإنما يقاتلون دفاعا عن بيضة الاسلام.

(١) فقه الدولة: ص٤٩٢

(٢) الوسائل، ج ١١، الباب ١ من أبواب جهاد العدو، ص ٨، الحديث ١١

(٣) المستدرك، ج ٢، الباب ١ من أبواب جهاد العدو، الحديث ٣٠

(٤) سورة الحج: ٣٩ـ ٤١

(٥) سورة البقرة: ١٩٠

ثانياً: جهاد الصلح: هو عبارة عن الهدنة والمعاهدات التي توضع للصلح والسلام، فيما لو أدعى وضع القتال وترك الحرب إلى مدة من غير عوض، وهذه من السياسات المتبعة من قبل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حينما صالح قريشا عام الحديبية على ترك القتال عشر سنين. منه قوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى الله إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[1]، وخاطب الله سبحانه وتعالى نبيه في قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ* لِيَمِيزَ الله الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىَ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[2]، والآيات هنا دالة لظهورها على أن كف الكفار عن حرب المسلمين والعدوان يقود إقامة حالة سلام بينهم وبين المسلمين[3]، حيث إن دلالة الآية المباركة على إن أحد مبادئ الاسلام هو مبدأ العفو والتسامح.

ولمثل هذا اشار الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) في عهده لمالك الاشتر (رضوان الله عليه) «وَلَا تَدْفَعَنَّ صُلْحاً دَعَاكَ إِلَيْهِ عَدُوُّكَ والله فِيهِ رِضًا فَإِنَّ فِي الصُّلْحِ دَعَةً لِجُنُودِكَ وَرَاحَةً مِنْ هُمُومِكَ وَأَمْناً لِبِلَادِكَ وَلَكِنِ الْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ عَدُوِّكَ بَعْدَ صُلْحِهِ فَإِنَّ الْعَدُوَّ رُبَّمَا قَارَبَ لِيَتَغَفَّلَ فَخُذْ بِالْحَزْمِ وَاتَّهِمْ فِي ذَلِكَ حُسْنَ الظَّنِّ وَإِنْ عَقَدْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَدُوِّكَ عُقْدَةً أَوْ أَلْبَسْتَهُ مِنْكَ ذِمَّةً فَحُطْ عَهْدَكَ بِالْوَفَاءِ وَارْعَ ذِمَّتَكَ بِالْأَمَانَةِ وَاجْعَلْ نَفْسَكَ جُنَّةً دُونَ مَا أَعْطَيْتَ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ فَرَائِضِ الله شَيْءٌ النَّاسُ أَشَدُّ عَلَيْهِ اجْتِمَاعاً مَعَ تَفَرُّقِ أَهْوَائِهِمْ وَتَشَتُّتِ آرَائِهِمْ مِنْ تَعْظِيمِ الْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ وَقَدْ لَزِمَ ذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ دُونَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا اسْتَوْبَلُوا

(١) سورة الانفال: ٦١

(٢) سورة الانفال: ٣٨ ٣٩

(٣) فقه الدولة: مصدر سابق ج٢ ص٤٩٣

مِنْ عَوَاقِبِ الْغَدْرِ فَلَا تَغْدِرَنَّ بِذِمَّتِكَ وَلَا تَخِيسَنَّ بِعَهْدِكَ وَلَا تَخْتِلَنَّ عَدُوَّكَ فَإِنَّهُ لَا يَجْتَرِئُ عَلَى اللهِ إِلَّا جَاهِلٌ شَقِيٌّ وَقَدْ جَعَلَ اللهُ عَهْدَهُ وَذِمَّتَهُ أَمْناً أَفْضَاهُ بَيْنَ الْعِبَادِ بِرَحْمَتِهِ وَحَرِيماً يَسْكُنُونَ إِلَى مَنَعَتِهِ وَيَسْتَفِيضُونَ إِلَى جِوَارِهِ فَلَا إِدْغَالَ وَلَا مُدَالَسَةَ وَلَا خِدَاعَ فِيهِ»[1].

إن الاصل في الاسلام هو الصلح والسلام، فلا يتبع المسلمون سياسة آخذ الثأر او تعقب المشركين ومحاسبتهم بما قد سلف منهم من أعمال أو عدوان، فيما لو عادوا فإنهم سيقابلون بالحرب، ويفهم من مجموع الآيات المباركة إن هناك خطابان، تارة الخطاب موجهاً إلى الامة كالخطاب الذي يأمر بالحرب وتشريع الجهاد والأمر به، وتارة يكون الخطاب موجه إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يأمر بإبرام المعاهدات ومواثيق الصلح، ويعد هذا من حقوق الحاكم في المنظومة القيادية، لأن موضوعات الصلح وإبرام المعاهدات تحتاج إلى مشورة أصحاب الخبرة، وهذا هو المستفاد من بعض الروايات.

منها: في تحف العقول: رواه الحسن بن علي بن شعبة وفيه: (لا تدفعن صلحا دعاك إليه عدوك فيه رضى، فإن في الصلح دعة لجنودك، وراحة من همومك، وأمنا لبلادك، ولكن الحذر كل الحذر من مقاربة عدوك في طلب الصلح، فإن العدو ربما قارب ليتغفل، فخذ بالحزم وتحصين كل مخوف تؤتى منه، وبالله الثقة في جميع الأمور، وإن لجت بينك وبين عدوك قضية عقدت له بها صلحا أو ألبسته منك ذمة) إلى آخره [2].

(١) نهج البلاغة خطب الإمام علي ج٣ ص٦٠١ رسالة ٣٥.

(٢) مستدرك الوسائل: ميرزا حسين النوري الطبرسي، ج١١، ص٤٥.

وفي دعائم الاسلام: عن علي (عليه السلام)، أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) عهد إليه عهدا، وكان مما عهد فيه: (ولا تدفعن صلحا دعاك إليه عدوك فإن في الصلح دعة للجنود، ورخاء للهموم، وأمنا للبلاد، فإن أمكنتك القدرة والفرصة من عدوك، فانبذ عهده إليه، واستعن بالله عليه، وكن أشد ما تكون لعدوك حذرا عندما يدعوك إلى الصلح، فإن ذلك ربما يكون مكرا وخديعة، وإذا عاهدت فحط عهدك بالوفاء، وارع ذمتك بالأمانة والصدق)[1].

وعن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: (ذمة المسلمين واحدة، يسعى بها أدناهم)[2].

وعنه (عليه السلام)في باب تحريم الغدر والقتال مع الغادر أنه قال: (خطب رسول الله (صلى الله عليه وآله) في مسجد الخيف، فقال: رحم الله امرءا مقالتي فوعاها، وبلغها إلى من ليسمعها، فرب حامل فقه وليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، (وقال): ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، والنصيحة لائمة المسلمين، وللزوم لجماعتهم، فإن دعوتهم محيطة من ورائهم، والمسلمون إخوة تكافئت دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، فإذا أمن أحد من المسلمين أحدا من المشركين، لم يجب أن تخفر ذمته[3].

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: (إذا أومأ أحد من المسلمين، أو أشار بالأمان إلى أحد من المشركين، فنزل على ذلك فهو في أمان)[4].

(١) دعائم الاسلام: ج١، ص٣٧٨.

(٢) مستدرك الوسائل: ج١١، ص٤٥.

(٣) المصدر نفسه، ج١١، ص٤٥.

(٤) المصدر السابق: ص٤٥

في دعائم الاسلام: عن علي (عليه السلام)، أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال له فيما عهد إليه: (وإياك والغدر بعهد الله والاخفار لذمته، فإن الله جعل عهده وذمته أمانا أمضاه بين العباد برحمته، والصبر على ضيق ترجو انفراجه، خير من غدر تخاف (أوزاره وتبعاته) وسوء عاقبته)[1].

وفي نهج البلاغة: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (الوفاء توأم الصدق، ولا أعلم جنة أوقى منه، وما يغدر من علم كيف المرجع، ولقد أصبحنا في زمان قد اتخذ أكثر أهله الغدر كيسا، ونسبهم أهل الجهل فيه إلى حسن الحيلة، ما لهم قاتلهم الله! قد يرى الحول القلب وجه الحيلة ودونه مانع من أمر الله ونهيه، فيدعها رأي عين بعد القدرة عليها، وينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدين)[2].

ويقسم الجهاد تقسيما رابعا:

أولاً: الجهاد الإنقاذي: وهو واجب لأجل إعلاء كلمة الله عز وجل، أو لأجل إنقاذ المستضعفين

ثانياً: وجهاد دفاعي وهو ما يكون لردع العدوان الذي يتعرض إليه المسلمون.

المسألة الرابعة: الادلة في فضيلة الجهاد.

إن للجهاد فضلاً عظيماً وثواباً كبيراً وفوائد كثيرة عند الباري سبحانه وتعالى، فقد وردت في فضله وثوابه والحث عليه آيات من الكتاب الكريم والسنة المطهرة والاجماع والعقل:

(١) دعائم الاسلام: ج١ ص٣٦٨

(٢) نهج البلاغة ج ١ ص ٨٨ رقم ٤٠

أولاً: ما ورد في القرآن الكريم.

قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[1].

وقال تعالى في فضل الجهاد: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[2].

وقال تعالى في سورة الانفال: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾[3].

وفي باب الدعاء والاستغاثة:

قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[4].

وفي باب ادخال السرور والبشرى على قلوب المؤمنين:

قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾[5].

(١) سورة البقرة: ٢١٦
(٢) سورة الحج٣٩
(٣) سورة الانفال: ٧
(٤) سورة الانفال: ٩
(٥) سورة الانفال: ١٢٦

قال تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(١).

ومنه قوله تعالى: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(٢).

وفي آية أخرى يبين سبحانه وتعالى الهدف من مقاتلة ومجاهدة العدو ومثله قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(٣).

وفي باب التأكيد والحث على الجهاد، فإن الله سبحانه وتعالى يخاطب نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم): ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾(٤).

وقال تعالى في التأكيد على القتال وعدم التهاون به: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾(٥).

وقوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾(٦).

(١) سورة الانفال: ١٧

(٢) سورة النساء: ٧٤

(٣) سورة الانفال: ٣٩

(٤) سورة الانفال: ٦٥

(٥) سورة التوبة: ٣٦

(٦) سورة التوبة: ٢٩

وفي أهمية الجهاد قال تعالى: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1].

وفي اعتبار الجهاد تجارة منجية من عذاب أليم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[2].

وهناك آيات جليلة وكثيرة وردت في سور عديدة من القرآن الكريم تبين فضل الجهاد والمجاهدين عند الله تعالى، نكتفي بهذا القدر لغرض الشاهد والتأييد.

ثانياً: السنة المطهرة فالروايات في هذا المجال كثيرة ومتواترة.

منها قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال: (حملة القرآن عرفاء أهل الجنة والمجاهدون في سبيل الله قوادها والرسل سادة أهل الجنة)[3].

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من ختم له بجهاد في سبيل الله ولو قدر فواق ناقة دخل الجنة)[4].

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (أصل الإسلام الصلاة وفرعه الزكاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله)[5].

(١) سورة التوبة: ٤١

(٢) سورة الصف: ١١

(٣) دعائم الاسلام: ج١ ص٣٤٣،مستدرك الوسائل: ج١١ ص٧.

(٤) مستدرك الوسائل: ج١١ ص٨، جامع أحاديث الشيعة: ج٧ ص١٠٣.

(٥) دعائم الإسلام: ج١ ص٣٤٢، مستدرك الوسائل: ج١١ ص١٥.

وقال (عليه السلام): (جاهدوا في سبيل الله بأيدكم، فإن لم تقدروا فجاهدوا بألسنتكم، فإن لم تقدروا فجاهدوا بقلوبكم[1].

ومن خطبة له عليه (عليه السلام) يذكر فيها أهمية وفضل الجهاد: قال: ألا وإن الشيطان قد ذمر حزبه واستجلب جلبه، ليعود الجور إلى أوطانه، ويرجع الباطل إلى نصابه، والله ما أنكروا علي منكرا، ولا جعلوا بيني وبينهم نصفا وإنهم ليطلبون حقا هم تركوه، ودما هم سفكوه، فلئن كنت شريكهم فيه فإن لهم لنصيبهم منه ولئن كانوا ولّوه دوني فما التبعة إلا عندهم، وإن أعظم حجتهم لعلى أنفسهم يرتضعون أما قد فطمت، ويحيون بدعة قد أميتت، يا خيبة الداعي، من دعا وإلام أجيب وإني لراض بحجة الله عليهم، وعلمه فيهم، فإن أبوا أعطيتهم حد السيف. وكفى به شافيا من الباطل وناصرا للحق، ومن العجب بعثهم إلي أن أبرز للطعان، وأن أصبر للجلاد هبلتهم الهبول لقد كنت وما أهدد بالحرب ولا أرهب بالضرب، وإني لعلى يقين من ربي. وغير شبهة من ديني[2].

ويقول (عليه السلام) في خطبة ذكر فيها الجهاد والحث عليه: فقاتل بمن أطاعه من عصاه. يسوقهم إلى منجاتهم، ويبادر بهم الساعة أن تنزل بهم[3].

وفي تاريخ الطبري عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال « إني سمعت عليا عليه السلام يوم لقينا أهل الشام يقول: أيها المؤمنون إنه من رأى عدوانا يعمل به ومنكرا يدعى إليه فأنكره بقلبه فقد سلم ومن أنكره بلسانه فقد أوجر وهو أفضل من صاحبه ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله العليا وكلمة الظالمين السفلى فذلك أصاب سبيل الهدى وقام على الطريق ونور في قلبه اليقين[4].

(١) المصدر نفسه، المكان نفسه.

(٢) نهج البلاغة: خطبة ٢٢

(٣) المصدر نفسه: خطبة ١٠٣.

(٤) نهج البلاغة: خطبة ٣٦٥

فيتحصل من مجموع الآيات الشريفة والروايات المباركة إن للجهاد فضلاً عند الله سبحانه وتعالى، لأن فيه عزا للإسلام.

ثالثاً: الاجماع.

وأما قيام الإجماع عليه مسلّم، بل عليه اجماع فرق المسلمين، بل هو مما قامت عليه ضرورة الدين[1] على الجهاد في سبيل الله والدفاع عن حياض العقيدة مع نصرة الحق أينما كان.

رابعاً: العقل.

فيستقل العقل بحسنه ولزومه لقطع دابر الكفر والظلم والفساد، وإقامة العدل الالهي والأحكام الشرعية المحققة للنظام البشري في الدين والدنيا[2].

ويشير إلى هذا المعنى قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): الخير كلّه في السيف وتحت ظل السيف ولا يقيم الناس إلاّ السيف والسيوف مقاليد الجنّة والنار[3]، ولعل مضمون الرواية يدل على أن الحق ينتصر بالسيف، وبه يبقى، والسيف كناية عن القوة والقدرة، (السيف) في الرواية إما أن يكون ممن يفتح الطريق أمام الحق، (تحت ظل السيف) يكون الحق يعمل به مازال تحت راية السيف والقوة.

ومضمون الرواية (السيوف مقاليد الجنة والنار) هو عبارة عن التمييز بين سيف الحق وسيف الباطل، فسيف الحق مفتاحه الجنة، وسيف الباطل مفتاحه النار.

(١) كشف الغطاء: ج٤ ص٢٩٤ وينظر مهذب الاحكام ١٥ ص١٨

(٢) فقه الدولة: ج٢ ص٤٩٥

(٣) الوسائل ج١١ / ص٥، الباب ١ من أبواب جهاد العدو، الحديث ١.

سلوكيات الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) في الجهاد:

تتمثل سلوكيات الإمام (عليه السلام) في الجهاد بالجوانب الآتية:

الجانب الاول: الإعداد والاستعداد العقائدي والروحي.

يعد الإعداد والاستعداد في الجهاد من العوامل المهمة في المواجهة مع الاعداء وطرق التعامل معهم، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾[1] يؤكد الامام أمير المؤمنين على هذه الجوانب، وبتحققها ينتصر المجاهدون في المعركة، فالمجاهد إذا أراد أن يستعد للجهاد في هذا الطريق، ويتأهب ويعد العدة له، يجب أن يتأهب في الجوانب العقائدية والاخلاقية.

أولاً: التعبئة العقائدية.

من العناصر الاساسية التي يتحلى بها المجاهدون الايمان والعقيدة التي تحقق أسمى غايات الجهاد بكل آفاقه، حينما يتحول إلى قتال تطهير النفس من الريب، قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ**﴾[2]. هذا ما يسمى بالتجارة المعنوية مع الله سبحانه وتعالى.

ويقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): الله الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم فإنما يجاهد رجلان إمام هدى أو مطيع له مقتد بهداه[3].

---

(١) سورة الأنفال: ٦٠

(٢) سورة التوبة: ١١١

(٣) الكافي: الشيخ الكليني، ج٧ ص٥٢.

ويقول (عليه السلام): (**أيها الناس استعدوا للمسير إلى عدو في جهاده القربة إلى الله، ودرك الوسيلة عنده**)[1].

ومن الصفات الهامة أيضاً في هذا المجال: صفة الثبات والصمود ومنزلة المجاهدين عند الله تعالى.

ومن كلام له عليه السلام لابنه محمداً بن الحنفية لما أعطاه الراية يوم الجمل (تزول الجبال ولا تزل، عض على ناجذك، أعر الله جمجمتك. تد في الأرض قدمك، أرم ببصرك أقصى القوم، وغض بصرك واعلم أن النصر من عند الله سبحانه)[2].

وعن الصادق (عليه السلام)، قال: جاء رجل إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: يا رسول الله، إني راغب في الجهاد نشيط. قال: فجاهد في سبيل الله، فإنك إن تقتل كنت حيا عند الله ترزق، وإن مت فقد وقع أجرك على الله، وإن رجعت خرجت من الذنوب كما ولدت[3].

ثانياً: التعبئة الاخلاقية .

وفي صحيفة الرضا: عن آبائه (عليهم السلام)، عن علي بن الحسين (عليهما السلام)، قال: (بينما أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليهما السلام) يخطب الناس ويحضهم على الجهاد، إذ قام إليه شاب فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن فضل الغزاة في سبيل الله، فقال علي (عليه السلام): كنت رديف رسول الله (صلى الله عليه وآله) على ناقته العضباء، ونحن قافلون من غزوة ذات السلاسل، فسألته عما سألتني عنه، فقال: إن الغزاة إذا هموا بالغزو كتب الله لهم براءة من النار، (فإذا

(١) مصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة): الميرجهاني ج١ ص١١٠

(٢) نهج البلاغة: خطب الإمام علي (عليه السلام)، ج١ ص٤٣.

(٣) الأمالي: الشيخ الصدوق، ص٥٤٧

تجهزوا لغزوهم) باهى الله تعالى بهم الملائكة، فإذا ودعهم أهلوهم بكت عليهم الحيطان والبيوت، ويخرجون من ذنوبهم كما تخرج الحية من سلخها، ويوكل الله عز وجل بكل رجل منهم أربعين ألف ملك، يحفظونه من بين أيديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، ولا يعملون حسنة إلا ضعفت له، ويكتب له كل يوم عبادة ألف رجل يعبدون الله ألف سنة، كل سنة ثلاثمائة وستون يوما، اليوم مثل عمر الدنيا، وإذا صاروا بحضرة عدوهم انقطع علم أهل الدنيا عن ثواب الله إياهم، وإذا برزوا لعدوهم وأشرعت الأسنة وفوّقت السهام وتقدم الرجل إلى الرجل، حفتهم الملائكة بأجنحتهم ويدعون الله تعالى لهم بالنصر والتثبيت، ونادى مناد: الجنة تحت ظلال السيوف، فتكون الطعنة والضربة أهون على الشهيد من شرب الماء البارد في اليوم الصائف، وإذا زال الشهيد من فرسه بطعنة أو بضربة، لم يصل إلى الأرض حتى يبعث الله عز وجل زوجته من الحور العين فتبشره بما أعدّ الله عز وجل له من الكرامة، فإذا وصل إلى الأرض تقول له: مرحبا بالروح الطيبة التي خرجت من البدن الطيب، أبشر فإن لك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ويقول الله عز وجل: أنا خليفته في أهله، ومن أرضاهم فقد أرضاني، ومن أسخطهم فقد أسخطني، ويجعل الله روحه في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث تشاء، تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة بالعرش، ويعطى الرجل منهم سبعين غرفة من غرف الفردوس، سلوك كل غرفة ما بين صنعاء والشام، يملأ نورها ما بين الخافقين، في كل غرفة سبعون بابا، على كل باب ستور مسبلة، في كل غرفة سبعون خيمة، في كل خيمة سبعون سريرا من ذهب قوائمها الدر والزبرجد، مرصوصة بقضبان الزمرد، على كل سرير أربعون فراشا، غلظ كل فراش أربعون ذراعا، على كل فراش سبعون زوجا من الحور العين عربا أترابا، فقال الشاب: يا أمير المؤمنين أخبرني عن التربة ما هي؟ قال: هي الزوجة الرضية المرضية الشهية، لها سبعون ألف وصيف وسبعون ألف

وصيفة، صفر الحلي، بيض الوجوه، عليهم تيجان اللؤلؤ، على رقابهم المناديل، بأيديهم الأكوبة والأباريق، وإذا كان يوم القيامة يخرج من قبره شاهرا سيفه تشخب أوداجه دما، اللون لون الدم والرائحة رائحة المسك، يحضر في عرصة القيامة، فوالذي نفسي بيده لو كان الأنبياء على طريقهم لترجلوا لهم مما يرون من بهائهم، حتى يأتوا على موائد من الجوهر فيقعدون عليها ويشفع الرجل منهم في سبعين ألفا من أهل بيته وجيرته، حتى أن الجارين يختصمان أيهما أقرب، فيقعدون معي ومع إبراهيم (عليه السلام) على مائدة الخلد، فينظرون إلى الله تعالى في كل بكرة وعشية)[1].

إذن.. فالمجاهد يعرف أن جهاده في سبيل الله ومن أجل رضوانه، ولهذا فهو يمضي قدماً في درب الجهاد لا يبالي بالموت وقع عليه أو وقع هو على الموت.

الجانب الثاني: الإعدادات العسكرية (سلوكيات الامام عليه السلام في الحرب).

أولاً: إنه لا يبدأ القوم بقتال، ولا يقاتل إلا من بدأ الحرب.

يقول (عليه السلام): لابنه الحسن عليه السلام «لا تدعون إلى مبارزة، وإن دعيت إليها فأجب، فإن الداعي باغ والباغي مصروع»[2].

وفي خبر عمرو بن جميع عن أبي عبد الله عليه السلام سئل «عن المبارزة بين الصفين بغير إذن الإمام عليه السلام فقال: لا بأس ولكن لا يطلب إلا بإذن الإمام عليه السلام: «ولعله قال الشيخ في النهاية لا بأس بالمبارزة بين الصفين في حال القتال، ولا يجوز له أن يطلب المبارزة إلا بإذن الإمام عليه السلام ونحوه[3].

(١) مستدرك الوسائل: ميرزا حسين النوري الطبرسي ج١١ ص١٠

(٢) نهج البلاغة خطب الإمام علي ج٤ ص٥٢ خطبة ٢٢٥

(٣) جواهر الكلام المؤلف: الشيخ الجواهري، ج٢١ ص٨٦.

ويقول (عليه السلام) في موضع آخر يوصي جنده في كل موطن: « لا تقاتلوا القوم حتى يبدأوكم فإنكم بحمد الله على حجة وترككم إياهم حتى يبدأوكم حجة أخرى[1].

قال (عليه السلام) في وصيته لمالك الاشتر (رضوان الله عليه): ولا يستحب بيات أحد من أهل البغي ولا قتاله غيلة ولا على غرة حتى يبدروا[2].

قوله (عليه السلام): فخذوا للحرب أهبتها. وأعدوا لها عدتها. فقد شب لظاها وعلا سناها، واستشعروا الصبر فإنه أدعى إلى النصر[3].

يتحدث الامام أمير المؤمنين (عليه السلام): في هذا المقطع من الخطبة حول الاستعداد للقتال يقول (عليه السلام): (فخذوا للحرب أهبتها) أي تجهزوا بالسلاح وبأدوات القتال الكافي لخوض المعركة.

ثم يتحدث الامام (عليه السلام) حول طبيعة المعركة عندما تشتد وتلتهب ويعلو ضوء بريق الصوارم (وأعدوا لها عدّتها فقد شبّ لظاها وعلا سناها)، استعار لفظ اللظى والسّنا عن إمارات الحرب لكون كلّ منهما علامة لما فيه مظنّة.

ثانياً: في مسير الجيش للحرب وضرورة إطاعة القائد العسكري.

يقول (عليه السلام):في وصية له لمعقل بن قيس الرياحي حين أنفذه إلى الشام في ثلاثة آلاف مقدمة له) «اتق الله الذي لا بد لك من لقائه ولا منتهى لك دونه. ولاتقاتلن إلا من قاتلك. وسر البردين، وغور بالناس، ورفه بالسير، ولا

(١) الكافي ٥: ٣٨/ ٣.

(٢) شرح نهج البلاغة، لابن ميثم البحراني، ج٤: ٣٨١ - ٣٨٢.

(٣) نهج البلاغة خطب الإمام علي، ج١ ص٦٧ خطبة ٢٦.

تسر أول الليل فإن الله جعله سكنا وقدره مقاما لا ظعنا، فأرح فيه بدنك وروح ظهرك، فإذا وقفت حين ينبطح السحر أو حين ينفجر الفجر فسر على بركة الله، فإذا لقيت العدو فقف من أصحابك وسطا، ولا تدن من القوم دنو من يريد أن ينشب الحرب، ولا تباعد عنهم تباعد من يهاب البأس حتى يأتيك أمري، ولا يحملنكم شنآنهم على قتالهم قبل دعائهم والإعذار إليهم.. وأعلموا أن مقدمة القوم عيونهم، وعيون المقدمة طلائعهم، وإياكم والتفرق، فإذا نزلتم فانزلوا جميعا، وإذا ارتحلتم فارتحلوا جميعا، وإذا غشيكم الليل فاجعلوا الرماح كفة، ولا تذوقوا النوم إلا غرارا أو مضمضة»[1].

يتحدث الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذه الوصية عن التكتيك في المسير لمواجهة العدو، ويبتدأ وصيته بالتقوى، إذ يأمر القائد العسكري ويذكره بالله جل وعلا، لأنه ملجا والعباد ومنتهاهم إليه، ثم يؤكد على عدم بدء القوم بقتال إلا من بدأها، ثم يضع الامام (عليه السلام) دستورا في الاستعداد والتهيؤ لمواجهة العدو، يجب حمل السلاح ولبس الدروع، ثم يؤكد على مراعاة الآخرين في المسير من عدم المسير أول الليل لأنه فيه راحة للبدن وسكناً له ﴿**وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا**﴾ أي راحة البدن أن يأخذ الإنسان قسط من الراحة فيه، فيفضل الامام (عليه السلام) أوقاتاً للمسير، فيجعل من هذه الاوقات ميزة وتفضيلا، فيقول حين ينفجر الفجر فسر على بركة الله، ثم يعطي الامام (عليه السلام) ميزانا في أهمية موقع القيادة ووجودها بين الجيش، فيقول (عليه السلام) إن أفضل مواقع تواجد القيادة وهيبتها هو وقوفها وسط الجيش ربما لا نحتاج إلى سوق الشواهد التاريخية التي تؤكد معايشة الإمام لجنوده وقادته، بل إنّه كان في جميع المعارك التي خاضها متواجداً في القلب، حيث يحتدم القتال ويلتحم الجيشان، ويبدأ

(١) نهج البلاغة خطب الإمام علي، ج٣، ص١٣ صية ١٢.

صخب المعركة وقعقعة السلاح. وقد وصفه صعصعة بن صوحان بما يأتي: (كان فينا كأحدنا في لين جانب، وشدة تواضع، وسهولة قياد وكنا نهابه مهابة الأسير المربوط للسياف الواقف على رأسه)[1] وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا

إنّ ثمرة هذا التواجد الميداني إلهاب حماس المجاهدين، والتوفر على وضع المعركة والتعرف بدقة على تفاصيلها وما يجب أنّه يتخذ من قرارات هامة مصيرية فيها.

ثم ان الامام (عليه السلام) يعطي تكتيكا آخر للحرب، يقول لا تدنوا من القوم كونوا الذي يريد أن يبدأ بقتال، ولا تتباعد عنهم فيما لو نظر اليك القوم يقولون هؤلاء قد أهابونا وخافوا من مواجهتنا.

ثم أن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) يؤكد على جانب آخر في كلامه على مبدأ طاعة الاوامر في الحرب (حتى يأتيك أمري) يريد الامام (عليه السلام) في هذا المقطع أن يسلط الضوء على مبدأ الاوامر فإنّ الأمر الصادر من القائد الميداني ربما لا يحتاج إلى وقت طويل كي يصل إلى المجاهدين. وهذه المركزية هي في الحقيقة من أهمّ العوامل الاستراتيجية في كسب المعركة، حيث تقطع الطريق على الفوضى والبلبلة نتيجة تأخر القرار، وتجعل الطاعة والانضباط هما السائدان في كُلّ مراحل المعركة.

ويقول (عليه السلام) في موضع آخر: ولي عليكم الطاعة، وأن لا تنكصوا عن دعوة ولا تفرّطوا في صلاح وأن تخوضوا الغمرات إلى الحقّ. فإن أنتم لم تستقيموا (لي) على ذلك لم يكن أحد أهون عليّ ممّن اعوَجّ منكم، ثم أُعْظِم له العقوبة، ولا يجد عندي فيها رخصة، فخذوا هذا من أمرائكم، وأعطوهم من أنفسكم ما يصلح الله به أمركم»[2].

(١) كتاب الأربعين: محمد طاهر القمي الشيرازي، ص٤٢٠

(٢) نهج البلاغة: خطب الإمام علي، ج٣ ص٨٠.

وقال (عليه السلام): وأما حقي عليكم فالوفاء بالبيعة والنصيحة في المشهد والمغيب، والإجابة حين أدعوكم، والطاعة حين آمركم[1].

ثالثاً: عند مقابلة العدو والالتحام معه .

يقول (عليه السلام): «وعضوا على الأضراس فإنه أنبأ للسيوف عن الهام»[2].

وعنه (عليه السلام): «وعضوا على الجهاد بنواجذكم»[3].

عضّوا على النواجذ، وأكملوا اللاّمة، وقلقلوا السيوف، والحظوا الخزر، واطعنوا الشزر، ونافحوا بالظبا، وصلوا السيوف بالخطى، وعاودوا الكرّ، وعليكم بهذا السواد الأعظم والرواق المطنب فاضربوا شبجه[4].

يتحدث الإمام (عليه السلام) في هذا المقطع من خطبته عن مجموعة من الوصايا.

ـ فالعضّ على النواجذ، هي أقصى الأضراس، حيث يساعد على تصلب الأعصاب والعضلات المتصلة بالدماغ، وإزالة الاسترخاء.

ـ وإكمال اللاّمة وهي الدرع، يعني تحصين جسد المجاهد، بإحاطة أعضائه البارزة بالحديد وهي الرأس والصدر والسواعد، إضافة إلى تهيئة وسائل الدفاع من درع ورمح وسيف.

(١) المصدر نفسه، ج١ ص٨٤ خطبة ٣٤

(٢) المصدر نفسه، ج١ خطبة ١٢٤

(٣) المصدر نفسه، ج١ خطبة ١٢١

(٤) المصدر نفسه، ج١ ص١١٥ خطبة: ٦٥

ـ وقلقلة السيوف أي تحريكها للتحقق من عدم تأثرها بالصدأ.

ـ وإلحاظ الخزر هو أن ينظر المجاهد بعينه بصورة من صور الغضب.

ـ والطعن شزراً، هو الطعن عن اليمين والشمال.

ـ والنفح بالضبا، وهو الضرب بطرف السيف.

ـ ووصل السيوف بالخطى هو التوازن بين حركة السيوف وخطوة المجاهد.

ـ ومعاودة الكرّ، أي إدامة الكرّ دون تراجع.

ـ والسواد الأعظم هو جمهور الشام المحيط بمركز القيادة والمراد منه أن يكون الهجوم على وسط مركز القيادة لأنّ ذلك يعجّل في حسم المعركة.

رابعاً: في السريّة والكتمان، ومباغتة العدو.

يقول (عليه السلام): ألا وإنّ لكم عندي أن لا أحتجز دونكم سرّاً إلاّ في حرب ولا أطوي دونكم أمراً إلاّ من حكم ولا أؤخّر لكم حقاً عن محله ولا أقف به دون مقطعه وأن تكونوا عندي في الحق سواء[1].

يتحدث الامام (عليه السلام) في هذا المقطع من خطبته عن كتمان السر في الحرب والآثار المترتبة عليه من خطورة تسرب الأسرار إلى الجهة المعادية، والإمام (عليه السلام) عندما يحتفظ لنفسه ببعض الأمور التي لا يبوح بها حتى إلى أقرب الناس من الصحابة إنّما يلحظ خطورة الوضع العسكري وحساسيته ولذلك يأخذ الحيطة من تسرّب بعض المعلومات إلى العدوّ، حيث لا يشكّ في أمر أصحابه الأوفياء، ولكنه قد يحتمل وجود بعض المندسين في صفوف جيشه وهو أمر وارد في جميع الجيوش، حيث يعتمد على التجسس في تحصيل المعلومات المهمة حول

(١) نهج البلاغة خطب الإمام علي ج٣ ص٧٩ كتاب ٥٠

قوة الجبهة المقابلة، وخططها، وأساليبها في القتال، حيث يؤسس الامام (عليه السلام) في كلامه قاعدة في مجال الإعلام والإخبار: إنّ الوالي والحاكم يجب أن لا يُخفي عن الرعية شيئاً من الأمور إلاّ ما يُخلّ اظهاره وانتشاره بالأمن الاجتماعي لا الأمن العائد إلى شخصه [1].

خامساً: استحصال المعلومات من العيون والمراصد.

يقول (عليه السلام): واجعلوا لكم رقباء في صياصي الجبال ومناكب الهضاب لئلاّ يأتيكم العدوّ من مكان مخافة أو أمن. واعلموا أنّ مقدمة القوم عيونهم، وعيون المقدّمة طلائعهم [2].

حيث هو من الضرورات التي يتمّ التعرف بها على حجم قوّة العدوّ ونقاط ضعفه، والأسلوب المتّبع عنده في دخول المعركة، ومن ثم هو وسيلة جمع المعلومات ليتم الإعداد وتوقيت المعركة واختيار أسلوب ومواقع المواجهة، ولقد استخدم الإمام (عليه السلام) أربعة طرق في جلب المعلومات، أستحصال المعلومات من خلال الأفراد القريبين من العدو أومن خلال أمراء الولايات والمدن، أو من خلال نشر العيون في أوساط العدو أو أختراق صفوفه.

سادساً: اختيار المواقع العسكرية المحصّنة.

يقول (عليه السلام): «فإذا نزلتم بعدو أو نزل بكم فليكن معسكركم في قبيل الأشراف أو سفاح الجبال، أو أثناء الأنهار كيما يكون لكم ردءا ودونكم مردا، ولتكن مقاتلتكم من وجه واحد أو اثنين»[3].

(١) أسس النظام السياسي عند الإمامية: الشيخ محمد السند ص٤١.

(٢) نهج البلاغة خطب الإمام علي، ج٣ ص١٣ رسالة ١١.

(٣) نهج البلاغة خطب الإمام علي ج٣ ص١٢: رسالة ١١.

سابعاً: أخذ الحيطة والحذر من العدو.

وفي تحف العقول في وصية أمير المؤمنين (عليه السلام) لزياد بن النضر حين أنفذه على مقدّمته إلى صفّين: « اعلم أنّ مقدمة القوم عيونهم، وعيون المقدّمة طلائعهم، فإذا أنت خرجت من بلادك ودنوت من عدوّك فلا تسأم من توجيه الطلائع في كلّ ناحية وفي بعض الشعاب والشجر والخمر وفي كلّ جانب حتّى لا يغيركم عدوّكم ويكون لكم كمين..»[1].

ثامناً: اختيار القادة الميدانيين في الحرب.

يقول (عليه السلام) لمالك الاشتر (رضوان الله عليه) حين ولاه مصر: فولّ من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك، وأنقاهم جيباً، وأفضلهم حلماً ممن يبطئ عن الغضب ويستريح إلى العذر، ويرأف بالضعفاء، ولا ينبو على الأقوياء، وممن لا يثيره العنف ولا يقعد به الضعف، ثُمّ الصق بذوي المروءات والأحساب وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة، ثُمّ أهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة[2].

في هذا المقطع من العهد الشريف يتحدث الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) عن سياسته في اختيار القادة، ويستعرض بالتفصيل شروط قادة الجيش.

وهذه الصفات الثلاث اللازم توفرها في قادة الجيش، تؤدي أولا إلى أن يعيش القائد العسكري هاجس الحق ويفكر في نصرة الدين وإعلاء كلمة التوحيد ونصرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والإمام (عليه السلام)، وثانيا: أن يسعى في هذا الطريق من موقع الاخلاص والتفاني، ثالثا: أن يعمل على تدبير أمور الجيش

(١) تحف العقول، ص ١٩١.

(٢) نهج البلاغة خطب الإمام علي ج٣ ص١٩ رسالة ٥٣.

بآليات المداراة والعقلانية والخبرة الكافية[1].

وفي سياق هذا الكلام يتعرض الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى الصفة الاخلاقية الرابعة التي يجب توافرها في قادة الجيش (ويرأف بالضعفاء، ولا ينبو على الأقوياء، وممن لا يثيره العنف ولا يقعد به الضعف) يتحدث الامام (عليه السلام) عن القادة اصحاب الشخصيات القوية الذين يتمتعون بالشجاعة والشفقة والرحمة، وأهدافهم هو مد يد العون للفقراء والمحرومين.

تاسعاً: الثقة التامة بين القائد العسكري والجنود:

قوله (عليه السلام): أوه على إخواني الذين تلوا القرآن فأحكموه، وتدبروا الفرض فأقاموه، أحيوا السنة وأماتوا البدعة. دعوا للجهاد فأجابوا، ووثقوا بالقائد فاتبعوه[2].

يتحدث الإمام (عليه السلام) في هذا المقطع عن سر الانتصار وكيف يتحقق، يقول (عليه السلام) إن المفتاح السحري للنجاح والانتصار في ميادين الحياة، لاسيما في الميادين العسكرية وفي جبهات القتال، هو ايجاد الثقة بين القائد العسكري والجنود.

ومن الشواهد التاريخية على ثقة القائد بجنوده روى ابن هشام: انّ سعد بن معاذ، قام وقال: فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضنا معك، ما تخلّف منّا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً إنّا لصبر في الحرب وصدق في اللقاء، لعل الله يريك منّا ما تقرّ به عينك، فسِرْ بنا على بركة اللهّ. فسرّ رسول الله بقول سعد ونشطه ذلك، ثمّ قال: (سيروا وأبشروا)[3].

(١) نفحات الولاية: مصدر سابق ص٣٧٠

(٢) نهج البلاغة خطب الإمام علي ج٢ ص١٠٩: خطبة ١٨٢

(٣) موسوعة طبقات الفقهاء (المقدمة): الشيخ السبحاني ج١.

وهذه هي الضابطة الكلية في كلّ ما شاور النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في الحروب وغيرها، وقد كمنت المصلحة في نفس المشاورة عن طريق استقطاب آراء الصحابة دون أن تكون الغاية من ورائها الوصول إلى الواقع ورفع أغشية الجهل نعوذ بالله، فاطمئنان الجندي إلى قائده في كفاءته وإخلاصه، ينتج الحب والتقدير والاحترام والطاعة، وفي قبال هذه الثقة توجد هناك علاقة شك وعدم احترام بين القيادة والجنود، يقول الله تعالى في شأن الشاكين في كفاءة القيادة ﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[1].

فإذا انتشر الشك في صفوف الجنود؛ انتشر على إثر ذلك الخوار والتصدع في بنيان الجيش، فقوة الجيش تكون على قدر الثقة بين القائد وجنده، ومتانة وشجاعة الجنود مرتبطة بمتانة الثقة بين القائد وجنده، والثقة المتبادلة بين القائد وجنده هي الركيزة والغطاء الواقي في الخطط العسكرية وتحقيق الأهداف.

عاشراً: آداب الحرب.

قوله (عليه السلام) فإذا كانت الهزيمة بإذن الله فلا تقتلوا مدبرا، ولا تصيبوا معورا، ولا تجهزوا على جريح. ولا تهيجوا النساء بأذى وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم، فإنهن ضعيفات القوى والأنفس والعقول. إن كنا لنؤمر بالكف عنهن وإنهن لمشركات[2].

وعنه (عليه السلام) في يوم الجمل قال: لا تقتلوهم مولّين ولا مدبرين ولا نياماً

(١) سورة النور: ٥٠.

(٢) نهج البلاغة خطب الإمام علي ج٣ ص١٥: رسالة ١٤.

ولا أيقاظاً ولا تجهزوا على جريح، ومن ألقى سلاحه فهو آمن، ومن أغلق بابه فلا سبيل عليه، وأحللت لنا سبي الكراع والسلاح حرمت علينا سبي الذراريّ[1].

وفي المستدرك، عن المفيد بسنده، عن كتاب أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى أهل الكوفة بعد واقعة الجمل: «فلما هزمهم الله أمرت أن لا يتبع مدبر ولا يجز على جريح، لا يكشف عورة ولا يهتك ستر ولا يدخل دار إلاّ بإذن، وامنت الناس الخبر[2].

ومن كتاب له عليه السلام إلى عماله في أمر الخراج:

«ولا تمسّنَّ مال أحد من الناس مصلٍّ ولا معاهد إلا أن تجدوا فرسا أو سلاحا يعدى به على أهل الإسلام فإنه لا ينبغي للمسلم أن يدع ذلك في أيدي أعداء الإسلام فيكون شوكة عليه»[3].

يتناول الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) الآداب والاخلاق التي ينبغي ان يتحلى بها المقاتل في المعركة، وكيفية التعامل مع كبار السن والنساء ومع الاسرى والمنهزمين من المعركة.

فيتحصل مما ذكرناه في هذا المبحث:

إن الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) أعطى مالكاً (رضوان الله عليه) دستورا متكاملا في الجهاد وفنون الحرب، والسلوكيات والآداب الاخلاقية الاسلامية المتبعة في الحرب ويجب على القائد وجنده أن يتحلوا بها، وتعد هذه التوصيات من الدروس الاخلاقية في منظومة القيادة والادارة في الاسلام.

(١) الوسائل ج١١ ص١٦، الباب ٥ من أبواب جهاد العدوّ، الحديث ٢.

(٢) مستدرك الوسائل ٢ / ٢٥١، الباب ٢٢ من أبواب جهاد العدوّ، الحديث ٢.

(٣) نهج البلاغة: رسالة ٥١.

المبحث الثالث

التنمية البشرية والإصلاح الاجتماعي

قوله عليه السلام: (وَاسْتِصْلاحَ أَهْلِهَا).

نتناول في هذا المبحث التنمية البشرية، والذي يعبر عنه في الإصلاح الاجتماعي، كما ورد في قول الامام أمير المؤمنين (عليه السلام): (وَاسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا)، لأن إصلاح الأمة وإرشادها يعد من سائر وظائف الوالي وأنشطته الأساسية من حيث إيجاد البواعث الاخلاقية في نفوس الناس كأعمال الخير وتخليصهم من منابع الفساد الأخلاقي، وتوفير الأمن في مجال الكسب والمعاش وتأمين حقوق الافراد ونظم ما يتصل بالأمور القضائية[1]، فلابد أن يلتفت المسؤولون إلى أن وظيفتهم لا تنتهي بتعبيد بعض الطرق والشوارع وتزويد السوق بالحاجات المنزلية، بل إن هناك جوانب معنوية التي ينبغي أن يهتم بها المسؤولون في المجتمع الإسلامي إلى جانب دورهم في النهوض بهذه الجوانب ونشرها بين صفوف الناس[2].

المسألة الأولى: معاني الإصلاح اصطلاحاً.

إرادة الخير وتقويم العوج في المجتمع واستصلاح ما فسد منهم. والاصلاح وظيفة الأنبياء ومن سار على دربهم بصدق هم المصلحون الحقيقيون قال تعالى حكاية عن شعيب: ﴿**إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ**﴾[3].

(١) نفحات الولاية: مصدر سابق ص٢٩٠.

(٢) الدولة الاسلامية: للنكراني،ص٤١ .

(٣) سورة هود: ٨٨.

ومنه يشير الامام (عليه السلام) إلى هذا المبدأ بشكل عام وفق المفهوم الواسع للإصلاح والذي يشمل الموارد الاخلاقية يقول (عليه السلام) في عهده لمالك الاشتر(رضوان الله عليه): «ثُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِمُ الْأَرْزَاقَ فَإِنَّ ذَلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِصْلَاحِ أَنْفُسِهِمْ وَغِنًى لَهُمْ عَنْ تَنَاوُلِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ وَحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ أَوْ ثَلَمُوا أَمَانَتَكَ»(١).

المسألة الثانية: الإصلاح في الكتاب العزيز والروايات المطهرة.

أولاً: وقد وردت كلمة الاصلاح في القرآن الكريم في آيات كثيرة

قال تعالى: **﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾**(٢)

وقال أيضا: **﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ اللهَّ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾**(٣).

وفي قوله تبارك وتعالى: **﴿وَلَن تَسْتَطِيعُواْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ النِّسَاء وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلاَ تَمِيلُواْ كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ اللهَّ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾**(٤)

وقال سبحانه: **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾**(٥).

(١) نهج البلاغة: خطب الإمام علي ج٣ ص٦٩ رسالة ٥٣.

(٢) سورة الاعراف: ٥٦.

(٣) سورة النساء ١٢٨.

(٤) سورة النساء: ١٢٩.

(٥) سورة الحجرات: ١٠.

وفي سورة هود على لسان نبي الله شعيب عليه السلام: ﴿....نْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[1].

ثانياً: ووردت كلمة الإصلاح في روايات أهل البيت (عليهم السلام) في مواضع متعددة، عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال: «كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: «لئن أصلح بين اثنين أحب إلي من أن أتصدق بدينارين»[2].

وعنه (عليه السلام) أيضا أنه قال: «صدقة يحبها الله: إصلاح بين الناس إذا تفاسدوا، وتقارب بينهم إذا تباعدوا»[3].

في هذه الرواية حث بليغ للمؤمن على شيء كثير من منافع الدنيا والآخرة، منها أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بوعظ بليغ نافع، ومنها أن يصلح بين الناس إذا وقعت المنازعة بينهم بأن ينظر برأيه الصائب ويميز بين الظالم والمظلوم وينصح الظالم بنصائح بليغة زاجرة له عن الظلم، ومنها أن يصل الرحم وإن اختاروا فراقه وتباعده، ومنها أن يأمر بصلة الأرحام إذا وقع التفارق والتباغض بينهم بموعظة حسنة، ومنها أن يأمر المؤمنين بالتواصل والتعاون إذا وقع التدابر والتقاطع بينهم، ومنها الإصلاح بين القبيلتين إذ وقع التقابل بينهم، ومنها الإصلاح بين المرء وزوجه [4].

(١) سورة هود: ٨٨.

(٢) البحار ج٧٣: ص٤٤، كتاب العشرة، باب الإصلاح بين الناس، الحديث ٣، ثواب الأعمال، الشيخ الصدوق، ص٨٤١

(٣) اصول الكافي ج٢: ص٢٠٩، باب الإصلاح بين الناس، الحديث الأول، وسائل الشيعة الحر العاملي، ج٨١ ص٩٣٤.

(٤) شرح أصول الكافي: مولى محمد صالح المازندراني، ج٩ ص١٠٣.

وعنه (عليه السلام) قال: كل كذب مسؤول عنه يوما ما إلا كذبا في ثلاثة: رجل كائد في حربه فهو موضوع عنه، ورجل أصلح بين اثنين يلقي هذا بغير ما يلقي به هذا، يريد الصلح ما بينهما، ورجل وعد أهله شيئا ولا يريد أن يتم لهم عليه، يريد بذلك دفعها[1].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أفضل الصدقة صدقة اللسان، قيل: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وما صدقة اللسان؟ قال: الشفاعة تفك بها الأسير، وتحقن بها الدم، وتجر بها المعروف إلى أخيك، وتدفع بها الكريهة[2].

قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا رأيت بين اثنين من شيعتنا منازعة فافتدها من مالي[3].

بيان: «فافتدها» كأن الافتداء هنا مجاز فإن المال يدفع المنازعة كما أن الدية تدفع طلب الدم، أو كما أن الأسير ينقذ بالفداء، فكذلك كل منهما ينقذ من الآخر بالمال، فالاسناد إلى المنازعة على المجاز، في المصباح فدا من الأسير يفديه فدى مقصور وتفتح الفاء وتكسر إذا استنقذه بمال واسم ذلك المال الفدية وهو عوض الأسير وفاديته مفاداة وفداء أطلقته وأخذت فديته، وتفادى القوم اتقى بعضهم ببعض، كأن كل واحد يجعل صاحبه فداه، وفدت المرأة نفسها من زوجها تفدي وأفدت أعطته مالا حتى تخلصت منه بالطلاق[4].

(١) الكافي: ج٢ ص٣٤٢ ح١٨، البحار: ج٦٩ ص٢٤٢ ح٥.
(٢) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٧٣ ص٤٤.
(٣) الكافي، ج ٢ ص ٢٠٩.
(٤) البحار: ج٣٧ ص٥٤.

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله عزّ وجلُ: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ قال: إذا دعيت لصلح بين اثنين فلا تقل عليَّ يمينٌ أن أفعل[1].

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «ثابروا على صلاح المؤمنين والمتقين»[2].

وعنه (عليه السلام): «من كمال السعادة السعي في صلاح الجمهور»[3].

وقال (عليه السلام): «من استصلح الأضداد بلغ المراد»[4].

وعن أبي عبدالله الحسين (عليه السلام): قد أدلى بذلك في وصيته لأخيه ابن الحنفية التي أعلن فيها عن أسباب خروجه على يزيد، فقال (عليه السلام): اني لم اخرج أشرا، ولا بطرا، ولا ظالما، ولا مفسدا، وإنما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر.

لقد انطلق (عليه السلام) إلى ميادين الجهاد ليقيم هذا الصرح الشامخ الذي بنيت عليه الحياة الكريمة في الاسلام، وقد انهارت دعائمه أيام الحكم الأموي، فقد أصبح المعروف في عهدهم منكرا، والمنكر معروفا، وقد أنكر عليهم الامام في كثير من المواقف، التي كان منها خطابه الرائع امام المهاجرين والأنصار، فقد شجب فيه تخاذلهم عن نصرة الحق ودحض الباطل، وايثارهم للعافية[5].

(١) الكافي: ٢ / ٢١٠.

(٢) غرر الحكم: ٤٧٠٣، ٩٣٦١، ٨٠٤٣

(٣) المصدر نفسه: ٤٧٠٣، ٩٣٦١، ٨٠٤٣.

(٤) المصدر نفسه: ٤٧٠٣، ٩٣٦١، ٨٠٤٣.

(٥) حياة الإمام الحسين (عليه السلام): الشيخ باقر شريف القرشي، ج٢ ص٢٨٩.

المسألة الثالثة: مبادئ الإصلاح.

عبر الإصلاح حقيقة تحيا الأمة حياة كريمة، وتأمن فيها على دينها وأعراضها وأموالها، ومن خلال الإصلاح يتصل الإنسان بمبدأ الكون وبإسلامه ودينه الذي يبعث فيه الخشية والحياء.

فلابد من الوقوف على المبادئ والمنطلقات الاساسية للإصلاح، ونقصد بالمبادئ والمنطلقات تلك الكليات والأسس التي ننطلق منها ونرتكز عليها لتحقيق الاهداف، وهي مستمدة من الكتاب والسنة، وفيما يأتي أهم المبادئ والمنطلقات التي توجه العملية الاصلاحية.

١ـ إخلاص العمل لله تعالى (النية الخالصة).

ومبدأ النية الخالصة التي نحرص عليها ونتربى عليها هو أن نجعل وجه الله هو الاساس في اعمالنا وسلوكنا، من قول وعمل، لأن الله تعالى لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصا صوابا، ومنه قوله تعالى: ﴿**تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾[1] وقوله تعالى أيضا: ﴿**وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى**﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾[3] وقد رووا عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى»[4].

(١) سورة القصص: ٨٣.

(٢) سورة الاعلى: ١٩ - ٢٠.

(٣) سورة البينة: ٥.

(٤) تهذيب الاحكام، ج٤ ص١٨٦، ح٢.

وقال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): «الإخلاص أشرف نهاية»[١].

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم: اخلاص العمل لله والنصيحة لائمة المسلمين واللزوم لجماعتهم»[٢].

عن الرسول (صلى الله عليه وآله): «إنما نصر الله هذه الأمة بضعفائها ودعوتهم وإخلاصهم وصلاتهم»[٣].

وقال الإمام زين العابدين (عليه السلام) - في مناجاته -: واجعل جهادنا فيك، وهمنا في طاعتك، وأخلص نياتنا في معاملتك[٤].

قال الحواريّون لعيسى (عليه السلام): «يا روح الله، من المخلص لله؟ قال: الذي يعمل لله لا يحبّ أن يحمده أحد على شيء من عمل الله عزّ وجلّ»[٥].

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «العمل الخالص: الذي لا تريد أن يحمدك عليه أحد إلا الله عز وجل»[٦].

ومن الأحاديث ما رواه الدارقطني: «أخلصوا أعمالكم لله فإن الله لا يقبل إلا ما خلص له»[٧].

---

(١) عيون الحكم والمواعظ: علي بن محمد الليثي الواسطي، ص٣٥

(٢) مستدرك الوسائل ميرزا الطربسي ج١١ ص٤٥.

(٣) المحجة البيضاء: ج٨ / ص١٢٥؛ ميزان الحكمة محمد الريشهري ج١ ص٧٥٥؛ كنز العمال المتقي الهندي ج٣ ص١٧٢.

(٤) البحار: ٩٤ / ١٤٧ / ٢١

(٥) الدر المنثور: ٢ / ٧٢٤.

(٦) الكافي: ٢ / ١٦ / ٤

(٧) إعانة الطالبين: البكري الدمياطي ج١ ص١٥٢

٢ـ الاسلام والقرآن (والعترة الطاهرة) سلام الله عليهم .

المنطلق الثاني للإصلاح الذي من خلاله تسعد البشرية هو التمسك بالاسلام والقرآن الكريم وعِدله الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، فالتمسك بالعترة الطاهرة موجب للفوز في الآخرة.

وفي وصية النبي (صلى الله عليه واله):إلى أبي ذر الغفاري (رضوان الله عليه): قال واعلم يا أبا ذر أن الله عز وجل جعل أهل بيتي في أمتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق، ومثل باب حطة في بني إسرائيل من دخلها كان آمنا[١].

في مسند ابن حنبل أنّه صلَّى الله عليه وآله وسلم قال: (إنّ النجوم أمان لأهل السماء، فإذا ذهبت ذهبوا، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض)[٢] .

إنهم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق في هذا البحر المائج الزاخر بأمواج الشبه والضلالات والادعاءات والمنازعات. والدليل القطعي من القرآن والسنة دال على وجوب الرجوع إلى آل البيت (عليه السلام) وأنهم المرجع الأصلي بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لأحكام الله المنزلة.

قال النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: (صنفان من أمتي لا نصيب لهم في الإسلام: الناصب لأهل بيتي حربا، وغال في الدين مارق منه)[٣] .

(١) الغدير، ج ١ ص١٤٠ إلى ١٥١ وكذلك ص ٢٩٤ إلى ٣١٣

(٢) صحيح مسلم ٥: ٣٧ باب فضائل أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله) ح ٢٤٢٤، وسنن الترمذي ٥: ٦٦٣ ح ٣٧٨٧.

(٣) الوافي: الفيض الكاشاني ج٢ ص٢٢٩.

وفي وصية الامام أمير المؤمنين (عليه السلام): في القرآن (والله الله فى القرآن لايسبقكم بالعمل به غيركم)[1].

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (ألا من تعلم القرآن وعلّمه وعمل بما فيه فأنا له سائق إلى الجنة، ودليل إلى الجنة[2] .

٣ـ الفريق الجماعي المنظم.

يعد مبدأ العمل الجماعي بصورته المنظمة أحد عناصر الثورة الإصلاحية، التي تستمد أصالتها من القرآن والسنة المطهرة، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[3].

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[4].

إن العمل الجماعي المنظم مدعاة إلى تحقيق الاهداف السامية للإصلاح، من إعانة المحتاجين وتخليص النفس من ذي الرقبة وحقوقها.

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «يد الله مع الجماعة»[5]، ولا يبالي الله بشذوذ من شذ ومن خالف الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه .

(١) نهج البلاغه، باب، ٤٧ وصيته عليه السلام للحسن والحسين عليهما السلام لمّا ضربه ابن ملجم لعنه الله

(٢) ميزان الحكمة: محمد الريشهري ج٣ ص٢٥٢٢

(٣) سورة المائدة: ٣

(٤) سورة التوبة / ٧١.

(٥) كنز العمال ج١ ص٢٠٢٤

المراد بالجماعة هنا المتعاونون على الخير والصلاح الذي يعود على الجميع. بقرينة يد الله، والخروج من الإسلام، وبحبوحة الجنة، كما يفسر الحديث الوارد عن الإمام الصادق عليه السلام معنى الجماعة بمفهوم الإسلام فيقول: سئل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن جماعة أمته؟ فقال: جماعة أمتي أهل الحق وإن قلوا»[1].

٤ـ التعاون على الخير مع الغير.

من العناصر الاساسية في الإصلاح هو ايجاد مبدأ التعاون على الخير مع إشراك الغير فيه، وهذا ما يعبر عنه بالقدرة على التعامل مع اصناف شتى من الناس، مما يحقق وحدة الهدف الذي نشأ من أجله الاصلاح، يقول الله تعالى في سورة الممتحنة: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[2].

قال جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: من مشى في عون أخيه فله ثواب المجاهدين في سبيل الله[3].

(١) بحار الانوار ج٢ ص٢٦٥.

(٢) سورة الممتحنة: ٨ـ ٩

(٣) عقاب الأعمال: ص٢٧٦ – ٢٧٧.

٥ـ التعايش الايجابي.

من الأسس والمبادئ في تحقيق العملية الاصلاحية في المجتمع معاملة الآخرين ومخالطتهم ايجابيا، ويعد هذا المبدأ من سلوكيات الانبياء والأئمة الأطهار سلام الله عليهم، لأن للناس حوائج لا يمكن قضاؤها إلا بمخالطتهم، ويتعرض الناس إلى مشاكل لا يمكن التعرف عليها إلامن خلال معاشرتهم والجلوس معهم والاحسان اليهم.

قال الامام الصادق عليه السلام: من أضاف مؤمنا أو خف له في شيء من حوائجه، كان حقا على الله أن يخدمه وصيفا في الجنة[١].

عن الصادق (عليه السلام) انه قال والبيت غاص باهله: اعلموا انه ليس منا من لم يحسن مجاورة من جاوره[٢]

عن أبي الربيع الشامي قال: دخلت على أبى عبد الله عليه السلام والبيت غاصّ باهله، فيه الخراسانى والشامى ومن اهل الافاق، فلم اجد موضعاً اقعد فيه. فجلس ابوعبد الله عليه السلام وكان متكئاً، ثم قال: يا شيعة آل محمد اعلموا انه ليس منا من لم يملك نفسه عند غضبه ومن لم يحسن صحبة من صحبه ومخالقة من خالقه ومرافقة من رافقه ومجاورة من جاوره ومماحلة من ماحله، شيعة آل محمّد اتقوا الله ما استطعتم ولا حول ولا قوة الّا با لله[٣].

وقال عليه السلام: (من نفّس عن أخيه كربة من كرب الدنيا، نفَّس الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلما، ستره الله في الدنيا والآخرة، والله تعالى

(١) بحار الأنوار: ج ٧٤ ص ٣١٢، حديث ٦٩ – وفيه:.. (نفس الله عنه بها كربة يوم القيامة).

(٢) هداية العباد: الشيخ لطف الله الصافي الگلپايگاني ج ٢ ص٣٥٤.

(٣) من لا يحضره الفقيه ج٢، ص١٧٩.

في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما، سلك الله به طريقا إلى الجنة، وما جلس قوم في مسجد، يتلون كتاب الله، ويتدارسون بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وحفتهم الملائكة، ومن أبطأ به عمله، لم يسرع به نسبه)[1].

ومن وصية الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) لمالك الاشتر (رضوان الله عليه) (الناس صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق)[2].

إذن من خلال ما استعرضناه من هذه المبادئ يظهر إن الإصلاح ضرورة عينية ووجوبه كوجوب الواجبات التكليفية التي تحتاج إلى الاسلام والعقل والايمان

المسألة الرابعة: تقسيمات الإصلاح.

القسم الاول: الإصلاح النفسي (الاخلاقي).

منه قوله تعالى: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**﴾[3]،فمن طهَّر نفسَه بطاعة الله، وأصلحها من الأخلاق الدنيئة والرذائل فقد أفلح وربح، ومن دساها حتى ركب المعاصي وترك طاعةَ الله فقد خاب وخسر.

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (من أصلح سريرته أصلح الله تعالى علانيته، ومن عمل لدينه كفاه الله دنياه، ومن أحسن فيما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس)[4].

(١) بحار الأنوار: ج ٧٤ ص ٣١٢، حديث ٦٩ – وفيه:.. (نفس الله عنه بها كربة يوم القيامة).
(٢) نهج البلاغة خطب الإمام علي ج٣ ص٤٩ رسالة ٥٣.
(٣) سورة الشمس: الآيات ٧ – ١٠.
(٤) الوسائل ج١١: ص١٨٢ / ح ٨.

وقال أبو الحسن عليه السّلام: تعاهدوا عباد الله نعمه بإصلاحكم أنفسكم تزدادوا يقينا، وتربحوا نفيسا ثمينا[1].

يوصي الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) بضرورة الإسراع إلى التوبة قبل حلول الموت: وأنك طريد الموت الذي لا ينجو منه هاربه، ولا بد أنه مدركه، فكن منه على حذر أن يدركك وأنت على حال سيئة قد كنت تحدث نفسك منها بالتوبة فيحول بينك وبين ذلك، فإذا أنت قد أهلكت نفسك[2].

ومن خطبة له (عليه السلام): يحث الناس على التوبة ويحذر تسويفها:

«اعملوا رحمكم الله على أعلام بينة، فالطريق نهج يدعو إلى دار السلام، وأنتم في دار مستعتب على مهل وفراغ، والصحف منشورة. والأقلام جارية، والأبدان صحيحة، والألسن مطلقة، والتوبة مسموعة، والأعمال مقبولة»[3].

فيتحصل: أن إصلاح النفس عملية شاقة ولكنها ليست مستحيلة إذا ما توافرت الشروط المطلوبة والأسباب الموضوعية لذلك، ومن شروط إصلاح النفس العزم والمسارعة على التوبة والاعتراف بالذنوب والمعاصي.

القسم الثاني: الإصلاح الاجتماعي.

يعد الإصلاح الاجتماعي الركيزة الاساس في بناء المجتمع نحو السلامة الاخلاقية والفكرية، وبذل أهل البيت (عليهم السلام) في هذا المجال عناية خاصة لإصلاح المجتمع الإسلامي وتطهيره من شوائب الجاهلية، بدأ بالمقربين منه، ثم

(١) هداية الأمة إلى أحكام الأئمة (عليه السلام): الحر العاملي ج٥ ص٥٤١.

(٢) نهج البلاغة: رسالة ٣١

(٣) المصدر نفسه، خطبة ٩٤

الخوض في سائر الاوساط الاجتماعية والحكومية، ويتم الإصلاح الاجتماعي عبر توظيف السنة النبوية المطهرة لإيجاد التغيير، من خلال نشر الاحاديث الشريفة التي تحقق إزالة الخوف والحواجز والتراكمات والافكار التحجرية التي خلفها الحكام على أبناء الأمة، التي أرادوا بها الحط من كرامة وعزة الامة هذا أولا وثانيا العمل على التغيير الاخلاقي وربط الامة بالله سبحانه وتعالى ونبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته (عليهم السلام) من خلال الاعتماد على عناصر التغير المؤثرة في المجتمع.

فقد ركز الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) على مبدأ الإصلاح الاجتماعي من خلال عهده لمالك الاشتر(رضوان الله عليه) موضحا له طبيعة التعايش السلمي في المجتمع، والآثار التي خلفتها الحكومات السابقة وأثرها على تركيبة المجتمع، يقول (عليه السلام): ثم اعلم يا مالك أني قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور. وأن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاة قبلك، ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم، وإنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده. فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح. فأملك هواك، وشح بنفسك عما لا يحل لك، فإن الشح بالنفس الإنصاف منها فيما أحبّت أو كرهت، وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعاً ضاريا تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق، أعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنك فوقهم، ووالي الأمر عليك فوقك، والله فوق من ولاك. وقد استكفاك أمرهم وابتلاك بهم، ولا تنصبن نفسك لحرب الله فإنه لا يدي لك بنقمته، ولا غنى بك عن عفوه ورحمته، ولا تندمن على عفو، ولا تبجحن بعقوبة، ولا تسرعن إلى بادرة وجدت منها مندوحة، ولا تقولن إني

مؤمر آمر فأطاع، فإن ذلك إدغال في القلب، ومنهكة للدين.. أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك ومن لك فيه هوى من رعيتك، فإنك إلا تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، ومن خاصمه الله أدحض حجته.. الى آخر خطبته عليه السلام.[1]

وفي القوي كالصحيح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: صنفان من أمتي إذا صلحا صلحت أمتي، وإذا فسدا فسدت أمتي، الأمراء والقراء والمراد بهم العلماء[2] في هذا المجال

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام): «زلة العالم كانكسار السفينة تَغرَق وتُغرِق»[3].

وقال(عليه السلام) في وصيته للإمامين الحسن والحسين: أوصيكما وجميع ولدى وأهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ونظم أمركم وصلاح ذات بينكم، فاني سمعت جدكما صلى الله عليه وآله يقول صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام[4].

ومن مصاديق الإصلاح الاجتماعي إيجاد العدالة الاجتماعية في المجتمع، وأن يجعل الإنسان نفسه ميزاناً بينه وبين غيره من الناس، فلا يفضل نفسه على غيره أياً كان حسبه ونسبه، فقد جسد أمير المؤمنين(عليه السلام) هذا المفهوم بدقة ورسم منهاجاً طبقه على نفسه أولاً ليكون نمطاً ومثالاً يقتدى به على مر الأجيال، وذلك حينما خاطب ولده الحسن (عليه السلام)، قائلاً: يا بُنيّ اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك، فأحبب لغيرك ما تحبّ لنفسك، واكره له ما تكره لها، ولا

(١) نهج البلاغة:٥٣

(٢) أمالي الصدوق – المجلس الثالث والأربعون حديث ٢ و ٣، ص ١٤٨.

(٣) البحار ج: ٢ باب: ١١ من أبواب كتاب العلم حديث: ١٠ و٣٩ .

(٤) نهج البلاغة، ٤٢١، قسم الرسائل، الرقم ٤٧.

تظلم كما لا تحب أن تُظلم، وأحسن كما تحب أن يحسن إليك، واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك، وارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك، ولا تقل ما لا تعلم وإن قلّ ما تعلم، ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك[1].

ومن مظاهر الإصلاح الاجتماعي، ابراز العلاقات الاجتماعية من خلال المحبة والشفقة والتودد وتطهير الالسن من الكلام البذيء يقول (عليه السلام): قولوا للناس أحسن ما تحبّون أن يقال لكم، فإنّ الله يُبغض اللّعّان السبّاب الطعّان على المؤمنين، الفاحش المتفحّش، السائل الملحف. ويحبّ الحييّ الحليم، العفيف المتعفّف[2]،إلى غير ذلك من الروايات الكثيرة التي تؤكد على منهجية الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) في نشر وترسيخ المفاهيم الاخلاقية في المجتمع كالعفة وحسن الخلق، وصلة الارحام، وادخال السرور على قلوب المؤمنين.

وأكد (عليه السلام) على تعميق الاواصر الاجتماعية من خلال الارتباط بأهل الورع والتقوى، وبيان الحقوق المتبادلة في المجتمع، حق المؤمن على المؤمن، وحق الجار على الجار وحذر عليه السلام من ظلم الناس، أو الإعانة على ظلمهم، كما شدد عليه السلام على الاحسان للآخرين، وعدم مقابلة الإساءة بالإساءة.

القسم الثالث: الإصلاح السياسي.

الإصلاح السياسي هو «تحسين النظام السياسي من أجل إزالة الفساد والاستبداد. ويعدّ الإصلاح السياسي ركنًا أساسيًا مرسخًا للحكم الصالح، ومن مظاهره سيادة القانون والشفافية والمشاركة الشعبية في اتخاذ القرار والعدل وفعالية الإنجاز وكفاءة الإدارة والمحاسبة والمسائلة والرؤية الاستراتيجية، وهو تجديد

(١) نهج البلاغة محمد عبده، ج ٣ ص٤٥.

(٢) تحف العقول عن آل الرسول: ابن شعبة الحراني، ص٣٠١.

للحياة السياسية، وتصحيح لمساراتها، ولصيغها الدستورية والقانونية، بما يضمن توافقًا عامًا للدستور، وسيادة للقانون[1].

وورد مفهوم الإصلاح السياسي في كلام الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) إذ قال (عليه السلام): اللهم إنك تعلم أنه لم يكن ما كان منا تنافسا في سلطان ولا التماسا من فصول الخصام ولكن لنرى المعالم من دينك ويظهر الإصلاح في بلادك ويأمن المظلومون من عبادك ويعمل بفرائضك وسننك وأحكامك فإنكم إن لا تنصرونا وتنصفونا قوي الظلمة عليكم وعملوا في إطفاء نور نبيكم وحسبنا الله وعليه توكلنا وإليه أنبنا وإليه المصير[2].

يتحدث الامام (عليه السلام) في هذا المقطع عن الاصلاح السياسي وبيان مهمة الحاكم في المنظومة القيادية.

وتعد ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) من بين أشهر الثورات الإصلاحية التي حدثت في تاريخ الإنسانية، إن لم تكن أشهرها على الإطلاق فثورته لم تكن لجمع المال والبحث عن الجاه، والتطلع إلى الحكم والتسلط على رقاب الناس، بل كانت لضمان مبدأ حرية الإنسان وكرامته، ومنحه حق الكلمة ليطالب بحقوقه ويعيش حياة كريمة بعيدة كل البعد عن الذل والهوان.

حيث قال الامام الحسين (عليه السلام) عند خروجه: (إني لم أخرج أشرا، ولا بطرا، ولا ظالما، ولا مفسدا، وإنما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر)[3].

(١) مفهوم الإصلاح السياسي: محمد محمود السيد شبكة الانترنت العالمية.

(٢) الوافي: الفيض الكاشاني، ج١٥ ص١٧٩.

(٣) موسوعة كلمات الحسين عليه السلام، ص ٢٨٣.

يتضح من كلام الامام (عليه السلام) أنه لا يريد أن يتولى زمام قيادة الأمة طاغية او متجبر او فاسق، بل يجب أن يكون القائد من سنخ أئمة أهل البيت أو الأقرب لهم في جميع الأمور عبادة وعلماً وأخلاقاً وعملاً. وهذا ما أكده الإمام الحسين(عليه السلام) في كل مقولاته التي أشارت إلى أن يزيد شارب الخمر ومعلن بالفسق وقاتل النفس المحرمة، وأن (مثلي لا يبايع مثله) وقوله في استحقاق قيادة الأمة (وأنا أحق من غيّر) وفي تأكيده (إنّا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، بنا فتح الله وبنا ختم، وزيد فاسق شارب الخمر، قاتل النفس المحرّمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله[1]

وقال (عليه السلام) في موضع آخر إشارة إلى بيان أهمية الإصلاح السياسي

إن هذه الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها، فلم يبق منها إلا صبابة كصبابة الاناء وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون أن الحق لا يعمل به وأن الباطل لا يتناهى عنه[2].

القسم الرابع: الإصلاح الاقتصادي.

يعد الإصلاح الاقتصادي من المسائل المهمة جدا التي ينبغي الاسهاب فيها مفصلا، إلا أننا سنكتفي في هذا القسم بذكر النقاط مورد الاهمية.

الإصلاح الاقتصادي: مجموعة من السياسات والإجراءات التي تهدف إلى رفع نسبة الانتاج، وتحسين الموارد الاقتصادية وتوفير الفرص المتاحة لتقويمه وتنمية مجالاته كافة، لأنه يعدّ من عناصر القوة والاستغناء عن الغير وفيه العزة

(١) مثير الأحزان: ابن نما الحلي ص١٤.

(٢) تحف العقول عن آل الرسول: ابن شعبة الحراني، ص٢٤٦.

والكرامة للإنسان، (لأن الكرامة الاقتصادية توجب الكرامة الاجتماعية)[1]، ومن الواضح إن الكرامة الاجتماعية متوقفة على الكرامة الاقتصادية، فكلاهما واجب.

وفي الخبر الشريف عن الصادق (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً**﴾ رضوان الله والجنة في الآخرة والمعاش وحسن الخلق في الدنيا[2].

وقال رجل للصادق (عليه السلام) إنا والله لنطلب الدنيا ونحب أن نؤتى بها، فقال تحب أن تضع بها ماذا؟ قال أعود بها على نفسي وعيالي وأصل منها وأتصدق وأحج واعتمر، فقال الصادق (عليه السلام) ليس هذا طلب الدنيا هذا طلب الآخرة، وقال معاذ بن كثير صاحب الأكسية للصادق (عليه السلام) قد هممت أن أدع السوق وفي يدي شيء قال إذن يسقط رأيك ولا يستعان بك على كل شيء[3].

وقد ركز الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) على الاصلاح الاقتصادي بمواضع متعددة.

أولاً: عمارة الأرض للزراعة .

إصلاحها من خلال إيجاد مستلزمات الإعمار وما يحتاجه المزارعون للزراعة، من شق الأنهر ونصب النواضح لسقي الأرض، فالإصلاح هو إعمار الأرض وإحياؤها، وإهمالها يعود بالأضرار الفادحة على المزارعين.

(١) الفقه: للسيد الشيرازي (كتاب الحكم في الاسلام)، ج٩٩ ص٩٩.

(٢) تذكرة الفقهاء، (ط.ق) العلامة الحلي، ج١ ص٥٨٠.

(٣) المصدر نفسه: ص٥٨٠.

ثم يؤكد الامام (عليه السلام) في جانب الإصلاح الاقتصادي على تشجيع المزارعين على الزراعة، وحث الإمام (عليه السلام) الحكومة على الاهتمام بالمزارعين والاستجابة لطلباتهم، بما يؤدي إلى إصلاح الأرض وإشاعة العدل وتوثيق العلاقة بين الوالي والرعية.

فإن الأرض لله عزّ وجلّ ثم لمن عمرها[1].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله من أحيا مواتا فهي له[2].

وفي الصحيح عن أبي خالد الكابلي عن الباقر (عليه السلام) قال وجدنا في كتاب علي (عليه السلام) ان الأرض لله نورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين انا وأهل بيتي الذين أورثنا الأرض ونحن المتقون والأرض كلها لنا فمن أحيا أرضا من المسلمين فليعمر وليؤد خراجها إلى الإمام من أهل بيتي وله ما أكل.

اهتم الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام)بالمزارعين فأوصى برعايتهم والعناية بهم، وتصديقهم فيما يقولون في شأن الخراج، وإقصاء كل لون من ألوان الضغط عنهم،وهذا قوله (لمالك الاشتر) :قال عليه السلام:

(فإن شكوا -أي المزارعون- ثقلة، أو علة، أو انقطاع شرب أو بالة أو إحالة أرض اغتمرها غرف، أو أجحف بها عطش، خففت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم ولا يثقلن عليك شيء خففت به المؤونة عنهم، فإنه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك وتزيين ولايتك مع استجلابك حسن ثنائهم، وتبجحك باستفاضة العدل فيهم معتمد أفضل قوتهم بما ذخرت عندهم من إجحامك لهم، والثقة

(١) تذكرة الفقهاء (ط.ق): العلامة الحلي، ج٢ ص٤٠٠.

(٢) تذكرة الفقهاء (ط.ق): العلامة الحلي، ج٢، ص٤٠٠.

منهم بما عودتهم من عدلك عليهم في رفقك بهم، فربما حدث من الأمور ما إذا عولت فيه عليهم من بعد ما احتملوه طيبة أنفسهم فإن العمران محتمل ما حملته، وإنما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها، وإنما يعوز أهلها لإشراف أنفس الولاة على الجمع -أي جمع الأموال- وسوء ظنهم بالبقاء، وقلة انتفاعهم بالعبر..)[1].

يحكي هذا المقطع مدى اهتمام الإمام(عليه السلام) بتنمية الاقتصاد القومي الذي يمثله قطاع الفلاحين، فقد أوصى بعمارة الأرض وتوفير ما تحتاجه من المياه، وإصلاحها فيما إذا غمرتها المياه وغير ذلك من وسائل الإصلاح، وقد فقد المسلمون هذه الرعاية أيام الحكم الأموي والعباسي،فقد شكا والي مصر إلى عاهل الشام سوء حالة المزارعين وطلب تخفيف الخراج عنهم.

وهذا ما شدد عليه الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) إذ نبه إلى سياسة سياسة الحكام في جلب الضرائب والخراج وجشعهم، وعدم الاهتمام بإصلاح وإعمار الارض، مما يؤدي هذا إلى إشاعة الفقر بين الناس، الذي ينعكس سلبا على خراب الارض.

قال الكندي كتب سليمان بن عبد الملك بن مروان إلى أسامة (احلب الدر حتى ينقطع واحلب الدم حتى ينصرم)[2] قال فذلك أول شدة دخلت على أهل مصر وقد اضطر المزارعون إلى هجر مزارعهم فراراً من ظلم الولاة وجورهم كما حكى هذا المقطع البر بالمزارعين والإحسان إليهم ومراعاة حياتهم الاقتصادية بما لم يألفوا مثله في الحكومات السابقة.

(١) نهج البلاغة خطب الإمام علي عليه السلام، ج٣، ص٩٨، رسالة ٥٣.

(٢) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: يوسف بن تغري بردي الأتابكي، ج ١.

ثانياً: الإصلاح المالي.

وأبرز ظاهرة ماثلة في هذا المجال هي ظاهرة تعاطي الرشوة.

ويظهر هذا الامر بشكل جليّ في السياسة الاموية التي تلاعبت بأموال الامة وجعلتهم يتحولون إلى فقراء يستعبدهم الطواغيت، بل أن الإمام كشف عن أن المال الحرام الذي يرشي به الطغاة جنود الباطل هو السبب الذي جعل ذلك الجيش الأموي في ضلال تام فيقدم على أعظم جريمة في التاريخ البشري، وذلك حين قال: وأعجب من ذلك طارق طرقنا بملفوفة في وعائها، ومعجونة شنئتها، كأنما عجنت بريق حية أو قيئها. فقلت: أصدقة أم نذر أم زكاة؟ وكل ذلك محرم علينا أهل البيت. فقال: لا ولا ذلك، ولكنها هدية، فقلت: هبلتك الهبول! أعن دين الله أتيتني لتخدعني؟ أمختبط أنت أم ذو جنة أم تهجر؟ والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها [واسترق لي قطانها مذعنة بأملاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة فألوكها ما قبلت ولا أردت. وإن دنياكم عندي أهون من ورقة في فم جرادة تقضمها، ما لعلي ونعيم يفنى، ولذة لا تبقى! نعوذ بالله من سبات العقل، وقبح الزلل، وبه نستعين][1].

ومنه: ظهور الطبقة البرجوازية (الاقطاعيين) بسبب السياسة الاموية غير العادلة:ـ

والبرجوازية: طبقة من الناس غارقة في الترف تمتاز بأنها طبقة غير عاملة، تعيش على ما تحققه من أرباح على حساب باقي الناس وباقي الشرائح، ظهرت ونماها الامويون حتى استطاعت ان تسيطر على الناس الفقراء، تغتصب وتأكل حقوقهم، فقد أشار الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) إليها فيما رده على المسلمين من قطائع عثمان.

(١) رسائل الشريف المرتضى: الشريف المرتضى، ج٣، ص١٤٠.

قال (عليه السلام): والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملك به الإماء لرددته فإن في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق[1]

وقال (عليه السلام): إنّ الله سبحانه فرض في أموال الاغنياء أقوات الفقراء، فما جاع فقير إلّا بما متّع به غنيّ، والله - تعالى جدّه - سائلهم عن ذلك[2].

ثالثاً: التنمية الإنسانية طريق للتنمية الاقتصاد .

يمكننا ملاحظة توجيهات الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) لمالك الاشتر(رضوان الله عليه) في تحقيق التنمية الانسانية بأبعادها المختلفة والتي تعتمد على العناصر الآتية:

أولاً: استنهاض الإنسان في ممارسة دوره في الحياة الاجتماعية، من خلال تفجير طاقاته الكامنة، وشق طريقه بالطموح وعلو الهمة قوله (عليه السلام) لمالك: «**ثُمَّ انْظُرْ فِي أُمُورِ عُمَّالِكَ فَاسْتَعْمِلْهُمُ اخْتِبَاراً وَلَا تُوَلِّهِمْ مُحَابَاةً وَأَثَرَةً فَإِنَّهُمَا جِمَاعٌ مِنْ شُعَبِ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ وَتَوَخَّ مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجْرِبَةِ وَالْحَيَاءِ مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ وَالْقَدَمِ فِي الْإِسْلَامِ الْمُتَقَدِّمَةِ فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلَاقاً وَأَصَحُّ أَعْرَاضاً وَأَقَلُّ فِي الْمَطَامِعِ إِشْرَاقاً وَأَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ نَظَراً**»[3].

ثانياً: الدعوة إلى تحقيق مبدأ التكافل الاجتماعي، والاهتمام بمناطق الضعف والحاجة في المجتمع: في الصحيح عن أمير المؤمنين (عليه السلام) انه قال لجابر بن عبدالله الانصاري: يا جابر قوام الدين والدنيا بأربعة: عالم مستعمل علمه، وجاهل لا يستنكف أن يتعلم، وجواد لا يبخل بمعروفه، وفقير لا يبيع آخرته بدنياه، يا

(١) نهج البلاغة: خطب الإمام علي ج١ ص١٣.

(٢) نهج البلاغة خطب الإمام علي ج٤ ص٨٧.

(٣) نهج البلاغة:خطب الإمام علي ج٣ ص٥٩ رسالة٥٣

جابر من كثرت نعم الله عليه كثرت حوائج الناس اليه، فمن قام لله فيها بما يجب عرّضها للدوام والبقاء، ومن لم يقم لله فيها بما يجب عرّضها للزوال والفناء[1].

وقوله (عليه السلام) في ذم الفقر والثراء الفاحش.

أما بعد فإن الدنيا مشغلة عن غيرها، ولم يصب صاحبها منها شيئا إلا فتحت له حرصا عليها ولهجا بها، ولن يستغني صاحبها بما نال فيها عما لم يبلغه منها.

ثالثاً: وضع سياسة الدولة في خدمة التنمية الانسانية، وهذا ما تؤكده سياسات الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) مع الامة، وسياسته (عليه السلام) مع الولاة والموظفين، ومن أبرزها علوا وشمولا في مضمونها عهده لمالك الاشتر(رضوان الله عليه) حين ولاه مصر، إذ يؤكد الامام (عليه السلام) ضمن فقرات العهد على تطبيق العدل والمساواة بين المواطنين، وحفظ حقوقهم المادية والمعنوية وان اختلفت اديانهم وتوجهاتهم: يقول عليه السلام: (**وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ وَاللُّطْفَ بِهِمْ وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ**)[2].

فيتحصل: مما ذكرناه أن الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) يهدف من الإصلاح الاجتماعي في عهده لمالك الاشتر(رضوان الله عليه) إلى:

١ـ بناء القيم الإنسانية في المجتمع عن طريق تذويب الفوارق بين الطبقات، الاجتماعية وتحقيق التكافؤ في الفرص والمساواة أمام القانون والعدالة في توزيع أعباء الانفاق العام.

(١) تحف العقول، ص ٢٢٢، بحار الأنوار، ج ٧٥ ص ٦٢، وقريب منه ما في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٩ ص٣٠٣؛ جامع احاديث الشيعة، السيد البروجردي ج٣ ص٥٤٠.

(٢) نهج البلاغة، خطب الإمام علي، ج٣، ص٧٨.

٢ـ إشاعة الثقافة الاسلامية الصحيحة بين الناس من خلال ما ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته عليهم السلام من خلال تصحيح المعتقدات الفكرية التي عادة ما يقتبسها الأفراد من مجتمعاتهم من دون التدبر والتأمل في صحتها أو سقمها وبناء الفكر على رؤى عقائدية سماوية إبتداءً من الإيمان بوحدانية الله عز وجل ومرورا بالإيمان بالنبوة والإمامة وإنتهاء بالمعاد والحساب في يوم القيامة.

٣ـ تعميق الهوية الإسلامية في نفوس الناس من خلال التمسك بالقرآن والعترة الطاهرة.

المبحث الرابع

التنمية الاقتصادية

قوله عليه السلام: (وَعِمَارَةَ بِلادِهَا).

يتحدث الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا المقطع من العهد حول التنمية الاقتصادية، أي العمل على تنمية البلد اقتصاديا، وهو يشمل التنمية الزراعية والصناعية والتجارية وتوفير الخدمات السكنية والصحية والتعليمية وسائر الخدمات الأخرى.

المسألة الأولى: عناصر التنمية الاقتصادية.

أولاً: عمارة الأرض.

العمارة:ـ من أعمر وأعمره أي جعله آهلا وعمر المنزل بأهله كان مسكونا بهم، فهو عامر، وعمر الأرض بنى عليها أي وجدتها عامرة[1].

والعمارة نقيض الخراب، وهي تعني جعل الشيء واستعماله على النحو الذي ينتفع به ويحقق الغرض منه، وهي لكل شيء بما يناسبه من ذلك، (فالعمارة تحويل الأرض إلى حال تصلح بها أن يُنتفع من فوائدها المترقّبة منها كعمارة الدّار للسُكنى والمسجد للعبادة والزرع للحرث والحديقة لاجتناء فاكهتها والتنزه فيها، والاستعمار هو طلب العمارة بان يطلب من الإنسان أن يجعل الأرض عامرة

(١) ينظر: المعجم الوسيط: ج٢، مادة (عمر)، ص٦٥٠.

تصلح لأن ينتفع بما يطلب من فوائدها)[1].

فالإنسان مأمور من قبل الله سبحانه وتعالى بعمارة الأرض وإصلاحها وإحيائها من دون أن يمنعه مانع، منه قوله تعالى في سورة هود (هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنْ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا)[2] أي أذن لكم في عمارتها واستخراج قوتكم منها وجعلكم عمارها وعمر عليه أي أغناه. وقوله تعالى: (وَاسْتَعْمَرَكُمْ) أي أسكنكم فيها ألهمكم عمارتها من الحرث والغرس وحفر الأنهار وغيرها أي خلقكم لعمارته[3].

حيث إن الغرض من وجودنا على هذه الأرض إعمارها فان وظيفة كل فرد هي اعمار واصلاح ما يقع في دائرة مسؤوليته، فربّ الأسرة يعمر اسرته ومدير المدرسة يعمر طلابه، والقائد يعمر اتباعه ومريديه وهكذا القائد السياسي، لذا جعل أمير المؤمنين (عليه السلام) من الوظائف المهمة للحاكم عمارة الأرض، قال (عليه السلام) في عهده الذي كتبه لمالك الأشتر: (وَلْيَكُنْ نَظَرُكَ فِي عِمَارَةِ الْأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظَرِكَ فِي اسْتِجْلَابِ الْخَرَاجِ لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يُدْرَكُ إِلَّا بِالْعِمَارَةِ وَمَنْ طَلَبَ الْخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَةٍ أَخْرَبَ الْبِلَادَ وَأَهْلَكَ الْعِبَادَ وَلَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلَّا قَلِيلًا)، وقال (عليه السلام): (وَلَا يَثْقُلَنَّ عَلَيْكَ شَيْءٌ خَفَّفْتَ بِهِ الْمُؤْنَةَ عَنْهُمْ فَإِنَّهُ ذُخْرٌ يَعُودُونَ بِهِ عَلَيْكَ فِي عِمَارَةِ بِلَادِكَ وَتَزْيِينِ وِلَايَتِكَ)[4].

ثم أوصاه بالتجار وذوي الصناعات، والفئات الدنيا من المجتمع، قوله (عليه السلام): وَلَا قِوَامَ لَهُمْ جَمِيعاً إِلَّا بِالتُّجَّارِ وَذَوِي الصِّنَاعَاتِ فِيمَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ

(١) تفسير الميزان: للعلامة الطباطبائي: ج١٢، ص ٢٩٨.

(٢) سورة هود:٦١

(٣) تفسير الامثل: في ذيل هذه الآية المباركة الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) ج٩، ص٥٦.

(٤) نهج البلاغة خطب الإمام علي ج٣ ص٩٦: رسالة ٥٣

مَرَافِقِهِمْ وَيُقِيمُونَهُ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ وَيَكْفُونَهُمْ مِنَ التَّرَفُّقِ بِأَيْدِيهِمْ مَا لَا يَبْلُغُهُ رِفْقُ غَيْرِهِمْ ثُمَّ الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ وَالْمَسْكَنَةِ الَّذِينَ يَحِقُّ رِفْدُهُمْ وَمَعُونَتُهُمْ)[1]

إن الإمام (عليه السلام) يرى في العمارة أبعد من مجرد الزيادة في الإنتاج أو رفع الدخل القومي، أو مضاعفة متوسط دخل الفرد، لأنها تتطلب عدالة في توزيع الدخل ورفع مستوى المعيشة لجميع أفراد المجتمع، دون استثناء، سواء من كانت لديه القدرة على الكسب، أم من يعجز عنه، إذ تقوم الدولة بضمان مستوى الكفاية لمن يحتاجها.

وعنه (عليه السلام) في حديث أنه قال: إن معايش الخلق خمسة: الإمارة، والعمارة، والتجارة، والإجارة، والصدقات - إلى أن قال: - وأما وجه العمارة فقوله تعالى: « هو الذي أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها، فأعلمنا سبحانه أنه قد أمرهم بالعمارة ليكون ذلك سببا لمعايشهم بما يخرج من الأرض من الحب والثمرات وما شاكل مما جعله الله معايش للخلق [2].

ثانياً: العمل رأس المنافع.

العمل هو أساس في توفير رأس المال، فقد حث الاسلام على العمل الحثيث بالكد وبالانتشار في الأرض والمشي في مناكبها والاكل من رزق الله تعالى. كما في قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**﴾[3]، وقال تعالى ﴿**وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ**﴾[4].. والامر المباشر بالعمل بقوله تعالى: ﴿**وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ**

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) الوسائل: ج١٩ ص٣٥ ح٢٤٠٩٣ باب ٣من أبواب كتاب المزارعة والمساقاة

(٣) سورة الملك، ١٥.

(٤) سورة المزمل، ٢٠.

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[1] كما أبغض الاسلام الكسل والتكاسل كما في الاخبار المتضافرة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (ملعون ملعون من ألقى كلَّه على الناس، ملعون ملعون من ضيّع من يعول)[2]، وقد عرفت أن اللعنة ظاهرة في الحرمة[3]، وقال أبو جعفر عليه السّلام (إني أجدني أمقت الرجل يتعذر عليه المكاسب فيستلقي على قفاه ويقول اللهم ارزقني ويدع أن ينتشر في الأرض ويلتمس من فضل الله والذرة تخرج من جحرها تلتمس من رزقها)[4].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: (لا تكسلوا في طلب معايشكم فان ابائنا كانوا يركضون فيها ويطلبونها)[5].

٣- ومن الموارد الاخرى للتنمية الاقتصادية العمل التجاري، وقد حث الاسلام على التجارة بشكل أولاها اهتماما كبيرا، وفي المتواتر من الاخبار عن آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «البركة عشرة أجزاء تسعة أعشارها في التجارة»[6].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: « تسعة أعشار الرزق في التجارة»[7].

وفي الخبر عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): العبادة سبعون جزءا أفضلها طلب الحلال[8].

(١) سورة التوبة: ١٠٥.

(٢) الفقيه ج٢: ص ٣٨ الحديث ١٦٧، الوسائل ١٥: ٢٥١ الباب ٢١ من أبواب النفقات الحديث ٥.

(٣) فقه الدولة: مصدر سابق ص٤١٧.

(٤) الوافي: الفيض الكاشاني الجزء: ١٧ ص٢٦.

(٥) الوسائل: ج١٧ص٦٠ح٢١٩٨٠.

(٦) الوسائل ج ١٢ ص ٣ رقم: ٣.

(٧) الكافي ج ٥ ص ٧٨ رقم ٤.

(٨) الوافي: الفيض الكاشاني ج١٧ ص٢١.

حيث أن هذه الروايات تدل بمفهومها على استحباب العمل وطلبه من منابعه الشرعية، ويعد طريقا إلى الدين والآخرة: عن أبي عبد الله عليه السّلام قال (كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه يحتطب ويستقي ويكنس وكانت فاطمة سلام الله عليها تطحن وتعجن وتخبز[1].

ثم قرنت الأحاديث الشريفة العمل وكسب الحلال بمثابة الجهاد في سبيل الله عز وجل، فعنه (عليه السلام): «الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله»[2].

٤- ومن موارد التنمية الاقتصادية التي حث الاسلام المسلمين العمل عليها وتوفير رأس المال، الجانب الزراعي.

تعد الزراعة عنصرا مهما في التنمية الاقتصادية سبباً للاكتفاء الذاتي للبلد والمنصوص في تشريعات الإسلام، إن الباري عز وجل قد خلق الأرض للإنسان وجعل ما فيها له كما في الآيات الشريفة، منها ما ورد في سورة البقرة قوله تعالى: **﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾**[3].

وفي الوقت نفسه أباح إحياء الأرض وحيازة المباحات فيها، وندب إلى الزراعة[4].

وعن مولانا جعفر بن محمد الصادق(عليه السلام): «ازرعوا واغرسوا، فلا والله ما عمل الناس عملاً أحلّ ولا أطيب منه، والله لنزرعنّ الزرع ولنغرسنّ غرس النخل بعد خروج الدجّال»[5].

(١) الوافي: الفيض الكاشاني ج١٧، ص٧٧.

(٢) الكافي ٥: ٨٨ / ١ وفيه عن أبي عبد الله عليه السلام.

(٣) سورة البقرة: ٢٩.

(٤) فقه الدولة: للصفار ص٤٧٣.

(٥) الكافي ٥: ٢٦٠ / ٣، التهذيب ٦: ٣٨٤ - ٣٨٥ / ١١٣٩.

وسأل هارون بن يزيد الواسطي الباقرَ (عليه السلام) عن الفلاّحين، فقال: هُم الزارعون كنوز الله في أرضه، وما في الأعمال شيء أحبّ إلى الله من الزراعة، وما بعث الله نبيّاً إلاّ زارعاً[1].

كما حثت السنة الشريفة على المبادئ والقيم التي تخدم التنمية عندما تؤكد قيمة العمل كأساس للملكية فعن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه [واله] وسلم قال: (ما من مسلم غرس غرسا فأكل منه انسان أو دابة الا كان له صدقة)[2].

عن النبي صلى الله عليه [اله] وسلم قال: (ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وأن نبي الله داود صلى الله عليه وسلم كان يأكل من عمل يده)[3].

قال تعالى: ﴿**فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللهِ وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[4].

٥- الوسطية في الانفاق:ـ الوسطية تعني الطريق الوسط المعتدل بين حدي الإفراط والتفريط لذا فقد جعلها الإسلام خاصية من خصائصه، فتحقيق العدالة الاقتصادية لا يتم إلا إذا ابتعدت الدولة والمجتمع عن الاسراف والتبذير لأنهما يوجبان إهدار الطاقات وتضييع حقوق الآخرين[5]، ولقد نهى الاسلام عن صرف المال بغير حق، كالإسراف والتبذير، قال الله تعالى في مورد الإسراف: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ**

(١) التهذيب ٦: ٣٨٤ / ١١٣٨.

(٢) صحيح البخاري: البخاري ج٧ ص٧٨.

(٣) المجموع: النووي ج٩ ص٥٩.

(٤) سورة الجمعة: ١٠.

(٥) فقه الدولة: ج٢ ص٤٧٧

﴿الْمُسْرِفِينَ﴾[1] وقد نهى الباري عز وجل عن التبذير بقوله تعالى: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾[2].

ومن مصاديق الإسراف والتبذير الترف أو السفه، إذ وصف الله سبحانه وتعالى المترفين بقوله تعالى: ﴿فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾[3] فالترف والبذخ وصرف المال في غير محله يثير الحقد والبغضاء بين الناس وقد ربط الإسلام بين الترف والفساد بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾[4]، ولكن هذا لا يعني أن الإسلام يريد من الفرد المسلم أن يعيش عيشة المشقة. قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[5].

ثم يؤكد الاسلام على الكسب الحلال والابتعاد عن الشبهات، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّبًا وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ للهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[7].

(١) سورة الاعراف: ٣١

(٢) سورة الاسراء: ٢٦ ٢٧

(٣) سورة هود: ١١٦

(٤) سورة الاسراء: ١٦

(٥) سورة الاعراف: ٣٢

(٦) سورة البقرة: ١٦٨.

(٧) سورة البقرة ١٧٢.

والانفاق يعتبر من المقومات الأساسية لعملية التنمية الاقتصادية؛ لأنه إنماء للثروة ودفع لعجلة النمو الاقتصادي ومضاعفته. قال تعالى: ﴿**مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾[1]، ولقد حث الاسلام على الانفاق لدوره فى اعادة توزيع الدخول قال تعالى: ﴿**وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**﴾[2].

والمعنى: لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة يعني لا تنفقوا من حرام فيرد عليكم فتهلكوا، فمدلول هذه الآية أن الانفاق في سبيل الله سبب لنجاة الأمة من الهلاك[3].

٦- العدالة الاجتماعية:ـ وهي من المبادئ وأصل من أصول التعايش السلمي في سياسة كل دولة، وهي من الاهداف العليا في النظام الاقتصادي الاسلامي وتتم عن طريق تحقيق المساواة بين الناس، وهو أصل حاكم على كل خططه ومقرراته وتعاليمه، فضلاً عن كونها قضية جوهرية يختلف فيها الإسلام مع سائر الأنظمة الاقتصادية الأخرى في العالم[4]، فمن الواضح ان جميع المؤشرات تدل على انعدام العدالة الاجتماعية في البلدان الرأسمالية، وسببها في الاصل التوزيع غير العادل للثروة الاجتماعية بين الافراد. حيث تقع نصف كمية الارصدة والعقارات ووسائل الانتاج في حيازة مجموعة قليلة من الافراد تشكل واحداً بالمائة من نسبة السكان [5]. فالدولة في الاسلام معنية بتحقيق العدالة الاجتماعية في المجتمع الإسلامي، ولتحقيق مبدأ العدالة الاجتماعية يجب ان يتضامن كل من

(١) سورة البقرة ٢٦١.

(٢) سورة البقرة ١٩٥.

(٣) تفسير القرطبي:ج٢، ص٣٦٣.

(٤) فقه الدولة: ج٢، ص٤٧٦.

(٥) العدالة الاجتماعية وضوابط توزيع الثّروة في الإسلام، د. زهير الاعرجي ص٦٣.

الدولة والأفراد في ذلك، وهذا لا يتم إلا من خلال توزيع عادل للثروات على كافة أفراد المجتمع، فضلاً عن ان الإسلام ينهى عن أي تمييز واستثناء بين أفراد المجتمع الاسلامي، ومن هنا لا تختص المنابع الطبيعية التي أباحها الله سبحانه وتعالى للناس وشجعهم على العمل والكدح والتسابق إلى استثمارها وتنميتها لا تختص بفئة دون أخرى، وهذا ما نجده واضحا في منهج الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) في العدالة الاجتماعية في الدولة الاسلامية

ومن مظاهر عدالته (عليه السلام) نقده ومعارضته للتغيرات الاقتصادية والاجتماعية التي طرأت على عهد عثمان، ومطالبة الامام (عليه السلام) في بالعدالة والمساواة في الحقوق، يقول عليه السلام: (والذي بعثه بالحق لتبلبلن بلبلة ولتغربلن غربلة حتى يعود أسفلكم أعلاكم وأعلاكم أسفلكم وليسبقن سباقون كانوا قصروا وليقصرن سباقون كانوا سبقوا واللهَّ ما كتمت وشمة ولا كذبت كذبة ولقد نبئت بهذا المقام وهذا اليوم)[1]، ومن كلام له عليه السلام: (إن بني أمية ليفوقونني تراث محمد صلى الله عليه وآله تفويقا، والله لئن بقيت لهم لأنفضنهم نفض اللحام الوذام التربة)[2]. أي لأزيلنهم كما يزيل عامل اللحام التراب عن الحديدة المحماة بوساطة النار.

وقال أيضاً: اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لنرد المعالم من دينك ونظهر الاصلاح في بلادك، فيأمن المظلومون من عبادك، وتقام المعطلة من حدودك [3].

(١) الوافي: الفيض الكاشاني، ج٢، ص٤٣١.

(٢) بحار الأنوار: العلامة المجلسي ج٣١ ص٤٦٩.

(٣) نهج البلاغة، خطب الإمام علي ج٢ ص١٣ خطبة ١٣١.

ومن كلام له عليه السلام: (لم تكن بيعتكم إياي فلتة، وليس أمري وأمركم واحدا، إني أريدكم لله وأنتم تريدونني لأنفسكم. أيها الناس، أعينوني على أنفسكم، وأيم الله لأنصفن المظلوم من ظالمه، ولأقودن الظالم بخزامته، حتى أورده منهل الحق وإن كان كارها)[1].

ومن مظاهر عدله (عليه السلام) انتصاره للمظلوم وإرجاع الحقوق المغصوبة التي ضيعها بنو أمية، فعندما بايع الناس أمير المؤمنين (عليه السلام) بالخلافة، اعلن (عليه السلام) الثورة الكبرى ضد الظلم، وضد الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية، فتمكن الامام (عليه السلام) من رد الأراضي التي اقتطعها عثمان لولاته من بيت مال المسلمين وأعلن إن المال لله فألغى التمايز الطبقي في العطاء وقدر توزيعه بالسوية.

تعد وصيته (عليه السلام) إلى مالك الاشتر النخعي (رضوان الله عليه) واليه على مصر من المظاهر العظيمة في الاصلاح الشامل حيث تتضمن الكثير من التوجيهات والتعليمات التي تتعلق بالشؤون الدنيوية والأخروية، فمنها وصف للطبقات والفئات المكونة للمجتمع المصري، والدور الذي يؤديه كل منها في حياة البلاد ومما جاء فيه: (وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لَا يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ وَلَا غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ فَمِنْهَا جُنُودُ الله وَمِنْهَا كُتَّابُ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ وَمِنْهَا قُضَاةُ الْعَدْلِ وَمِنْهَا عُمَّالُ الْإِنْصَافِ وَالرِّفْقِ وَمِنْهَا أَهْلُ الْجِزْيَةِ وَالْخَرَاجِ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَمُسْلِمَةِ النَّاسِ وَمِنْهَا التُّجَّارُ وَأَهْلُ الصِّنَاعَاتِ وَمِنْهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوِي الْحَاجَةِ وَالْمَسْكَنَةِ وَكُلٌّ قَدْ سَمَّى الله لَهُ سَهْمَهُ)[2].

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

وفي احتجاج أمير المؤمنين (عليه السّلام) على عاصم بن زياد حين لبس العباء وترك الملاء وشكاه أخوه الربيع بن زياد إلى أمير المؤمنين (عليه السّلام)أنه قد غم أهله وأحزن ولده بذلك، فقال أمير المؤمنين (عليه السّلام): عليَّ بعاصم بن زياد فجيء به، فلما رآه عبس في وجهه، فقال له: أما استحييت من أهلك؟ أما رحمت ولدك؟ أترى الله أحل لك الطيبات وهو يكره أخذك منها، أنت أهون على الله من ذلك أو ليس الله يقول (وَالأَرْضَ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الأَكْمَامِ) أوليس الله يقول (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ) إلى قوله (يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ فبالله لابتذال نعم الله بالفعال أحب إليه من ابتذاله لها بالمقال وقد قال الله عز وجل (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّث)، فقال عاصم: يا أمير المؤمنين فعلى ما اقتصرت في مطعمك على الجشوبة وفي ملبسك على الخشونة؟ فقال: (ويحك إن الله عز وجل فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس كيلا يتبيغ بالفقير فقره فألقى عاصم بن زياد العباء ولبس الملاء[1]، إشارة إلى مراعاة الجانب الاقتصادي للناس ويختص بالطبقة السفلى (الفقراء)

يؤكد الامام أمير المؤمنين عليه السلام إنَّ انحياز الحاكم إلى طبقة معينة أمر مشين، وهو يأمر ولاته وعماله بأن يحذوا حذوه. وفيما يأتي بعض ما تحدث به (عليه السلام): (والله لو لقيتهم وحدي وهم وأهل الأرض ما استوحشت منهم وما لا باليت ولكن أسف يريني وجزع يعتريني من أن يلي هذه الأمة فجّارها وسفهاؤها فيتخذون مال الله دولا وكتاب الله دغلا والفاسقين حزبا والصالحين حزبا)[2].

خلق الله الأرض وما عليها للناس كافة، كي يتمتعوا بخيراتها، ويسعدوا في معيشتهم عليها، ومن عجز عن ذلك فقد غُبن وظلم، يقول عليه السلام:

(١) الوافي: الفيض الكاشاني ج٣ ص٦٥٨.

(٢) نهج السعادة مستدرك نهج البلاغة، الشيخ المحمودي ج٥ ص٢٥٠؛ بحار الانوار، العلامة المجلسي، ج٣٠ ص٢٥.

«الكيس من كان يومه خيراً من أمسه»[1] «ومن اعتدل يوماه فهو مغبون»[2]: أي يجب أن يكون المؤمن في كل يوم في زيادة من العلم وإصلاح العمل بالإخلاص والحضور والقرب إلى الله تعالى لا في الكمية فإنه غير ممكن، والكيفية لا تتناهى، فإذا كان رأس ماله العمر وكان يمكنه الترقي فإذا لم يفعل فمغبون ضيع رأس ماله خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين.

وعنه (عليه السلام) قال: (الفقر هو الموت الأكبر)[3]، وقال: (التقدير نصف العيش)[4].

ومن وصيّته (عليه السلام) لمالك الاشتر (رضوان الله عليه):ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين وأهل البؤس والزمنى...، واجعل لهم قسماً من بيت مالك، وقسماً من غلات صوافي الاسلام في كل بلد، فإن للأقصى منهم مثل الذي للأدنى.

فيتحصل: إن العدالة الاجتماعية تقتضي أن تكون الأموال والأراضي والضياع وجميع مصادر الثروة ملك الجماعة، توزع على الأفراد بقدر الإستحقاق والحاجة بعد أن تتاح الفرصة للعمل لجميع هؤلاء، فقد رفض أمير المؤمنين عليه السلام إعطاء عبد الله بن زمعة، لأنه لم يُشارك في العمل قائلاً له: (إن هذا المال ليس لي ولا لك وإنما هو في المسلمين وجلب أسيافهم، فإن شركتهم في حربهم كان لك مثل حظهم والا فجناة أيديهم لا تكون لغير أفواههم)[5].

(١) عيون الحكم والمواعظ: علي بن محمد الليثي الواسطي، ص٥٤

(٢) روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه: محمد تقي المجلسي (الأول)، ج١٣ ص٢٩.

(٣) الخصال: الشيخ الصدوق، ص٦٢٠

(٤) الوافي، الفيض الكاشاني، ج٦٢ ص١٧٢؛ تحف العقول عن آل الرسول، ابن شعبة الحراني، ص١١١.

(٥) نهج البلاغة خطب الإمام علي، ج٢ ص٢٢٦، خطة ٢٣٢.

وقال: (وإن النهر لمن عمله دون من كرهه، ولأن يعمروا ويقووا أحب إلي من أن يضعفوا والسلام) [1].

وقوله (عليه السلام) للأشتر(رضوان الله عليه): (ثم اعرف لكل امرئ منهم ما أبلي ولا تضيفن بلاء امرئ الى غيره..، ولا يدعونك شرفُ امرئ الى أن تعظم من بلائه ما كان صغيراً ولا ضعة امرئ الى أن تستصغر من بلائه ما كان عظيماً)[2].

اذن: إن منهج الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) المتصل بالعدالة الاجتماعية يصلح لكل المجتمعات التي يعاني أهلها من الفقر والحرمان، وان الحلول المستوحاة من ذلك المنهج حول ملكية الأرض أو توزيع الانتاج والثروة وتكافؤ الفرص.. وغيرها، هي حلول تصدق على وسائل الانتاج كافة بمعنى أن تكون ملكيتها مشتركة بين الناس، ومنافعها موزعة حسب الجهود المبذولة فيها، لأن في كل ذلك صلاح وخير للناس كافة[3].

٧- الاخلاق:. من الواضح إن العنصر الاخلاقي من الاصول الاساسية المطلوبة في النشاط الاقتصادي في النظام الإسلامي، لأنه خير وسيلة لتحرير الإنسان من الشهوة وطغيانها أولا، ثم تحقيق العدالة الاجتماعية التي ينشدها ثانيا[4].

وتحقيقا لهذه الغاية الفريدة فقد وضع الإسلام للنشاط الاقتصادي آدابا وقيما تهدف إلى ربطه بالأخلاق الحميدة، مما يحقق له الفاعلية الإيجابية والحركة الصحيحة.

(١) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: الشيخ المحمودي، ج٥ ص٢٦٠

(٢) نهج البلاغة خطب الإمام علي ج٣ ص٨٦ رسالة ٥٣؛ شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج١٧ ص٥٢.

(٣) العدالة الاجتماعية نهج البامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، شبكة الانترنت العالمية.

(٤) فقه الدولة ج٢. ص٤٧٨

المسألة الثانية: الآداب والقيم الاخلاقية للنشاط الاقتصادي.

أولاً: السعي من أجل الحصول على السعادة.

قال الله تعالى ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[1] تشير الآية المباركة إلى العمل الصالح الذي هو مفتاح السعادة، فالعمل الصالح والايمان إذا اجتمعا تحققت الحياة الطيبة (السعادة). إن طلب الدنيا يجب أن يكون لأجل الآخرة، فتكون الآخرة هي المقصد والغاية، وأما الدنيا فهي طريق للآخرة، الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصيته لمالك (رضوان الله عليه) يقرن العمل الصالح وإمساك النفس عن الهوى أفضل الذخائر للآخرة، يقول عليه السلام: (فَلْيَكُنْ أَحَبَّ الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ فَامْلِكْ هَوَاكَ وَشُحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ الْإِنْصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحَبَّتْ أَوْ كَرِهَتْ).

ويقول (عليه السلام): (خذوا من ممركم لمقركم)[2]، إن غرض الإمام من هذه الخطبة وأمثالها – أن يكون للإنسان من نفسه على نفسه حسيب ورقيب فيما يفعل أو يدع، لأن هذا الرقيب أو هذا الشعور بالمسؤولية هو شعلة مباركة تهدي للتي هي أسلم وأقوم.

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (ليس الغنى عن كثرة المال ولكن الغني غني النفس)[3].

---

(١) سورة النحل: ٩٧

(٢) نهج البلاغة: خ ٢٠١؛ في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية، ج٣، ص٣١٢.

(٣) المجموع: النووي، ج١٣، ص٢٧١.

وقول الشاعر:

ليسَ من ماتَ فاستراحَ بميتٍ إنّما الميتُ ميتُ الاحياءِ[1]

فسرّ السعادة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بكلماته النورانية حيث قال: من بات آمنًا فى سربه، معافى في بدنه، عنده قوت يومه، فقد حيزت له الدنيا بحذافيرها[2].

من أصبح وأمسى معافى في بدنه، آمنا في سربه، عنده قوت يومه، فإن كانت عنده الرابعة فقد تمت عليه النعمة في الدنيا والآخرة وهو الإسلام[3].

إنه تلخيص بليغ لأسباب السعادة، أمن، عافية، قوت يوم، وتبقى الفجوة بين الامتلاك، والرضا، بين ما لدى الإنسان، وما يريده.

ثانياً: الاحسان للخالق جل وعلا: من الواضح إن من المعايير الخلقية في النشاطات الاقتصادية هو الإحسان إلى الباري عز وجل، قال تعالى ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ الله الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ الله إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ الله لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[4]. حيث إن الإنسان يرجو دائماً نعم الله واحسانه وخيره ولطفه، وينتظر منه كل شيء. فبمثل هذه الحال كيف يمكن له التغاضي عن طلب الآخرين الصريح أو لسان حالهم.. وكيف لا يلتفت إليهم وبتعبير آخر: كما أن الله تفضل عليك وأحسن، فأحسن أنت إلى الناس، يقول الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) في عهدة لمالك: («وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ

(١) المصدر السابق: ص١٧٢.

(٢) المبسوط: السرخسي، ج٣٠، ص٢٥٦.

(٣) الوافي، الفيض الكاشاني، ج٤، ص٤٠٢.

(٤) القصص: ٧٧

بِأَدْعَى إِلَى حُسْنِ ظَنِّ رَاعٍ بِرَعِيَّتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ وَتَخْفِيفِهِ الْمُؤُنَاتِ عَلَيْهِمْ وَتَرْكِ اسْتِكْرَاهِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى مَا لَيْسَ لَهُ قِبَلَهُمْ، فَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذَلِكَ أَمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ بِرَعِيَّتِكَ فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْكَ نَصَباً طَوِيلًا وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ حَسُنَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ حَسُنَ بَلَاؤُكَ عِنْدَهُ وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ سَاءَ بَلَاؤُكَ عِنْدَهُ»، «مِنْ أَوْثَقِ فُرَصِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ لِيَمْحَقَ مَا يَكُونُ مِنْ إِحْسَانِ الْمُحْسِنِينَ وَإِيَّاكَ وَالْمَنَّ عَلَى رَعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ أَوِ التَّزَيُّدَ فِيمَا كَانَ مِنْ فِعْلِكَ أَوْ أَنْ تَعِدَهُمْ فَتُتْبِعَ مَوْعِدَكَ بِخُلْفِكَ فَإِنَّ الْمَنَّ يُبْطِلُ الْإِحْسَانَ»[1]، ويقول الإمام علي (عليه السلام): «رأس الإيمان الإحسان إلى الناس»[2].

ثالثاً: تجنب الاستعلاء والفساد في الارض: إن السعي وراء جمع الثروة وعدم إنفاقها في مواردها الشرعية، تكون موضع إفساد في الأرض لأنهما يغرران بالانسان، كما في قوله تعالى: ﴿وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ الله لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى﴾[4]

ومنه قول الامام أمير المؤمنين(عليه السلام) لمالك (رضوان الله عليه): «وَإِيَّاكَ وَالِاسْتِئْثَارَ بِمَا النَّاسُ فِيهِ أُسْوَةٌ»[5]

رابعاً: سياسة الإقتار(التقشف):ـ من العناصر الاساسية في النشاط الاقتصادي الاسلامي هو ايجاد عامل الاقتار الذي يسمى بمصطلح اليوم سياسة التقشف

(١) نهج البلاغة: خطب الإمام علي عليه السلام، ج٣، ص٨٩، رسالة ٥٣.

(٢) عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، ص٢٦٤

(٣) القصص: ٧٧

(٤) العلق: ٧

(٥) نهج البلاغة: خطب الإمام علي عليه السلام، ج٣، ص٨٩، رسالة ٥٣.

في الدولة، الرامي إلى خفض الانفاق وتقليص الخدمات العامة، وتهدف سياسة التقشف الى توفير الموارد المادية من خلال العجز المالي الذي يستهدف موازنة الدولة، فتلجأ الحكومات في زيادة موارد الضرائب.

وتعتمد الدولة في سياسة الإقتار على عاملين أساسيين؛ العامل الاول: مقاطعة الاستيراد العام للمنتوجات والبضائع الاجنبية، والاكتفاء بالبضائع والمنتوجات الداخلية، العامل الثاني إتباع سياسة الاعتماد على النفس ما يسمى بالمصطلح اليوم بالاكتفاء الذاتي، من خلال الانشطة الزراعية والصناعية.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (إن الله إذا أراد بعبدٍ خيراً ألهمه الاقتصاد، وحسن التدبير، وجنّبه سوء التدبير والإسراف)[١].

وقال (عليه السلام): (حلوا أنفسكم بالعفاف وتجنبوا التبذير والإسراف)[٢].

وقال (عليه السلام): (من لم يحسن الاقتصاد أهلكه الإسراف)[٣].

خامساً: التنافس والرغبة في العمل: من العناصر الاقتصادية الاساسية في بناء الدولة ومؤسساتها هو عنصر التنافس.

وهو لغة: أصله من الشيء النفيس ونافست في الشيء منافسة إذا رغبت فيه على وجه المبادرات[٤]،: فهو التسابق والتغالب وأصله من المنافسة وهي مجاهدة النفس للتشبه بالأفاضل واللحاق بهم كما قال الراغب.

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٥٣، ق ٥، ب ١، ف ١ أهمية الاقتصاد، ح ٨٠٥٧.

(٢) المصدر السابق: ص ٣٥٩ ق ٥ ب ٢ ف ١ ح ٨١٢٣.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٥٤ ق ٥ ب ١ ف ١ آثار القصة وفوائده ح ٨٠٧٤.

(٤) لسان العرب: ابن منظور، ج٦، ص٢٣٣؛ المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني، ص٥٠١.

اصطلاحاً: المسارعة والمبادرة والمسابقة في الشيء. والله تعالى يدعونا إلى الإسراع إلى كل خير ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾[1]، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُواْ إِلَىَ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[2]؛ وقال تعالى﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِالله وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ الله يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَالله ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[3] وقدّم المغفرة على الجنة لأن المغفرة سلامة والجنة غنيمة، والسلامة قبل الغنيمة تطلب.

ومن الواضح أن التنافس يوجب تفتح المواهب ويحرك القابليات التي من شأنها تقدم الاقتصاد وازدهار الحياة، ولذلك فإن الإسلام فتح المجالات أمام المتنافسين لأجل التنافس[4].

وروى عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: «من سبق إلى ما لم يسبقه إليه مسلم فهو أحق به»[5].

وعن علي (عليه السلام): «عادي الأرض لله ولرسوله ثم هي لكم مني»[6].

إن هذه النصوص تدل على أنه إذا كان الشيء مشتركا بين الجميع وسبق إليه أحدهم، فيأخذ حينئذ مقدار ما يتصرف فيه وإن زاد على ما يعتاد لمثله من التصرفات، ولايجوز للغير التصرف به إلّابعد الاطمئنان بالأذن والرضا منه على

(١) المطففين:٢١.

(٢) آل عمران:١٣٣.

(٣) الحديد: ٢١.

(٤) فقه الدولة: ج٢، ص٤٧٥

(٥) المبسوط: الشيخ الطوسي، ج٣ ص٢٦٨.

(٦) عوالي اللئالي: ج ٣ باب إحياء الموات، ص ٤٨١، الحديث ٥ ولاحظ ما علق عليه.

ماحكي بين الفقهاء في مسألة إحياء الاراضي الموات[1].

سادساً- المعاملات الشرعية في الاسواق:- إن وفرة الإنتاج تتوقف على تبادل المنتجات في الأسواق (العرض والطلب). وأهمية التبادل في الاسلام تأتي نتيجة لأن الله تعالى جعل الناس مختلفين في المواهب والقدرات والاستعدادات فقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾ [2]. كذلك فإن الخالق جل شأنه خلق الموارد الطبيعية مختلفة كماً ونوعاً من مكان إلى آخر قال تعالى ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [3].

ومن هنا نجد أهمية التبادل في الاقتصاد الإسلامي القائم أساساً من اجل معالجة ظاهرة الاختلاف في المواهب والقدرات، والاختلاف في الموارد، لتحقيق التكامل والتعاون بين المجتمع فتتوفر السلع والخدمات وتتسع الاسواق، فالتبادل يزيد المال وينميه. ومن وصية الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) لمالك الاشتر قال: «ثُمَّ اسْتَوْصِ بِالتُّجَّارِ وَذَوِي الصِّنَاعَاتِ وَأَوْصِ بِهِمْ خَيْراً الْمُقِيمِ مِنْهُمْ وَالْمُضْطَرِبِ بِمَالِهِ وَالْمُتَرَفِّقِ بِبَدَنِهِ فَإِنَّهُمْ مَوَادُّ الْمَنَافِعِ وَأَسْبَابُ الْمَرَافِقِ وَجُلَّابُهَا مِنَ الْمَبَاعِدِ وَالْمَطَارِحِ فِي بَرِّكَ وَبَحْرِكَ وَسَهْلِكَ وَجَبَلِكَ وَحَيْثُ لَا يَلْتَئِمُ النَّاسُ لِمَوَاضِعِهَا وَلَا يَجْتَرِءُونَ عَلَيْهَا فَإِنَّهُمْ سِلْمٌ لَا تُخَافُ بَائِقَتُهُ وَصُلْحٌ لَا تُخْشَى غائلته».

(١) فقه الدولة: ج٢، ص٤٧٧.

(٢) الروم: ٢٢.

(٣) النحل: ١٣.

فالأسواق مكان التبادل (المعاملات)، أي مكان التقاء البائعين والمشترين. ويتم نشاط تبادل المنافع بين أفراد المجتمع من خلال السوق الاسلامية التي تقوم على أساس آليات المنافسة الصافية التي تؤدي إلي زيادة الإنتاج وتحسين نوعية المنتجات من خلال المعاملات المالية الشرعية العادلة[1].

هذا آخر ما أردنا إيراده في بحث:(الإدارة ونظام الحكم في عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الاشتر (رضوان الله عليه) دراسة تحليلية، ونرجئ التفاصيل الأخرى إلى الكتب المفصلة في هذا المجال.

(١) فقه الدولة: ج٢ ص٤٨٠.

الخاتمـــة:ـ

إن وثيقة العهد بمضامينها العالية والرصينة قد حققت موضوع النظرية الاسلامية في الإدارة والقيادة، وأوجزت الفهم الاسلامي لها، حيث سلطت الاضواء على العديد من الملامح الاساسية لموضوع الإدارة والقيادة، في الاصول والمباني والسياسات والوسائل، والاخلاق المطلوبة في عملية الإدارة والقيادة والتي اجتمعت بجزئياتها في هذا العهد المبارك وفي هذه الوثيقة التاريخية المهمة.

ثم يؤكد الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام) على إن الإدارة والقيادة لن تنحصر بشخص أو فئة معينة، ولا يمكن اختزالها في موقع واحد، إنما هي منظومة من الادوار والممارسات التي تبدأ من الفرد البسيط في المجتمع في ممارساته وأدواره وصولا إلى الادوار المتقدمة التي يمارسها القادة في سلسلة المراتب القيادية.

وتعد هذه الوثيقة الاسلامية الشريفة درسا كبيرا قدمه الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) للأمة الإسلامية وغيرها، بغية أن يكون محطة للانطلاق في المسارات الصحيحة، ومثار الاهتمام والدراسة والمراجعة

ومن خلال هذه الدراسة التحليلية المستفيضة توصل الباحث إلى أهم الاستنتاجات الرئيسية والاساسية ومن أهمها:

١- ابراز الفكر الاداري والقيادي للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) من خلال رسالة العهد التي خطها لواليه على مصر الصحابي الجليل مالك الأشتر(رضوان الله عليه).

٢- تم تسليط الضوء على الاسس والمبادئ الادارية والقيادية في العهد.

٣- التأكيد على المعايير الخلقية التي يتسم بها المسؤول الاداري في المنظومة الادارية والقيادية.

٤- ابراز عنصر العدالة والمساواة في نظام الحكم.

٥- التأكيد على عامل اللين والعطف والشفقة والتعامل الحسن في المنظومة الادارية.

٦- التأكيد على المبادئ العامة للحكم الاسلامي، المتمثلة بالسياسة المالية والسياسة الاجتماعية والسياسة الحربية .

٧- يوصي الإمام (عليه السلام) ان الادارة في الرؤية الاسلامية يجب ان لا تكون خاضعة للتأثيرات النفسية وجموحاتها بل لا بد ان يكون هناك تحكيم وسيطرة وتطبيع.

٨- يعتمد الإمام علي (عليه السلام) في سياسته الادارية والقيادية على مبدأ وضع الرجل المناسب في المكان المناسب من ذوي الاختصاص والكفاءآت والامكانيات العلمية والتخلي عن الأطر الشخصية والمحسوبية على مستوى جميع مرافق الدولة .

٩- يؤكد الإمام عليه السلام على أنها اولى الخطوات الأساسية وأهمها في العمل الاداري .

١٠- يوصي الإمام علي السلام المسؤولين والولاة والحكام في المنظومة الإدارية ان يكونوا منصفين مع الناس لكي يحققوا الاهداف.

١١- يؤكد الإمام من خلال رسالة العهد ومضمونها على محورية العلاقة بين الأمة والحاكم.

١٢- يحذر الإمام عليه السلام المسؤول في المنظومة الادارية من اتباع سياسة تتبع الاخطاء وينبغي ستر العيوب والقيام بالعملية الاصلاحية فيما لو ظهرت الاخطاء والعيوب.

١٣- ضرورة تحلي المسؤول ببعض سعة الصدر، أي يجب أن يكون حليماً ومتسامحاً.

١٤- يحذر الإمام عليه السلام من ظهور الآثار الوضعية في الكشف عن اخطاء الناس وحسب القاعدة كما تدين تدان.

١٥- يؤكد الإمام عليه السلام على مبدأ المشورة في الأمور ويحذر من ادخال اضافات ثلاث (البخيل والحريص والجبان).

١٦- يوصي الإمام عليه السلام بالاتزام بمبدأ توزيع الادوار والمهام الادارية بالطريقة السليمة والصحية.

١٧- يؤكد الامام عليه السلام في رسالة العهد على عنصر النزاهة في العمل الاداري وينبغي على المسؤول في المنظومة الادارية ان يكون نزيهاً.

١٨- يوصي الإمام عليه السلام بتشخيص العوارض السلبية والامراض الاخلاقية المترتبة عبر المنصب وكرسي الحكم.

١٩- يوصي الإمام عليه السلام الحاكم والوالي بالاهتمام بتدبير الامور وتوجيه الناس الى مسارات العمل الصحيحة ونحو الاهداف السليمة.

٢٠- يشير الإمام من خلال رسالة العهد الى ان نجاح الحاكم العادل والمقتدر الذي تمتد سيطرته على الناس واستمالة قلوبهم وعواطفهم ناتج من حسن التعامل مع الرعية بلغة الرحمة والمحبة واللطف.

٢١- يؤكد الإمام عبر فقرات العهد على المعيار العام في التقييم العسكري للانسانية في الفهم الاسلامي عبر مبدأ الاخوة ومن خلال محورية تكافؤا الفرص بين المواطنين.

٢٢- يؤكد الإمام (عليه السلام) على أن ثقة الحاكم بالامة يجب ان تكون وفق المعايير المنطقية والسلوكيات العملية المبنية على الاسس العلمية والاخلاقية.

من خلال هذا البحث قد تعرفنا على المبادئ الادارية الاساسية في عهد الامام (عليه السلام) لمالك الاشتر(رضوان الله عليه)، المتمثلة بالخصائص والعناصر والواجبات والمهام الملقاة على عاتق المدير والتي يجب تحققها في المنظومة الادارية.

ومما سبق يتبين أن هذا الموضوع بالغ الأهمية، وينبغي أن تتوجه إليه الجهود ويحظى بالعناية والاهتمام من خلال الدراسات والأبحاث وينبغي أخذ الدروس والعبر التي تفيد الفرد والمجتمع، وبهذا أكون قد انتهيت من كتابة هذا البحث الموسوم (الإدارة ونظام الحكم في عهد الامام علي (عليه السلام) لمالك الاشتر(رضوان الله عليه) دراسة تحليلية، وقد كانت رحلة

جاهـدة للارتقـاء بدرجـات العقـل ومعـراج الافـكار فـما هـذا إلا جهـد قليـل، فإننـي لا ادعـي لهـذا العمـل الكـمال، فالنقـص مـن طبيعـة البـشر، ولربـما قـد فاتني الكثير ولكنني أسـال الله عـز وجـل أن قـد وفقـت فيـه لخدمـة مـولاي أمـير المؤمنـين سـلام الله عليـه.. وأن يكـون هـذا العمـل بدايـة لإبـراز ميـدان مهـم مـن ميادين التقـدم العلمـي والحضـاري في المجـال الإداري، والحمـد لله أولا وآخـرا وظاهـرا وباطنـا، وصـلى الله عـلى سـيدنا محمـد وعـلى أهـل بيتـه الطيبـين الطاهرين.

في السـابع والعشرين مـن شـهر ربيـع الاول مـن عام ١٤٣٧هـ، الموافـق ٢٧/ ١٢/ ٢٠١٦.

المصادر والمراجع

(أ)

١- القران الكريم

٢- الصحيفة السجادية: للأمام زين العابدين (عليه السلام)، تحقيق:: حاج عبد الرحيم أفشاري زنجاني: سنة الطبع: ١٤٠٤ - ١٣٦٣ ش المطبعة: مؤسسة النشر الإسلامي الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة .

٣- الشرح الكبير: عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي شمس الدين أبو الفرج ،المحقق دار المنار .

٤- الصحاح: إسماعيل بن حماد الجوهري، المحقق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين سنة النشر: ١٩٩٠ .

٥- اخلاقيات الامام علي أمير المؤمنين (عليه السلام): السيد هادي المدرسي،الطبعة الاولى، ١٤٣١ه،٢٠١٠م، مؤسسة الباقر للطباعة والنشر

٦- الكافي: للشيخ محمد بن يعقوب الكليني (ت. ٣٢٩ هـ) الكافى في الفقه:تقى الدين ابى الصلاح الحلبى، الوفاة: ٤٤٧ المجموعة: فقه الشيعة الى القرن الثامن تحقيق: رضا أستادي، الناشر: مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي (ع) العامة-اصفهان .

٧- الاغاني: أبو الفرج علي بن الحسين القرشي الأصبهاني أو الأصفهاني

(٢٨٤هـ -٨٩٧ م)، مطبعة دار صادر بيروت، سنة الطبع سنة ١٩٥٢-١٩٩٤م .

٨- المعيار والموازنة: الشيخ الاقدم أبي جعفر الإسكافي محمد بن عبد الله المعتزلي، دار محمودي للطبع والنشر، ١٩٨١م .

٩- المستدرك على الصحيحين المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الظبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠ .

١٠- الامثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي الناشر: مدرسة الامام علي بن ابي طالب عليه السلام الطبعة: الاولى التصحيح الثالث ١٤٢٦.

١١- اصول الكافي:ثقة الاسلام الكليني الناشر: دار المرتضى للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت لبنان الطبعة: الاولى ٢٠٠٥.

١٢- أسد الغابة في معرفة الصحابة: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد، المعروف ابن الأثير الناشر: دار ابن حزم، الطبعة: الأولى سنة النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٤ م .

١٣- العقد الفريد (ط. العلمية): أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي المحقق: مفيد محمد قميحة سنة النشر: ١٤٠٤ - ١٩٨٣.

١٤- البدعة واثارها الموبقة: جعفر السبحاني .

١٥- الخصال: الشيخ الصدوق ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي صححه وعلق عليه: علي اكبر الغفاري الناشر: مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسيين بقم المشرفة، سنة الطبع: ١٨ ذي القعدة الحرام ١٤٠٣- ١٣٦٢ش .

الخلاف: الشيخ الطوسي، الوفاة: ٤٦٠ المجموعة: فقه الشيعة الى القرن الثامن تحقيق: جماعة من المحققين الطبعة: سنة الطبع: جمادي الآخرة ١٤٠٧ المطبعة: الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

١٦- الصراط المستقيم: زين الدين أبي محمد علي بن يونس العاملي النباطي البياضي تحقيق محمد الباقر البهبودي .

١٧- الأمالي: شيخ الطائفة ابي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي، تحقيق وتصحيح: بهراد الجعفري - الاستاذ علي اكبر الغفاري الناشر: دار الكتب الاسلامية قم ١٤١٤هجريّة الطبعة: الاولى ١٩٦٤م .

آمالي الصدوق: تأليف: الشيخ الصدوق ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، قدم له: الشيخ حسين الاعلمي الناشر: منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات الطبعة: الاولى ٢٠٠٩ .

١٨- الدولة الاسلامية شرح لعهد الامام علي (عليه السلام) الى مالك الاشتر النخعي: الشيخ محمد الفاضل اللنكراني، تحقيق ونشر مركز فقه الائمة الاطهار (عليهم السلام) ١٤٢٥هـ .

١٩- الرقابة على السلع والأسعار في الفقه الإسلامي: ظاهر فريدة حسين طه رسالة ماجستير (نابلس، جامعة النجاح، ٢٠١١م) .

٢٠- اسرار القيادة عند أمير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام): جميل كمال، الطبعة الاولى، إصدارات مبرة سيد الشهداء (عليه السلام) الكويت ٢٠١٦.

٢١- الحكم الاسلامي في مدرسة الامام علي (عليه السلام): السيد محمد تقي المدرسي، الطبعة الاولى، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م، مركز العصر للثقافة والنشر.

الامام علي دراسة لجوانب من الشخصية والمنهج السيد:محمد باقر الحكيم، منشورات تراث الشهيد الحكيم .

٢٢- المحجة البيضاء في تهذيب الاحياء: تأليف المولى محسن الفيض الكاشاني صححه وعلق عليه: علي اكبر الغفاري الناشر: منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات الطبعة: الثانية ١٩٨٣.

٢٣- الحرية السياسية دراسة مقارنة في المعالم والضمانات: فاضل الصفار الناشر: دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٦م .

٢٤- الدر المنثور: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) دار الفكر - بيروت،٢٠١٠ هـ .

اعيان الشيعة: السيد محسن الامين تحقيق: حسن الامين الناشر: دار التعارف للمطبوعات سنة نشر: ١٤٠٣ ق .

الكنى والالقاب :الشيخ عباس القمي منشورات مكتبة الغدير- طهران.

الغدير في الكتاب والسنة والادب تأليف: العلامة الشيخ عبد الحسين الاميني الناشر: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات الطبعة: الاولى المميزة ١٩٩٤.

الاحتجاج: الشيخ احمد بن علي بن ابي طالب الطبرسي ، من علماء القرن السادس الهجري الناشر: انتشارات الشريف الرضي، سنة الطبع شمسي ١٣٨٠، ١٩٦٠م .

الولاة وكتاب القضاة للكندي:المؤلف: أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي المصري (المتوفى: بعد ٣٥٥هـ) تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، وأحمد فريد المزيدي الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .

المعجم الأوسط: المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) .

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية:المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين - بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

المنجد في اللغة المؤلف: لويس معلوف:الناشر المطبعة الكاثوليكية، بيروت. الطبعة الخامسة ١٩٨٦ م .

التفسير الكاشف تأليف: الشيخ محمد جواد مغنية الناشر: مؤسسة دار الكتاب الاسلامي الطبعة: الرابعة ٢٠٠٧م .

الرائد معجم لغوي عصري المؤلف: جبران مسعود الناشر: دار العلم للملايين سنة النشر: ١٩٩٢ .

أساسيات الإدارة، علي السلمي،: مراجعة د. علي عبد المجيد، دار الكتب

المصرية،) القاهرة ١٩٩١ م .

الاتجاهات الفكرية عند الامام علي (عليه السلام)، مركز الشهيدين الصدرين للدراسات والبحوث، بغداد ٢٠٠٧ .

القيادة أساسيات ونظريات ومفاهيم. ماهر محمد صالح حسن عمان(الأردن): دار الكندي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤ .

الإدارة المعاصرة:عادل ثابت، عمان(الأردن): دار أسامة للنشر، ٢٠٠٨.

الأخلاق والسير في مداواة النفوس، المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ) الناشر: دار الآفاق الجديدة - بيروت الطبعة: الثانية، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

الامام علي صوت العدالة الانسانية: جورج جرادق الاندلسي، بيروت لبنان، طبعة الاولى ٢٠١٠، مطبوعات دار الاندلس النجف الاشرف.

الرَّوَاشِحِ السَّمَاوِيَّةِ فِي شَرْحِ الأحاديث الإمامية :تأليف العلامة الفيلسوف الالهى المير محمد باقر الحسيني المرعشي الداماد قدس سره دارالحديث للطباعة والنشر قم المقدسة الطبعة الاولى ١٤٢٢هـ النور الساطع في الفقه النافع: اية الله الشيخ علي كاشف الغطاء، مكان النشر والناشر: النجف الاشرف:مطبعة الاداب تاريخ النشر: ١٩٦١م .

الدليل على موضوعات نهج البلاغة المؤلف: انصاريان علي الناشر: طهران تاريخ الطبع: ١٩٧٨.

الاختصاص المؤلف: الشيخ المفيد الوفاة: ٤١٣ المجموعة: مصادر الحديث الشيعية القسم العام تحقيق: علي أكبر الغفاري، السيد محمود الزرندي الطبعة: الثانية سنة الطبع: ١٤١٤ - ١٩٩٣ م .

ارشاد القلوب المنجى من عمل به من أليم العقاب تأليف: الحسن بن ابي الحسن محمد الديلمي تحقيق: السيد هاشم الميلاني الناشر: دار الاسوة للطباعة والنشر التابعة لمنظمة الاوقاف والشؤون الخيرية الطبعة: الثانية ١٤٢٤هـ .

العقل والجهل في الكتاب والسنة:المؤلف: محمد الريشهري،المجموعة: مصادر الحديث الشيعية القسم العام تحقيق: دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الأولى سنة الطبع: ١٤٢١ - ٢٠٠٠ م .

المواعظ العددية: الحاج الميرزا علي المشكيني الأردبيلي، كتب الحديث والرواية.

الحجة في وجوب صلاة الجمعة: محمد مقيم اليزدي، الوفاة: ١٠٨٤ المجموعة: فقه الشيعة من القرن الثامن .

التعريفات:المؤلف علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر: دار الكتب العلمية بيروت -لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م .

التحفة السنية: المؤلف: السيد عبد الله الجزائري: الوفاة: ١١٨٠ المجموعة: فقه الشيعة من القرن الثامن تحقيق: شرح الجزائري .

اللباب في علوم الكتاب المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م .

المصباح المنير في غريب الشرح الكبير المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي، ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ) الناشر: المكتبة العلمية - بيروت .

أمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة: محمد الغروي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي سنة النشر: ١٤٠٧ مكان الطبع: قم .

القاموس المحيط المؤلف: محمد بن يعقوب الفيروز آبادي مجد الدين المحقق: محمد نعيم العرقسوسي الناشر: مؤسسة الرسالة سنة النشر: ١٤٢٦ - ٢٠٠٥ .

إحياء علوم الدين المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، المتوفى: ٥٠٥هـ، الناشر: دار المعرفة - بيروت .

المدرسة الاسلامية رسالتنا:تأليف: الشهيد السيد محمد باقر الصدر الناشر: مركز الابحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر الطبعة: الرابعة .

المحاسن المؤلف: أحمد بن محمد بن خالد البرقي الوفاة: ٢٧٤ المجموعة: مصادر الحديث الشيعية قسم الفقه تحقيق: تصحيح وتعليق: السيد جلال الدين الحسيني (المحدث) الطبعة: سنة الطبع: ١٣٧٠ - ١٣٣٠ ش المطبعة:

الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران - ايران .

الهداية: الشيخ الصدوق الوفاة: ٣٨١ المجموعة: فقه الشيعة الى القرن الثامن تحقيق: مؤسسة الإمام الهادي (ع) الطبعة: الأولى سنة الطبع: رجب المرجب ١٤١٨ المطبعة: اعتماد - قم الناشر: مؤسسة الإمام الهادي (ع) .

الحكم الاسلامي بين النظرية والتطبيق: محمد باقر الحكيم، منشورات مؤسسة الشهيد الحكيم (قدس)، المطبعة النخيل، الطبعة الثالثة .

الطرق الحكمية المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) الناشر: مكتبة دار البيان .

(ب)

٢٥- بحار الانوار الجامع لدرر أخبار الأئمة الاطهار:الشيخ محمد باقر المجلسي، الناشر: دار احياء التراث العربي - بيروت لبنان الطبعة: الثالثة المصححة ١٩٨٣.

بحوث في الفقه المعاصر. المؤلف: الشيخ حسن بن محمد تقي الجواهري، الناشر: دار الذخائر، بيروت. الطبعة: الاولى الموضوع: الفقه تاريخ النشر: ١٤١٩هـ

بحوث فقهية هامة تأليف: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي .

بدائع الكلام في تفسير آيات الاحكام تأليف: محمد باقر الملكي الناشر: مؤسسة الوفاء الطبعة: الاولى.

(ت)

٢٦ـ تفسير الميزان: للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائ . مؤسسة الاعلمي، بيروت، الطبعة الثانية .

٢٧- تفسير المحيط الأعظم والبحر الخظم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم: السيد حيدر الآملي، حققه وقدم له وعلق عليه: السيد محسن الموسوي التبريزي، الناشر: العهد الثقافي نور على نور الطبعة: الثانية

٢٨- تحف العقول عن آل الرسول (ص): ابن شعبة الحراني، تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري الطبعة: الثانية سنة الطبع: ١٤٠٤ - ١٣٦٣ ش المطبعة: الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة

تأريخ اليعقوبي - تأليف أحمد بن يعقوب بن وهب المعروف بـ (اليعقوبي) - تحقيق: عبد الامير المهنا - طباعة ونشر: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات - لبنان، بيروت ، سنه ١٨٨٣ .

تهذيب التهذيب: المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية،: الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ .

تحفة الاحباب وطرفة الأصحاب إلى ملحة الإعراب للحريري،محمد بن محمد عمر بحرق الحضرمى ، طبعة أولى،المطبعة الخيرية - مصر١٣١٩هـ .

تهذيب الأحكام المؤلف: الشيخ الطوسي الوفاة: ٤٦٠ المجموعة: مصادر الحديث الشيعية قسم الفقه تحقيق: تحقيق وتعليق: السيد حسن الموسوي

الخرسان الطبعة: الرابعة سنة الطبع: ١٣٦٥ ش المطبعة: خورشيد الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران - ايران

تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق:المؤلف أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه الجاحظ (المتوفى: ٤٢١هـ)حققه وشرح غريبه: ابن الخطيب الناشر: مكتبة الثقافة الدينية الطبعة: الأولى .

تهذيب اللغة المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ المحقق: محمد عوض مرعب الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م .

توضيح نهج البلاغة تأليف: السيد محمد الحسيني الشيرازي الناشر: دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الاولى المحققة ٢٠٠٢م

تهذيب الاحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد:تأليف: شيخ الطائفة ابي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي ضبطه وصححه وخرج احاديثة وعلق عليه: محمد جعفر شمس الدين الناشر: دار التعارف للمطبوعات - بيروت لبنان الطبعة: الاولى ١٩٩٢ .

(ث)

ثلاثون وصية ووصية لتكون قائدًا ناجحًا د. أبوالقاسم أبوبكر طنطاوى تاريخ النشر: ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م .

(ج)

٢٩- جامع بيان العلم وفضله: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)تحقيق: أبي الأشبال الزهيري الناشر دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م .

٣٠- جامع السعادات: المولى محمد مهدي النراقي،دار النشر إسماعيليان قم المقدسة، سنة الطبع ١٤٢٨ .

(ح)

حياة الإمام الحسين عليه السّلام: المؤلف: باقر شريف القرشي الناشر: قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة الطبعة الثانية:١٤٢٩هـ .

٣١- دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية: الشيخ المنتظري، الناشر: الدار الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الثانية ١٩٨٨.

٣٢- دائرة معارف القرن العشرين: محمد فريد وجدي، سنة النشر: ١٩٧١.

(خ)

خصائص القيادة الاسلامية: محسن السماوي .

(د)

ديوان الأدب والفلسفة: السيد مهدي الحسيني: موقع اليكتروني.

دعائم الإسلام المؤلف: القاضي النعمان المغربي الجزء: ١ الوفاة: ٣٦٣ المجموعة: مصادر الحديث الشيعية قسم الفقه تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي الطبعة: سنة الطبع: ١٣٨٣ - ١٩٦٣ م المطبعة: الناشر: دار المعارف - القاهرة.

(ر)

رسائل الشهيد الثاني:تأليف: الشهيد الثاني الشيخ زين الدين بن علي العاملي،اشرف على التحقيق: رضا المختاري،تحقيق: مركز الابحاث والدراسات الاسلامية قسم احياء التراث الاسلامي الناشر: مركز انتشارات دفتر تبليغات اسلامي الطبعة: ١٤٢١هـ.

رسائل الشريف المرتضى تأليف: الشريف المرتضى اعداد: السيد مهدي الرجالي تقديم واشراف: السيد احمد الحسيني الناشر: منشورات دار القران الكريم - قم المقدسة.

رسالة الخواص: السيد احمد الخاتمي . طبعة الاولى قم المقدسة.

رسائل فقهية المؤلف: الشيخ الأنصاري الوفاة: ١٢٨١ المجموعة: فقه الشيعة من القرن الثامن: تحقيق: لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم الطبعة: الأولى سنة الطبع: ربيع الأول ١٤١٤ المطبعة: باقري - قم الناشر: المؤتمر العالمي بمناسبة الذكرى المئوية الثانية لميلاد الشيخ الأنصاري.

٣٣- روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه: تأليف: المولى محمد تقي المجلسي الاول تحقيق: علي بناه الاشتهاردي - حسين الموسوي الكرماني

الناشر: بنياد فرهنك اسلامي حاج محمد حسين كوشانيور الطبعة: الاولى.

رد المحتار علي الدر المختار شرح تنوير الابصار اسم المؤلف: محمد امين ابن عابدين التصنيف: طبعه دار الطباعه- مصر سنه ١٨٥٥ اديان. علوم الدين-حنفي.

(ز)

زبدة البيان في أحكام القرآن: المحقق الأر دبيلي، الوفاة: ٩٩٣ المجموعة: فقه الشيعة من القرن الثامن تحقيق: تحقيق وتعليق: محمد الباقر البهبودي، الناشر: المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية - طهران.

(س)

٣٤- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (السلسلة الصحيحة (المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني ، الناشر: مكتبة المعارف سنة النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥.

سفينة البحار ومدينة الحكم والاثار تأليف: الشيخ عباس القمي: الناشر دار الاسوة للطباعة والنشر الطبعة: الثانية ١٤١٦.

(ش)

٣٥- شرح نهج البلاغة: ابن ابي الحديد المعتزلي تحقيق: محمد ابراهيم الناشر: دار الكتاب العربي - دار الاميرة للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الاولى ٢٠٠٧.

(ص)

٣٦- صفوة شروح نهج البلاغة: جمعة اركان التميمي، الناشر: د.م. تاريخ الطبع: ٢٠٠٠.

صناعة القائد:المؤلف: طارق السويدان - الناشر: دار الأندلس الخضراء سنة النشر: ١٤٢٥ - ٢٠٠٤.

صحيح مسلم: المؤلف: مسلم بن حجاج المحقق: نظر بن محمد الفاريابي أبو قتيبة الناشر: دار طيبة سنة النشر: ١٤٢٧ - ٢٠٠٦ .

(ع)

٣٧. عيون الحكم والمواعظ: فخر الدين أبو الحسن علي بن محمد بن الحسن الليثي الواسطي. المحقق: الشيخ حسين حسني البيرجندي الناشر: دار الحديث، الطبعة: الأولى ١٣٧٦هجري شمسي.

عمدة القاري شرح صحيح البخاريالمؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ)الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

عيون أخبار الرضا (ع (المؤلف: الشيخ الصدوق الوفاة: ٣٨١ المجموعة: مصادر الحديث الشيعية قسم الفقه تحقيق: تصحيح وتعليق وتقديم: الشيخ حسين الأعلمي الطبعة: سنة الطبع: ١٤٠٤ - ١٩٨٤ م المطبعة: مطابع مؤسسة الأعلمي - بيروت - لبنان الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان.

(غ)

غرر الفوائد ودرر القلائد: الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم الناشر: دار احياء الكتب العربية الطبعة: الاولى ١٩٥٤.

(ف)

٣٨- فقه الرضا: علي ابن بابويه القمي، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم المشرفة الطبعة الأولى، سنة الطبع شوال ١٤٠٦ المطبعة: الناشر: المؤتمر العالمي للإمام الرضا (ع) مشهد المقدسة.

٣٩- فقه الدولة بحث مقارن في الدولة ونظام الحكم على ضوء الكتاب والسنة والانظمة الوضعية: فاضل الصفار: الناشر، دار الانصار مطبعة باقري، الطبعة الاولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

فقه العولمة دراسة اسلامية معاصرة:تأليف: السيد محمد الحسيني الشيرازي الناشر: مؤسسة المجتبى عليه السلام للتحقيق والنشر الطبعة: الثانية ٢٠٠٢

٤٠- في ظلال نهج البلاغة: محمد جواد مغنية: الناشر: دار العلم للملايين - بيروت لبنان الطبعة: الثالثة ١٩٧٩.

فيض القدير شرح الجامع الصغيرالمؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ) الناشر: المكتبة التجارية الكبرى -

مصر الطبعة: الأولى، ١٣٥٦.

(ق)

قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد) طبع المطبعة المصرية الطبعة الأولى / ١٣٥١ هـ. وصاحب الكتاب هو: محمد بن علي بن عطية أبو طالب المكي. توفي سنة (٣٨٦ هـ) ببغداد.

(ك)

٤١- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: علاء الدين علي المتقى بن حسام الدين الهندي البرهان فوري والمشهور بالمتقي الهندي، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط دائرة المعارف العثمانية (النظامية) بحيدرآباد ١٣١٣.

(ل)

٤٢- لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى. ولد في محرم سنة ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢ م.

لغة الادارة العامة في صدر الاسلام:المؤلف: الهراوى، عبدالسميع سالم، المراجعة: عفاف توفيق، الهيئة المصرية). للكتاب، (مصر - ١٩٨٦).

(م)

٤٣- مفاتيح الجنان: للسيخ عباس القمي (رضوان الله عليه).

٤٤- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: للعلامة المحقق ميرزا حبيب الله الخوئي: الطبعة الاولى ١٤٢٢هـ،٢٠٠٣م، دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر بيروت.

منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة:تأليف: قطب الدين ابي الحسين سعيد بن هبة الله الراوندي تحقيق: السيد عبد اللطيف الكوهكمري باهتمام: السيد محمود المرعشي الناشر: منشورات مكتبة أيه الله العظمى المرعشي النجفي الطبعة: الاولى ١٤٠٦.

مناهج الانظمة الاسلامية من رحاب اهل البيت، نظام الحكم والادارة،دراسة مقارنه: باقر شريف القرشي،الطبعة الاولى،١٤٣١ هـ، ٢٠١٠، الناشر الرافد.

منهاج الاسلام في الحكم: أسد محمد، تحقيق منصور محمد ماضي، منشورات دار العلم للملايين، سنة الطبع ١٩٨٣م.

من لا يحضره الفقيه تأليف: الشيخ الصدوق ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي،اشرف على تصحيحه والتعليق عليه: العلامة الشيخ حسين الاعلمي الناشر: منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات الطبعة: الاولى ١٩٨٦.

٤٥- معجم المعاني: مروان العطية:الطبعة الاولى: ٢٠١٢م.

٤٦- معجم الفروق اللغوية: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ المحقق: الشيخ

بيت الله بيات، ومؤسسة .

النشر الإسلامي الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ قم(الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ).

٤٧ـ مجمع البحرين، الشيخ فخر الدين الطريحي المحقق: السيد احمد الحسيني الناشر: انتشارات مرتضوي المطبعة: طراوت طهران/ إيران الطبعة: الثانية - ١٣٦٥هـ.

٤٨- مصباح البلاغة مستدرك نهج البلاغة الموسوم بمصباح البلاغة في مشكاة الصياغة من تأليفات حسن المير جهاني الطباطبائي المحمد آبادي الجرقويي الأصبهاني، طبع بتاريخ ١٣٨٨هـ.

٤٩- ميزان الحكمة: محمد الريشهري، الناشر: دار الحديث قم، الطبعة الأولى سنة النشر ١٤٢٢ هـ.

٥٠- مستدرك الوسائل: لميرزا حسين النوري الطبرسي المعروف بـ المحدث النوري من (علماء الشيعة (المتوفى سنة ١٣٢٠هـ. سنة الطبع ١٢٤٥ ه،١٣٢٠ قم، مؤسسة آل البيت لأحياء التراث والنشر

٥١- مفردات القران: للراغب الاصفهاني: الناشر: دار القلم-الدار الشامية سنة النشر: ١٤٣٠-٢٠٠٩.

٥٢- مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة: سيد محمد تقي التقوي، الطبعة الاولى مؤسسة التاريخ العربي، سنة الطبع، ٢٠١٥ م،١٤٣٦هـ.

٥٣- مختلف الشيعة في احكام الشريعة: العلامة الحلي ابي منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الاسدي الناشر: مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم الشرفة الطبعة: الاولى ١٣٧٢هـ.

٥٤- معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموي، الناشر: دار الغرب الإسلامي سنة النشر: ١٩٩٣.

٥٥- ملامح القيادة الناجحة في ضوء منهجية الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) مقارنات دراسية في سيكولوجية السلوك التنظيمي المعاصر:محمد عبد الرضا هادي الساعدي: الطبعة الاولى ١٤٣٥هـ ٢٠١٤م، مطبعة ذوي القربى.

٥٦- موسوعة الإمام العسكري (ع): مؤسسة ولي العصر (عج) للدراسات الإسلامية، محل النشر قم المقدسة.

موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (ع) في الكتاب والسنة والتاريخ: محمد الريشهري، الناشر دار الحديث، الطبعة الاولى ١٤٢١ هـ.

٥٧- مكارم الأخلاق: تأليف الشيخ الجليل رضي الدين أبي نصر الحسن بن الفضل الطبرسي رحمه الله، سنة الطبع: ١٣٩٢ - ١٩٧٢ م.

مبادئ علم الإدارة العامة: الدكتور سليمان محمد الطماوي، عميد كلية الحقوق، جامعة عين شمس، الطبعة السابعة ، مطبعة جامعة عين شمس١٩٨٧، دار الفكر العربي.

معجم الأدباء والسير:ياقوت الحموي المولود ١١٧٩م، والمتوفى

١٢٢٨م،مطبوعات دار المأمون،مكتبة عيسى البابي الحلبي بمصر.

معجم المحاسن والمساوى:تأليف الشيخ ابو طالب التجليل التبريزي الناشر: مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة الطبعة: الاولى ١٤١٧هـ.

مختار الصحاح المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ) المحقق: يوسف الشيخ محمد الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

مدونة الاعجاز العلمي في القران والسنة: دكتور منصور ابو شريعة العبادي.

مسند ابن الجعد المؤلف: علي بن الجَعْد بن عبيد الجَوْهَري البغدادي (المتوفى: ٢٣٠هـ)تحقيق: عامر أحمد حيدرالناشر: مؤسسة نادر - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٠ - ١٩٩٠.

موقع ولاية الفقيه في نظرية الحكم والإدارة في الإسلام: السيد جعفر مرتضى العاملي.

ما وراء الفقه تأليف: الشهيد السيد محمد صادق الصدر الناشر: دار الاضواء للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الاولى.

مهذب الأحكام في بيان الحلال و الحرام تاليف عبدالاعلي موسوي السبزواري، تحقيق الحلي، مؤسسة المنار. الناشر:موسسه تحقيقات و نشر

معـارف اهـل البيـت (ع).

مصبـاح الشريعـة ومفتـاح الحقيقـة (فـارسي): المنسـوب للإمـام الصـادق (ع) (مترجـم: گيـلاني)، منشـورات مؤسسـة الاعلمـي للمطبوعـات بـيروت لبنـان.

(ن)

ناسـخ التواريـخ- القسـم المتعلّـق بحيـاة الإمـام الحسـين (عليـه السـلام) -المؤلّف: مـيرزا محمّـد تقـي سِـپِهْر، المعـروف بـ (لسـان المُلْـك). المترجـم والمحقّق: السـيّد عـلي جمـال أشرف. الناشر: انتشـارات مَديَـن - قـمّ المقدّسـة. الطبعـة: الأولى - سـنة ١٤٧٧ هـ / ٢٠٠٧ م.

٥٨- نهـج البلاغـة: خطـب وكتـب الامـام عـلي بـن ابي طالب،تحقيـق الدكتـور صبحـي الصالـح،دار الكتـاب اللبنـاني، بـيروت، الطبعة الثانيـة ١٩٨٠.

٥٩- نفحـات الولايـة شرح عـصري جامـع لنهـج البلاغـة: الشـيخ نـاصر مـكارم الشـيرازي: سـنة الطبـع الطبعـة: الاولى ١٤٢٦.

٦٠- نهـج السـعادة في مسـتدرك نهـج البلاغـة: الشـيخ محمـد باقـر المحمـودي الطبعـة الأولى ١٣٩٦ - ١٩٧٦ دار التعـارف للمطبوعـات بـيروت - شـارع سـوريا - بنايـة درويـش.

نيـل الأوطارالمؤلف: محمـد بـن عـلي بـن محمـد بـن عبـد الله الشـوكاني اليمنـي (المتـوفى: ١٢٥٠هـ)تحقيق: عصـام الديـن الصبابطـي النـاشر: دار الحديـث، مصرالطبعـة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

نظام الحكم في الإسلام:محمد عبدالله العربي.

(هـ)

٦١- هداية الأمة إلى أحكام الأئمة (ع): محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن الحسين المعروف بالشيخ الحر العاملي.

هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقا: المؤلف: أبو أسامة، محمود محمد الخزندار (المتوفى: ١٤٢٢هـ) الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية الطبعة: الثانية، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

(و)

٦٢- وسائل الشيعة: للشيخ المحدث محمد بن الحسن بن الحر العاملي، مؤسسة آل البيت(عليهم السلام) لأحياء التراث بيروت، الطبعة الاولى ١٤١٣هـ-١٩٩٣، دار إحياء التراث العربي بيروت .

المحتويات

المقدمة ٧
تمهيد ١١
إطلالة على شخصية مالك الاشتر (رضوان الله عليه) ١١

الفصل الاول: مفهوم الإدارة والقيادة ومعانيهما

المبحث الاول
مفهوم الإدارة وفيه مسائل

المسألة الأولى: الإدارة لغة ٢٥
المسألة الثانية: الإدارة في الاصطلاح ٢٦
المسألة الثالثة: مفهوم الإدارة في القرآن الكريم ٢٧
المسألة الرابعة : مفهوم الإدارة في الروايات والأحاديث الشريفة ٣٠

البحث الثاني
مفهوم القيادة ومعانيها وإرتباطها بالإدارة

المسألة الاولى: مفهوم القيادة لغة

المسألة الثانية مفهوم القيادة في الاصطلاح

المسألة الثالثة في القرآن الكريم

المسألة الرابعة: مفهوم القيادة في الروايات الرشريفة

المسألة الخامسة: العلاقة بين الادارة والقيادة

المبحث الثالث
مبادئ الادارة والقيادة في عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الاشتر (رضي الله عنه)

المسألة الأولى: الادارة من موقع العبودية (مبدأ الاعتقاد) ٤٥

المسألة الثانية: وحدة الأوامر وسلسلة المراتب ٤٨

المسألة الثالثة: تزكية النفس وكسر الشهوات ٥٣

المسألة الرابعة: الراي العام ومبدأ التوقعات ٦٠

المسألة السادسة: وسائل التحكّم والسيطرة على النفس ٧١

المسألة السابعة: الانصاف والعدل مع الرعية ٨٤

المسألة الثامنة: الانضباط والمساواة ٨٨

المسألة التاسعة: معايير تقييم العاملين في المنظومة الإدارية ٨٩

المسألة العاشرة: الرقابة والتحكيم والتقويم ٩٢

المسألة الحادية عشر: التحفيز ٩٤

المسألة الثانية عشر: تغليب المصالح العامة على المصالح الشخصية (الأرستقراطية) ٩٧
المسألة الرابعة عشر: المركزية في القرار ١٠٥
المسألة الخامسة عشر: ستر العيوب ١٠٦
المسألة السادسة عشر: حفظ الأسرار ١١١
المسألة السابعة عشر: تأثير العلاقات القريبة للمدراء واهتمامهم بالعاملين معهم ١١٣
المسألة الثامنة عشر: الإحسان والمرتب والمكافأة ١١٧
المسألة التاسعة عشر: المشورة ١٢٠

المبحث الرابع
سمات الشخصية الإدارية القيادية

المسألة الأولى: الدراية ١٣٣
المسألة الثانية: البصيرة ١٣٦
المسألة الثالثة: المعرفة ١٣٩
المسألة الرابعة: العدالة ١٤٢
المسألة الخامسة: القدرة على الأداء..... ١٤٨
المسألة السادسة: النزاهـة ١٥٠

المبحث الخامس
تقاطعات عنصر النزاهة

المسألة الأولى: حب الأنا والاحتكار والاستحواذ وحالة أم الاعتداد؟ بالرأي ١٥٥
المسألة الثانية: الرغبة في الشهرة والعجب بالنفس ١٥٦
المسألة الثالثة: ضيق الافق والتحجر ١٥٨
المسألة الرابعة: الغدر وعدم الوفاء ١٥٩
المسألة الخامسة: الأخلاق السيئة ١٦١
المسألة السادسة: الحقد ١٦٢
المسألة السابعة: الغلظة والشدة في التعامل ١٦٤
المسألة الثامنة: أزمة الثقة ١٦٦
المسألة التاسعة: طرق تعزيز الثقة ١٦٦
المسألة العاشرة: اللجاج في الرأي ١٦٩

المبحث السادس
المعايير الخلقية للشخصية الادارية القيادية في عهد الإمام (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضي الله عنه)

توطئة ١٧١
المسألة الأولى: التقوى ١٧٢
المسألة الثانية: علاقة الإنسان مع خالقه..... ١٧٢
المسألة الثالثة: طرق توثيق العلاقة مع الله ١٧٤
المسألة الرابعة: الانتفاع من سنن الماضين ١٨١

الفصل الثاني: مفهوم نظام الحكم ومعانيه

المبحث الاول
مفهوم نظام الحكم

المسألة الأولى: مفهوم نظام الحكم في اللغة والاصطلاح ١٨٩
المسألة الثانية: مفهوم نظام الحكم في القرآن الكريم والروايات الشريفة ١٩٢

المبحث الثاني
ضرورة وجود الحاكم ووظائفه الرئيسية في الدولة

المسألة الأولى: ضرورة الحكم ووجود الحاكم ٢٠١
المسألة الثانية: العلاقة بين الحاكم والأمة ٢٠٣
المسألة الثالثة: واجبات الحاكم إزاء الأمة ٢٠٦

المبحث الثالث
مبادئ العلاقة في إدارة الواجبات

المسألة الأولى: الحقوق المتبادلة ٢١١
المسألة الثانية: التسامح واللين ٢١٤
المسألة الثالثة: المساواة بين الناس في الحقوق ٢١٥

المبحث الرابع
مفهوم الحكم في عهد الامام (عليه السلام) إلى مالك (رضي الله عنه)

المسألة الأولى: عدم تشبه الحاكم بالله في جبروته لأن الحكم أمانة وتكليف إلهي ٢١٩
المسألة الثانية: موقع الرحمة في الحكم ٢٢٢
المسألة الثالثة: الرؤية الفكرية في تقييم الاخرين ٢٢٤
المسألة الرابعة: مبدأ العفو والصفح في التعامل مع الناس ٢٢٧
المسألة الخامسة: عوامل نجاح الحاكم في المنظومة القيادية ٢٣٠
المسألة السادسة: الكفاءة والالتزام بالمسؤولية ٢٣٧
المسألة السابعة: محاربة الله سبحانه وتعالى ٢٣٩
المسألة الثامنة: التنزه عن الصفات السلبية ونبذ سياسة ردود الأفعال ٢٤٢
المسألة التاسعة: المسؤولية والاستبداد ٢٤٤
المسألة العاشرة: معالجة أمراض السلطة ٢٤٦
المسألة الحادية عشر: إنصاف الحاكم وظلمه ٢٤٨
المسألة الثانية عشر: ظلم العباد وحلول العقوبة الالهية ٢٥١
المسألة الثالثة عشر: غض النظر والتغافل ٢٥٥
المسألة الرابعة عشر: الاستعانة بأصحاب التجربة والخبرة ٢٥٧
المسألة الخامسة عشر: معيار نجاح الولاة ٢٦٤
المسألة السادسة عشر: صفات المقربين من الحاكم ٢٦٧
المسألة السابعة عشر: ثقة الحاكم بالامة ٢٧٤
المسألة الثامنة عشر: وسائل تحقيق حسن ظن الحاكم بالرعية ٢٧٥
المسألة التاسعة عشر: المعيار في حسن الظن وسوء الظن : ٢٨١

الفصل الثالث: الأهداف العامة للحكم

توطئة ٢٨٧

المبحث الأول
السياسة المالية/ توفير الإيرادات المالية

المسألة الأولى: الخمس والزكاة ٢٩٤
المسألة الثانية: الجزيــة ٢٩٨
المسألة الثالثة: الركاز والمعادن ٣٠٣
المسألة الرابعة: الفيء ٣٠٣
المسألة الخامسة: الغنائم ٣٠٧
المسألة السادسة: مال الخراج والمقاسمة ٣٠٩
المسألة السابعة: سياسة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في الخراج ٣١٠
المسألة الثامنة: سياسة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في بيت مال المسلمين ومصارفه ٣٢٢

المبحث الثاني
السياسة الحربية المتمثلة بالجهاد توفير الأمن والدفاع

المسألة الأولى : مفهوم الجهاد لغة وشرعا ٣٣٣
المسألة الثانية: أهمية الجهاد في الاسلام ٣٣٤
المسألة الثالثة : أقسام الجهاد ٣٣٦
المسألة الرابعة : الادلة في فضيلة الجهاد ٣٤٤

المبحث الثالث
التنمية البشرية والإصلاح الاجتماعي

المسألة الأولى : معاني الإصلاح اصطلاحاً ٣٦٥
المسألة الثانية : الإصلاح في الكتاب العزيز والروايات المطهرة ٣٦٦
المسألة الثالثة : مبادئ الإصلاح ٣٧٠
المسألة الرابعة : تقسيمات الإصلاح ٣٧٦

المبحث الرابع
التنمية الاقتصادية

المسألة الأولى : عناصر التنمية الاقتصادية ٣٩١
المسألة الثانية: الآداب والقيم الاخلاقية للنشاط الاقتصادي ٤٠٤

الخاتمـــة:ـ..... ٤١١